غير مرخصة للطباعة

# مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
## لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
# يُوسُف القَرَضَاوِي

**المجلد التاسع والتسعون**

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

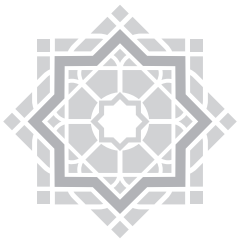
الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
## لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
# يُوسُف القَرَضَاوِي



المحور الثاني عشر

# المحاضرات

١٩٢ محاضرات الإمام القرضاوي

٤

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com




غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

المحـور الثاني عشر

المحـاضـرات

غير مرخصة للطباعة

١٩٢

# محـاضرات الإمام القرضاوي

٤

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

# الأسرة والمجتمع

نسخة مجانية

# من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢، ٣٣]



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# من مشكاة النبوة الخاتمة

عن النُّعْمان بن بَشِير ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في تَوَادِّهِمْ وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم مَثَلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحُمَّى**». متَّفق عليه.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أمَّا أنا فإنِّي أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**». متَّفق عليه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**». رواه الترمذي وابن ماجه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١

# الأسرة المسلمة في مواجهة التحديات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الـذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانـا الله، وأزكى صلوات الله وتسـليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشـريَّة إلى الرُّشـد، وقائد الخلْـقِ إلى الحق، ومُخرج الناس مـن الظلمات إلى النور بإذن ربهـم إلى صراط العزيز الحميد: سـيِّدنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّهـا الإخوة الأحبة في هـذه الليلة المباركة من ليالي شـهر رمضان الكريم ـ تحيةُ الإسـلام، وتحيةُ الإسـلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في نادي الجزيرة الرياضي الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، في التسعينيات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

## الأسرة أساس الفرد الصالح والمجتمع القوي:

فقد اختار الإخوة الكرام في هذا النادي، الذي أسأل الله تعالى أنْ يجعله ناديًا للخير والمعروف والقوة: القوة للأجسام، والقوة للعزائم، والقوة للأرواح، اختاروا أن أحدثكم عن الأسرة المسلمة والتحديات التي تتعرض لها؛ وخصوصًا في المستقبل.

الأسرة المسلمة هي أساس المجتمع المسلم والأمة المسلمة، بل هي أساس لتكوين الفرد المسلم، إذا كان الفرد الصالح هو اللبنة الأساسية لكل شيء؛ فلا يمكن أنْ يتربى الفرد الصالح إلا في ظل أسرة، فالأسرة ضرورية لتربية الأفراد الصالحين.

## لا رهبانية في الإسلام:

ومن هنا فرض الإسلام تكوين الأسرة، ولم يرضَ الإسلام بالرهبانية التي ترفض الزواج، وترفض تكوين الأسرة، رفض الإسلام هذا، فلا رهبانية في الإسلام، تزوَّج النبي ﷺ، وتزوَّج الصحابة، وقال النبي ﷺ لبعض الصحابة الذين غلبتهم نزعةٌ رهبانية متشددة، فقال بعضهم: إنِّي سأقوم الليل ولا أنام أبدًا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوَّج أبدًا. جمعهم النبي ﷺ وقال لهم: «**إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[1]. فمن منهجه ﷺ الزواج وتكوين الأسرة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

يرفض الإسلام الرهبانية؛ لأنَّها لو انتشرت لقُضي على النوع الإنساني، إنَّما يبقى النوع الإنساني ببقاء هذا الزواج، الذي هو آية من آيات الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. جعل هذا الزواج آية من آياته مثل آيات خلق السماوات والأرض، واختلاف الألسنة والألوان، وإنزال الغيث والمطر، إلى آخره.

وأمر الإسلام بتزويج الأيامى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢]. الأيامى: مَنْ لا زوجة له من الرجال، ومَنْ لا زوج لها من النساء، هل هذا الخطاب للمجتمع كله؟ هل هو خطاب لأولياء الأبناء والبنات؟ هل هو خطاب للحكام وأولياء الأمر؟ كلُّ هذا يمكن أنْ يكون، الآية تحتمل هذا كله، الكل مأمور أنْ يُزوِّجوا الأيامى وأن يساعدوهم.

الإسلام إذنْ يأمر بتكوين الأسرة ويرفض الرهبانية.

والعلماء قالوا: إنَّ الزواج تعتريه الأحكام الخمسة. وابن حزم يقول: الأصل في الزواج أنَّه فرض على القادر[١]، أخذًا بظاهر قوله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنَّه أغض للبصر وأحصن للفرج**»[٢].

## رفض الإسلام للإباحية:

على كلِّ حال يرفض الإسلام الرهبانية، ويرفض أيضًا الجانب المقابل للرهبانية: جانب الإباحية، وإطلاق العِنان للغرائز والشهوات،

(١) المحلَّى بالآثار (٣/٩)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

فلا يجيز حبس الغريزة وكبتها عن طريق الرهبانية، ولا يجيز إطلاق العنان للغرائز؛ كالحيوان الذي لا يضبطه ضابط، ولا يربطه رابط. وإنَّما يجيز للإنسان أن يُصرِّف طاقته الغريزية في هذا التصرف المشروع بالزواج، فبالزواج تتكوَّن الأسرة وتَتَّسع دائرة العشيرة وتتناسل الأُمَّة وتتكاثر، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. فلا بدَّ من تكوين الأسرة في الإسلام.

## مفهوم الأسرة في الإسلام:

والأسرة في الإسلام هي الأسرة الموسَّعة، الأسرة الممتدة، نحن الآن نُغزى غزوًا فكريًّا غربيًّا لتضييق دائرة الأسرة! فالأسرة الإسلامية أسرة واسعة، تشمل الزوج والزوجة، والأبناء والبنات، والأحفاد والحفيدات، والأب والأم، والأجداد والجدات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، كل هؤلاء يدخلون في الأسرة، تجمعهم العصبة أو يجمعهم الرحم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

## أحكام تتعلَّق بالأسرة:

ولهذا يُرتب الإسلام على هذا مجموعة من الأحكام، فهناك أحكام النفقات، إذا عجز الإنسان أن ينفق على نفسه؛ فعلى أقاربه بالترتيب الأقرب، فالأقرب أن ينفقوا عليه، إذا كان هو معسرًا وهم موسرون، تختلف المذاهب في هذا، ولكن الأصل متَّفق عليه.

وهناك أحكام الميراث، لا يرث فقط الابن أباه، أو البنت أمها، لا، يرث أيضًا الأب من ابنه، فالأصول ترث من الفروع، والفروع أيضًا ترث من الأصول، الابن وابن الابن وإن نزل، ويرث الأخ من أخيه بشروط

QaradawiBooks.com

معينة، وابــن الأخ، والعم وابن العم، هذه العصبــات أيضًا لها تأثيرها، فبأحكام النفقات وبأحكام الإرث تظل الروابط متصلة.

وهناك أحكام اســمها «أحكام العاقلة»، إذا ارتكب المرء جناية قتل خطأ يوجب الشــرع على عاقلته الدية، والعاقلة: هــي العصبة والقبيلة.. تتحمل دية القتل الخطأ وشــبه العمد؛ حتى لا يُرهق هذا الشــخص أو يعجز، ويضيــع دم المقتول هدرًا، وحتى تتضامــن العاقلة والقبيلة فيما بينها، وحتى يكونوا رقباء على أبنائهم فلا يدَعوهم يقتلون كما يشاؤون، وهم يعلمون أنَّ القتل ســيغرمهم في النهاية، هذه مجموعة من الأحكام تربط الأسرة وتوسعها.

الآن تجيئنا الأفكار والمفاهيم الغربية، بعض الناس لا يريد أن تكون له صلة: لا بإخوته، ولا بأبناء إخوتــه، ولا بأعمامه ولا بأولاد أعمامه، ولا بأقاربه، لا، هذا ليس من الإسلام في شــيء، يريد الإسلام أن تظل الأسرة ممتدة.

## التقاليد الوافدة والموروثة:

ولكي تبقى الأسرة كما يريدها الإســلام أيها الإخوة، نحن نحذِّر من نوعين مهمين من التقاليد، يمثلان التحدي الأساسي لهذه لأسرة المسلمة:

**النــوع الأول**: هو التقاليــد الجامــدة الموروثة من عهــود التراجع الحضاري، هناك تقاليد ورثها المسلمون، لم يرثوها من أيام الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين، وأيام ازدهار الحضارة الإسلامية؛ إنَّما ورثوها من عصور التخلف حينما ســادت أفكار ليســت من الإسلام في شيء، وأصبح الناس يتعاملون بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، هذه التقاليد ما زالت تحكم كثيرًا من المسلمين إلى اليوم، هذا النوع الأول.

QaradawiBooks.com

**والنوع الثاني**: هو التقاليد الوافدة التي غزتنا بها الحضارة الغربية، وهي تريد أن تقتلع الأسرة المسلمة من جذورها، وأن تُدخل عليها مفاهيم غريبة عنها، دخيلة عليها، تدخل عليها عادات وأعرافًا وتقاليد ليست من طبيعتها، ولا تتفق مع قيمها وأخلاقياتها وعقائدها وشرائعها.

هذان النوعان من التقاليد هما التحدي الأساسي للأسرة المسلمة، كيف تستطيع الأسرة المسلمة أن تتخلص من التقاليد الموروثة التي شدد الناس بها على أنفسهم ـ وهي ليست من الإسلام في شيء ـ وكيف تتخلص من التقاليد الوافدة الدخيلة، التي جاءتها من الغرب؛ وهي منافية لأحكام الإسلام وقيمه؟! هذا هو التحدي الأساسي للأسرة المسلمة، إذا استطاعت الأسرة المسلمة أن تواجه هذا التحدي، فقد سلمت الأسرة ونجت، وسارت إلى الأمام بخطى واسعة.

## الأساس الرباني للأسرة المسلمة:

أقام الله ﷻ الأسرة المسلمة على أساسين، ذكرهما القرآن الكريم:

**أحدهما أساس رباني**: جاءت به النصوص وحددته ووضحته، وهو ما سماه القرآن ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، كثيرًا ما نجد هذا في مسائل الأسرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠].

QaradawiBooks.com

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]. يقصد بحدود الله هنا أحكام الشرع.

هناك إذنْ جملة أحكام للأسرة المسلمة لا يجوز أن تُتعدى، المفروض أنَّ الرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة، ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]. لا يجوز للأسرة المسلمة أن تقلب الوضع.

للأسف في بعض البلاد أبو الفتاة هو الذي يدفع أكثر مما يدفع الزوج، في بلاد الهند وباكستان وبنجلاديش: البنت هي التي تدفع، وهي التي تغرم. ومن كان عنده ثلاث بنات اعتبر أنَّ عنده ثلاث مصائب، وهذا التقليد أخذوه من الهندوسية وليس من الإسلام!

وفي بعض البلاد على الأب أن يجهز بناته ويكلف نفسه، وما أنزل الله بهذا من سلطان، وبعض الناس تبالغ في مهور بناتها، ثم من الذي يأخذ المهر؟ الأب، الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾. فلماذا تأخذ مهر ابنتك؟ ويغالي في هذا وكأنَّ البنت سلعة.

هذا كله مما يُعوِّق طريق الارتباط الحلال، المبالغات التي أدخلت على الزواج، إغلاء المهور مثلًا هو أمر ما جاء به كتاب ولا سُنَّة، لو رأينا كيف تزوَّج النبي ﷺ، وكيف كان يتزوج الصحابة، وكيف زوَّج النبي بناته لما رأينا هذه المبالغات، فاطمة أحب بنات النبي إليه تزوجها عليُّ بن أبي طالب ولم يدفع لها إلا درعًا حطمية عنده، لم يعطها عقدًا ولا قرطًا ولا سوارًا، أعطاها درعًا، الدرع للقتال ماذا تفعل البنت

QaradawiBooks.com

بالدرع؟ هذا شيء رمزي، والنبي ﷺ يقول: «**أكثرهن بركة أيسرهن صداقًا**»[١]. فالإسلام لا يريد الإغلاء.

بعض الناس تغالي مغالاة شديدة تُعجِّز الإنسان، وبعض المتزوجين يضطرون إلى أن يذهبوا إلى البنك للاقتراض، وقد يقترض بالربا، فيدخل الحياة الزوجية بالحرام من أول الأمر؛ لأنَّ البنك الربوي لا يمكن أن يقرضه إلا بالفوائد، وإذا عجز عن السداد في موعده تستمر الفوائد، هذا كله من الخروج عن حدود الله.

وفي عصرنا أيضًا اخترع الناس لأنفسهم أشياء، كان الإنسان يتزوج ويدخل بامرأته، وقد يحتفل بها هو وأهله، الآن كيف وأين يحتفل؟ يحتفل في الفنادق الكبرى، هذه تكاليف هائلة، وأحيانًا يحتفل بالخِطبة أو يسمونه في بعض البلاد «الشبكة»، ويحتفل بالعقد أو بـ«الملْكة» كما يسمونه هنا، وعند الزفاف والدخول يحتفل احتفالًا آخر، واخترع الناس أيضًا شيئًا أخذوه من الأجانب ما يسمى «شهر العسل»، يريد أن يأخذ الزوجة ويذهب بها إلى بلد أوروبي أو أمريكي أو كذا، شدَّد الناس على أنفسهم، وعسروا ما يسَّر الله ﷻ، عقَّدوا ما بسَّطه الشرع، فهذه كلها تكاليف تعوق طريق الزواج، ليس هذا من حدود الله التي شرعها الإسلام، الإسلام أقام الزواج على أساس رباني من النصوص والأحكام سمَّاه «حدود الله» لا يجوز أن تُتعدى.

---

(١) رواه أحمد (٢٥١١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩٢٢٩)، والحاكم في النكاح (١٧٨/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

## الأساس الإنساني للأسرة المسلمة:

والأساس الثاني الذي أقام الزواج عليه هو أساس إنساني، سمَّاه القرآن ﴿ٱلْمَعْرُوفِ﴾، يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

ما هو المعروف؟ هذا المعروف تُرك لأهل الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وأهل الفضل والخير من الناس، هم الذين يحددون هذا المعروف، لم يُحدِّده الشرع، الشرع قال: المرأة لها نفقتها بالمعروف، وكسوتها بالمعروف. هذا المعروف يحدده العرف، عرف الناس الطيبين الصالحين، ليس العرف المستورد من أوروبا، ولا العرف الموروث من عهود الانهزام الحضاري عند المسلمين، إنَّما المقصود العرف الصالح.

هناك أعراف وتقاليد سيئة سادت عند المسلمين ما أنزل الله بها من سلطان، وأصبحت تحكم الناس، نحن ينبغي أن نرفض الأعراف السيئة التي شاعت بين المسلمين وأصبحت تحكمهم، وأصبح الناس سجناء لهذه الأعراف والعادات، أصبحوا عبيدًا لها لا يستطيعون أن يتخطوها، ولا أن يخرجوا من سلطانها، هم الذين قيَّدوا أنفسهم بها.

والإنسان أحيانًا يسجن نفسه بنفسه، مثل أهل الأصنام اخترعوها ونحتوها ثم عبدوها، ما هو الصنم؟ ما هو هذا الإلٰه الذي يعبده الوثني، ويسجد له ويتضرع إليه، ويمد إليه يديه يسأله المعونة عند الشدة، ويسأله التوسعة عند الرخاء، ويسأله النصر عند لقاء الأعداء؟! هذا الوثن أو هذا

QaradawiBooks.com

الإلٰه المزعوم هو حجر نحته الإنسان بيديه، كما قال سيدنا إبراهيم: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦]. فالصنم شيء ينحته الإنسان ثم يسجد له ويتضرع إليه، هكذا التقاليد يصنعها الناس ثم يصبحون عبيدًا لها.

## التحرُّر من التقاليد الموروثة والوافدة:

ينبغي للمسلمين إذا أرادوا أن ينجحوا في مواجهة التحديات: أن يتحرروا من التقاليد، سواء كانت تقاليد موروثة، أم تقاليد وافدة.

خذوا مثلًا بمسألة الخِطبة عندنا: الإسلام شرع الخِطبة، فالخِطبة مقدمة للزواج، تمهيد لعقد الزواج، لم يُرد الإسلام أن يدخل الإنسان في العقد مباشرة، وإنَّما ينبغي أن يُمهد لهذا الأمر، العقد يؤسس حياة زوجية دائمة. فقبل أن ندخل في هذه الحياة الدائمة، أراد الإسلام أن يكون لها مقدمات تمهيدية تمهد الطريق إليها؛ فكانت الخِطبة، أن يطلب الإنسان من أولياء المرأة أنَّه يرغب في الزواج منها.

ولكي تكون الخِطبة مبنية على أساس سليم، وعلى بصيرة نيِّرة أمر النبي ﷺ الخاطب أن ينظر إلى مخطوبته، قال لبعض الصحابة ـ المغيرة بن شعبة ـ وقد أخبره أنَّه خطب امرأة: «**هل نظرت إليها؟**» قال: لا. قال: «**اذهب فانظر إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدم بينكما**»[1]. هذا أجدر أن يجعل بينكما ائتلافًا واتفاقًا، يقرب قلبها من قلبك، وقلبك من قلبها، العين رسول القلب، وللنظرة الأولى أهميتها، من حقك أن تنظر إليها، ومن حقها أيضًا أن تنظر إليك.

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

وقال له أحد الناس: خطبت امرأة من الأنصار. فقال: «**هل نظرت إليها؟**» قال: لا. قال: «**انظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا**»[١]. لعيون الأنصار طبيعة خاصة، فانظر إليها لعلَّها لا تعجبك، فحتى لا يدخل الإنسان هذه الحياة وهو أعمى ـ لا يعرف ماذا في هذه المرأة ـ يريد الإسلام له أن يبصر ما استطاع له أن يبصر؛ حتى يكون على بيِّنة من أمره.

وليس مجرد النظر، قد يعجبك منظرها ولكن ربما لو سمعت حديثها لوجدتها إنسانة لا تصلح لشيء، تسيء الكلام، لا تحسن أن تتكلم عددًا من الجمل بعضها مع بعض، فلا بدَّ أن يستمع إليها: يعرف صوتها، يعرف حسن كلامها، يعرف حسن فهمها للأمور، هذا أيضًا أمر مهم، لا بدَّ أن ينظر إليها وتنظر إليه، ويستمع إليها وتستمع إليه، هذا هو الذي أمر به الإسلام.

والعلماء مختلفون: إلى أي شيء ينظر إليه منها؟ البعض يقول: ينظر إلى الوجه والكفين. والبعض يقول: يجوز أن ينظر إلى أي امرأة وجهها وكفيها ما دام بغير شهوة، فلا بدَّ أن يكون هناك شيء آخر. فقال البعض: ينظر إليها في ثياب مهنتها، الثياب التي تكون فيها عادية، فيمكن أن ينظر مثلًا إلى جزء من شعرها، وممكن أن ينظر إلى بعض ساقها.

وقد رووا أنَّ عمر بن الخطاب أراد أنْ يتزوَّج أم كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب، وكانت صغيرة، فأرسل عليٌّ أم كلثوم إلى عمر بن الخطاب فنظر إليها ثم كشف عن ساقيها، فعجبت لما صنع، وقالت له: لولا أنك أمير المؤمنين، للطمت الذي فيه عيناك[٢]. تعني لطمت وجهك، لا تعرف أنَّه يخطبها، فهذه أشياء أباحها بعض العلماء، والعلماء مختلفون في هذه النواحي.

---

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٢١).

QaradawiBooks.com

## نموذج الخِطبة بين الإفراط والتفريط:

هنا أيُّها الإخوة إذا نظرنا إلى واقع أسرنا الآن، وإلى واقع الزواج في حياتنا الإسلامية المعاصرة نجد الناس طرفين: طرف إفراط، وطرف تفريط، هناك من لا يرضى لخاطب ابنته أن يراها بحال من الأحوال، وهذه مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ.

بل هناك أكثر من هذا كما تعرفون أنتم أهل الخليج، أكثر أهل الخليج إلى اليوم لا يسمحون برؤية الخاطب لمخطوبته، ولا برؤية العاقد للمعقود عليها، بعد أن يملك عليها ويعقد قرانها ويكتب كتابها، وأصبحت زوجته شرعًا.. لا يراها ولا تراه، لا يراها إلا ليلة الزفاف!

والعجيب أنَّ هذه الفتاة ربما كانت طالبة؛ فتذهب إلى المدرسة الثانوية، أو إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب في الصيف مع أهلها إلى القاهرة ولندن وباريس، تذهب إلى كل مكان، ويراها الناس جميعًا إلا هذا المسكين هو الذي يحرم عليه أن يراها، سواء كان خاطبًا أو عاقدًا، أهذا منطق؟! هذا شيء غريب جدًّا حقيقة، هذه تقاليد تحكم الناس.

وفي مقابل هؤلاء المتشددين أناس آخرون تقدميون متحررون، ناس «مودرن» ليسوا رجعيين، هؤلاء أطلقوا للفتاة العِنان، وجعلوا حبلها على غاربها، وتركوها ـ كما يقال ـ على حل شعرها، بمجرد أن يأتي الخاطب يسمحون له أن يتأبط ذراعها، ويخرج إلى الخلوات والسينمات والمتنزهات، ويسهر بها إلى منتصف الليل، كيف هذا؟! هذا رجل لا يزال أجنبيًّا منها، ما دام لم يحدث عقد هو رجل أجنبي لا يحل له أن يختلي بها، ولا أن تختلي به.

QaradawiBooks.com

وما الموقف إذا جاء بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة، وقال: أنا اختبرتها وخرجت معها فلم تعجبني، وجدت عقليتها متخلفة، ووجدتها كذا. وفسخ الخطبة. ماذا يقول الناس؟ ستصبح مضغة في الأفواه، سيقول الناس: كم رأيناها ذهبت مع فلان، وخرجت معه، وسهرت معه. نسيء إذنْ إلى الفتاة وإلى أسرتها، هذا أمر لا يجوز.

يجوز له أن يجلس معها وتجلس معه بصحبة أهلها، لا مانع أن يأتي لزيارة أهلها ويجلس وإياها في ركن في الحجرة يتحدث إليها، وهم جالسون يتحدثون مع أنفسهم، يستمع إليها وتستمع إليه، ويختبر عقلها، بالمخالطة وبالأخذ والرد، والجذب والشد.. تتبين له حقيقة عقلية هذه الفتاة، واتجاهاتها النفسية والخلقية والفكرية، لا مانع أن يخرج معها بصحبة أهلها في نزهة، ولكن أن يخرج هو وهي وحدهما؛ فهذا هو الذي لا يجوز بحال من الأحوال.

## علاقة الأبناء بالآباء في المجتمعات الغربية:

نحن أيُّها الإخوة الأحبة نقع بين طرفي الإفراط والتفريط في قضية الأسرة، نحن الآن نُغزى بهذه التقاليد الوافدة على كل المستويات، حتى في علاقة الولد بأبيه وأمه، وأنا أقصد بالولد الابن والبنت؛ فكل منهما ولد، تغيرت العلاقة بالآباء والأمهات، لم تعد كما كانت في الزمن الماضي، حيث كان الولد يحب أباه وأمه، ويحترمهما ويطيعهما، ويلتمس رضاهما، ويقول: رضا الله في رضاهما، وسخط الله في سخطهما. وإذا وُفِّق في حياته يقول: هذا بركة دعاء الوالدين ورضاهما.

الآن بدأ كل واحد يفكر في نفسه، وهمُّه أن يعيش لنفسه هو وزوجته وأولاده فقط، ويرى أنَّ الأب والأم انتهى عصرهما، كما جاء في بعض

QaradawiBooks.com

الأحاديث: «**إنَّ من أسباب البلاء: أنْ يطيع الرجل زوجته ويعق أُمَّه، ويدني صديقه ويجفو أباه**»[١]. هذا من اختلال الموازين، واضطراب المعايير، وهذا من أسباب البلاء للأُمَّة.

نحن نعلم أنَّ الأسرة في المجتمع الغربي مفككة للأسف، نجد أنَّ الإنسان بعد أنْ يبلغ أشده يترك أباه ويترك أمه، ولا يفكر فيهما، ولذلك اخترع الغربيون يومًا في السنة سموه «عيد الأم»، ويومًا آخر سموه «يوم الأب»، لأنَّ الواحد منهم يذهب لحال سبيله، ولا يفكر في أبويه، فيأتي في هذا اليوم ويبعث بهدية إلى أمه أو إلى أبيه، ربما لا يذهب إلى أمه أو أبيه ويصافحهما، ويقبل أيديهما ويطلب منهما الدعاء، إنَّما يبعث لهما في البريد زجاجة عطر أو شيء من هذا هدية عيد الأم. والعجيب أنَّ البعض يريدون أن يدخلوا هذه التقاليد علينا، المفروض أن يكون كل يوم من أيام المسلم عيدًا لأمه، وليس يومًا في العام.

وجدنا هناك من يترك أمه وأباه، يقول: أنا مؤمِّن على حياتهما. أو يدخلهم بيوت العجزة أو بيوت المسنين أو نحو ذلك، وقد حكى لي بعض الإخوة في أمريكا أنَّه كان يعيش في منطقة معينة، وكانت بجواره امرأة عجوز، تسكن في شقة في البناية أو العمارة التي يسكن فيها، وكانوا يرون هذه المرأة العجوز ما بين حين وآخر، وفي فترة من الفترات انقطع خبر هذه المرأة، لم يروها تفتح الباب، ولم يروها تظهر، قالوا: يا ترى هل سافرت، هل كذا؟ ثم في يوم من الأيام أحسوا برائحة كريهة تنبعث من شقة هذه المرأة؛ فأبلغوا الشرطة، جاءت الشرطة وفتحوا الشقة، فوجدوا المرأة ماتت من عدة أيام، وأصبحت جثة عفنة والعياذ بالله!

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢١٠)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٤٦٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٠٧)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

ولما سألوا عنها وجدوا لها ابنًا مهندسًا في المكان الفلاني، وابنًا معلمًا في المكان الفلاني، وبنتًا تعمل في المكان الفلاني، وأولاد وأحفاد، هؤلاء الأبناء والبنات والأحفاد تركوا هذه المرأة تموت وحدها، ولعلَّها كانت محتاجة إلى شربة ماء لم تجد من يعطيها شربة الماء، لعلَّها كانت محتاجة من يعطيها قرصًا أو ملعقة من الدواء لتنقذها فلم تجد هذا، أصيبت بما أصيبت أو أغمي عليها، وبقيت في غيبوبتها إلى أن ماتت وتعفنت، وأصبحت رمة بالية، هذا هو المجتمع الغربي!

مما يؤسف له أنَّ بعض هذه الأشياء بدأت تدخل علينا، بدأ بعض الناس يدخل أباه أو أمه في بيت العجزة أو المسنين، ولا يسأل عنهما، لعلَّه يذهب يزور أباه في يوم العيد في بيت المسنين!

## علاقة الأبناء بالآباء في الإسلام:

ما عرف مجتمعنا هذا من قبل، مجتمعنا عرف أنَّ الأب أو الأم يظل بين أولاده وبناته وأحفاده يُرعى ويُكرَم، الحياة الإنسانية ليست أكلًا وشُربًا فقط، صحيح الإنسان في بيت المسنين سيأكل ويشرب، ولكن هو يريد أن يعيش بين أولاده الذين بذل لهم عمره وأعطاهم حياته، وكم كدَّ يمينه وعرق جبينه من أجلهم، يريد أن يحيا بينهم، حُرم من هذه الحياة وذُهِب به إلى بيت المسنين!

روِيَ أنَّ رجلًا كان يطوف بالبيت حاملًا أمه على عاتقه، ورأى النبي ﷺ فأقبل عليه وقال: يا رسول الله، هل أدَّيت حقها؟ قال: «**لا، ولا بزفرة واحدة**»[1]. زفرة واحدة من زفرات الطلق وآلام الوضع: أثقل مما قام به.

(١) رواه البزار (٤٣٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٩٥): فيه الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف من غير كذب، وليث بن أبي سليم مدلس. عن بريدة بن الحصيب الأسلمي.

QaradawiBooks.com

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال له: يا أمير المؤمنين، لقد بلغ بري بأمي أنِّي أصنع لها ما كانت تصنع بي وأنا طفل: أحملها كما كانت تحملني، وأطعمها كما كانت تطعمني، ولا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل وفيت حقها؟ قال له: لا، إنَّها كانت تفعل لك ذلك وتتمنى لك عمرًا طويلًا، وأنت تفعل لها هذا وتنتظر موتها غدًا أو بعد غد[١]. فرق بين مشاعرها وهي تفعل بك ذلك في عهد الطفولة وبين مشاعرك، وأنت تفعل معها هذا في عهد الشيخوخة، تقول: بقيت لها أيام وربنا يتولَّاها. فرق بين الأمرين!

نحن في حاجة إلى أن يبقى مجتمعنا متمسكًا بتقاليده الأصيلة في العلاقة بالأبوين، حتى بالجد والجدة، بالأصول وبالفروع.

## مسؤولية رعاية الأبناء في الإسلام:

الإسلام أيضًا يُحمل الآباء مسؤولية رعاية الأولاد، «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته: الرجل راعٍ في بيت أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»[٢]. والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. جاء عن عليٍّ في تفسير هذه الآية قال: عَلِّموهم الخير[٣].

علِّم أولادك الخير، النبي ﷺ يقول: «**مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع،**

---

(١) انظر: البر والصلة لابن الجوزي صـ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر في فتح الباري (٦٥٩/٨): رواته ثقات.

QaradawiBooks.com

**واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[١]. حينما يبلغ الولد سبع سنوات فقد أدرك سن التمييز؛ فعَلِّمْه الصلاة وأْمره بها، رَغِّبه وحَبِّبه فيها، وإذا صلى كافِئْه بشيء يحبه، لعبة معينة، أو فسحة معينة أو كذا، إلى أن يبلغ عشرًا هنا قال: «**واضربوهم عليها لعشر**». لأنَّك أعطيته فرصة ثلاث سنوات، فبعد هذا لا بدَّ أن تُظهر الجدية، المقصود بالضرب هنا إظهار الجدية.

لو قلت له: هاتِ الشيء الفلاني. فلم يأتِ به، ماذا ستفعل؟ ستؤدبه، لماذا تغضب لأمر نفسك، ولا تغضب لأمر ربك؟ لا بدَّ أن تُظهر الجدية، والضرب هنا لا يعني أنْ تؤذيه؛ فتأتي بخشبة وتكسر رأسه، أو بكرباج وتؤلمه، لا، إنَّما هو مِن نوع ما قال النبي ﷺ للجارية ـ وقد أغضبته ـ: «**لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك**»[٢].

العلاقة بالأولاد إذنْ يجب أن تكون علاقة أبوة راعية هادية معلمة، ليست مهمة الأب أن يطعم أولاده ويكسوهم، ويعطيهم من النقود ما يطلبون فحسب، قد يكون إعطاء النقود كلما طلبها الطفل مفسدة له كما قال أبو العتاهية قديمًا في أرجوزته:

**إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ للمَرْءِ أَيّ مَفْسَدَهْ**[٣]

الجدة تعني وجدان المال مع الإنسان، كلما طلب الولد شيئًا وجده، لا يُرد له طلب، ليس هذا هو المطلوب.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّن إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣). عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجود إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود يوم القيامة ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

(٣) انظر: خاص الخاص للثعالبي صـ١٠٩، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

QaradawiBooks.com

## تربية بين القسوة والتدليل:

ينبغي أن تكون التربية وسطًا بين التدليل وبين القسوة، هناك أناس يبالغون في تدليل أولادهم، كلما طلب الولد شيئًا أُجيب طلبه، هذه مفسدة للطفل، لا بدَّ أن نُعلِّم الطفل أنَّ هناك أشياء معقولة تُجاب وأشياء غير معقولة لا تُجاب، أمَّا المبالغة في تدليل الطفل فلا يجوز، لا يجوز أن يُجاب إلى كل شيء.

ولا يجوز أن يفعل الخطأ ولا يُحاسب عليه، لا بدَّ أن يُحاسب على الخطأ، إذا تعدى على أخيه وأخذ شيئًا منه نحاسبه، ونعلمه أن هذا ليس من حقه، إذا أساء إلى والدته أو إلى أحد أقربائه في البيت أو إلى أحد زملائه في المدرسة لا بدَّ أن يُحاسب، لا نعلم الطفل أنَّه فوق المحاسبة وفوق المساءلة وفوق العقاب، لا، أي طفل أيًّا كان أبوه أيًّا كانت أمه لا بدَّ أن يعرف أن لكل حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابًا، فهناك أناس يفسدون أولادهم بالتدليل!

وهناك أناس يفسدون أولادهم بالقسوة، قساة على أولادهم كما كان الأعراب في الجاهلية، الرجل الذي دخل على النبي ﷺ؛ فوجده يُقبِّل بعض الصبيان عنده ـ لعلَّه الحسن أو الحسين، أو أحد أبناء جعفر بن أبي طالب ـ فقال: إنكم لتقبِّلُون أولادكم! والله إنَّ لي عشرة من الولد، ما قبلت واحدًا منهم. فقال له النبي ﷺ: «**أوَأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك**»[1]. ماذا أفعل لك إذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك؛ حتى إنك لا تعطف على هؤلاء الأولاد الصغار؟

النبي عليه الصلاة والسلام كان يداعب الأطفال، وكان يسلم على الأطفال فيعلِّمهم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

آداب الإسلام، دخل على أم سليم وكان معها ابنها الصغير فقال له: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»[١] النغير: طائر صغير كالعصفور، كان يلعب به ويظهر أنَّه مات؛ فداعبه النبي ﷺ وكنَّاه «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**» انظر إلى هذه الملاطفة.

وانظر إليه وقد ركب الحسن أو الحسين ظهره وهو في الصلاة، وأطال النبي عليه الصلاة والسلام السجود حتى ظنَّ الصحابة رضي الله عنهم الظنون، قالوا: ماذا حدث للنبي عليه الصلاة والسلام؟ هل أدركه الأجل؟ هل أصابته غيبوبة؟ هل كذا؟ حتى قام النبي ﷺ من السجود بعد فترة طويلة، فحمدوا الله، وبعد أن فرغ من الصلاة وسلَّم سألوه: يا رسول الله، رأيناك سجدت فأطلت السجود، ماذا حدث؟ فقال لهم: «**إنَّ ابني ارتحلني؛ فكرهت أنْ أُعجله**»[٢]. قال لهم: إن ابني ـ يقصد ابن بنته ـ ارتحلني: جعلني راحلة، اتخذني ركوبة؛ فكرهت أن أعجله. لو كان النبي ﷺ قاسيًا لرماه من فوق ظهره، ينزل فيصطدم بشيء ويتأذى، لكنَّه لم يُرد هذا، ترك الطفل حتى شبع وانصرف هو من نفسه.

ودخل أحد الصحابة على النبي ﷺ، ووجد الحسن والحسين يركبان ظهره في البيت، كما يفعل بعض الآباء لأولاده، فقال الصحابي: نعم المركب ركبتما. فقال النبي ﷺ: «**ونعم الفارسان هما**»[٣]. انظروا إلى هذا اللطف.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٢٩) ومسلم في الآداب (٣١٥٠)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهادِ.

(٣) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

هذه هي التربية السليمة التي لا تنتهي إلى التدليل المفسد، ولا إلى القسوة المحطمة للشخصية، هذا ما نريد أن نربي عليه أولادنا.

## حياة زوجية مستقيمة:

وهذا ما نريد أن نقيم عليه الحياة الزوجية السليمة، الحياة التي تبدأ بين زوجين.. كل منهما يعيش مع صاحبه وادًّا له، رحيمًا به، ساكنا إليه، الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. كأنَّ الزوجة من نفس الرجل، والرجل من الزوجة، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي: المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، هو يكملها وهي تكمله، وانظر إلى التعبير القرآني عن العلاقة الزوجية يقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ﴾ [البقرة: ١٨٧]. بما توحي كلمة «اللباس» من معاني الزينة والستر، والدفء والقرب واللصوق، هذه هي العلاقة الزوجية في الإسلام ينبغي أن تقوم على أساس السكون والمودة والرحمة.

## الحياة الزوجية بين الحقوق والواجبات:

ليس الرجل في الإسلام سلطانًا مستبدًّا بالأسرة، أو كما يقول بعضهم: المرأة مثل النعل يلبسها الرجل متى شاء ويخلعها متى شاء. هذا كلام ليس من الإسلام في شيء! المرأة في الإسلام لها شخصيتها، صحيح الرجل له القوامة، والقوامة تعني المسؤولية، والمسؤولية تعني أن عليه واجبات أكثر كما قال الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. لهن مثل الذي عليهن من الواجبات، وللرجال عليهن درجة، قال: إنَّ واجبات الرجال أكثر من

QaradawiBooks.com

النساء[١]. لأنَّ مسؤولية الرجل تجعل الواجبات عليه أكثر: عليه الرعاية، وعليه النفقة، وعليه أن يحدب على المرأة ويحميها، هذا هو الذي ينبغي أن تقوم عليه الأسرة المسلمة، علاقة زوجية حميمة، ليست تسلطًا من جانب، ولا خنوعًا من جانب، إنَّما هي حياة مشتركة تقوم على أساس التعاون، وتبادل الحقوق والواجبات.

وقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أمام المرآة يأخذ من لحيته، ويرجل شعره، ويتعطر ويتزيَّن؛ فقال له نافع مولى عبد الله بن عمر: ما هذا يا ابن عم رسول الله، أتتجمل وإليك يضرب الناس أكباد الإبل؟ فقال: وماذا في هذا يا نافع؟ إنِّي أتجمل لامرأتي كما تتجمل لي امرأتي، وإنِّي أجد هذا في كتاب الله. قال: وأين هذا في كتاب الله؟ قال: يا نافع ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨][٢]؟ أي كما أنَّ على المرأة أنْ تتزيَّن لزوجها، على الرجل أنْ يتزيَّن لزوجته، أمَّا أن يطلب منها أن تلبس له الثياب الجميلة وتتعطر، ويأتي هو برائحته الكريهة وبثيابه القذرة؛ فليس هذا معقولًا! الحياة الزوجية مشتركة، تتبادل فيها الحقوق والواجبات.

هذه أيُّها الإخوة ملامح عن الأسرة المسلمة، فالموضوع طويل الذيول، ولا نستطيع أن نوفيه حقَّه في محاضرة كهذه، إنَّما بحسبنا أن نضع الملامح والإشارات الضوئية لهذا الطريق؛ لنبين أنَّ الأسرة التي يريدها الإسلام ينبغي أن نحافظ عليها: على أسسها، على معالمها، على ضوابطها، حتى لا تنساق إلى اليمين ولا إلى اليسار، لا إلى الشرق

(١) تفسير الطبري (٥٣٥/٤)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
(٢) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

QaradawiBooks.com

ولا إلى الغرب، لا إلى القديم ولا إلى الحديث، لا إلى التقاليد الجامدة ولا إلى التقاليد الوافدة، لتبقى الأسرة كما شرعها الله؛ محافظة على حدود الله، مقيمة أمورها على المعروف لا المنكر.

وبهذا تصمد الأسرة في وجه العواصف التي تريد أن تقتلعها، والتي تريد أن تجعلها كالأسرة الغربية، وقد تفكَّكت الآن، ولم يعد هناك رباط للحياة الزوجية مقدس أو محترم، وكما أراد مؤتمر السكان في القاهرة سنة (١٩٩٤م)، أو مؤتمر بكين في الصين عن المرأة سنة (١٩٩٥م).

أرادت هذه المؤتمرات أنْ تخرج المرأة عن فطرتها، وأن تُخرج الأسرة عن طبيعتها، وهذا ما ينبغي أن نرفضه، ونحافظ على الأسرة المسلمة كما يحب الله تعالى ويرضى؛ لتكون أساسًا لتأسيس المجتمع المسلم المنشود، الذي نبتغيه ونلتمسه، والذي يستطيع أن يقيم هذا الدين في الأرض.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

# نحو أسرة أفضل[١]

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**(وبعد)**

**المرأة أكثر من نصف المجتمع:**

كثيرًا ما نسمع أنَّ المرأة نصف المجتمع، ولهذا لا ينبغي أن يُهمَل نصفُ المجتمع، وأن يقتصر النشاط على الرجال وحدهم، وتبقى المرأة كمًّا مهملًا لا يُعنى بها! وأنا أقول: صحيح أنَّ المرأة نصف المجتمع من

(١) ألقيت في الملتقى النسائي الأول تحت شعار: للتربية نلتقي وبالتربية نرتقي، بإشراف مركز شباب الدوحة، بالتعاون مع القسم النسائي بمعهد الأئمة والخطباء بدولة قطر.

QaradawiBooks.com

الناحية العددية، ولكن المرأة من ناحية التأثير أكثر من نصف المجتمع؛ لأنَّ المرأة تؤثِّر في زوجها، وتؤثر في أولادها، ولذلك ربما كان تأثيرها أكثر من النصف، ومن هنا كان إهمال المرأة إهمالًا للمجتمع كله، وكان تضييعها تضييعًا للمجتمع كله.

**محاولة أعداء الإسلام إفساد المرأة:**

وفي عصرنا نرى الأجهزة العلمانية، والمؤسسات اللادينية، والقوى المعادية للإسلام تركز كل التركيز على إفساد المرأة المسلمة، وإخراجها عن هويتها الإسلامية؛ حتى تسير في ركاب أولئك أو هؤلاء، ولا تعرف حقيقة نفسها باعتبارها مسلمة مؤمنة بالله واليوم الآخر.

ومن هنا كان على كل مؤسسة إسلامية أن تعتني بأمر المرأة وبأمر الأسرة، ومن هنا كان هذا الملتقى النسائي التربوي عملًا من الأعمال الصالحة ينبغي أن ننوه به، ونشيد به، ونقول لكل من ساهم فيه: جزاكم الله خيرًا.

**واقع الأسرة المسلمة:**

لقد اختار لي الإخوة هذا العنوان لنفتتح به محاضرات هذا الملتقى، وهو «نحو أسرة أفضل»، وهذا العنوان مبشر، فهو يعني أنَّنا في أسرة فاضلة، ونريد أسرة أفضل منها، فهذا نوع من التسامح؛ لأنَّ كثيرًا من الأسر للأسف لم تصل إلى مرحلة الأسرة الفاضلة؛ حتى نسعى نحو أسرة أفضل! هناك أسر ضائعة، هناك أسر منهارة، هناك أسر مهددة، هناك أسر لم تقم من أول أمرها على أساس صحيح، ولهذا لا نرى تلك الأسرة المسلمة التي يريدها الإسلام: الزوج الصالح، والمرأة الصالحة،

QaradawiBooks.com

والأب الصالح، والأم الصالحة، والأبناء الصالحين، والبنات الصالحات، ولكن نحن نحاول أن نتفاءل ونعتقد أنَّ عندنا أسرًا صالحة أو قريبة من الصلاح، فنحن نسعى إلى ما هو أصلح، وإلى ما هو أفضل.

## نحو تكوين أسرة صالحة مصلحة:

كيف نسعى إلى الأسرة الصالحة، أو الأسرة الأصلح أو الأسرة الأفضل؟ هذا ينبغي أن يبدأ منذ التكوين، منذ اللحظة الأولى، منذ يختار الرجل من تكون له زوجة وشريكة حياة، ومنذ تختار المرأة الزوج وشريك الحياة أيضًا.

أول شيء ينبغي أن نصحح المعايير والمقاييس التي يبني عليها الناس رجالًا ونساءً اختيارهم، فإنَّ سوء الاختيار لا يمكن أن يكون وراءه أسرة فاضلة أو أسرة فضلى، مقاييس الناس في الاختيار كثير منها للأسف مقاييس مختلة، وموازين مضطربة، لا تسير على موازين الإسلام الصحيحة.

## معيار اختيار الزوج والزوجة:

الإسلام يقول للرجل: «**تُنكح المرأة لأربع: لحسبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1]. هذا ما يقوله الإسلام للرجل حينما يريد أن يختار ربة بيته، وأم أولاده، وشريكة عمره، ولكن كثيرًا من الرجال لا يبحث عن ذات الدين، وإنَّما يبحث عن ذات المال، أو ذات الجمال، أو ذات النسب، والدين في آخر شيء إن فكر فيه، وربما لا يفكر فيه قط.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والإسلام يقول للمرأة ولأولياء المرأة: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[١]. أهم ما يُقوَّم به الإنسان الدين والخُلُق، لأنَّ هذه أوصاف ذاتية تصاحب الإنسان في رحلة حياته ولا تتغير، ولكن الأشياء الأخرى تتغير، الغني قد يفتقر، وصاحب المنصب قد يُعزل عن منصبه، وصاحب الشهرة قد تخونه شهرته، أمَّا الدين والخُلُق فهو الأمر الباقي.

هل قدَّرت الفتاة المسلمة وقدَّر أهلها معها هذا الأمر حق التقدير؟ للأسف لا، الناس يبحثون عن كل شيء إلَّا الدين والخُلُق، ماذا يملك هذا الرجل؟ كم يتقاضى من راتب؟ كم عنده من عقارات؟ كم في حسابه في البنك؟ ابن من هو؟ من أي أسرة ومن أي قبيلة؟ وما لونه أبيض أم أسمر؟ وما شكل شعره أجعد أم ناعم؟

## معايير مضطربة:

يبحث الناس عن الأعراض، ولا يبحثون عن الأمور الجوهرية الذاتية، التي بها صار الإنسان إنسانًا، والإنسان إنَّما يُقاس بدينه وخُلُقه، ولذلك عاب النبي ﷺ على زمان يأتي يقول الناس فيه للمرء: «**ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»[٢].

الناس تقاس بما في قلوبها من إيمان، وما يثمر هذا الإيمان من عمل، وما يصحب هذا العمل من إخلاص، وما يصاحب ذلك كله من

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا، وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل، وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤٣)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

أخلاق، هذا هو الذي ينبغي أن يهتم به الناس، لكن الناس يتركون هذا ويهتمون بأمور أخرى.

وكم من رسائل تأتي إليَّ من فتيات يشتكين من أنهن يتقدم إليهن الشاب الصالح المتدين ذو الأخلاق الحميدة، المشهود له من كل من عرفه، المتفوِّق في دراسته، المؤتمن في عمله، ولكنَّه ليس من عائلة كبيرة، أو أنَّ لونه أسمر، أشياء من هذا النوع، ويُردُّ هذا الإنسان الصالح ويُقبل إنسان آخر لعله ممن يشرب الخمر، ولعله ممن يترك الصلاة، ولعله ممن لا يعرفه المسجد مقيمًا لصلاة أبدًا، هذا خلل في موازين الناس، ولذلك لا بدَّ أن نقبل من نرضى دينه وخُلُقه.

## كيف كان الصالحون؟

سيدنا سعيد بن المسيب، وكان سيد التابعين، وأفقه التابعين، ومن قريش، بعث إليه الخليفة الأموي أن يخطب ابنته لابنه ولي عهد المسلمين؛ فاعتذر سعيد وتهرَّب وأبَى أن يزوج ابنته لابن أمير المؤمنين، وزوَّجها لطالب علم في حلقته اسمه ابن أبي وداعة.

كانت مجلس سعيد حلقة علم يحضر فيها الطلاب؛ فغاب أحدهم وما كان يغيب يومًا؛ فسأل عنه فقيل له: إنَّ امرأته توفيت وهو يقضي حاجة نفسه؛ فلذلك أصبح يتأخر عن الدرس. فلما جاء تلميذه هذا عرض عليه أن يُزوِّجه، قال: حفظك الله، كيف تُزوِّجني وليس معي إلا درهم. قال: أُزوِّجك بدرهم. وزوَّجه ابنته بدرهم، ثم ذهب هذا الطالب إلى بيته، وفي الليل وجد طارقًا يطرق الباب فقال: من الطارق؟ قال: سعيد. قال هذا الطالب: فخطر في بالي كل سعيد أعرفه إلا أستاذي وشيخي سعيد بن المسيب، لأنَّه ما كان يطرق أبواب الأمراء ولا أبواب الأغنياء؛ فكيف يأتي

QaradawiBooks.com

إليَّ؟ ففتح الباب فإذا هو سعيد بن المسيب ومعه فتاة فقال: هذه امرأتك، أحببت ألَّا تبيت هذه الليلة عزبًا. ودفع بها إليه، وهو مسكين ليس عنده شيء، فصاح بجيرانه: يا فلان، يا أبا فلان، يا أم فلان. فجاؤوا وقالوا: ماذا أصابك؟ قال: إنَّ سعيد بن المسيب زوَّجني ابنته وليس في بيتي شيء. فهذا يأتي إليه بصحن فيه كذا، وهذا يأتي إليه بتمر، وهذا يأتي بلبن[1].

هكذا كانوا يبحثون عن الرجال، ونحن الآن نبحث عن كل أمر إلا الأمور الذاتية الأساسية، الإنسان حين يزوج ابنته يُزوِّجها من إنسان، لا يُزوِّجها من عمارة، ولا يُزوِّجها من حساب في البنك، وإنَّما يُزوِّجها من إنسان، والإنسان دين وخُلُق.

## حاجتنا لتوعية فكرية:

والله تأتيني رسائل من فتيات أعجب لها، هذه تقول: أنا تعلقت بشاب، وهذا الشاب كنت أظن فيه خيرًا، وإذا بي أجد أنَّهم أدخلوه إلى السجن لأنَّهم ضبطوه مع فتاة وكذا، وبعد ذلك تزوج فتاة أخرى، وبعدها جاء يطلب الزواج مني، فما رأيك؟ هل هذا يحتاج إلى التفكير فيه؟ هذا الإنسان الذي لا خُلُق له كيف تفكر فيه فتاة؟

وأخرى تقول: تعرفت على شاب عن طريق الهاتف، وما أكثر التعرف عن طريق الهاتف للأسف، وصار الشاب يحدثني وأحدثه، ثم تقابلت معه فإذا هو شاب وسيم جدًّا، وما زال يخدعني بمعسول القول، حتى غرر بي وفقدت أعز ما أملك. وتسألني الرأي: ماذا تقول؟ إنِّي ما أزال أحبه وقلبي معلق به؟ يا لخيبتك! هذا جنون.

---

(١) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٢، ١٦٨)، نشر السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

نحن في حاجة إلى توعية صحيحة حتى نعرف من هو الذي يُختار؟ خديجة رضي الله عنها هي التي خطبت محمدًا ﷺ، وقد تقدم إليها كبار الرجال من قريش: الأغنياء مالًا، والأكثر جاهًا وشهرة، ولكنها رضيت أن تتزوج هذا الشاب اليتيم الفقير لِما عرفت عن أخلاقه، عن صدقه وأمانته، فسعت إليه وهيَّأت إحدى النساء لتذهب إليه وتقول له: لماذا لا تتزوج؟ وتعرض عليه خديجة.

وحين تأيمت حفصة لقي سيدنا عمرُ عثمانَ بن عفان، يقول عُمر: فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه[1]. فتزوج عثمانُ الابنةَ الثانية لرسول الله ﷺ، وتزوج حفصةَ رسولُ الله ﷺ، هذا بينما يأنف الرجل منا أن يفعل ذلك، يقول: كيف أدلل على ابنتي كأنها سلعة؟ لكن لا، من حقه أن يخطب لها فعلًا، وفي المثل: «اخطب لابنتك قبل أن تخطب لابنك». فلذلك هنا خلل في الاختيار من أول الأمر.

## أهمية الاختيار الصحيح:

ينبغي أن نحسن الاختيار، الفتاة ينبغي أن تحسن اختيار من يكون لها زوجًا، ويجب أن يساعدها أهلها، تساعدها الأم، ويساعدها الأب، يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد: «**آمروا النساء في بناتهن**»[2].

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٠٠٥)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

آمروهن: أي استشيروهن، خذوا رأيهن، خذوا مشورة المرأة في بناتها، لماذا؟ لأنَّ المرأة أعرف بابنتها من أبيها، باعتبار أنَّ الأنثى تعرف الأنثى أكثر من الرجل، وباعتبار أنَّ البنت قد تهاب الأب ولا تقترب منه، ولكن قد لا يحدث هذا بالنسبة لأمها؛ فتقترب منها وقد تحكي لها، وقد تستطيع أمها بوسيلة أو بأخرى أن تعرف ما في قلبها، ومن تميل إليه، ولذلك على الأب أن يستشير امرأته، يقول لها: يا أم فلان، قد جاء فلان ابن فلان يطلب الزواج بابنتنا؛ فماذا تقولين فيه؟ لعلها تقول: لا يا أبا فلان، إن هذا لا يليق بها، أو أن هناك شخصًا آخر أو نحو ذلك. والمرأة العاقلة تستطيع أن تقنع زوجها بما هو الخير لبنتها.

ولذلك أنا أركز هنا إذا أردنا أسرة أفضل فالمهم نقطة البداية، الاختيار الصحيح، أحد الآباء يمتن على أبنائه فيقول:

**وأولُ إحساني إليكمْ تخيُّري لماجدةِ الأعراقِ بادٍ عفافُها**[1]

يقول: أول شيء أحسنت إليكم فيه أنِّي اخترت لكم أُمًّا صالحة، أُمًّا فاضلة، كان يمكن أنْ أختار امرأة غنية، ولو فاسدة الأخلاق، ولو قليلة العقل حمقاء، ولكنِّي اخترت لكم أُمًّا عفيفة. فاختيار الأم أمر مهم، والحديث يقول: «**تخيَّروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم**»[2]. يشير إلى تأثير الوراثة في هذه الناحية، وكذلك تأثير البيئة؛ لأنَّ الأولاد يرثون من أمهم من ناحية، ويتعلمون منها من ناحية أخرى.

---

(١) نسبه الماوردي للرياشي في أدب الدنيا والدين صـ١٥٨، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

أهم ما يؤثر في الإنسان بعد الوراثة البيئة، وخصوصًا البيئة الأسرية، كما جاء في الحديث: «**كل مولود يُولد على الفطرة، وإنَّما أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه**»[١]. أي أنَّ الذي يجعل الإنسان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا أبواه، هذا تأثير الأسرة، ومن هنا كان العرق نزَّاعًا، ترث البنت من أمها، وتسرق من أفكارها وأخلاقها، وعاداتها ومفاهيمها، والشاعر يقول:

**الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها أعددتَ شعبًا طيبَ الأعراقِ**[٢]

فمن المهم جدًّا البداية، حسن الاختيار، أن يختار الإنسان لأولاده أُمًّا صالحة.

## تهيئة المحضن الصالح لنشأة مستقيمة:

لماذا شدد الإسلام في تكوين الأسرة؟ من أجل الطفل بالذات، لينشأ الطفل في محضن سليم، الإسلام حرَّم الزنى، حرَّم السفاح وشرع النكاح، لماذا؟ ليتهيأ هذا المحضن، ليترعرع فيه الطفل.

الآن في أوروبا وأمريكا وفي بلاد الغرب ـ لانتشار الإباحية والتحلل والعياذ بالله ـ أصبح هناك أولاد ينشؤون وليس لهم أحد، إما أن تضعه في ملجأ وتتركه، أو ينشأ مع أم ولا يعرف له أبًا يرعاه، والإسلام يريد أن ينشأ الطفل في ظل أمومة حانية وأبوة راعية، «**كلُّكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأب راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والأم راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»[٣].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) ديوان حافظ صـ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٤.

QaradawiBooks.com

من أجل هذا كان تحريم كل صلة غير شرعية، والدعوة إلى تكوين الأسرة بالزواج لتقوم الأسرة بهذه الحضانة؛ لينشأ فيها الطفل، ويترعرع في ظلال أبويه، أبوة وأمومة، هذا ما يريده الإسلام، لا يريد الإسلام أن يكون الأطفال كنبت البرية، لا زارع له، ولا راعي له، ولا من يتولَّاه بالسقاية وينفي عنه الخبث.

## أسرة الحقوق والواجبات:

من هنا كانت أهمية الأسرة المسلمة الصالحة تبدأ من الاختيار، إذا كان هناك الاختيار الموفق، وفق الرجل إلى اختيار الزوجة الصالحة، ووفقت الفتاة إلى اختيار الزوج الصالح، هنا تنشأ أسرة سعيدة، أسرة مستقرة، كل واحد يعرف ما له وما عليه، يؤدي الرجل حقوقه نحو امرأته، وتؤدي المرأة حقوقها نحو زوجها، الحقوق تقابلها واجبات، كل حق يقابله واجب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

## المرأة الصالحة نعمة:

الإسلام يعتبر المرأة الصالحة نعمة، بل هي خير متاع الدنيا كما في الحديث الصحيح: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[(١)]. ويقول: «**أربع من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة صالحة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله**»[(٢)]. المرأة الصالحة التي ترعى زوجها في نفسها، وترعى ماله، وتحافظ عليه.

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الطَّبَراني في الكبير (١٣٤/١١)، والأوسط (٧٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٣٧): رواه الطَّبَراني في الكبير والأوسط، ورجال الأوسط رجال الصحيح. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث الآخر: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيرًا من امرأة صالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»[(١)]. المرأة الصالحة نعمة من أعظم النعم التي يستفيدها الإنسان بعد الإيمان بالله تعالى وبعد تقوى الله.

هذه المرأة تكون عونًا لزوجها على طاعة الله، عونًا على أمر دينه، وعونًا على أمر دنياه، فهي دائمًا ترغبه في الخير، وتحذره من الشر، وتجنبه الحرام، وتحرضه على اكتساب الحلال، جاء في الحديث: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[(٢)]. ينضح وجهها بالماء: يرشه بقطرات كنوع من المداعبة، وهما متفقان على هذا، أسرة متعاونة على طاعة الله، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

كان النبي ﷺ يقوم من الليل، ويوقظ أهله للصلاة، ويقول: «**يا صويحبات الحجر استيقظن، رُبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**»[(٣)]. وكان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[(٤)]، أي أيقظ زوجاته، نساؤه يشاركنه في هذا الخير، ويعتكفن كذلك في العشر الأواخر، هذه الأسرة المتعاونة، كل واحد يعاون الآخر على الطاعة.

---

(١) رواه ابن ماجه في النكاح (١٨٥٧)، والطبراني (٢٢٢/٨)، وضعَّف سنده العجلوني في كشف الخفاء (١٨١/٢)، وقال: له شواهد تدلُّ على أنَّ له أصلًا. عن أبي أمامة.

(٢) رواه أحمد (٧٤١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. وأبو داود في الصلاة (١٣٠٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٦)، وابن حبان في قيام الليل (٢٥٦٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في التهجد (١١٢٦)، عن أم سلمة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤)، كلاهما في الاعتكاف، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومما يُحكى عن نساء السلف الصالح أنَّ المرأة كانت تقول لزوجها إذا خرج للكسب: يبتغي من فضل الله، ويمشي في مناكب الأرض يطلب رزق الله، تقول لـه: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإنَّا نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حرِّ النار وغضب الجبار[١]. هذا كلام المرأة لزوجها تحذره من كسب الحرام، ولذلك إذا وسوس الشيطان للرجل أن يكسب مالًا بالباطل، وأمامه صفقة فيها ربا أو رشوة أو نحو ذلك؛ يذكر كلمة امرأته!

هذا بخلاف المرأة التي تقول لزوجها: لماذا تتزمت؟ فلان كوَّن ملايين، وأنت كل شيء عندك حرام، حتى جعلتنا وراء الناس. هذه المرأة تسوق زوجها إلى جهنم وبئس المصير، كلمة منها تجعل زوجها إذا كان مترددًا في أكل الحرام يُقدم عليه، وإذا كان لا يفكر فيه يبدأ يفكر فيه، فهذه شيطانة والعياذ بالله.

المرأة الصالحة هي التي تعين زوجها على اكتساب الحلال والرضا بالقليل، على ألا يدخل بيتها حرام، ولا يتربى أولادها من حرام، «**كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به**»[٢]، فهي تقول لزوجها: لا أحب أن تكون أجساد أولادي نابتة على السحت أو الحرام، ولا أحب أن تكون النار أولى بهم.

## مسؤولية الزوج:

الله تعالى يقول: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. هذه مسؤولية كل إنسان أن يحمي نفسه وأهله، وأهله هم زوجته وأولاده

(١) إحياء علوم الدين (٥٨/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ومن يلي عليهم، يحميهم من النار. ليست المسؤولية أن يوفر لامرأته وأولاده فقط ما لذَّ من الطعام والشراب، وما جمل من الثياب، وما فخر من الأثاث، لا ليس هذا فقط، إنَّما المهم أن يقيهم النار، ما قيمة أن يطعم الإنسان أولاده ويكسوهم، ويهيئ لهم من الطعام أطيبه، ومن الشراب أعذبه، ومن المساكن أعلاها، ومن الأشياء أغلاها، ثم يكون مصيرهم إلى جهنم والعياذ بالله؟! لأنَّه لم يُعلِّمهم من جهل، لم يحسن أدبهم، لم يحسن تربيتهم، فيكون المصير النار.

## بعض الآباء لا يتحمل مسؤولية أبنائه:

للأسف هناك بعض آباء لا يعرفون ماذا يصنع أولادهم، بعضهم لا يعرف في أي سنة من السنين يدرس ابنه؟ هل في السنة الثانية الابتدائية أم الثالثة أم الرابعة أم انتقل إلى الإعدادي؟ لا يعرف إن كان ابنه نجح أم رسب؟ لا يعرف ماذا يصنع أولاده؟ لأنَّه يأتي إلى البيت متأخرًا بالليل بعد أن يكون الأولاد قد ناموا، والأولاد يذهبون إلى المدارس في الصباح الباكر، وهو يغط في نوم عميق، فلا يرى أولاده مساء ولا صباحًا، أي أُبُوَّة هذه؟ هل الأبوة مجرد أن تنجب الأولاد وحسب؟!

## مهمة الأبوة والأمومة:

إنَّ الله تعالى قسَّم الأبوة والأمومة بالعدل، كيف ذلك؟ نصيب المرأة في الإنجاب نصيب كبير، الرجل يلتقي بامرأته في دقائق، ثم تحمل المرأة، وتظل تسعة أشهر تعاني الوحم والثقل والغثيان إلى أن تلد، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]. حمل وولادة، وإرضاع وتربية، فينبغي على الأب بعد ذلك أن يقوم بالرعاية.

QaradawiBooks.com

أرضعت الأم ولدها حتى كبر، فما مهمتك أنت أيها الأب؟ هنا تبدأ مهمَّة الأبوة، لكن الأب عندما يكبر الولد يتركه أيضًا للأم، فأصبحت الأُم أُمًّا وأبًا، هذه مشكلة، مشكلة هؤلاء الآباء الذين لا يقدِّرون المسؤولية، «**كلُّكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[١]. فأين هذه الرعاية؟ أين الشعور بالمسؤولية؟ هذه مشكلة كبيرة.

## مضاعفة مسؤولية الأم:

ومن هنا تتضاعف مشكلة الأم المسكينة، ولا بدَّ أن تتحمل، مثل الأم الأرملة التي مات زوجها، هنا تصبح الأم أُمًّا وأبًا، ولذلك يكون لها أجر عظيم وثواب كبير، حتى إنَّ النبي ﷺ يقول: «**أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلَّا أنَّه تأتي امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك؟ وما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**»[٢].

امرأة سفعاء الخدين، أي: اصفر خدها، وذهبت منه نضارة الشباب، لماذا؟ لأنَّها بعد أن مات زوجها أصبحت أُمًّا وأبًا، وتأيمت من زوجها، فلذلك كان مقامها بجوار مقام رسول الله ﷺ.

والنبي ﷺ يقول: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»[٣]. هي الآن قامت مقام كافل اليتيم؛ أم وأب معًا، فهذه مشكلة.

وأحيانًا يتيتَّم الابن وأبوه حيٌّ، لأنَّه ما قيمة الأب إذا كان لا يسأل عن أولاده، ولا يحس بمشكلاتهم؟ لا يعرف ماذا يعانون، لا يعرف إن

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٤.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٦٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٩): فيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم ابن حبان، وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات. عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

كان عندهم تخلف دراسي، إن كان لهم أصدقاء سوء، إن كانت هناك «شلَّة» رديئة أحاطت بهم يمكن أن تهوي بهم في مهاوي الضلال والدمار والعياذ بالله؟

## مساهمة مؤسسات المجتمع في التربية:

وأحيانًا الأم تضعف عن رعاية أولادها ومراقبتهم في هذا الزمان، نحن في زمان غير عادي، في هذا الزمان لم تعد الأسرة وحدها هي التي تربي الأولاد، بل يشترك مع الأسرة التليفزيون والإذاعة، والشارع والمدرسة والأصدقاء، فما عادت الأسرة تكفي، ولذلك حينما نقول: نحو أسرة أفضل. ينبغي أن تساهم المؤسسات الأخرى في معاونة الأسرة على حسن التربية، وعلى إعداد جيل جديد لهذه الأُمَّة، ماذا تفعل الأسرة إذا كان التليفزيون يدخل على الناس بيوتهم ومخادعهم؛ بالتمثيليات والمسلسلات والكارتون وهذه الأشياء، ويأخذ الأطفال من أهليهم، وما تستطيع الأمُّ أن تمنع الأولاد، ولو منعتهم لزادتهم رغبة في هذا الشيء للأسف؟

نحن في حاجة إلى برامج نابعة منا، بدل هذه البرامج المستوردة التي لا تعبر عن عقائدنا، ولا عن قيمنا، ولا عن أخلاقنا، ولا عن أعرافنا، ولا عن شريعتنا، فكثيرًا ما تحاول الأسرة أن تبني ويأتي الهدم من هذه الأجهزة، وكما قال الشاعر:

**متى يبلغُ البنيانُ يومًا تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدمُ**[1]؟

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

## مسؤولية كبيرة على الأسرة:

ومن هنا تتضاعف المسؤولية على الأسرة، المسؤولية على الأسرة كبيرة وخصوصًا في هذا الزمان. ولكن الأسرة التي يهيئ الله لها زوجة صالحة وزوجًا صالحًا: تستطيع أن تقاوم أي أثر هدام. فالأسرة في بعض البلاد هي التي استطاعت أن تحتفظ بإيمان أبنائها، في بلد مثل تركيا أُعلنت فيها العلمانية اللادينية، مُنع التعليم الديني من المدارس، ومُنع الحديث الديني من الإذاعة والتلفاز، وألغيت الشريعة من القانون، حتى في الميراث، حتى الطلاق، حتى الزواج جعلوا للمسلمة أن تتزوج غير المسلم، الابنة ترث مثل الابن، لم يعد هناك للذكر مثل حظ الأنثيين!

حتى قوانين الأحوال الشخصية، حتى حروف اللغة العربية التي كانت اللغة التركية تُكتب بها ألغوها، وأصبحت تكتب بالحروف اللاتينية، وبعد أنْ كان الأذان: الله أكبر الله أكبر؛ أصبح الأذان باللغة التركية، وبقي هكذا إلى عهد قريب، من الذي أمسك الأبناء على الدين؟ لم يبقَ إلا مؤسسة واحدة، لا مدرسة ولا جامعة، ولا إذاعة ولا صحيفة، ولا شيء أبدًا! الذي بقي يلقن الطفل معاني الإيمان، وأسس العقيدة، وأوليات الإسلام ـ ألف باء الدين ـ هو الأسرة.

ولذلك هناك عشرات الآلاف من المدارس التي يسمونها «المدارس القرآنية»، تجمع الأولاد والبنات الصغار يعلمونهم القرآن، لا يعرفون كلمة في اللغة العربية ولكن يحفظون القرآن كما نرى ذلك عند الهنود والباكستانيين والبنجلاديشيين، فالأسرة جهاز مهم في الحفاظ على الشخصية الإسلامية.

QaradawiBooks.com

حتى في البلاد الشيوعية، البلاد التي عاشت تحت نير الحكم الشيوعي عشرات السنين، من سنة (١٩١٧م). وما بعدها، بلاد الجمهوريات الإسلامية التي كانت بلاد البخاري ومسلم وغير ذلك من البلاد، التي دخلت تحت الستار الحديدي، من الذي أبقى جذوة الإيمان في قلوب كثير من الأجيال؟ الأسرة هي التي بقيت تلقن الأولاد أنَّهم مسلمون: يشهدون أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، على الأقل تبقى العقيدة.

مثل أهل البوسنة والهرسك هؤلاء، عاشوا تحت الحكم الشيوعي نصف قرن، جهَّلهم بالإسلام، وأبعدهم عن الإسلام تمامًا، إنَّما الأسرة هي التي يعرفون منها أنَّهم مسلمون، وأنَّهم من أهل لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، هذه البذرة الأولى، ولذلك نقول: الأسرة مهمة جدًّا في بناء الشخصية المسلمة، أو الإبقاء عليها إذا وُجد الزوج الصالح والزوجة الصالحة.

فإذا لم يوجد الزوج الصالح بأن مات حسًّا أو معنًى، مات حسًّا أي: مات حقيقة ودُفِن، ومات معنًى أي: إذا كان أبًا لا يهتم بأسرته، أبًا من مدمني الخمر أو مدمني المخدرات، أو من الذين يسهرون مع أصدقاء السوء، ولا يبالون كيف تعيش الأسرة، هذا الأب نعتبره ميتًا، ونعتبر أبناءه أيتامًا، وإذا كانت الأم مشغولة بنفسها أو بصديقاتها أو بزينتها يكون الولد قد فقد الأب والأم معًا، وهذا الذي قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي:

**ليس اليتيمُ من انتهى أبوَاهُ من ... هَمِّ الحياةِ وَخَلَّفاهُ ذليلا**
**فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما ... وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلا**
**إنَّ اليتيمَ هو الذي تَلْقَى له ... أمًّا تخلَّتْ أو أبًا مَشْغولا**[1]

(١) انظر: الشوقيات (١/١٨٣)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

أمٌّ تخلت عن وظيفة الأمومة، وأصبحت مشغولة بالمرآة والخروج، والفستان التي تلبسه للخروج، ولا تهتم بأولادها، أو أبٌ مشغول حتى لو كان مشغولًا بالتجارة أو بالوظيفة أو بالمكسب؛ فليس هذا عذرًا له.

بعض الناس يقول: يا أخي، أعمالي كثيرة ماذا أفعل؟ أعمالك ليست أهم من أولادك، ما قيمة أن تكسب المال وتخسر الأطفال؟ تكسب ملايين من الأموال تضاف إلى رصيدك ولكن خسرت أولادك، ما يدريك أنَّ المال الذي تعبت فيه بكد يمينك، وعرق جبينك، وعناء نهارك، وسهر ليلك.. يأتي ولد فاسد بعدك ـ لأنك لم تحسن تربيته ـ فيضيعه ويبعثره ذات اليمين وذات الشمال، ويلعن الذي جمع هذا المال؟ وهذه نهاية الإنسان الذي لا يحسن تربية أولاده، يترك لهم مالًا فيضيعونه، ويسبون من جمعه!

ولذلك كانت مسؤولية الأسرة مسؤولية كبيرة، على الزوج والزوجة، وأنا أركز على الزوجة الآن؛ لأنِّي أخاطب أخوات وزوجات، وأمهات وفتيات، فلذلك إذا كان أمامي الرجال لركزت عليهم أكثر، ولكن حيث أنِّي أكلم النساء، فالمرأة عليها أن تتحمل المسؤولية؛ حتى وإن تخلى زوجها، عليها أن تحمل الهم وتحمل العبء وإن كان ثقيلًا، وكم من أمهات كن نعم الأمهات.

### المرأة عليها عبء كبير:

المرأة عليها عبء كبير نحو زوجها ونحو أولادها، نحو زوجها كما قلت لكم: تحرضه على الخير، وتحذره من الشر، ومن الحرام مهما كان الحرام، وترغبه في الطاعة، لا تثبطه عن عمل خير، بعض الزوجات تحب أن يكون زوجها معها، وربما كان الزوج يقوم بعمل خيري، عمل

QaradawiBooks.com

اجتماعي، عمل من أجل دعوة الناس إلى الخير، من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين.

والقدر أحيانًا يفرض على بعض الناس أعباءً لا تُفرض على غيرهم، فزوجة مثل هذا الرجل يجب أن تعينه كما كانت نساء السلف الصالح تفعل، يذهب زوج المرأة للجهاد فيأتي المثبطون والمعوقون ويقولون لها: يا أم فلان، كيف تركك أبو فلان؟ ومن أين تعيشين؟ ومن أين تأكلين؟ وهل هذا يليق؟ فتقول لهم في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: إنَّ أبا فلان ـ تعني زوجها ـ منذ تزوجته عرفته أكَّالًا وما عرفته رزَّاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزَّاق. بهذه الكلمة تضع الأمور في نصابها، ولذلك إذا تزوجت إحدى النساء رجلًا قد ألقى القدر عليه من الأعباء العامة ما لم يلقها على غيره فعليها أن تكون عونًا له، وعليه أيضًا ألا يظلمها حقوقها.

وعلى المرأة عبء نحو أولادها، عليها أن تهتم بتعليمهم وتوجيههم، وتربيتهم وتأديبهم. والأطفال بطبيعتهم أكثر استعداد لذلك، فالطفولة هي وقت غرس الفضائل والصفات وتكوين العادات. قيل لحكيم: الكبير أوفر عقلًا؟ قال: ولكنَّه أكثر شغلًا. أمَّا الصبي في صغره فعقله خال يمكن بسهولة أن يلتقط الأشياء ويتكيف بها، وهو كالعجينة اللينة نستطيع أن نوجهه فيتوجه، ونستطيع أن نغرس فيه الصفات الحميدة، ونعلمه الفرائض، ونؤدبه بأدب الإسلام، ولذلك قال الشاعر من قديم:

**وينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغرٍ ... وليس ينفعُ عند الشيبةِ الأدبُ**

**إنَّ الغصونَ إذا قومتَها اعتدلتْ ... ولن تلينَ إذا قومتَها الخُشُبُ**[1]

(١) من شعر سابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الغصن الطري تستطيع أن تلويه فيلتوي، وتثنيه فينثني، أمَّا حينما يجف وينشف يصير خشبًا لا يلين لك إلا بالكسر، فالطفولة هي وقت غرس الفضائل والصفات وتكوين العادات، وهذه مهمة الأسرة، إذا أردنا أسرة أفضل، فلنبدأ من الطفل، ولنتعاون على هذا الأمر.

## صلاح الأسرة بتعاليم الإسلام الصحيحة:

نحن نسعى ونحرص ونهفو إلى أسرة أحسن حالًا، من الأسرة اليوم في عصرنا هذا، وهناك للأسف مصدران لضياع الأسرة في عصرنا وفسادها: مصدر من الخارج، من التقاليد الأوروبية والغربية الوافدة على مجتمعاتنا وهي غريبة عنا، ومصدر من تقاليدنا القديمة الراكدة البعيدة عن الإسلام، لا هذا ولا ذاك تصلح به الأسرة.

تصلح الأسرة بالتعاليم الإسلامية الصحيحة، المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة، هذا هو الذي يصلح الأسرة، لكن هناك بعض الناس تستمد تعاليمها وتقاليدها مما ورد إلينا من الغرب، أو مما ورثناه من الشرق، وكلاهما ليس من الإسلام في شيء: إفراط أو تفريط، غلو أو تقصير.

انظروا مثلًا إلى موضوع الخِطبة: الإسلام يشرع رؤية المخطوبة، إذا أراد إنسان أن يخطب امرأة قال النبي ﷺ: «**انظر إليها فإنَّه أحرى أن يؤدم بينكما**»[1]. قال هذا للمغيرة بن شعبة، قال له: النظرة الأولى هذه هي رسول إلى القلب، وتكون سببًا للمودة، ولعلَّها لا تعجبك إذا نظرت إليها، بدل أن تتورط في الزواج بها فاعرف من البداية، وقال لبعضهم: «**انظر إليها فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا**»[2]. في أعينهم شيئًا ربما لا يعجبك، فشرع الإسلام النظر.

(١) سبق تخريجه صـ١٨.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩.

QaradawiBooks.com

ويمكن أن يذهب إلى بيت أبيها ويراها عندهم، ويسألها أيضًا ويسمع منها، لأنَّ الأمر لا يتوقف فقط على مجرد النظر أو مجرد الجمال، فربما أراد أن يعرف مدى عقلها وكيف تفكر؟ ويمكن أن تكون متلعثمة في الكلام وهو يريد امرأة فصيحة، هذا أمر مهم أيضًا، وما دام بغير خلوة، وما دامت هي محتشمة فلا مانع، هذا ما شرعه الإسلام.

ونأتي إلى ما يصنعه الناس في عصرنا في أمر الخِطبة، الناس صنفان: صنف لا يبيح مجرد الرؤية للخاطب؛ مثل أكثر الناس في قطر وفي الخليج، إلى اليوم لا يسمحون أنْ يرى الخاطب مخطوبته مجرد رؤية، ولو أمام أهلها، والعجيب أنَّهم يسمحون لغير خطيبها أنْ يراها، فقد تكون طالبة في المدرسة الثانوية أو الجامعة ويدرِّس لها أساتذة، ويراها أناس كثيرون، وهناك سائق يوصلها إلى حيث تريد، وقد تسافر إلى لندن أو القاهرة، لكن الوحيد المُحرَّم عليها رؤيتها هو هذا الخاطب المسكين!

وأنا لقيت كثيرًا من الشباب يقول: أنا والله لم أر زوجتي إلا ليلة الزفاف. فقلت: كيف هذا؟ قال: أخذت بكلام أمي وأختي وكذا. وأحيانًا يتساهلون الآن فيسمحون أن يرى صورتها، مع أنَّ الصورة لا تغني عن الحقيقة، وهذا ليس من الإسلام في شيء!

وفي مقابل هذا أولئك الناس المتحررون التقدميون (المودرن)، يقول: لا بدَّ أن أعرفها على حقيقتها. فيتأبط ذراعها ويخرجا إلى حيث شاءا وحدهما، ويقول لك: التطور اقتضى هذا، نحن في القرن العشرين، وعلى مشارف القرن الحادي والعشرين. فضعنا بذلك بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتقصير.

QaradawiBooks.com

إذا أردنا أسرة صالحة، إذا أردنا أن نسعى إلى أسرة أفضل مما نحن فيه، فلا ينبغي أن تحكمنا المفاهيم المستوردة من الغرب، ولا التقاليد الموروثة من الشرق، ولا يقرها الإسلام، إنَّما ينبغي أن نحتكم إلى الإسلام ففيه الوسط، وفيه الاعتدال، وفيه لكل داء دواء، ولكل مشكلة علاج، ولكل معضلة حل، الخير كل الخير في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

هذا ما نستطيع أن نقوله في هذا الموضوع الواسع الكبير، إنَّما أعطيت فيه ملامح عامة للأسرة الفاضلة، أو الأسرة الأفضل التي نرجوها إن شاء الله لمجتمعاتنا وأمتنا، وهي أساس كل إصلاح، لأننا إذا أردنا إصلاح المجتمع، فلا يصلح المجتمع إذا فسدت الأسر، وإذا أردنا إصلاح الأفراد؛ فلا يصلح الفرد إلا في ظلال أسرة وفي حضانة أسرة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

# المجتمع الإسلامي.. التحديات وإمكانات النهوض[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهنئكم بهذه الأيام المباركة من هذا الشهر الكريم شهر رمضان، الذي أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وأنْ يتقبَّل فيه صيامنا وقيامنا وخالص أعمالنا، ويغفر لنا ما فرَّطنا فيه، ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا إنك على كلِّ شيء قدير.

(١) ألقيت يوم الأحد ٢٧ رمضان ١٤١٥هـ ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٥م، في نادي ضباط الشرطة بالإدارة العامة لشرطة أبو ظبي.

QaradawiBooks.com

نحن في العشر الأواخر من رمضان، بل في السبع الأواخر منه، حيث تُلتمس ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، فعسى أنْ تكون ليلتنا هذه ـ أيُّها الأخوة ـ هي ليلة القدر، فلنحتسب عند الله تبارك وتعالى جلوسنا هذا للتدارس، لنحتسبه إحياءً لهذه الليلة، فليس الإحياء فقط بالصلاة والذكر والتسبيح، الإحياء يكون بتدارس العلم أيضًا، وقد كان جبريل ينزل على النبي ﷺ كلَّ عام في رمضان، فيدارسه القرآن[1]، يتدارسان القرآن. فما أجمل أن نتدارس القرآن، ونتدارس مفاهيم القرآن، ومعاني القرآن في هذه الليلة المباركة.

أيُّها الإخوة نحن الآن أمام هذا العنوان:

**المجتمع الإسلامي.. التحديات وإمكانات النهوض**؛ كما حدَّده الأخوة في إدارة هذا النادي، الذي نسأل الله أنْ يجعله ناديًا للخير، حيث هناك نوادٍ للمنكر كثيرة، نسأل الله أنْ يجعله ناديًا للعلم والهداية والمعروف والخير، وقد افتتح موسمه بهذه المحاضرة في هذا الشهر الكريم، دلالة على منهج سديد، وعلى اتجاه رشيد، نسأل الله أنْ يثبِّتهم عليه، ويُسدِّدهم فيه. آمين.

## اهتمام الإسلام بالمجتمع:

الإسلام دين اجتماعي، دين مجتمع، يهمُّه أنْ يقيم مجتمعًا صالحًا، صحيح أنَّه يهتمُّ بتكوين الفرد وتربيته تربية متكاملة، ولكنَّه لا يكتفي بتكوين الفرد حتى يُنشئ المجتمع، ولهذا كانت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة سعيًا وراء مجتمع صالح، مجتمع إسلامي تتجسَّد فيه قِيَم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الإسلام وأحكامه، فالمجتمع الإسلامي: هو الذي تكون عقائده إسلاميَّة، وشعائره إسلاميَّة، ومفاهيمه إسلاميَّة، وأخلاقه إسلاميَّة، وآدابه وتقاليده إسلاميَّة، وقوانينه وتشريعاته إسلاميَّة.

## مجتمع الدين والدنيا معًا:

هذا هو المجتمع الإسلامي، وهو الذي أقامه النبي ﷺ في المدينة، مجتمع متكامل جمع بين الدين والدنيا، جمع بين الروحيَّة والماديَّة، بين الواقعيَّة والمثاليَّة. ولهذا كان أول مشروع أقامه النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة: المسجد الذي أُسِّس على تقوى من الله ورضوان.

وثاني مشروع أسَّسه النبي ﷺ: السوق. تصوَّروا النبي ﷺ، أقام المسجد، ثم أقام السوق. كان يهود بني قينقاع يسيطرون على السوق، وكانت السوق تسمَّى باسمهم، سوق بني قينقاع هي التي عمل فيها عبد الرحمن بن عوف أول ما هاجر، وعرض عليه أخوه في الله سعد بن الربيع أنْ يشاطره داريه ويشاطره زوجتيه، ويتنازل له عن نصف ماله أيضًا، فقال له: بارك لك في دارك، وبارك لك في مالك، وبارك لك في أهلك؛ لأنَّه قال له: عندي زوجتان، اختر إحداهما أُطلِّقها لك، فتستوفي عدَّتها وتتزوَّجها. فقابل هذا الإيثار العظيم بتعفُّفٍ كريم، وقال له: إنَّما أنا امرؤ تاجر، فدلَّني على السوق. وذهب إلى السوق ـ سوق بني قينقاع ـ وتاجَر حتى ربح، وتزوَّج وجاء إلى النبيِّ ﷺ وعليه رائحة الطيب وقال: تزوجت بكذا وكذا. قال: «**هل أولمتَ؟**». قال: لا. قال: «**أولم ولو بشاة**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧)، كلاهما في النكاح، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

المهم قول عبد الرحمن: إنَّما أنا امرؤ تاجر، فدلَّني على السوق. كان سوق بني قينقاع، ولكن النبي ﷺ، أراد أنْ يكون للمسلمين سوقهم، فبنى لهم سوقًا، وجعلها مقسَّمة ومنظَّمة، هذه لباعة البقر، وهذه لباعة الغنم، وهذه لباعة الإبل، وهذه لتجَّار الحبوب، وهذه لتجار الخضراوات، وهذه، وهذه، وأعطى التجار نصائح، وكان يخرج إلى السوق ما بين الحين والحين ينصح هؤلاء. مجتمع جمع بين الدين والدنيا معًا.

## المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء:

مجتمع الإخاء، آخى النبي ﷺ فيه بين المهاجرين والأنصار، بين الذين وفدوا من مكة وأصحاب البلاد الأصليين في المدينة، كان يمكن أن تقوم بينهم حساسيات: هذا وافد وهذا مواطن، هذا خارجي وهذا من أهل البلد. ولكن النبي ﷺ أقام بينهم هذا الإخاء الذي رأينا صورة منه بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف، وأسَّس هذا الإخاء أيضًا بين الأوس والخزرج، الذين طالما تحاربوا في الجاهلية وسالت بينهم الدماء، وامتدَّت بينهم الحروب، وكان بينهم ثارات، وآخى الله بينهم، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٣].

قام المجتمع على الأساس الربَّاني: العبادة التي تتمثَّل في المسجد، والإخاء الذي يتمثَّل في ربط القلوب بعضها ببعض، والاقتصاد الذي يتمثَّل في سوق يسيطر عليها المسلمون، والجهاد الذي أعدَّ الأمة لتدافع عن نفسها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## مجتمع مجاهد:

كان مجتمع جهاد، النبي ﷺ غزا سبعًا وعشرين غزوة شارك فيها بنفسه، وبعث نحو ستّ وخمسين سرية، في المدة التي أقامها بالمدينة، العشر سنوات كلُّها كانت جهادًا، ما من بيتٍ من بيوت المدينة إلا وقدَّم بعض الضحايا والشهداء في سبيل الله، مجتمع جهاد أيضًا، عقد النبي ﷺ بينه وبين الأقليات الأخرى معاهدات واتفاقيات، فقد كان اليهود بقبائلهم الثلاث ـ بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النَّضير ـ يسكنون في أطراف المدينة، عقد معاهدة بينه وبينهم، وكتب الصحيفة المشهورة، التي تعتبر بمثابة دستور مكتوب يحدِّد العلاقات بين طوائف هذا المجتمع بعضها وبعض. أقام النبي ﷺ مجتمعًا نموذجيًّا هو أساس المجتمع الإسلامي كلِّه على مدار التاريخ.

## المسلم لا يعيش وحده:

الإسلام دينُ مجتمع، لا يتصوَّر المسلمَ فردًا يعيش وحده، لا، المسلم يعيش في مجتمع، ولذلك يغرس الإسلام في نفسه، في عقله، في قلبه ووجدانه هذا الشعور بالمجتمع، فإنه إذا صلَّى وكان وحده في قعر بيته يتلو فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]، لا يقول: إيِّاك أعبد. ولا يقول: اهدني الصِّراط المستقيم. هو يتحدَّث بلسان الجماعة، الجماعة تحيا في ضميره، وتتمثَّل على لسانه، إذا ناجى ربه قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لأن الجماعة حاضرة، ويناجي الله باسمها، وإذا دعا ربَّه لا يدعو لنفسه، إنَّما يدعو لنفسه ولأمَّته وللجماعة كلِّها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

QaradawiBooks.com

وإذا خاطب القرآن المسلمين لا يخاطبهم أفرادًا، لا نجد في القرآن: (أيُّها المؤمن افعل كذا وكذا). ولكن نجد فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، نداء جديد قرع سمع الجزيرة العربية لأوَّل مرَّة، بعد أن كان يتنادى الناس بالفرديَّة أو بالقبليَّة: يا لفلان، ويا بني فلان، يا بني عدي، يا بني مخزوم، يا بني قريش، يا بني تميم. هنا لم يعد النداء للفرد ولا للقبيلة، وإنَّما النداء بهذا العنوان الجديد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، هم مخاطبون بالتضامن بأحكام الله وتكاليفه، أيًّا كانت هذه الأحكام والتكاليف، بعضها يتعلَّق بالأحوال الشخصيَّة كما نسمِّيها، وبعضها يتعلَّق بالأحوال العباديَّة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وبعضها يتعلَّق بالتشريعات الإلهيَّة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وبعضها يتعلَّق بالتشريعات المدنيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، آية المداينة أطول آية في القرآن، القرآن يخاطب الذين آمنوا بصفة الإيمان بهذه الصيغة الجماعية، لأنَّ المؤمنين باعتبارهم جماعة متضامنون في إقامة الدين، وفي تحكيم شرع الله.

وفي تطبيق أحكام الله، حتى الأحكام السياسيَّة والجزائيَّة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا ﴾ [المائدة: ٣٨]، خطاب للأُمَّة. ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢]. من الذي يجلد؟ ومن الذي يقطع؟ المفروض أنَّ الحاكم هو الذي ينفِّذ. لماذا كان الخطاب للأمَّة؟ لأنَّ الأمَّة كلَّها مسؤولة عن الأحكام، بحيث لو أنَّ الحاكم قصَّر تكون الأمَّة مسؤولة معه، الأمَّة مسؤولة بالتضامن عن هذه الأحكام كلِّها، هذا هو المجتمع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## المجتمع الإسلامي مترابط متضامن:

الإسلام يقيم مجتمعًا متضامنًا، مجتمعًا مترابطًا ترابطًا عضويًّا، صوَّره النبي ﷺ، صورًا شتَّى، قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضا**». وشبَّك بين أصابعه[١]. كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، لبنة البناء مهما كانت قويَّة ومتينة وحدها لا تصنع شيئًا، ألف لبنة، ألف ألف لبنة لا تصنع شيئًا؛ إنَّما تصنع شيئًا إذا وضعت بنظام وتماسك، ووضع بينها شيء يربطها ـ كالأسمنت أو الطين أو المادة الذي تجمع هذه اللبنات ـ في نظام وتناسق، كذلك الإسلام هو الذي يصنع المجتمع المسلم، فتصبح لبناته جزءًا في كيان كلِّي هو الذي نسمِّيه المجتمع، لذلك صوَّر النبي ﷺ تلاحم هذا المجتمع بقوله: «**ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**»[٢].

ترابط عضوي، الجسد يجب أنْ تكون فيه مجموعة من الأجهزة، الجهاز العصبي، والجهاز العظمي، والجهاز التنفسي، والجهاز الهضمي، والجهاز الدموي، والجهاز البولي، أجهزة، والأجهزة فيها أعضاء، والأعضاء فيها خلايا وأنسجة، ولكن كلُّها يخدم بعضها بعضًا، كلُّ هذه مكوِّنات تكوِّن شيئًا واحدًا، وكيانًا واحدًا، هذا ما أراد النبي ﷺ أنْ يصوِّره لنا من حقيقة المجتمع المسلم.

هذا المجتمع المسلم أو الإسلامي، الذي ينتمي إلى الإسلام، ويدين أهله بالإسلام، ويقولون: نحن مسلمون، نشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

محمدًا رسول الله، هذا المجتمع الإسلامي يواجه اليوم تحدِّيات، فهل يستطيع أنْ يتغلَّب عليها؟ هل يمكنه أنْ ينهض بما يريده الإسلام منه؟ هذا هو موضوعنا: التحديات وإمكانيات النهوض.

## التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي:

ويبدو أنَّ كلمة التَّحدِّيات هذه فرضت نفسها على الناس. قبل أنْ آتيكم كنتُ بالأمس في النادي الثقافي في مسقط، وقد اختاروا أيضًا الموضوع الذي أحاضر فيه: «الأُمَّة الإسلامية في مواجهة التحدِّيات»، وقبل أن أذهب إلى مسقط كنتُ في جدَّة، وكان لي محاضرة أيضًا عن «الاقتصاد الإسلامي والتحدِّيات المعاصرة»، وقبل ذلك كان لي محاضرة في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض عنوانها: «الفقيه المسلم وتحدِّيات العصر»، ومحاضرة في النادي الأدبي في مكة عنوانها: «الداعية المسلم وتحدِّيات العصر». يبدو أنَّنا نشعر أنَّ أمامنا تحدِّيات: تحدِّيات تواجه الفقيه، وتحدِّيات تواجه الداعية، وتحدِّيات تواجه الاقتصادي، وتحدِّيات تواجه رجل الشرطة، وتحدِّيات تواجه المجتمع كلَّه.

التَّحدِّيات من غيرنا لنا، كنا في الزمن الماضي نَتحدَّى ولا نُتحدَّى، كنا نحن الأمة التي تتحدَّى العالم ولا عجب، فنحن أمَّة القرآن الذي تحدَّى العرب، وتحدَّى العالم من ورائهم: أنْ يأتوا بحديث مثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، أو بسورة مثله، فغُلبوا وانقطعوا.

الأمَّة التي تحدَّى خليفتها يومًا السحاب في السماء، وقال لها: شرِّقي أو غرِّبي، وأمطري حيث شئتِ، فسيأتيني خراجك[1]. الأمة التي تبوَّأت

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

مكانتها تحت الشمس، كانت هي الأمَّة الأولى، وتمثِّل العالم الأول، وصاحبة الحضارة الوحيدة في العالم، كانت تَتحدَّى، فأصبحنا الآن نُتحدَّى، أصبح مجتمعنا يواجه تحدِّيات.

## كيف نجمع بين الدين والدنيا؟

أستطيع أن ألخِّص التَّحدِّيات التي يواجهها مجتمعنا في أمر واحد، هو: كيف نستطيع أن نعيش عصرنا، ونلحق به في العلم والتقدُّم التكنولوجي، وتسخير قوى الطبيعة للإنسان، ونستفيد من كلِّ ما في هذا العصر من إمكانات، مع احتفاظنا بإسلامنا بمبادئنا، بقيمنا، بأخلاقيَّاتنا، بشعائرنا، وشرائعنا؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين مستمسكين بعُرى الإسلام، مُعتزِّين بهذا الإسلام لا نحيد عنه شعيرة وشريعة؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين نُطبِّق الإسلام في حياتنا أفرادًا وجماعاتٍ ودولًا، ومع هذا نستطيع أن نقيم مجتمعًا معاصرًا مُتقدِّمًا يملك ناصية العلم والتكنولوجيا؟ أم لا نستطيع ذلك؟

## هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها:

هذا هو التَّحدِّي الحقيقي، المشكلة أنَّنا نحن المسلمين في كلِّ المجتمعات الإسلاميَّة الآن، نحيا في سجن التَّخلُّف، نحن متخلِّفون، مجتمعاتنا في كلِّ البلاد الإسلامية مجتمعات متخلِّفة.

لا يغرَّنكم ما ترون من هذه المظاهر التي نعيشها، نحن لم نصنع هذا الميكروفون الذي يكبِّر الصوت ويُسمِعكم، ولم نصنع هذه المسجِّلات التي تسجِّل صوتي، ولم نصنع هذه الكاميرا التي تصوِّر هذه المحاضرة،

QaradawiBooks.com

هذه الآلات صُنعت لنا، نحن نستورد ما صنع غيرنا، قد نستورد أغلى المصنوعات وأفخرها، يمكن أن نشتري أغلى جهاز، لا يشتريه ولا ينتفع به أصحابه أنفسهم، يصنعه اليابانيون، واليابانيون يصدِّرونه ولا يستخدمونه، يمكن أن نشتري سيارات من ألمانيا لا يستخدمها الألمان، نقول لهم: اصنعوا لنا سيارات خصيصًا لنا ـ خمسمائة (مرسيديس) أو ستمائة أو سبعمائة ـ وتُصنع لنا، وفيها كماليات لا تنتهي، ثم كل واحد منا يأخذ السيارة ويمشي ينهب الأرض نهبًا، يمشي في الأرض مرحًا، لا يمشي فيها هونًا كما يمشي عباد الرحمن، كأنه صانع هذه السيارة. أنت لم تصنع فيها مسمارًا، لم تصنع فيها شيئًا.

لسنا مُتحضِّرين ولا مُتقدِّمين، استهلاكنا لأدوات الحضارة ومصنوعات الحضارة لا يجعلنا متحضِّرين؛ لأنَّنا عالة على غيرنا. من عدة سنوات كنت في إحدى بلاد الخليج، فنظرت فيما حولي فوجدتُ أن كلَّ ما حولي مستورد من الخارج، كل الأشياء حتى المكتب الذي أمامي مكتوب عليه أنَّه مستورد من البلد الفلاني، حتى الموكيت من الخارج، ماذا فعلنا نحن؟ لا يوجد شيء ليس من الخارج إلا البشر، والباقي كلُّه جاء من الخارج، نحن أمة لم تصنع، نحن نستورد ولا نُنشئ، نستهلك ولا نُنتج، نشتري ولا نبيع. صحيح نحن نبيع البترول لكننا لم نصنعه، الله هو الذي صنعه، ولم نكتشفه نحن، وإنَّما اكتشفه الخواجات، ثم نبيعه بأرخص الأسعار ليردوه لنا بأغلى الأسعار، أضعاف أضعاف، فالحقيقة أننا متخلِّفون، هم يسمُّونا بلاد نامية، مصطلح البلاد النامية هذا تعبير مؤدَّب عن البلاد المتخلفة، الناس لا يريدون أنْ يجرحوا شعورنا، ويقولوا: البلاد المتخلفة. فسمَّونا البلاد النامية، ولعل لهم قصدًا أنْ يخدِّرونا حتى نظنَّ أنَّنا ننمو، والواقع أنَّنا متخلِّفون، لأنَّ بيننا وبين القوم مراحل ومراحل، مسافات ومسافات.

QaradawiBooks.com

## بيننا وبين القوم مراحل:

عندما كنا نركب الناقة أو الحمار ـ أعزكم الله ـ كانوا هم يركبون السيارة، نركب السيارة نجدهم يركبون الطائرة، نركب الطائرة نجدهم صنعوا الصاروخ. والواقع إنَّنا ليس عندنا لا سيارة، ولا طيارة، ولا صاروخ، هي سيارتهم وطائرتهم، هم صانعوها، لم نصنع نحن شيئًا.

نحن في عالمنا العربي لم نصنع موتورًا، ولا موتور موتوسيكل. أحسن الصناعات التي عندنا هي تجميع فقط، صناعة (٤٠٪) وتجميع (٦٠٪). إنَّما الصناعات الثقيلة والماكينات المهمة لم نصنعها.

أمة سورة الحديد لم تتعلَّم صناعة الحديد، أنزل الله سورة في القرآن اسمها سورة الحديد، ليس هذا عبثًا، إنَّه يذكِّرنا بأهمية هذا المعدن في حياة الإنسان، قرنه الله بالكتاب والميزان: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. كلمة ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: إشارة إلى الصناعات العسكرية، مثل الدبابات والصواريخ والمدافع الثقيلة والغواصات. وكلمة ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنيَّة. ونحن للأسف لم نتقن لا الصناعات الحربية، ولا الصناعات المدنية. هذه مجتمعاتنا عالة على غيرنا.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فلم نستجب لله، ولم نُعِد ما استطعنا. أصبحت كلُّ أسلحتنا من عند غيرنا، يعطينا ما يريد من الأسلحة، ويكفُّ يده متى شاء، ويشترط علينا شروط استخدام هذه الأسلحة. لو حدث في هذه الأسلحة عطل أو خلل أو

QaradawiBooks.com

شيء ماذا نصنع؟ كما حدث في بعض بلاد الخليج، أنَّ محطة الكهرباء تعطَّلت فنصف المدينة تعطَّل، توقَّفت الحياة، لا ثلاجة، ولا مروحة، ولا تكييف، ولا إضاءة ولا شيء، ونظلُّ في انتظار الخواجة الذي صنع الماكينة وأقام محطَّة الكهرباء حتى يأتي ليصلحها. عندنا فلوس صحيح، لكن ما قيمة الفلوس؟ نشتري التكنولوجيا؟ التكنولوجيا لا تُشترى، التكنولوجيا تُعلَّم وتُصنع، لكن إذا كنتُ أنا أشتري التكنولوجيا فصاحب التكنولوجيا هو الذي يتحكَّم فيَّ، ما دمت لم أتعلَّمها ولم أصنعها.

ينبغي تعلُّم صناعة الحديد. بل حتى الزراعة، معظم بلاد الإسلام زراعيَّة، ومع هذا معظمها يستورد أكثر من نصف أقواتها، القوت الضروري نستورده، ونحن بلاد زراعيَّة. بعض البلاد تستورد من الخارج من كل عشرة أرغفة سبعة أرغفة، إذا الخارج توقَّف عن إنتاج القمح والدقيق، ماذا أصنع؟ إذنْ أهلك أو أموت جوعًا، هو يتحكَّم فيَّ، لذلك لا أستطيع أنْ أكون سيِّدًا في أرضي، أن أتَّخذ قراري من رأسي. كما يقول الشيخ الشعراوي: إذا لم يكن قوتي من فأسي، فلن يكون قراري من رأسي. قوتُ الفأسِ يعني أن نشتغل في الأرض، لا نعتمد على غيرنا. نحن الأمة التي علَّمها نبيُّها أن تغرس وتزرع، وأنَّه «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[(١)].

ويقول فيما رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإذا استطاع ألا تقوم** ـ أي الساعة ـ **حتى يغرسها، فليغرسها**»[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

ولماذا يغرسها؟ يغرسها لأنَّ المسلم منتج، معطاء، عامل مُستمرٌّ في عمله حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، سواء انتفع هو بهذا الغرس أو انتفع غيره، أو لم ينتفع به أحد قط؛ فهو يتعبَّد لله بالغرس، فإن كان في يده فسيلة يغرسها، أو شتلة يشتلها.

هذا هو الإنسان المسلم، ومع هذا فنحن لا نغرس ولا نزرع، ونستورد من عند غيرنا، لا زراعة ولا صناعة!

قال النبي ﷺ: «**ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أنْ يأكل من عمل يده، وإنَّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[1]. وكان يعمل حدَّادًا ويشتغل في صناعة التروس. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، يعمل ويسبِّح الله، وتتجاوب معه الجبال والطير يسبحن معه بالعشيِّ والإشراق، يعبد الله من ناحية، ويشتغل في الحدادة، وصناعة الدروع من ناحية أخرى، هذا الذي ينبغي أنْ يكون.

كيف نستطيع أن ننهض ونواجه هذا التَّحدِّي لنصبح مجتمعًا مُتقدِّمًا لا عالةً على غيرنا، حتى في أخصِّ الشؤون، هل نستطيع؟ نعم نستطيع، ونستطيع؛ عندنا كلُّ الإمكانيَّات، ما الذي يمنعنا؟ هل نحن أقلُّ من غيرنا؟ لا، لسنا أقلَّ من غيرنا، نحن بدأنا النهضة في البلاد العربية، ومصر بالذات هي أول بلد نهض في هذه الناحية، مع اليابان، وربما قبل اليابان بقليل، أيام محمد علي باشا. أُنظر: أين اليابان الآن، وأين نحن؟! نحن كما قلنا: نستورد من الإبرة إلى الصاروخ. واليابان أصبحت «البُعبُع» المخيف لأمريكا نفسها، البلد الذي هُزم في الحرب العالمية

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

الثانية، وجُرِّد من السلاح، ومن الجيش، ومن كذا، فكر في مشروع آخر يستطيع أنْ ينتصر به، وأنْ يتغلَّب على غزاته، أنْ يعمل في جانب العلم والتكنولوجيا والاقتصاد، وفعلًا فعل هذا وتفوَّق على غزاته.

دعونا من اليابان. هناك بلاد بدأت من وقت قريب جدًّا، كوريا بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأت من الصفر، انظروا أين هي الآن؟ تغزو أسواق العالم. ما ذهبتُ إلى بلد في أوروبا أو أمريكا أو أستراليا أو أيِّ مكان في العالم إلا وجدت المنتجات الكورية، جنَّدوا الشعب كلَّه للعمل، والعملِ الجاد، أنتجوا.

**ما الذي يعجزنا؟**

هل نحن أقلُّ ذكاءً من غيرنا؟ هل هذا قدرٌ مكتوب علينا؟ القدر لم يكتب علينا هذا. هل هذه طبيعة الإسلام، كما ادَّعى بعض الناس: أن طبيعتنا الدينيَّة هي التي جعلتنا نتخلَّف؟ هذا كذب؛ لأنَّ التاريخ يُكذِّب هذا، يوم كنا مسلمين حقًّا صنعنا أعظم حضارة في التاريخ، الحضارة التي جمعت بين العلم والإيمان، وحقَّقت العدل والإحسان، وأقامت حضارة ربَّانية إنسانيَّة أخلاقيَّة، حضارة التوازن بين الحقوق والواجبات، بين الرُّوح والمادة، ربطت الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة.

ما الذي يعجزنا نحن؟ كنَّا أصحاب الحضارة الأولى في العالم، كانت جامعاتنا هي موئل الطلاب من أوروبا وغير أوربا. أوربا وصل إليها المنهج التجريبي والعلم التجريبي عن طريق بلاد المسلمين، عن طريق عواصم الحضارة، وخصوصًا قرطبة والأندلس وصِقِلِّية وغيرها، تعلَّموا منا. فرانسيس بيكون، وروجر بيكون اللذان يقولان إنهما أبوا الفلسفة التجريبيَّة والمنهج التجريبي، تعلَّما هذا من الحضارة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

هذا ما ذكره مؤرخو العلم: مؤرخ العلم جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلم»، وبريفولت في كتابه «بناء الإنسانية»، ودرايفر في كتابه «النزاع بين العلم والدين»، وجوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»، كل هؤلاء أقرُّوا أنَّ العرب سبقوا بالمنهج العلمي، وطبَّقوه بالفعل، لذلك برعوا وسبقوا في الطبِّ والتَّشريح والكيمياء والفيزياء وتقويم البلدان والفلك وغيرها، وأسماء علمائنا هي الأسماء الشهيرة في العالم كلِّه، هذا معروف، ومقرَّر هذا.

مَن يجهل اسم جابر بن حيان، أو الحسن بن الهيثم، أو البيروني، أو الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة، أو الرازي، أو ابن رشد، وغير هؤلاء كثيرون.

إذن الإسلام لا يمنعنا، بالعكس الإسلام يعطينا الحوافز، يعطينا الطاقة، ويعطينا الأهداف أيضًا التي نسعى إليها، ويرسم لنا المناهج السليمة، يعطينا الطاقة التي تجعل الإنسان يعمل بأضعاف ما يعمل غيره بالطاقة الإيمانيَّة، الإيمان هو الذي يُفجِّر القدرات المختزنة، والطاقات المكنونة عند الإنسان، فيسمع الأعاجيب، هذا والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. فمعنى هذا أنَّ الفرد إن كان عنده الإيمان وعنده الصبر وقوة الإرادة، فيمكن أنْ يعمل بعشرة أضعاف طاقة غيره، وفي حالة الضعف يمكن أنْ يعمل بضعف الغير: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٦٦]. إذن الإسلام يمكن أنْ يعطينا قوَّة هائلة، وطاقة غير محدودة، هذا الذي ذكره القرآن في المجال العسكري.

QaradawiBooks.com

وكذلك الأمر في المجال الحضاري والمجال الإنتاجي والاقتصادي. تستطيع الأمة أنْ تعمل، ولكن الواقع ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّ الأمة لا تعمل، نحن مجتمعات لا تعمل كما ينبغي، أقل المجتمعات عملًا، دعونا نصارح أنفسنا بالحقائق، زرنا بلادًا كثيرة فوجدنا الناس تجتهد وتتعب، وتكدح وتعاني من أجل الكسب والعمل، يعملون فترتين في النهار، هكذا رأيناهم في أوربا وأمريكا، الإنسان يستيقظ في الصباح الباكر ويذهب إلى عمله، يذهب من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية عشرة ثم يأخذ فترة الغداء في مكان العمل نفسه ساعة، ثم يبدأ من الساعة الواحدة إلى الساعة الخامسة، ثم ينتهي ويعود إلى البيت. وهكذا يواصل، في آخر الأسبوع (الويك إند) يرفهون على أنفسهم، ويلعبون كما يريدون.

كنت في ألمانيا مرَّة، فمشيتُ في الطريق فلم أجد ناسًا، لا زحام، ولا ناس على الأرصفة فسألت أحدهم: أين الناس؟ قال: الناس في أعمالهم. ثم بعد الساعة السابعة نظرت فلم أجد أحدًا قلت له: أين الناس؟ قال: الناس عادوا من أعمالهم إلى بيوتهم، الناس تتعب طوال اليوم فيرجعون مجْهَدين مهدودين، فيأوون إلى بيوتهم يتعشّون ويجلسون مع أولادهم، ويسمعون نشرة الأخبار، وينامون مبكِّرين؛ لأنَّهم يستيقظون مبكِّرين؛ لأنَّ وراءهم عمل جادّ.

في بلادنا نجد الناس تملأ الشوارع ليلًا ونهارًا، وتذهب إلى المصالح والمكاتب لا تجد عليها أصحابها، وإذا وجدتَ عليه صاحبه وجدتَه يقرأ الصحيفة، أو يشرب القهوة، أو يدخِّن السيجارة، أو يتكلَّم مع صاحبه، ويكلِّمك من طرف أنفه، ويقول لك: تعال بعد أسبوع، أو بعد كذا يوم. ولا يقضي عملًا.

QaradawiBooks.com

إنَّ المجتمع الذي أقرَّ هذه الصناعة، وأقام هذه النهضة، لم يُقِمها من فراغ، ولم يقِمها اعتباطًا، بل أقامها بعد جُهدٍ جهيد، لذلك إذا أردنا أن ننهض بالفعل لا بدَّ من علم وعمل، لا بدَّ من علم صحيح. هذا معناه أنَّه لا بدَّ أن تقوم مناهجنا على أساس تربويٍّ صحيح، يُخرِج علماء ذات عقليَّة علميَّة، لا بدَّ من هذا. لكن التعليم في معظم بلادنا يُخرِّج موظَّفين، ويُخرِّج ناسا يحفظون بعض الأشياء، ولكنهم لا يعرفون شيئًا. في بعض البرامج التي أُذيعت في رمضان في بعض أوقات التلفزيون، فضائح، خرِّيجون يُسألون عن أبسط الأشياء فلا يجيبون، في جامعة كذا... وفي كلية كذا وكذا...

أمريكا منذ سنوات كانت تراجع أنظمتها ومناهجها التعليمية، وأُلِّف في ذلك كتاب مشهور ترجمه أحد أصدقائنا، د. يوسف عبد المعطي «أمة على حافة الخطر»، أمة على حافة الخطر لماذا؟ لأنَّ النظام التعليمي فاسد، والمناهج التعليمية فاسدة، والناس الذين يتخرَّجون ليسوا متعلِّمين حقيقيين، ليس عندهم فَهم ولا ثقافة، فاستقدمت خبراء من اليابان لينظروا في مناهجها التعليميَّة، ويقولون: ماذا تقترحون علينا؟ أمريكا لم تجد حرجًا أو خجلًا من هذا.

نحن في حاجة إلى تخريج عقلية علمية، القرآن ينشئ هذه العقليَّة، بعض الناس يظنُّ أنَّ الدين ليس له علاقة بالعلم، وربَّما ظنَّ بعض الناس أنَّ الدين يراقب العلم، هذا قد يكون صحيحًا بالنسبة للنصرانية والكنيسة، لكنَّ الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين. الدين عندنا علم؛ لأنَّه قائم على أساس العقل: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. الدين

QaradawiBooks.com

قائم على أساس الحجَّة والبرهان. قال علماؤنا: إنَّ العقل أساس النقل. لماذا؟ لأنَّ أعظم قضيتين من قضايا الوجود أساس إثباتهما هو العقل: وجود الله وإثبات النبوة.

إذا أردتَ أنْ تخاطب الشيوعية وأنْ تناقشها، إذا أردت أنْ تثبت وجود الله، فهل تقول له: قال الله تعالى وقال الرسول؟! هو لا يؤمن بالله ولا بالرسول، فلا بدَّ إذن أنْ تخاطبه بالعقل. إذا أردتَ أنْ تثبت له أنَّ محمدًا نبي من عند الله، لا بدَّ أنْ تثبت له هذا بالعقل، أعظم القضايا الدينية ثابتة بالعقل.

لهذا أقول: الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، لأنَّ طلب العلم فريضة وعبادة عندنا، علم الدين وعلم الدنيا، حتى علوم الدنيا، فقهاؤنا قالوا: كل علم دنيوي يحتاج إليه المسلمون فإنَّ تعلُّمه وإتقانه فرض كفاية. علم الطب، علم الحساب، علم الهندسة، علم الفيزياء، أيُّ علم من العلوم لا بدَّ أنْ يتعلَّمه المسلمون ويتقنوه، ويكون عندهم عدد كافٍ من العلماء والخبراء المتخصِّصين فيه، بحيث لا يحتاجون إلى غيرهم. ليس عندنا إذنْ مشكلة بين العلم والعقليَّة العلميَّة، بل القرآن هو أعظم ما ينشئ العقلية العلمية، كنت أقول لبعض الإخوة الذين يهتمُّون بالتفسير العلمي للقرآن، أو الإعجاز العلمي للقرآن، أقول لهم: إنَّ أعظم من هذا كلِّه أنَّ القرآن ينشئ العقليَّة العلميَّة. ما معنى العقليَّة العلميَّة؟ العقليَّة التي ترفض الخرافة، ولا تقبل شيئًا إلا ببرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾، العقليَّة التي ترفض التقليد، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، و﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، العقليَّة التي ترفض الظنَّ في موضع اليقين، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، العقلية

QaradawiBooks.com

التي ترفض الميول الشخصية في المقام العقلي والعلمي، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، العقليَّة الموضوعيَّة الحياديَّة التي تنظر إلى الأمور وتتفكَّر، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾، هذه هي العقليَّة العلميَّة التي ينشئها القرآن. ولا عجب أنْ قامت الحضارة الإسلامية على هذا الأساس، نجد كثيرًا من العلماء الذين نبغوا في الحضارة الإسلامية كانوا علماء دين، مثل الخوارزمي الذي اخترع الجبر والمقابلة، إنَّما اخترعه لأنَّه كان يُؤلِّفُ رسالة في الفقه، في الوصايا والمواريث، ورسالته التي اخترع فيها الجبر نصفها فقه ونصفها رياضة. من رأى منكم هذه الرسالة يعرف ذلك، وقد نشرها بعض أساتذة الرياضة، وعلَّقوا على نصفها الثاني، ولم يعلِّقوا بكلمة على نصفها الأول، لأن علماء الرياضيات في عصرنا ربما لا يعرفون في الفقه شيئًا، أمَّا الخوارزمي فكان فقيهًا ورياضيًّا.

ومثل ابن رشد، فهو فيلسوف، وأعظم شرَّاح أرسطو طاليس، نقل فلسفة أرسطو إلى العالم الغربي بشروحه، وهو فيلسوف إسلامي له كتبه المشهورة، وهو كذلك طبيب، صاحب كتاب «الكُليَّات» في الطب، الذي كان مرجعًا لأوربا عدَّة قرون، وهو مع ذلك فقيه مالكي، كان قاضيًا شرعيًّا، وله في الفقه كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» من أهم كتب الفقه المقارن.

لذلك نقول: لا ليس عندنا مشكلة من هذه الناحية، لأنَّ القرآن هو الذي ينشئ العقليَّة العلميَّة، وهو الذي يحْفِزُنا لكي نقيم مجتمعًا علميًّا عمليًّا تقدُّميًّا، لنبنيه بناء عصريًّا.

QaradawiBooks.com

## الإمكانات المادية للنهوض:

ما الذي يمنعنا إذنْ من النهوض؟ عندنا إمكانات النهوض، الإمكانات الماديَّة موجودة والحمد لله، مجتمعاتنا الإسلاميَّة تعيش في أخصب بلاد الله بقعة، وأطيبها رقعة، بلاد فيها خصوبة من الناحية الزراعيَّة، وفيها تكامل، البلد هذه فيها نفط، والبلد هذه فيها أرض زراعيَّة، والبلد هذه فيها منجنيز، وهذه فيها حديد، وهذه فيها كذا، وهذه على السواحل، وهذه في الصحراء.

يتكامل هذا العالم الإسلامي لكي يصنع شيئًا عظيمًا، ولكن بشرط أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطوِّرة، جماعة لا فرادى، كما نصلي لله جماعة ينبغي أن ندخل هذا العصر جماعة. العالم الآن يتكتَّل ويتلاحم، أوربا التي تقاتلت في ما بينها قرونًا، قاتل بعضها بعضًا ـ نحن درسنا تاريخ أوربا في معاهد الأزهر، درسناه أكثر من تاريخ الإسلام، وعرفنا الحروب التي استمرَّت بينها ـ رغم هذه الحروب، ورغم الزمن الطويل التي استهلكته، أوربا الآن تتلاحم وتتقارب، تصنع سوقًا اقتصاديَّة واحدة، وتوشك أنْ تجعل من نفسها كتلة سياسية واحدة، ونحن نتمزَّق، ونتفرَّق، ونثبِّت التجزئة القائمة، ومع هذا نريد أن ننهض! لا، لن نستطيع أن ننهض بهذا، إمكانات النهوض موجودة، إمكانات النهوض عندنا من الناحية المادية موجودة.

وهي كذلك من الناحية البشريَّة موجودة، نحن المسلمين نملك طاقات بشرية هائلة، تبلغ مليارًا ومائتي مليون مسلم. وعندنا عقليات جيدة في تخصُّصات نادرة، وأكثر هذه العقليَّات ـ أو كثير منها ـ هاجر إلى البلاد الأخرى، بقوا في أوربا وأمريكا؛ لأنَّ كثيرًا منهم وجد أنَّه إذا

QaradawiBooks.com

عاد إلى بلده لا يُنتفع به، بينما ينتفع به أولئك ويدفعون له أعظم الرواتب، ويحققون له أفضل المناخات المطلوبة، لينتج ويعمل وينبغ، نحن لا نهيئ له هذا.

المناخ صحي والجو الإيجابي يعين هذه العقول النابغة على الابتكار، وعلى الإنتاج.

لا بدَّ أنْ يشعر الشخص بكيانه وحريته وكرامته. بعض البلاد العربية النفطية في وقت من الأوقات أخذتها صحوة وثورة حماسية، وقالوا: نريد أن نقيم مدينة علمية، هاتوا كل العرب والمسلمين من المهاجرين الذين يعملون في أوربا وأمريكا. وذهب مندوبوهم وقالوا لهم: تعالوا، سنقيم لكم مدينة علمية، نحقق لكم فيها ما تريدون، ونهيئ لكم كل ما تحتاجون. وجاء الناس وصدَّقوا هذا، جاؤوا من عرب ومن باكستانيين ومن ماليزيين ومن هنود ومن غيرهم، ثم أول ما نزلوا من المطار أخذوا جوازاتهم واستبقوا الجوازات عندهم، إذا أراد أحدهم أنْ يسافر لا يستطيع، شعروا بعد فترة أنَّهم مسجونون، فقالوا: لقد كنا في بلاد نعيش فيها أحرارًا، فما إن أتيحت لأحدهم فرصة، اخترع كل واحد سببًا للسفر، ثم إذا ركب الطائرة قال ما قال الشاعر قديمًا:

**عَدَسْ: ما لِعبَّاد عليك إمارةٌ نَجَوْتِ وهذا تحملينَ طَلِيقُ**[1]

يحتاج الإنسان ـ لكي ينتج ـ إلى أنْ يشعر بكيانه، بكرامته، بوصفه إنسانًا. الأدب العربي يحكي لنا قصة عنترة ابن شداد العبسي، كان أسود اللون، وأبوه يعامله كأنَّه عبد من العبيد، ثم أغارت إحدى القبائل يومًا

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الضبي، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٥٢/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

على بني عبس، وانهزم الفرسان أمامهم، وكاد الناس يدخلون على الحريم ويسْبُون النساء، وعنترة يتفرج، وأبوه ينظر إليه، قال له: كُرّْ. قال: يا أبت، العبد لا يحسن الكرَّ، وإنَّما يحسن الحلابةَ والصَّرّ. فقال له: كُرّْ وأنت حر. فامتطى جواده وأخذ سيفه ورمحه، وبدأ يهاجم المغيرين، فيرتدون أمامه وينسحبون، حتى هزمهم[١].

بدأ الناس يهتفون: عنترة عنترة عنترة، لولا عنترة لسُبي النساء ولأُخذ المال...

ما الذي جعله يفعل ذلك؟! قول أبيه: كُرّْ وأنت حر. أعطني حريتي وكرامتي، أشتغل.

أمَّا حينما يكون الإنسان في بلد لا يشعر فيه بالكرامة والحرية، ويرى أن ما يعمله تذهب ثمرته لغيره، له النوى ولغيره التمر، يزرع القمح ويأكل الطين ـ فالإنسان لا يعمل.

لا بدَّ أنْ يشعر بالعدل، كما يقول شاعر آخر:

**وإذا تكون كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاس الحيسُ[٢] يُدعى جُنْدبُ[٣]**

يعني في الكراهة والمصائب ينادونه: يا فلان، لكن إذا صنعوا الحيس وعملوا العصيدة وعملوا الحلوى، لا يدْعونه، إنَّما يدعوا أخاه الآخر لينال المغنم، فواحد له المغنم، وواحد عليه المغنم.

---

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (٣٨٧/٨) نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) الحَيس: طعام يصنع من الدقيق والسكر، كالعصيدة ونحوه من المعجَّنات. يريد: أن أخاه جُندبًا له الشهيُّ من الطعام، أمَّا هو، فله شدائد الأعمال.

(٣) البيت لهنيء بن أحمر الكناني، كما في معجم الشعراء للمرزباني صـ٤٥٠، تحقيق د. ف. كرنكو، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٤٢٤/١)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

شعور الناس بالظلم لا يجعلهم يعملون، لذلك نحن في حاجة إلى هذا الجوِّ الإيجابي حتى يعمل الناس، إمكانات النهوض موجودة، عندنا القدرات الماديَّة، وعندنا الطاقات البشريَّة، وعندنا ـ فوق ذلك ـ القوة الروحيَّة.

نحن نملك ما لا يملك غيرنا، نملك الرسالة الخاتمة، الرسالة الخالدة، رسالةَ محمدٍ ﷺ، نملك الوثيقة السماوية الوحيدة التي لم يعترها تحريفٌ ولا تبديل، نملك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نملك السُّنَّة النبويَّة والسيرة المحمديَّة، التي فيها موضع لكل مقتدٍ، السيرة الجامعة، يستطيع كل إنسان أنْ يجد فيها موضعًا للأسوة ومكانًا للقدوة، نحن نملك ما لا يملك غيرنا، نستطيع أن ننهض إذا صحَّ توجُّهنا، ولن يصحَّ توجُّهنا إلا بالإسلام، أن نكون مسلمين حقًّا، نعتز بإسلامنا، ونقول ما قاله ابن الخطاب: نحن كنا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزَّة بغيره أذلَّنا الله[1]. والإسلام لا نعتز به بمجرد كلام، ولكنَّه اعتزاز يتمثل في سمو، ويتجلَّى في عمل.

الأفراد يعملون به، الأُسر تتمسَّك به، الدولة تتمسَّك به، تشريعًا وقانونًا وأخلاقًا وثقافةً وإعلامًا، لا بدَّ أنْ يكون الإسلام أساس هذا كله، فلا نأخذ ببعض الإسلام دون بعض، فيكون الإسلام في المسجد ولا علاقة له بالتلفاز، أو في البيت ولا علاقة له بالجامعة، أو الإسلام ناحية الفرد لا الجماعة، لابد أنْ يكون الإسلام في كل شيء، في التربية، في التشريع، في الثقافة، في الإعلام، في المسجد، في حياة الفرد، في حياة الأسرة، في حياة المجتمع، في الطريق، في المزرعة،

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

في المصنع في المحكمة، في كل مكان، «**اتَّق الله حيثما كنت**»[١]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

لكي نكون مسلمين حقًّا لا بدَّ أن نرجع إلى الإسلام في حياتنا، إذا رجعنا إلى الإسلام سيصنع الإسلام منا الأعاجيب، سيفجِّر الطاقات المكنونة، سيظهر المبتكرون، سيظهر العاملون، سيتعبَّد الناس بالعمل، نحن في حاجة إلى رسالة روحية إيمانية أخلاقية لكي نلحق بغيرنا، كيف نلحق بالعصر؟ كيف نلحق باليابان؟ كيف نلحق بكوريا؟ كيف نلحق بعصر التفوق والتقدم؟ إذا لم يكن عندنا رسالة ذات أهداف كبرى، تستطيع أن تجند الناس تجنيدًا.

بدون هذا سيظل الناس في خمول، في همود، في رقود، في نومة أهل الكهف.

لن يوقظ الناس من سبات، ولن يحييهم من موات إلا الإسلام، إلا الإيمان. هذا جربناه في كل شيء، لم ينفع حينما عزفنا على الناس بنغمة القومية العربية، أو نغمة الاشتراكيَّة الثوريَّة، أو نغمة الرأسمالية الليبرالية، أو أي نغمة من هذه النغمات أو هذه المعزوفات، كلها لم تحرِّك ساكنًا فينا، ولم تنبه غافلًا في مجتمعاتنا، لم تحشد الطاقات.

القادر على حشد الطاقات وتفجيرها وصناعة شيء من هذه الأمَّة هو الإسلام، أنْ تنفخ في هذه الأُمَّة روح الإيمان، هذا هو الذي يجعلنا ننهض، إمكانات النهوض موجودة إذا أحسنَّا الانتفاع بها، ولا نهوض إلا على أساس من الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

الإسلام الصحيح لا إسلام الغلاة المتشددين ولا إسلام المترخِّصين المتسيِّبين، إسلام الوسط، الإسلام الأول، إسلام القرآن والسُّنَّة، الإسلام كما فهمه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، هذا الإسلام هو القادر على أنْ يحيي هذه الأُمَّة ويبنيها من جديد إذا أحسنَّا فهمه وأحسنَّا تطبيقه، لا أن نشتغل بالجزئيَّات عن الكليَّات، ولا بالفروع عن الأصول، ولا بالشكل عن الجوهر، ولا بالنوافل عن الفرائـــض، ولا بالمختلَف فيه عن المتَّفق عليه، ولا بأعمال الجوارح عن أعمال القلوب.

الإسلام الذي يعرفنا الحقائق الكبرى، هذا الإسلام هو وحده القادر على أنْ ينشئنا من جديد، خلقًا آخر، إذا أحسنَّا الفهم وأحسنَّا التطبيق.

لم يكن الإســـلام مجرَّد شـــعارات ولا مجرَّد لافتـــات، ولا مجرَّد دعاوى، ولا مجرَّد خطب تقال، ولكن يتمثَّل في حقائق عمليَّة، يتمثل في علمٍ وعمل، ودعوة وتربية وجهاد.

هذا الإسلام وحده ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ هو القادر على النهوض بهذه الأمَّة من جديـــد، لتتبوَّأ مكانتها، وتؤدِّي دورهـــا كما أراد الله لها، لتكون بحق أمَّةً وسطًا، وخير أمَّةٍ أخرجت للناس.

أســـأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، ويجعـــل غدها خيرًا مـــن يومها، إنَّه ســـميعٌ قريب. أقـــول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

QaradawiBooks.com

## إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

### هل تسير الأُمَّة من سيئ إلى أسوأ؟

**سائل يقول:** شيخنا الفاضل، رغم تحذيراتكم وغيركم من العلماء الأفاضل في أكثر من ثلاثين سنة، إلا أنَّ هذه الأمة تسير من سيئ إلى أسوأ، وأرى أنَّ همَّها الوحيد هو التكالب على المال فقط، فهل أصبحت هذه الأمة ظاهرة صوتيَّة كما يقولون؟ ويبقى السؤال، ثم ماذا بعد؟

**الإجابة:** يبدو لي أنَّ الأخ ينظر من وراء نظارة سوداء قاتمة، فلا يرى إلا السوء، الواقع أنَّه من ينظر إلى الأمور بإنصاف واعتدال، يرى أنَّ هناك تقدُّمًا في أشياء كثيرة جدًّا، يرى هذه الصحوة الإسلامية التي نلمس آثارها في كل مكان، عاينتها، رأيتها بعيني ولمستها بيدي، في بلاد العرب وبلاد العجم، في العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي، حتى في الجاليات والأقليات الإسلامية في الشرق والغرب هذه الصحوة موجودة، وهي صحوة علم وفكر، وصحوة مشاعر وحماس، وصحوة إرادات وعزائم، وصحوة التزامٍ وسلوك.

من ينكر هذا الشباب الذي يملأ المساجد؟ كانت المساجد قديمًا لا يكاد يؤمُّها إلا المحالون على التقاعد، حينما يقترب أحدهم من القبر يريد أنْ يختم حياته بالذهاب إلى المساجد. من يرتاد المساجد الآن؟ إنهم الشباب.

مواسم الحج والعمرة، كان الذين يحجُّون قديمًا هم الشيوخ الكبار، كما قال بعضهم: الحج هو تمام الأمر وختام العمر[1]. الآن اذهب إلى المواسم تجد الأغلبية العظمى من الشباب.

(١) إحياء علوم الدين (٢٣٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الذي يقرأ الكتاب الإسلامي الآن؟ الكتاب الإسلامي هو صاحب الرقم الأول في سوق التوزيع في كل معارض الكتب، من ينكر أنَّ المكتبة الإسلامية الآن فيها عشرات ومئات الكتب، على المستويات المختلفة، بعضها سطحي وبعضها عميق، وبعضها دراسات أكاديمية، وبعضها رسائل ماجستير ودكتوراه.

لقد كنت وأنا أُحَضِّر لكتابي «فقه الزكاة» منذ أكثر من ثلث قرن، أبحث عن كتب في الاقتصاد الإسلامي، فلم أجد، إلا كتابًا أو اثنين، حتى إنِّي كنتُ أقرأ كتب الاقتصاد السياسي، ولا أجد الإسلاميين يشيرون إلى الاقتصاد الإسلامي بسطر واحد، يتكلمون عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي، لكن لا يوجد شيء اسمه اقتصاد إسلامي، الآن مئات الكتب، عشرات من رسائل الدكتوراه والماجستير في الاقتصاد الإسلامي، مراكز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، أقسام في الجامعات، وأساتذة متخصِّصون في الاقتصاد الإسلامي، مجلات في الاقتصاد الإسلامي، مؤتمرات تقام عن الاقتصاد الإسلامي، بنوك تعمل في إطار الاقتصاد الإسلامي، شركات اقتصاد إسلامي، أليس هذا كله صحوة إسلامية؟!

فالصحوة الإسلاميَّة تجسَّدت فكريًّا في كتب ومكتبات، وتجسَّدت عمليًّا في هذه البنوك وغيرها من السلوكيَّات، وتجسَّدت جهاديًّا في حركات الجهاد الإسلامي في فلسطين الآن، بعد أنْ كان العلمانيُّون هم الذين يقودون حركات النضال كما يسمونها، تمثلت في أفغانستان، تتمثَّل الآن في البوسنة، تتمثَّل في الفلبين.

فلا شك أنَّ الصحوة الإسلاميَّة حقيقة، من ينكر هذا؟ لا يستطيع أحد أنْ ينكر ذلك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بل إنَّ حركة المرأة المسلمة في صحوة أيضًا، في وقت من الأوقات لم نكن نجد امرأة محجبة، كنت أمشي في بعض العواصم العربية في الستينيات لا أرى امرأة محجبة، تجد امرأة عجوزًا أكل الدهر عليها وشرب ومع هذا تلبس ما يسمونه «الجابونيز» دون حياء، وكان الحجاب تهمة في ذلك الوقت. الآن أُدخل الجامعات والكليَّات والمعاهد والمدارس، واذهب إلى الأسواق وامش في الطرقات، تجد هذه الظاهرة، ظاهرة نسائيَّة طوعيَّة.

فكيف يقول الأخ إنَّنا نسير من سيئ إلى أسوأ؟ لا، بل في تقدم كثير في إيجابيات.

لكي نستطيع أن ننهض ـ أيُّها الأخوة ـ لا بدَّ أنْ يكون عندنا أمل، ولا ندع مجالًا للظنون والأوهام، ولا نتغافل عن الإيجابيَّات، والحقيقة أنَّ هناك إيجابيَّات كثيرة، صحيح أنَّ الصحوة الإسلامية أزعجت القوى المعادية للإسلام، وهيَّجت غرائز الشر فيها، ولذلك بدؤوا منذ فترة يكيدون لهذه الصحوة، ويُبيِّتون لها الشر، ومن الشر الذي بيَّتوه: أنَّهم أوقدوا نيران الفتنة بين الحكام وبين الذين يُمثِّلون هذه الصحوة، وأفهموهم أنَّ هذه الصحوة خطرٌ عليهم، وأنَّ الأصوليين لا يأتون إلا بالشَّر، وبدأت عمليات في أكثر من بلد، هذا نتيجة ماذا؟ نتيجة الصحوة. الصحوة خوفت هؤلاء الناس، ولذلك عملُنا أن نبين للمسؤولين في بلاد الإسلام: إنَّه لا نجاة إلا بالإسلام وأنَّ هؤلاء الإسلاميين، الذين يخوِّفونكم منهم ليس بغيرهم النجاة. نحن نرى الشباب الآن الذين تعمل فيهم الشبكات العالمية ـ إسرائيل والصليبية وغيرهم ـ لصيدهم عن طريق التهتك والتحلل، أو عن طريق المخدرات والسموم البيضاء والخضراء، من الذي ينجو من هذه المهالك؟ الشباب

QaradawiBooks.com

المسلم، الشاب الملتزم لا يمكن أنْ يقع في هذه الشبكة، لأنَّه لا يذهب إلى الأماكن المشبوهة، بل حتى لا يعرف السجاير، لقد حفظه الإسلام وعصمه الدين والإيمان.

فأنا أخالف الأخ السائل في أنَّنا لم نصنع شيئًا. لا، صنعنا الشيء الكثير، والذي صنعناه هو الذي أيقظ أعداءنا وجعلهم يفعلون ما يفعلون. فعلينا أيضًا أن نستيقظ من جديد، لنقاوم هذه الهجمة، ولا نيئس إنْ شاء الله، وإنا بإذن الله لواصلون.

## دور رجال الشرطة في النهضة:

**سؤال آخر:** فضيلة الدكتور، رجاء تحديد دور رجال الشرطة للنهوض بالمجتمع الإسلامي ماديًّا وروحيًّا.

**الإجابة:** حقيقة والله إنَّ رجل الشرطة له أهمية كبيرة في كثير من البلاد الإسلامية والعربية، رجل الشرطة هذا الذي يعتبره الناس كأنه عدو لهم، ففي مصر مثل يقول: «إذا كان ذراعك عسكري اقطعه». لماذا؟ من طول ما عانى الناس من ظلم العساكر، وكانت الشرطة تُستخدم أدوات للظالم، هؤلاء هم الجلادون الذين ذكرهم الحديث: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ...**»[1].

نحن نريد رجال شرطة مؤمنين، يقولون: «الشرطة في خدمة الشعب»، هذا هو الذي ينبغي أنْ يتحقَّق، أنْ يكون رجل الشرطة فعلًا خادمًا للشعب، وليس صوتًا للحكومة، إنَّما هو خادم للشعب، عليه أنْ

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يعامل الناس معاملةً حسنة، ولذلك لا بدَّ من توعية رجال الشرطة، وهذا النادي وهذه البداية الطيبة تدل على هذا التوجه الطيب، نحن لا نريد جنودًا لفرعون، القرآن يقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]. القوة العسكرية التي كانت مع فرعون، مثل فرعون وهامان، حمَّلهم الله المسؤولية لأنَّهم أعوان الظالم.

لما سُجن الإمام أحمد في محنة خلق القرآن، جاءه حارس السجن يسأله: هل الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة صحيحة؟ قال: صحيحة. قال: فهل أنا منهم؟ قال له: لا، لستَ من أعوان الظلمة؛ إنَّ أعوان الظلمة من يطهو لك طعامك ويخيط لك ثوبك، ويقضي لك حاجتك، أمَّا أنت فمن الظلمة أنفسهم. فالإنسان يحرص ألَّا يكون ظالمًا ولا عونًا لظالم، نصيحتي للإخوة في الشرطة، وقد آتاهم الله سلطة، أنْ يحاول كلٌّ منهم أنْ يجعل سلطته هذه في خدمة الحق، في مساعدة الضعيف، في إقامة العدل. لا تحابي، لأنَّ هذا من القبيلة الفلانية فتكرمه، وهذا إنسان ضعيف فتكلمه من طرف أنفك، واحد ترحِّب به وتكرمه غاية التكريم، وآخر تهمل أمره. لا، حاول أنْ تكون كما قال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري: واسِ بين الناس بوجهك وعدلك[1]. حتى بالوجه، حتى في ملاقاتك للناس حاول أنْ تقيم العدل، لا تبتسم في وجه واحد وتتجهَّم في وجه آخر، النبي ﷺ يقول: «**يومٌ من والٍ عادل خيرٌ من عبادة ستين سنة**»[2]. وأيضًا ضباط الشرطة وجنودها بإمكانهم أنْ

(١) رواه الدارقطني في الأقضية والأحكام (٤٤٧١).

(٢) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩)، وحسَّن إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار صـ٢٠٥، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م. وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٨٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

يكونوا ولاةً عادلين، فهناك والٍ على بلد، وآخر والٍ على مركز، وهناك والٍ على قسم، ووالٍ على محافظة. كل واحد في ولايته ينبغي أنْ يعدل وأنْ يرحم، والراحمون يرحمهم الرحمن.

**للجهاد مراتب وأنواع:**

**سؤال آخر:** تسأل إحدى الأخوات تقول: والله إنَّ قلوبنا تتلهف للجهاد في البوسنة والهرسك، ولكنَّنا أمَّهات وزوجات، أزواجنا وأولادنا نبذل كل أوقاتنا لراحتهم، فهل جهادنا معهم معذرةٌ لنا أمام الله ﷻ؟ وكيف لنا أن نشارك في إمكانات النهوض على أكمل وجه؟ جزاكم الله خيرًا.

**الإجابة:** الجهاد مراتب وأنواع، من فضل الله تبارك وتعالى، إنَّه هناك من يستطيع أنْ يجاهد بنفسه، وهناك من يستطيع أنْ يجاهد بماله، وهناك من يستطيع أنْ يجاهد بلسانه، وهناك من يستطيع أنْ يجاهد حتى بالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

**أولًا:** ليس من السهل على الكثيرين أنْ يذهبوا إلى البوسنة والهرسك، لأنَّه يوجد عقبات وعقبات، كانت الطريق ـ في أول الأمر ـ مفتوحة قليلًا، لكنهم بدؤوا يشدِّدون على العرب والمسلمين، ولا يستطيع أنْ يذهب أحد إلا بحيلة ما، حتى يدخل إلى هناك، وليس كل إنسان يصلح هناك، فلو ذهبتُ أنا مثلًا ومعي عكازي هذا هل أصْلُح؟ بالطبع لا، وإنَّما أكون حِملًا ثقيلًا عليهم، لكن لو كان إنسان عنده خبرة في حرب العصابات، أو آخر له خبرة في المتفجرات وهذه الأمور التي يستطيع أنْ ينفع بها فهذا يصح له الذهاب.

أمّا الذي لا يستطيع أنْ يصل، بمعنى أنَّه لا تُمكِّنُه ظروفه، أو ليس عنده قدرات تنفع إخوانه هناك، يمكنه أنْ يجاهد بماله، القرآن يقول:

QaradawiBooks.com

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]. قدَّم الجهاد بالأموال دائمًا على الجهاد بالأنفس، والحديث الصحيح يقول: «**من جَهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا**»[1]. فلو جئته بما يُمكِّنُه من شراء المدفع والبندقية كنت كأنَّك جاهدت معه، فمشكلة إخواننا مشكلة ماليَّة من الدرجة الأولى، لأنَّهم في حاجة إلى المال لإغاثة لهفتهم، في حاجة إلى المال ليأكلوا ويشربوا ويلبسوا ويتدفؤوا ويتداووا، وفي حاجة إلى المال ليتسلحوا، لو أننا من أول الأمر أمددناهم ببعض الأموال، بقليل من الأموال ليشتروا بها السلاح، لأمكنهم أنْ ينتصروا بسرعة، ولكننا لم نسعفهم، كانوا يحاربون الجيش الرابع في أوربا، الجيش اليوغوسلافي لديه كل الإمكانات، وهم ليس عندهم شيء يذكر، كانوا في حاجة إلى المال، الأمم المتحدة وأمينها الهمام منعوهم من الأسلحة، قالوا: لا تُبعث الأسلحة إلى جهات متحاربة. مع أنَّ الجيش الآخر عنده الأسلحة، فمَنْع الأسلحة يعني أنكم تتركون هؤلاء ليُذبحوا، ولذلك المنفذ الوحيد هو شراء السلاح من السوق السوداء، وهذا ممكن، فعندنا مثل في مصر يقول: بالفلوس على أحسن شيء تدوس. تشتري من السوق السوداء السلاح ويأتيك في أي مكان، تجار السلاح معروفون في العالم، وتسعى للفلوس.

لمَّا وصلت للإخوة بعض الأسلحة، صمدوا، كان الصربيون مخططين أنْ تسقط سراييفوا بعد ثلاث أسابيع، فصمدت الآن إحدى عشر شهرًا، فهم بحاجة إلى المال، فمن لم يستطع أنْ يجاهد بنفسه يجاهد بماله، والحمد لله أنا أرى أنَّ المسلمين كشعوب متجاوبون جدًّا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني.

QaradawiBooks.com

مع إخوانهم، وقد كنت في فرنسا وبعض الإخوة قال لي: جاءنا مسلمون من أقاصي فرنسا، جمعوا ممن حولهم تبرعات نقدية وعينية وجاؤوا يسلمونها، وقالوا لهم: نحن لم ندخل المسجد في حياتنا ولم نُصلِّ لله ركعة، ونريد أن نتعلم الإسلام من جديد، والذي حرَّكنا هو ما رأيناه في التلفاز من مآسٍ لإخواننا.

والحقيقة أنَّ بعض التلفزيونات الغربية تعرض مشاهد لا تُعرض بالتلفزيونات العربية، مَشاهد فظيعة، تقشعر من هولها الأبدان، وتشيب لها الولدان، وهو الذي جعلنا نتحرك الآن، نريد ـ ما دام الإسلام يُضطهد ـ أن نكون مسلمين فعلًا، فماذا نفعل؟!، حركت المأساة هؤلاء الناس، فمن لم يستطع أنْ يجاهد بنفسه جاهد بماله.

لكن للأسف التجاوب الرسمي ليس على المستوى المطلوب، حتى إنَّك تجد الرئيس من هؤلاء، يتجاوب معك فرديًّا ويدفع ويبذل، لكنهم إذا اجتمعوا مع بعضهم لا يصدر عنهم قرار نافع، وقد اجتمع وزراء الخارجية الإسلامية في جدة، ونظروا في قضية البوسنة، ثم أصدروا بعض التوصيات والقرارات، وأمهلوا الموضوع إلى الخامس عشر من يناير، ولا أدري لماذا أخَّروه إلى الخامس عشر من يناير والقضية ساخنة وعاجلة؟

وماذا بعد؟! جاء الخامس عشر من يناير، ومضى يناير كله، ومضى الخامس عشر من فبراير، ويكاد فبراير ينتهي ولم نفعل شيئًا، ما تحركت الدنيا ولا قامت ولا قعدت، المستوى الرسمي هو المؤسف، إنَّما الشعوب والحمد لله تتجاوب، فمن لم يستطع أنْ يجاهد بنفسه، فليجاهد بماله، ومن لم يستطع أنْ يجاهد بماله فليجاهد بلسانه، يدعو لهؤلاء الإخوة، يدعو الله لهم، يوعي إخوانه بقضيتهم، يعيش ألمهم، ويحزن

QaradawiBooks.com

لهم، فحزن القلب هذا من تغيير المنكر الذي قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]. ونسأل الله ﷻ أنْ يخرجهم من محنتهم، وأنْ ينصرنا وينصر المسلمين نصرًا عزيزًا.

**السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها:**

**سؤال آخر**: من صور التحدِّي في المجتمع الإسلامي تصوير الإعلام الغربي للإنسان المسلم بالمتطرف والأصولي وغيرها من المسمَّيات، مما ترك الأثر السلبي في عقليَّة المسلم العادي، السؤال: كيف السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقيَّة؟

**الإجابة**: لا بدَّ والله أن نبذل جهدًا في داخل بلادنا نفسها حتى تتحسَّن صورة المسلمين، الآن توجد حملات شرسة لتصوير الإسلاميين بأنَّهم وحوش، وكان الغرب قديمًا يقول: احذروا الإسلام المتطرف، احذروا المسلمين المتطرِّفين المتشددين. تعرفون ماذا يقولون اليوم؟ احذروا الإسلام المعتدل، احذروا الإسلاميين المعتدلين، هؤلاء أشدُّ خطرًا وأبعد أثرًا، المتطرِّفون قصار العمر لن يطول أمدهم، إنَّما ينبع الخطر من هؤلاء المعتدلين، فهؤلاء جذورهم غائرة في الأرض، هؤلاء عمرهم طويل، ولذلك بعض البلاد الآن بدأت تحارب المعتدلين، دعاة الاعتدال. لماذا يحارَب من ينتخبه شعبه؟ إذا الشعب انتخب شخصًا لمجلس النواب وفاز بأغلبيَّة لماذا تحاربونه؟ ألستم دعاة الديمقراطيَّة؟ دعوا صناديق الانتخابات تحكم. لا، لا يرضون بهذا؛ إذا وصلتَ إلى هذه المرحلة يقطع الطريق عليك،

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، وعن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

إذا انتخبك أصحابك في نقابة من النقابات وفزت، يغلق الباب دونك، إذا كنت إسلاميًّا! يقول: إنَّه في جماعة منظمة، وهي التي تعمل كذا وكذا، الطريق مقطوع عليك.

لكي نستطيع أن نقنع الإعلام الغربي بحقيقة المسلم، نريد أولًا أن نقنع الإعلام العربي والإسلامي، نقول لهم: اتَّقوا الله، اتَّقوا الله، لأنَّ تصوير الأصولية بهذه الصورة تصوير ظالم، ولي أرجوزة، أعددتها وألقيتها في قَطَر عن الأصوليين، على لسان أجهزة الإعلام الجائرة، هي قصيدة ساخرة طويلة، حوالي مائتي بيت، على طريقة الرَجَز، أقول لكم بعض أبيات منها:

**أولئكم هم الأصوليون ... قد خرَّبوا الدنيا وشانوا الدين**
**فجنَّدوا لحربهم كلَّ القوى ... فما لهم غير الفناء من دَوَا**
**فكل يومٍ يكسبون أرضا ... تمتد طولًا بيننا وعرضا**
**حتى غزوا ساحة أهل الفن ... وأفسدوا المخرج والمغني**
**ومن عجيب ما نرى ونسمع ... توبة أهل الفن هذا المفجع**
**ممثلاتٌ ترتدي الحجابَا ... أليس ذاك العجب العجابَا؟!**
**وراقصات يعتزلن الرقصَا ... كأنَّ هذا الرقص صار نقصا**
**من ذا يعيب الهز بالبطون ... وذاك من روائع الفنون؟!**
**أليس من ميراثنا الثقافي ... رياضة البطون والأرداف؟!**

إلى آخر ما قلت، لا بدَّ أن نقوم بعمل مضادّ، نشكو إلى الله أيها الإخوة من هذا التشويه الذي يحدث، هو في الحقيقة ظلم، مع أنَّه لا نجاة لهذه الأُمَّة، ولا سعادة لها ولا حياة لها، ولا وحدة ولا قوة؛ إلا بالرجوع إلى الإسلام. لماذا لا نتيح للإسلاميين الفرص كما

QaradawiBooks.com

أتيحت لغيرهم؟ حَكَمتنا الاشتراكية الثوريَّة، وحَكَمتنا الرأسماليَّة الغربيَّة، اتركوا الإسلام يحكم، دعوا الإسلاميين يجربون، لعلَّهم يفشلون وتستريحون منهم. أمَّا قطع الطريق عليهم وحدهم، فهو ظلم. نسأل الله العافية.

## دور المعلم إزاء هذه التحديات:

**سؤال آخر**: أسمعنا فضيلة الدكتور شيئًا من شعره، وبالمناسبة كانت هناك ورقة حقيقة من إحدى الأخوات تطلب: هل يمكن أن تسمعنا يا دكتور آخر قصائدك؟ وهي أعتقد مُدَرِّسَةً، وتسأل سؤال آخر: ما دوري كمُدَرِّسَةٍ إزاء هذه التحديات؟

**الإجابة**: يكفي هذا الشعر؛ لأننا أطلنا عليكم.

المعلِّم والمعلِّمة في الواقع يقومان بأعظم دور، فالرسول ﷺ يقول: «**إنَّ الله بعثني مُعلِّمًا مُيسِّرًا**»[1]. ومن مهمات النبوة: التعليم، كما أخبرنا الله ﷻ: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. ومن هنا كان دور المعلم والمعلِّمة دورًا ذا أهمية، في التثقيف والتوجيه، وفي التربية والتزكية، والتزكية ليست بالتلقين فقط، بل بالقدوة الحسنة أيضًا، نحن نواجه مفاهيم خاطئة، في حاجة إلى أن نُصحِّحَها، نحن نواجه هجمة فكرية، وغزوة وأخلاقية وسلوكية، وفي حاجة إلى أن نربي أبناءنا وبناتنا على قيم الإسلام وأخلاقيات الإسلام، وهذه مهمة المعلم والمعلمة، وخصوصًا المعلمة؛ لأنَّه موضوع المرأة، يقولون: إنَّ المرأة نصف المجتمع. هذا صحيح من ناحية العدد، لكن المرأة أحيانًا تكون أكثر من النصف، لأنَّها تؤثِّر أيضًا في زوجها، وتؤثِّر في أبنائها، ولذلك

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد في (١٤٥٥٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

عليها مهمَّة عظيمة، إذا كانت معلِّمة كانت عليها مهمة في المدرسة، تقود الجيل الجديد نحو الإسلام الصحيح، وأن تحبِّب إليه الدين، وأن تحبِّب إليه الإيمان وتحبِّب إليه الأخلاق، وتحبِّب إليه الالتزام، خصوصًا إذا كانت نموذجًا وأسوة، فهي تعلم بالقدوة وبالأخلاق قبل أنْ تعلم بالكلام، ولسان الحال أبلغ من لسان المقام.

فعلى الأخت أنْ تؤكد هذا في سلوكها، وتتعبَّد لله ﷻ بتربية جيل من المسلمين والمسلمات، الصادقين والصادقات، الصالحين والصالحات إن شاء الله.

## تحري ليلة القدر:

**سؤال آخر**: كان رسول الله ﷺ يتحرَّى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، وكان يوقظ أهله في الليالي العشر، رجاء أنْ يدركوا ليلة القدر، فكيف يَعرف المرء ليلة القدر بمفرده؟ وشكرًا.

**الإجابة**: لا! ليلة القدر غير معروفة تمامًا، وهي كما جاء في الحديث: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**»[(١)]، وفي بعض الأحاديث: «**تحرَّوها في السبع الأواخر**»[(٢)]، وفي بعضها: «**في الأوتار**»، يعني الليالي الوتريَّة، ولكن حتى الليالي الوتريَّة هذه تختلف؛ لأننا بدأنا الصيام هنا يوم الاثنين، ولكن هناك بلاد بدأت يوم الثلاثاء، فليلة القدر يا ترى ستكون في وتر مَنْ؟ الله أعلم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٦)، ومسلم في الصيام (١١٦٧)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٥)، ومسلم في الصيام (١١٦٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ولذلك فالأوْلى بالمسلم أنْ يحيي رمضان كله، ويكثر من الصَّالحات في العشر الأواخر، كما كان النبي ﷺ، إذا دخل العشر، أحيا ليله ـ أيْ كُلَّه ـ وشدَّ مِئزرَه، وأيقظ أهله، أيقظ زوجاته يشاركنه هذا الخير، لأنَّها ليلة خير من ألف شهر، أي أفضل من ثلاثين ألف ليلة. تصور قدر المضاعفة، الناس الآن إذا قيل إنَّ هناك تنزيلات وتخفيضات من عشرين إلى خمسين أو ستين في المائة ـ وأحيانًا يكون هذا غير صحيح ـ تجدهم يذهبون لشراء ما لا حاجة لهم به، فقط لأنَّ هناك تنزيلات! فيا أخي هذا (أوكازيون) ربَّاني، والزيادة فيه ليست عشرين في المائة، ولا مائة في المائة، ولا مائتين في المائة، ولا ألف في المائة، إنَّما ثلاثين ألفَ ضعفٍ، ليلةٌ تُضاعف ثلاثين ألف مرة، من الأحمق الذي يضيِّعها؟ ولذلك قال النبي ﷺ في أول شهر رمضان: «**أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله ﷻ عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مَردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم**»[(١)]. وقد جاء في الصحيح: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(٢)]. وهذا ما جعلني أقول أيُّها الإخوة في بداية محاضرتي: ينبغي أن نحتسب وجودنا هنا وجلوسنا هنا قيامًا، إحياءً لهذه الليلة، فبدلًا من أن نُضيع وقتنا أمام شاشات التلفاز أو مع الأصدقاء، في الكلام عن فلان وفلان، جلسنا في جلسة علم، والعلم ذِكْر، فنحن نذكر الله ﷻ الآن، إذا صحَّت نيَّاتنا في إحياء هذه الليلة، ولعلها ليلة القدر، من يدري؟!

(١) رواه أحمد (٧١٤٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح ورجاله رجال الشيخين. والنسائي في الصيام (٢١٠٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافر (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أخفى الله عنا ليلة القدر كما أخفى عنا آخر العمر ـ فلم يُعْلمنا متى نموت ـ كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، كما أخفى اسمه الأعظم ضمن الأسماء الحسنى، لماذا؟، لنحيي رمضان كله ونَزيد نشاطًا في العشر الأواخر؛ لأنَّنا لو عرفنا أيَّ ليلةٍ هي ليلة القدر، لظللنا نائمين حتى تلك الليلة، ولا نقوم في غيرها! وليلة بثلاثين ألف ليلة ليست هينة، فلتجتهد يا أخي، وصلِّ صلاة خاشعة، وابحث عن مسجد مطمئن وانْوِ فيه الاعتكاف، خصوصًا في العشر الأواخر.

شهدنا في الصغر، كان بعض الناس يصلي التراويح، بعشرين ركعة يقرأ في كل ركعة أول آية من أول ربع من سورة البقرة، حتى يضبط العدد، وحين تكون الآية طويلة، يقطع منها جزءًا، مثل آية: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، يراها طويلة فيقرأ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ فقط، ثم يكبِّر راكعًا، أو يقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦]، ثم لا يكمل الآية.

هذا ما شهدناه، لكنَّ الذي يريد ليلة هي خير من ألف شهر، لا بدَّ أنْ يُتعِبَ نفسه قليلًا، ووالله إنَّه سيفوز بخير كثير، يكفي أنَّه سيكسب المغفرة، أنْ يُغفر له ما تقدم من ذنبه، ويكسب الحسنات المضاعفة، نسأل الله ﷻ أنْ يوفقنا إلى إحياء هذه الليلة، وأنْ يجعلنا ممَّن صام هذا الشهر وقامه إيمانًا واحتسابًا فغفر له ما تقدم من ذنبه.

## الإعلام الأوربي والقِيَم:

**السؤال:** في الحقيقة هناك سؤال يحتاج إلى التعليق، أحد الأخوة يسأل عن تركيب المحطات الهوائية التي تسمح بالنقل من شرق آسيا

QaradawiBooks.com

وأوربا في المحطات التلفزيونية؟ ويقول: لا يستطيع أي شخص في البيت أنْ يمنع ابنه أو أبناءه عن مشاهدة أي فيلم في التلفاز! فهل وجود التلفزيون المليء بالمحطات المتعددة (الدش) حلال أم حرام؟ وكيف؟

**الإجابة:** حقيقة أنا أرى بتحريم ما يسمونه «الدِّش» هذا، لأنَّه باب إلى فساد كبير، وعندنا في الشريعة ما يسمَّى سد الذرائع، بمعنى ترك الشيء الذي يوصِّل إلى الفساد، قد يكون في أصله مباحًا ـ لأنَّ الإباحة هي الأصل في الأشياء ـ لكنَّه يَجُرّ إلى فساد فيكون حرامًا. هذه الأدوات هي بحسب ما تستخدم له، فإذا سألتني: الإذاعة ـ أو التلفاز ـ حلال أم حرام؟ لا أستطيع أنْ أفتيك حتى أعلم أولًا: فيم يُستخدم؟ مثل من يسأل: السيف حلال أم حرام؟ البندقية حلال أم حرام؟ البندقية مثلًا في يد المجاهد هي أداة عبادة، وفي يد قاطع الطريق أداة إجرام وإفساد، لذلك لا نستطيع أن نحكم على شيء من هذه الأشياء إلا بعد معرفة: فِيمَ يستخدم؟!

ألا يكفينا ما نعانيه من الإعلام في بلادنا حتى نضيف إليه الإعلام الآخر حتى يأتينا بالفضائح.

والسؤال: لماذا نريد هذه الأشياء؟، فإن كان من أجل الأخبار فتستطيع سماع الأخبار عن طريق «سي إن إن» وغيرها، بينما هذه الأشياء ستأتي لنا بالمحطَّات التي لا تبالي بشيء.

وأنا في الحقيقة شاهدت بعض هذا، كنت في ألمانيا وأفتح التلفاز فوجدت مناظر لا يمكن أنْ يتحمَّلها مسلم، ونحن في مؤتمر البوسنة والهرسك وجدنا الأوربيين لا يستحون من شيء، وقد قال لي أحد الشباب أن أباه أتى بهذا في البيت ويجلس يشاهد، فهذا رجل كبير ومع ذلك يتفرج على مثل هذه الأشياء، أمَا تخاف على امرأتك، على ابنتك،

QaradawiBooks.com

على ابنك، هذه الأشياء قد تدمِّرهم، فلماذا نفتح باب الشَّر على أنفسنا؟ وهناك مثل مصري يقول: (الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح)، ولذلك أنا أفتي بتحريم هذه الأشياء، ولا ينبغي أن نتساهل فيها.

لكن ينبغي أيضًا شيء آخر، ينبغي أن نطور إعلامنا، نريد إعلامًا قويًّا، فبعضهم يقول لي: لكي أرى الخبر كما ينبغي فإنَّي أراه في القنوات الأوربية، لأنَّ عندنا قضايا عليها تعتيم إعلامي، وقضايا يأتونك منها بجزء ويخفون جزءًا، أمَّا هؤلاء فيتتبعون الخبر ويأتون به من مصادره الأصلية، ويرسلون لذلك مراسلًا ويتواصلون معه بالهاتف، يأتونك بالأخبار على حقيقتها في كثيرٍ من الأحيان.

نحن في حاجة إلى أن نطور برامجنا الإخباريَّة، وبرامجنا التوجيهيَّة، والتثقيفيَّة، حتى برامجنا الترفيهيَّة، نريد إعلامًا يخدم الأمة حقيقةً، ليُحصِّن الناس من هذا الإعلام الغازي، فهو غزو خطير. يجب على دولنا العربية والإسلاميَّة، وعلى المسؤولين عن الأجهزة التلفزيونيَّة وعن الإعلام، ووزراء الإعلام بصفة عامة، أنْ يتقوا الله في هذه الأمة، ويحاولوا الوقوف أمام هذه الموجة الغازية العاتية المدمِّرة، وإلا فلا يعلم إلا الله وحده ماذا تكون عواقب هذا الأمر، وإلى الله المشتكى، والله المستعان، وعليه التكلان.

**الدعاء:**

ـ هناك طلب في الختام، الدعاء عسى أنْ تكون هذه الليلة أن تصادف ليلة القدر فيستجاب لنا إنْ شاء الله.

ـ إنِّي داعٍ فأمِّنُوا: اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ تقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، اللهم ما قصَّرنا فيه فاغفره لنا، اللهمَّ اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

اللهمَّ اجعلنا ممن صام هذا الشهر وقامه إيمانًا واحتسابًا فغفرت له ما تقدم من ذنبه.

اللهمَّ اجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

اللهمَّ اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ حبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنْهُ في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

اللهمَّ أعنَّا على شهوات أنفسنا، وأصلح فساد قلوبنا، اللهم طهِّر أقوالنا من اللغوْ، وطهِّر أعمالنا من العبث، وطهِّر أنفسنا من الضعف، وطهِّر قلوبنا من الغش، وطهِّر ألسنتنا من الكذب، وطهِّر أعيننا من الخيانة، وطهِّر أعمالنا من الرياء.

اللهمَّ كن لنا ولا تكن علينا، وأعنَّا ولا تُعنْ علينا.

اللهمَّ أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمَّ افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمَّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الله انصر إخواننا في فلسطين، اللهم انصر إخواننا في لبنان، اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك، اللهم انصر إخواننا في جامو وكشمير، اللهم انصر إخواننا في الفلبين، اللهم انصر إخواننا في إريتريا، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين حيث ما كانوا.

اللهمَّ فُكَّ أسرى المأسورين، اللهم فُكَّ أسرى المعتقلين، اللهم افْكُك بقوَّتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولَّ بعنايتك أمرهم.

اللهمَّ احرس المستضعفين من المسلمين بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك، اللهم عليك باليهود، اللهم عليك بالصربيين، اللهم عليك بالهندوس، اللهم عليك بالشيوعيين، اللهم عليك بالعلمانيين واللادينيين، اللهم عليك بالجبابرة الظالمين، اللهم عليك بالجبابرة الظالمين، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الإسلام.

اللهمَّ إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم رُدَّ عنا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهمَّ إنا نسألك في شهرنا هذا وفي ليلتنا، أن تجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عنا.

اللهمَّ لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا مبتلًى إلا عافيته، ولا ضالًّا إلا هديته، ولا مشرَّدًا إلا آويته، ولا مظلومًا إلا نصرته، ولا ظالمًا إلا قصمته، ولا ميتًا إلا رحمته،

QaradawiBooks.com

ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيهـا صلاح ولك فيها رضًا إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ نوِّرْ على أهل القبور من المسـلمين قبورهم، اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقهم من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، واغفر لنا وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذريَّاتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم آمين، وصَلِّ اللهم على عبدك ورسـولك محمـد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

والسلام عليكم أيُّها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

# دعائم المجتمع المسلم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمه تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، لقد جاءت رسلُ ربِّنا بالحقِّ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله على آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وأحيِّيكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ بتحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لجِدُّ سعيد أنْ ألتقي بهذا الشباب المسلم المؤمن إنْ شاء الله في هذه الجامعة العتيدة، وليس أشرح لصدر المسلم من أنْ يلتقي بالشباب الذين هم عدَّة الغد وذخيرة الأُمَّة، والذين هم عماد النهضات وحملة الرسالات دائمًا، كان أتباع موسى عليه السلام شبابًا، كما حكى الله تعالى في القرآن: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٣]. وكان أصحاب رسول الله ﷺ في مجموعهم

(١) ألقيت بالمملكة العربية السعودية، في عام ١٩٧٦م.

QaradawiBooks.com

شبابًا، كان أبو بكر رضي الله عنه أكبرهم، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره حينما أسلم، وكان منهم مَنْ كان في السابعة والعاشرة، وهكذا، كان أصحاب رسول الله ﷺ شبابًا، وكان حمَلَة الرسالات شبابًا، وقد قصَّ الله علينا قصَّة أهل الكهف مُثنيًا مادحًا فقال لرسوله ﷺ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

## شباب الجامعات طليعة الأُمَّة:

ثمَّ ارتقى الإسلام بالشباب المؤمن، وفي قلب الجامعة الشباب الجامعي الذي يمثل القيادة الفكرية، ويمثل الطليعة للأُمَّة، وكم أُريدَ للجامعات في بلادنا أنْ تكون طلائع الإلحاد، وطلائع الانحلال، وأنْ يُربَّى شبابها بعيدًا عن الإسلام، ولكن الله تعالى ردَّ كيد هؤلاء في نحورهم، وأعاد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وعاد شباب الإسلام إلى الإسلام، وها نحن نرى في كلِّ جامعة ـ والحمد الله ـ جماعات دينيَّة، ومعسكرات إسلاميَّة، وشبابًا يحرصون على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسوله ﷺ، وهذا ما نُسَرُّ له، وتنشرح له صدورنا، وتبتسم له ثغورنا، ونحمد الله تعالى عليه، ونسأله أنْ يزيد شبابنا من فضله، وأنْ يثبِّت على الحقِّ أقدامهم، وأنْ يُسدِّد في طريق الخير خطاهم.

## دعائم المجتمع المسلم:

فِيمَ أُحدِّثُكم أيُّها الشباب؟ لقد خطَر لي وأنا قادم إليكم أنْ أحدِّثَكم فيما أعلن عنه أخونا الأستاذ عبد المتعال، وهو كيف نبني المجتمع المسلم؟ كيف يبني الإسلام المجتمع المسلم؟ وإذا قلنا: المجتمع المسلم. نعني المجتمعَ الصَّالح، المجتمعَ الفاضل، المجتمعَ الربَّاني، المجتمعَ الإنساني، المجتمعَ الأخلاقي، المجتمعَ الذي حاز الفضائل وتنزَّه عن

QaradawiBooks.com

الرذائل، كيف يبني الإسلام هذا المجتمع؟ ما هو منهج الإسلام في بناء هذا المجتمع؟ إنَّني إذا أردت أنْ ألخّص دعائم بناء هذا المجتمع، الذي ينبغي أنْ تكتب فيه كتبٌ وبحوثٌ، أستطيع أنْ ألخِّصَها في أربع دعائم.

## الدعامة الأولى: التربية:

أوَّل ما يسعى إليه الإسلام، ويحرص عليه هو تربية الفرد الصالح، إنَّ المجتمع يتكوَّن من الأفراد، فالمجتمع أشبه بصرح، أو بناء، أو جدار، يتكوَّن من لَبِنات، ولا يمكن أنْ يقوم الصَّرح من لَبِنات خاوية، أو واهية، أو ضعيفة، أصْلِحْ اللبنة أولا، كَوِّنْ اللبنة القوية ابتداءً، هذا هو الفرد الصَّالح، صلاح الفرد، يجب أنْ يصلح الفرد، فبصلاحه يصلح المجتمع، هذا هو بداية الطريق، هذه هي عصا التحويل، كيف تحول المجتمعات؟ كيف تغيرها؟ بِمَ يكون التغيير الاجتماعي؟ لا يكون بإصدار قوانين، أو قرارات، أو تغيير لوائح، وإنَّما ببناء الفرد الصالح أولًا، يقول الجماعة الماركسيون: غَيِّر الاقتصاد، أو غَيِّر علاقات الإنسان؛ يتغيَّر التاريخ. لكنَّ الإسلام يقول غير هذا، يقول: غيِّر نفسَك يتغيَّر التاريخ. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. النفوس هنا هي المفتاح للتغيير، النفوس هي عصا التَّحويل كما قلت، إذا أردت أنْ تُغيِّر مسيرة القطار ـ مثلًا ـ من شرق إلى غرب، أو من غرب إلى شرق، أنت لا تحمل القطار لتغيِّر مساره، هناك عصا أو أداة تقوم بتحويله، فيتحول من ذهاب إلى إياب، ومن إياب إلى ذهاب، عصا التحويل في الإنسان هي نفسه، هي ضميره، هي قلبه، هذه المُضغة الَّتي «**إذا صَلَحَتْ صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسَد الجسد كلُّه، ألا وهي القَلْبُ**»[1]. فلا بدَّ من تغيير الأنفس أوَّلًا.

(١) متَّفق عليه: البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

## منهج النبيِّ ﷺ في التغيير:

ماذا صنع النبيُّ ﷺ حينما أراد أن يُغيِّر المجتمع العربيَّ الجاهليَّ إلى مجتمع إسلاميٍّ، حينما أراد أنْ يغيِّر العقائد والمفاهيم والأفكار والمشاعر والأنظمة والأوضاع؟

أوَّل شيء قام به هو تغيير الأنفس، صنع جيلًا مسلمًا مؤمنًا، قبل أنْ يُغيِّر الاقتصاد، ويغيِّر السياسة، إلخ، غيَّر الأنفس أولًا، دعا إلى العقيدة السليمة، إلى الإيمان، إلى لا إلٰه إلَّا الله، إلى تحرير النفس الإنسانية من الوثنية، من الخضوع لغير الله ﷻ، حيث لا تعنو الوجوه إلَّا لله، ولا تتعفر الجباه إلَّا لله، ولا تنحني الظهور إلَّا لله، ولا تطأطئ الرؤوس إلَّا لله، هذا هو التحرير الحق، فبناء الفرد يكون أولًا بالعقيدة السليمة، بالإيمان الحق، فالإيمان هو الذي يبني الأفراد، ويصبُّ في عروق الناس دمًا جديدًا، الإيمان هو الذي يغيِّر الإنسان، هو الذي ينشئه خلقًا آخر.

## صنيع الإيمان بسحرة فرعون:

انظر مثلًا إلى الصورة الَّتي ذكرها القرآن الكريم عن الإنسان، كيف يتغير حينما تخالط بشاشة الإيمان قلبه، الإنسان المصري بالذات، وهو مثل لكلِّ إنسان، تتمثل هذه الصورة في سحرة فرعون.

اقرأ هذه الآيات من سورة الشعراء: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۞ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ

QaradawiBooks.com

نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۞ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢ ـ ٥١].

ومن سورة طه يحكي الله تهديد فرعون لهم: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۞ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧١ ـ ٧٣].

انظر كيف تغيَّرت شخصياتهم، وكيف انقلبت موازينهم؟ لقد كانت همَّتُهم مشدودة إلى المال: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؟ وكانت آمالهم منوطة بفرعون: ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا.

فلمّا ذاقوا حلاوة الإيمان كان جوابهم على التهديد والوعيد في بساطة ويقين: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾. وبعد أنْ كان همهم الدنيا، صار همهم الآخرة: ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾. وبعد أنْ كانوا يحلفون بعزَّة فرعون صاروا يقولون: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾. تغيَّر الاتِّجاه، وتغيَّر المنطق، وتغيَّرت الألفاظ، وأصبح القومُ غيرَ القوم، وما ذلك إلا من صنيع الإيمان.

QaradawiBooks.com

## الإيمان يصنع التغيير دون قيود:

الإيمان هو مصدر القوَّة، هو الذي ينشئ الإنسان خلقًا آخر، لذلك إذا أردنا أن نصنع مجتمعًا ينبغي أن نغيِّر الإنسان بالإيمان، فالإيمان هو القادر على تغيير الإنسان، دون قيود ولا شروط.

إنَّهم في مجال التربية اشترطوا لتغيير عادات الإنسان، وإكسابه عادات جديدة، والتأثير فيه، أن يتم ذلك في السنوات المبكرة من حياته، في سنوات الطفولة، وأعلنوا عجزهم بعد هذه السنوات، لكن الإيمان لا يقف عند حد، فهؤلاء السحرة شبُّوا، وشابوا، وشاخوا على الضلال، ومع هذا عندما دخل الإيمان قلوبهم غيَّرهم، فلا تقف أمام الإيمان عقبة ولا عائق إطلاقًا.

انظروا إلى العرب، ما الذي غيَّر العرب، وكيف صنع بهم النبي ﷺ أمَّة جديدة، ودولة جديدة، وحضارة جديدة؟ إنَّما غيَّرهم الإيمان.

## عمر بن الخطاب:

أضرب لكم مثلًا برجلٍ مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان عمر رجلًا في الجاهليَّة غليظًا شديدًا على ضعفاء المسلمين، مهملًا لعقله بعبادة الأصنام، فهو مثال للإنسان العربي الجاهلي في ذلك الوقت، فسد منه العقل، وفسد منه القلب ـ وما الإنسان إلَّا عقل وقلب ـ حينما دخل الإيمان قلبه غيَّره، فأصبح عمر هذا الذي كان يعبد الأصنام، يقف أمام الحجر الأسود ويقبله ويقول: والله إنِّي لأعلم أنَّك حَجرٌ لا تَضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبلتك[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورأى عمر بعضَ الناس يذهبون إلى شجرة الرضوان ـ الَّتي بايع النَّبي ﷺ أصحابه تحتها يوم الحديبية ـ ويحاولوا أن يتبركوا بها، أو نحو ذلك، فأمر رضي الله عنه بقطعها، سدًّا للذريعة، فعن نافع قَالَ: بلغ عمر بن الخطاب أنَّ ناسًا يأتون الشجرة الَّتي بويع النبيُّ ﷺ تحتها، قال: فأمر بها فقطعت[١]. لقد حرَّر الإسلام عقله.

أيضًا غيَّر الإسلام قلبَه وعاطفته، فإذا هو الإنسان الذي يتعسَّس بالليل ويتحسَّس آلام الضعفاء والمساكين والأرامل؛ ليتسمَّع صرخة مظلوم، أو أنَّة مريض فيسعفَه، وأنتم تعلمون قصص عمر وعسسه بالليل، وكيف كان يفعل للإنقاذ والإسعاف، ويحمل الدقيق على ظهره، إلى آخر ما نعلم، بل هو يقول: والله لو عثرت بغلة بشطِّ الفرات لرأيتني مسؤولًا عنها أمام الله؛ لِمَ لمْ أسوِّ لها الطريق[٢]؟

**الفرد الصالح أساس الإصلاح:**

ما الَّذي جعل عمر كذلك؟ إنَّه الإيمان، لهذا كان إيجاد الفرد المؤمن الصالح، هو أوَّل ما ينبغي لصلاح المجتمعات؛ لأنَّ الفرد المؤمن الصالح إن كان حاكمًا عدل في حكمه سيعف، وإذا كان خازنًا على مال لن يسرق، وإذا كان قاضيًا لن يظلم، وإذا كان في أي عمل سيقوم بواجبه، لن يأكل أموال النَّاس بالباطل، ولن يعطِّل مصالح الناس، ولن يحيف على أحد من أجل رشوة، أو من أجل زلفى.

الفرد الصالح هو الأساس، ولا يمكن أنْ يصلح أي شيءٍ بغيره، يمكن أنْ تصنع برامج حسنة في التربية، ويمكن أنْ تؤلف كتبًا جيدة، ولكن

(١) رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٧٦٢٧).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١).

QaradawiBooks.com

بدون المُعلِّم الصالح تظلُّ هذه الكتب حبرًا على ورق، تظلُّ مادة ميِّتة، ويمكن أنْ تصنع قوانين عادلة، بل يمكن أنْ تكون هناك قوانين إسلاميَّة، ولكن إذا لم يطبقها مسلمون أو مؤمنون، سيكون القانون أعوجًا، في يد القاضي صاحب الضمير الأعوج؛ ولذلك قيل: ليس العدل في نصِّ القانون وحده، ولكنَّ في ضمير القاضي أيضًا، هذه أهميَّة القانون بالنسبة لمن يقضي ويحكم، أمَّا المحكومون بالقانون فقد قال قائلهم:

**لن يَصْلُحَ القانونُ فينا رادعًا حتَّى نكونَ ذوي ضمائرَ تَرْدَعُ**

يمكن أن تشتري سلاحًا، وتدرِّب عليه الأفراد، ولكن ساعة الشدة يفرُّون ويولون الأدبار، ويتركون السلاح غنيمة باردة للأعداء، كما حدث سنة (١٩٦٧م)، كانت عندنا الدبابة، وزنها ستون طنًّا من الفولاذ، ولكن كم وجدنا مَنْ يتركها ويلوذ بالفرار! فلا بدَّ أولًا من إيجاد الفرد المؤمن الصالح، لأنَّ السلاح وحده لا يقاتل، كما قال الطغرائي قديمًا في لامِيَّته:

**وعادةُ السَّيْفِ أنْ يُزْهَى بجَوْهَرِهِ وليس يَعْمَلُ إلَّا في يَدَيْ بَطَلِ**[1]

وكما قال المتنبي:

**وما تَنْفَعُ الخَيْلُ الكِرَامُ وَلَا القَنَا إذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ**[2]؟

يعني: ماذا تفعل الخيل من غير خيَّال؟ فالفرد الصالح هو المهم.

وكذلك لا ينفع الحديث عن الاقتصاد دون العناية بالإنسان، فالإنسان هو الذي ينتج، وهو الذي يستهلك، وهو الذي يتداول الثروة، وهو الذي يُوزِّعها أو تُوزَّع عليه؛ ولذلك لا بدَّ من العناية بإيجاد الفرد الصالح.

---

(١) انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) ديوان المتنبي صـ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

ومن هنا أقول: إنَّ الإسلام يُعنى ـ أول ما يُعنى ـ بتربية الفرد الصالح، بتربية الفرد المسلم، بالعقيدة أولًا، وبالعبادة، وهي ثمرة العقيدة، وبالأخلاق، وهي ثمرة العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والنبي ﷺ يقول: «**إنَّما بُعِثتُ لأُتمِّم مكارم الأخلاق**»[1]. فالإنسان المسلم مؤمن، عابد، ذو خلق، فهو صدوق، أمين، طهور عفيف، محْصَن لا يعتدي على غيره، ولا يأكل حقَّ غيره، نظيفٌ حييٌّ، كريم سخي، شجاعٌ قويٌّ، هذا هو المسلم.

## تربية الفرد المسلم مسؤولية الجميع:

إذا أوجدنا الفرد المسلم الصَّالح كان هو النواة الأولى، أو هو حجر الزاوية لبناء المجتمع الصَّالح، فأول دعامة لبناء المجتمع المسلم هي العناية بتربية الفرد، تربية الفرد، ويجب أنْ يتعاون على تربيته كلُّ ذي مسؤوليَّة، فمسؤوليَّة تربية الفرد تقع على المدرسة، وتقع على الجامعة، وتقع على الأسرة، وتقع على أجهزة الإعلام، وتقع على المسجد، تقع على كلِّ ذي توجيه، وكلِّ ذي مسؤوليَّة، هؤلاء جميعًا يجب أنْ يتعاونوا على تربية الفرد الصالح، لا يكفي أنْ يؤدِّي المسجد دورًا، ثم يأتي التليفزيون ـ مثلًا ـ ليبدِّد ما يبنيه المسجد، كما قال الشاعر:

**مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ  إذا كنتَ تَبْنِيهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ**[2]**؟**

لو فُرِضَ أنَّ خطيبًا من أنجح الخطباء والوعَّاظ تأثيرًا في الناس قام في كلِّ أسبوع ثلث ساعة، أو نصف ساعة، يوجه الناس في مسجد خير

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) البيان والتبيين (٢٨٥/٣).

QaradawiBooks.com

توجيه، ويؤثر فيهم خير تأثير؛ فإنَّ هذا التوجيه والتأثير سرعان ما يضيع، عندما يخرج الإنسان إلى المجتمع، فيمسك الصحيفة، فيجد فيها صور العراة، ويجد فيها المقالات الموجهة إلى الإلحاد والانحلال، ويسير في الطريق، فيرى الكاسيات العاريات أمامه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن يساره، ويستمع في الإذاعة إلى الأغاني الخليعة، ويرجع إلى البيت ليشاهد في التلفاز المسلسلات الهابطة، والأفلام الَّتي تموج بالأجساد العارية، ويقرأ القصة فيرى الشرَّ بكلِّ ألوانه وأطيافه، هذه كلها أشياء مؤثرة تبدِّد ما يبْنيه المسجد، فالمسجد وحده لا يمكن أنْ يؤثِّر في تربية الفرد، ولا تستطيع الأسرة وحدها أنْ تقوم بدورها الصحيح، وعلى أكمل وجه، بجوار هذه الأجهزة، ولذلك يجب على هذه الأجهزة جميعًا أن تتعاون على تربية الفرد الصالح، فلا يكون هناك ناحية تبني ونواح تهدم، لا يصح أنْ يقابَل البناء بالهدم أبدًا، وإذا كان عدد الهدَّامين أكثر، وعدد البنَّائين أقلَّ تكون المصيبة، فكيف إذا كان الهدم أسهل وأسرع؟ كما قال الشاعر قديمًا:

**فَلَوْ أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فكيف ببَانٍ خَلْفَهُ ألفُ هَادِمِ**[1]؟!

هادم واحد يكفى لهدم ما يبنيه ألف بانٍ؛ لأنَّ الهدم سريع، وخاصَّة إذا كان الهدم بالطرق العصريَّة، كان الناس في الماضي يهدمون بالفأس والمعول، والآن يهدمون بالألغام الَّتي تأتي على ناطحة السحاب من قواعدها في ثواني معدودة، والهدم في المعنويَّات شبيه بالهدم في الماديَّات، ولذلك إذا أردنا أن نُكوِّن الفرد الصالح لا بدَّ أنْ تتَّجه كل

(١) من شعر عبد الله بن الريَّة المالقي. انظر: أعلام مالقة صـ٢٢٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الأجهزة إلى البنـــاء لا الهدم، إلى التكوين لا التدمير. فهذا هو الشـــرط الأول أو الدعامة الأولى في بناء المجتمع الصالح: بناء الفرد الصالح من خلال التربيـــة المتكاملة، الَّتي تتعـــاون عليها كل الأجهـــزة، فهو اللبِنة الأولى في هذا المجتمع.

**الدعامة الثانية: التطهير والوقاية:**

بعد التربية والهداية ـ إنْ صح هـــذا التعبير ـ يأتي التطهير والوقاية، فلكي تحافظ على الفرد سليمًا صحيحًا يجب أنْ تبعد عنه أسباب الفساد وأسباب العدوى، فكما أنَّ الأمراض الحســيَّة تعدي، كذلك الأمراض المعنويَّة تعدي، ولعلَّها أشـــدُّ إســـراعًا في العدوى، فلا بـــدَّ من عمليَّة تطهير، لا بدَّ من تنظيف البيئة، ومن هنا يعمل الإســـلام على أن نُطَهر المجتمع من أســـباب الفســـاد، ومن أســـباب الإجرام، ومن أســـباب الانحراف، قبل أن نقول للشـــخص: لا تزني. لا بدَّ أن نربيه أولًا على مراقبة الله، وعلى خُلق الإحصان والعفاف، على أنَّه إذا راودته امرأة ذات منصب وجمال أن يقـــول: إنِّي أخاف الله ربَّ العالميـــن. على أنْ يقول ما قال يوســـف لامرأة العزيز، وقد غلَّقت الأبواب، وهيَّأت الأســـباب وقالت: هيت لك: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. لا بدَّ من هذه التربية.

وليس كلُّ الناس كيوسف الصِّدِّيق، فالإنســـان إنسان، والبشر بشر، والغرائز لها ســـطوتها، وقد علمتم أنَّ بعض علماء النفس يجعل الغريزة الجنســـية ـ أو الدافع الجنسي ـ هو الموجِّه لســـلوك الإنسان، كما ترى مدرســـة «التحليل النفســـي»، فهذه المدرســـة تُحلِّل وترجِّع كلَّ سلوك الإنسان إلى الغريزة الجنسيَّة.

QaradawiBooks.com

ونحن لا نوافق على هذا الغلوّ على أنَّ الغريزة الجنسيَّة، أو غريزة الاستعلاء، أو الاقتصاد، أو أي شيء آخر هو المحور الموجه للسلوك الإنساني، أو التاريخ الإنساني؛ لأنَّ التاريخ الإنساني، والسلوك الإنساني، والاقتصاد الإنساني، عوامل متشابكة يؤثِّر بعضها في بعض، ولكنِّي أقول هذا لأثبت عتوَّ هذه الغريزة، أو عتوَّ هذا الدافع، ولذلك فنحن لسنا في حاجة إلى أن نقوِّي هذا الدافع وننميه، ونشعل جذوته، بالأغاني والصور والأفلام، وغيرها، الَّتي تُسعِّر الشهوات، وتزيد النار اشتعالًا، نحن في حاجة إلى أن نطفئها، علينا أن نفعل ذلك أولًا، ثمّ نقول للشباب: غضَّ بصرك وحَصِّن فرجك، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]. وإلا فكيف يستجيب الشباب لهذا النداء، واللحم الحرام يُعرض عليه له في الطرقات؟ لا بدَّ أن نُطهِّر المجتمع من أسباب الفساد والغَواية، لتوتي التربية أكلها.

قبل أن تطالب بإقامة حدِّ الزنى على من يزني، طهِّر المجتمع أولًا من أسباب الإغراء بالزنى والتحريض على المعصية؛ ولهذا قال الله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. كلُّ هذا حتى ننقي المجتمع من أسباب الفساد والفتنة، فالتطهير لا بدَّ منه.

QaradawiBooks.com

وقبل أن نقيم حد السرقة لا بدَّ أن نعمل على تطهير المجتمع من أسباب الإثراء الفاحش من حرام، من التفاوت الذي لا أساس له، من اللصوص الذين يرتفعون إلى القمم دون جهد، فإنَّك إذا جئت إلى العامل الذي يتعب ويكدُّ يمينه، ويعرق جبينه، ولا يجد ما يتقوَّت به، لتعاقبه إذا سرق يقول لك: ألم تجد إلَّا إيَّاي لتعاقبه، لماذا لا تعاقب اللصوص الكبار، الذين يسرقون بالمليارات؟

فلا بدَّ من إقامة عدالة اجتماعيَّة، وتكافل اجتماعي، لا بدَّ من تطهير المجتمع من أسباب الفساد، لا بدَّ أن نقوم بعمليَّة وقائيَّة، فالوقاية خيرٌ من العلاج، ودرهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج، كما يقولون.

هذا التطهير لا بدَّ منه، ونحن نسمِّيه في الشريعة الإسلامية سد الذرائع، وهو سدُّ الطريق إلى الشر، كما يقولون: الباب الذي يأتي منه الريح أغلقه واسترح. أغلق الباب الذي تأتي منه رياح الفتنة، هذه هي الطريقة الإسلامية، لا أنْ تفتح الباب، وتحاول صدَّ الرياح، أغلقه أولًا أفضل وأسلم، قم بالوقاية والتطهير أولًا، هذه هي الدعامة الثانية.

## الدعامة الثالثة: الكفاية والإشباع:

ثمَّ تأتي الدعامة الثالثة، وهي عمليَّة الكفاية والإشباع من الحلال، ماذا يعني هذا؟ لكي أمنع الزنى ـ مثلًا ـ ينبغي أنْ أسدَّ الطريق إليه ـ كما قلت ـ من باب الوقاية، أضع ألف باب وباب، أو ألف حاجز وحاجز، في سبيل الوصول إلى الزنى، ولكن ينبغي أيضًا أن أفتح إلى الحلال ألف باب وباب، بأن أشجِّع الزواج الحلال، وأيسِّرُ الطريق إليه، وأعين الشباب عليه، وأمنع المعوقات إليه، وهكذا.

QaradawiBooks.com

ينبغي أنْ تسير الوقاية والإشباع جَنْبًا إلى جَنْب، حينما يجد الإنسان الطريق إلى الحرام عسيرًا، ويجد الطريق إلى الحلال ميسَّرًا، فسيسلك الإنسان السويُّ المعتدل طريق الحلال بطبيعة الحال، ومن هنا قال القرآن في سورة النور، وهي الَّتي جاءت بحدِّ الزنى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور٣٢]. الأيم: هو غير المتزوج سواءً كان رجلًا أو امرأة. وأنكحوهم: أي زوجوهم. وهذا خطاب للمجتمع، فالمجتمع كلُّه مسؤول عن تزويج الأيامى، لا يجوز أنْ يبقى الفتيان عزَّابًا لا يستطيعون أنْ يتزوَّجوا، ولا أنْ تبقى الفتيات عوانس لا يستطعن أنْ يتزوَّجن، هذه مسؤولية المجتمع كلِّه.

ولذلك كان سيدنا عمر رضي الله عنه، يُعين على الزواج من بيت مال المسلمين، وكان النبي ﷺ يفعل هذا، وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان مناديه ينادي في كلِّ يوم: أين المساكين؟ أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المُتَزَوِّجون[1]؟ لكي يسدَّ حاجتهم من بيت المال، وليعطيهم ما يعينهم على الزواج من مهر ونفقة من بيت المال، لأنَّ الإسلام يحثُّ على هذا.

فقبل أنْ أقطع يد السارق لا بدَّ أن أشبع كلَّ جائع، وأشغِّل كلَّ عاطل، وأكسو كلَّ عارٍ، وأعالج كلَّ مريض، وأُنصِف كلَّ مظلوم، ومن يسرق بعد ذلك لا بدَّ أنْ تقطع يده؛ ولذلك شرعَ الإسلام قانون الزكاة قبل أنْ يُشرِّع حدَّ السرقة، لقد جاء حد السرقة في القرآن في آية واحدة في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦٩٦/١٢)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ولكن جاءت الزكاة في ثمانٍ وعشرين موضعًا في كتاب الله مقرونة بالصلاة، من هنا يتبين لنا أنَّه علينا ـ قبل أن نقيم حدَّ السرقة ـ أن نطعم الجائعين، ونأخذ من أغنياء المسلمين ونردها على فقرائهم.

**مفهوم خاطئ لتطبيق الشريعة:**

حينما يقال: طبّقوا الشريعة الإسلامية، وعودوا إلى الإسلام. يظنُّ بعض الناس أنَّ الإسلام هو إقامة الحدود، وأنَّ معنى العودة إلى الإسلام أن نقطع يد السارق، ونجلد ظهر الزاني، ونجلد شارب الخمر، نعم هذا صحيح ولا بدَّ منه، ولكن ليس هذا هو الإسلام فقط، بل هو جزءٌ من الإسلام.

إنَّ الإسلام كلٌّ لا يتجزَّأ، الإسلام بناء متكامل، الإسلام وصفة طبيَّة متكاملة، ولا بدَّ أن تأخذها كلَّها، إنَّك إذا ذهبت إلى طبيب وشكوت له من مرض في معدتك، أو في أي موضع آخر، فأعطاك دواءً لتأخذه قبل الأكل أو بعده، أعطاك شرابًا تتناوله في أوقات محددة، وقال لك: عليك أنْ تأكل كذا، ولا تأكل كذا، لكي تؤتي هذه الوصفة أكلها، وتحقق نتائجها، فلا بدَّ أن تأخذها كلَّها.

ولكن لنفترض أنَّك أخذت الدواء، ولكنك لم تلتزم بالطعام المحدَّد، ثم لم تلاحظ تقدُّمًا في شفائك، هل يكون الطبيب ملومًا؟ لا يا أخي؛ لأنَّك قد تكون أسرفت في الطعام. وقد كان أحد إخواننا العلماء يقول لطلابه: إنَّ الآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. تحمل نصف الطب، الطب الوقائي. فلو أكلت وشربت وأسرفت، ثمَّ أخذت الدواء، ولم يفدك، فذلك لأنك أهملت جزءًا آخر من الوصفة الطبية.

QaradawiBooks.com

**شمول الإسلام:**

كذلك الإسلام، هو كلٌّ لا يتجزَّأ لا بدَّ أن نأخذه كلَّه، وإلَّا كنَّا كبني إسرائيل الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. فلا بدَّ أن نأخذ الإسلام كلَّه.

أراد بعض اليهود أنْ يدخلوا في الإسلام، ويتمسّكوا ببعض شرائعهم القديمة، مثل تحريم يوم السبت، فقال لهم القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. أي: ادخلوا في شرائع الإسلام كله. فإذا أردنا أن نأخذ الإسلام لا بدَّ أن نأخذه كلَّه، نأخذ منهج الإسلام في التَّغيير، منهج التربية الإيمانية أولًا، ثمَّ منهج التَّطهير والوقاية ثانيًا، تمّ منهج الكفاية والإشباع ثالثًا.

**الدعامة الرابعة: الردع والنكاية:**

ثمَّ يأتي بعد ذلك منهج الردع والنكاية، وهي العقوبات والحدود، وهذا المنهج لا بدَّ منه أيضًا؛ لأنَّ من الناس من لا يصلح له إلَّا الردع؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. هذا النَّكال لا بدَّ منه، ولسنا أرأف من الله بعباده، هناك أناسٌ يتعالمون على الله، ويدعون أنَّهم أبرُّ بالخلق من الخالق، وأرحم بالعباد من ربهم، وقد كذبوا، فليس هناك أرحم من الله بعباده، ولا أعلم من الله بعباده، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قُدِمَ على النبي ﷺ بسبي، فإذا امرأةٌ من السبي،

QaradawiBooks.com

تبتغي، إذا وجدت صبيًّا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحةً ولدَها في النار؟**» قلنا: لا، والله وهي تَقْدِرُ على ألَّا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «**للهُ أرحمُ بعباده من هذه بوَلَدِها**»[١]. ولكن الوالد قد يقسو على ولده أحيانًا، ويضربه تأديبًا له، كما قال الشاعر:

**فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا، ومَنْ يَكُ حَازِمًا فلْيَقْسُ أحيانًا على مَنْ يَرْحَمُ**[٢]

قد يفتح الطبيب بطنَ المريض ليجري له عمليَّة جراحيَّة، وليس هذا انتقامًا منه، ولكنَّه علاج له، وتفادٍ لخطر أكبر، كذلك نحن قد نؤذي المجرم الشرير ردعًا له؛ حتى لا يعود، وزجْرًا لغيره؛ حتى لا يقتدي به، وبهذا يصلح المجتمع كلَّه، والله ﷻ أعلم بنا من أنفسنا، فصانع أي جهاز أعلم بما يُصلحه، كالذي صنع هذا المسجل هو الذي يعرف كيف يُصلِّحه إذ فسد، كلُّ مصنع يضع كتالوجًا للجهاز يوضح فيه مكوّناته، وكيفيَّة تركيبه، وكيفيَّة إصلاحه، وهكذا، والله تبارك وتعالى هو الذي صنعنا وهو أدرى بما يصلحنا وما يفسدنا، كما قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وكما قال: ﴿**أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

## لا غناء عن حد السرقة:

لنأخذ ـ مثلًا ـ حد السرقة، هل يغني شيء آخر عن هذه العقوبة؟ إنَّهم يقولون: السجن تأديب وإصلاح. فهل حقًّا يخرج اللص من السجن تائبًا صالحًا؟ إنَّه يخرج منه أكثر جرأة ودراية بفنون الإجرام، إذا كانت

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٩٩/٢)، بلفظ مشابه، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

معه درجة الابتدائية في الإجرام، يخرج من السجن ومعه درجة الثانوية، وإذا كانت معه درجة الثانوية، يخرج من السجن ومعه درجة ليسانس، وربما يصل إلى درجة الدكتوراه في الإجرام.

يدخل السجن فيجد هناك من سبقوه، يسأله أحدهم: ماذا سرقت؟ فيقول: سرقت عشرة جنيهات من راكب في القطار. فيقول له: فقط عشر جنيهات يا رجل؟! فيقول: وماذا سرقت أنت؟ فيقول له: سرقت خزنة بنك، وفعلت كذا وكذا. فيقول: كيف؟ فيحكي له كلَّ شيء، يجلس المجرمون معًا في السجن مدَّة ستَّة أشهر، أو سنة، فيحكي كل واحد للآخر خبراته، ويخرج مجرمون، ويأتي غيرهم فيستفيد من هذا كلِّه؛ ولهذا يخرج المجرمون أشدَّ إجرامًا وعُتوًّا وغلوًّا في الإجرام، لم يستفيدوا من السجن، بالعكس يزدادون ضراوة في فنِّ الإجرام، ومن هنا كان السجن وسيلةً فاشلة في ردع المجرم، وتقليص الجريمة، ونحن نعرف أنَّ كثيرًا من النشَّالين في القاهرة أصحاب سوابق، ما معنى أصحاب سوابق؟ يعني: سرق أحدهم فسجن، ثم خرج فسرق، وعاد فسجن، ثم خرج فسرق، ثم عاد إلى السجن، وهكذا، إذن لم يصبح السجن تأديبًا وإصلاحًا، فلا بدَّ من شيء رادع كما قال الله تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

لكن بعض الناس في مصر يقولون: إنَّه إنسان، كيف تقطع يده؟! مع أنَّ السارق لا يبالي ـ في سبيل أنْ يسرق ـ أنْ يقطع يدَك، أو يقطع رأسَك، لا يبالي أنْ يقتل لينجو من الإمساك به، وكم يقتلون من أنفس، وكم يُزهِقون من أرواح؟ فلا بدَّ من الردع، ولا بدَّ من الزجر.

QaradawiBooks.com

## حدُّ السرقة يُحقِّق الأمن:

إنَّ تحقيق الأمن ـ أيُّها الإخوة ـ ليس شيئًا هيِّنًا، لقد رأيت الناس في أمريكا ـ حينما كنت هناك منذ شهر واحد ـ يغلقون عليهم بيوتهم من قبل المغرب، وينبِّهون علينا في كل الفنادق ألا نفتح الباب لأيِّ طارق بعد الغروب، خشية أن يكون سارقًا، مع أنَّ الأبواب مغلقة بترابيس قويَّة، وفي بعض الفنادق عيون سحريَّة، بحيث تنظر وتعرف على مَنْ يدق عليك الباب: أهو صديق أو رفيق، أو غريب؟ لا أمان هناك، والجرائم منتشرة.

إقامة حدِّ السرقة هو الذي صنع الأمان في السعودية، وهو الذي يمكن أنْ يصنع الأمان في كلِّ مكان، وثقوا أننا لن نقطع أيدٍ كثيرة يوم أن نقيم حدَّ الله في مثل هذه البلاد، هي عدَّة أيدي، حالات قليلة في ميدان الجامعة أو ميدان التحرير، اقطع ثلاثة أيدٍ أو أربع فقط، وانشرها في التليفزيون ليشاهدها الناس، هذا هو الردع، أمَّا السجن فهو تسلية لطيفة، وقد حكى لنا بعض الناس: أنَّ أحدهم كان يريد أن يدخل السجن فعمل حادثًا، ثمَّ ذهب عند القاضي، فلم يجد أدلة كافية، فحكم عليه بالبراءة، فقال: براءة يا حضرة القاضي! أمري إلى الله، ورزقي على الله!

أريد أن أقول، أيُّها الشباب: إنَّنا إذا أردنا أن نعود إلى الإسلام، فلا بدَّ أن نأخذ منهج الإسلام متكاملًا، بداية من تكوين الفرد المؤمن الصَّالح، ثمَّ تطهير المجتمع ووقايته من التدمير والإفساد، ثمَّ إعطاء المجتمع حقَّه من الكفاية والإشباع الحلال، من الناحية الماديَّة أو النفسيَّة أو الحيويَّة، ثمَّ تأتي بعد ذلك العقوبات الرادعة، لا بدَّ من هذه الأمور جميعًا إذا أردنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًّا حقيقيًّا، يعود بنا إلى المجتمع الأول الذي

QaradawiBooks.com

ربّاه رسول الله ﷺ، وأقامه في دولته بالمدينة، وقام عليه من بعده الخلفاء الراشدون، هذا هو منهج الإسلام، وهذه هي طريقته في بناء المجتمعات.

نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يُفقِّهنا في ديننا، وأنْ يجعلنا أهلًا لحمل رسالته، وأنْ يُحَبِّب إلينا الإيمان ويُزيِّنه في قلوبنا، وأنْ يُكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيان، وأنْ يجعلَنا من الرَّاشدين، فَضْلًا منه ونعمةً.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

### بين الشمول والاجتزاء:

**السؤال الأول:** قلتم: إنَّ تطبيق الحدود يأتي بعد تهيئة الظروف، وإقامة حد الزنى يأتي بعد تطهير المجتمع من العري والفساد، وتطبيق حدِّ السرقة يأتي بعد تحسين الاقتصاد، وإشباع كلِّ جائع وتحقيق مستوى الكفاية لكلِّ الناس، ولكنَّنا نرى أنَّ تطبيق الحدود في عصرنا هذا هو السبيل الوحيد لتطهير المجتمع وإعادة بنائه، فإنَّ تهيئة الأجواء من أجل تطبيق الحدود لن يتمَّ بأيِّ حال من الأحوال، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

**الجواب:** أنا لم أقل بالترتيب الزمني أنَّنا يجب أولًا أن نفعل كذا وننتظر كذا لمدة من الزمن، ثمَّ نقيم الحدود وهكذا، لا، وإنَّما أقول: إنَّ هذا كلَّه يجب أنْ يسير جنْبًا إلى جَنْب، وأنَّه لا ينبغي أن نأخذ جزءًا من الإسلام دون جزء، ونظنُّ أنَّنا أقمنا الإسلام؛ لأنَّ هذا يكون ضحكًا على أنفسنا وعلى الناس، نظنُّ أننا بمجرَّد أن نقيم حدًّا نكون قد طبقنا الشريعة الإسلامية، هذا في الحقيقة أمر خطير جدًّا، أن يقال: إنَّ الشريعة الإسلامية طُبِّقت بمجرَّد أنْ أقيم حدَّ السرقة.

أنا أقول لكم بصراحة: دعيت منذ أربع سنوات ـ أو أكثر قليلًا ـ إلى ندوة للتشريع الإسلامي في ليبيا، دعت إليها الجامعة الليبية، وأشرفت عليها كلية الدراسات الإسلامية والعربية في المدينة البيضاء، وكان فيها عدد من العلماء من مصر، ومن خارج مصر، ومنهم المرحوم الشيخ أبو زهرة، والشيخ الخفيف، وكثير من العلماء، وقد التقينا بالرئيس

QaradawiBooks.com

الليبي في ذلك الوقت، وكان مما تكلمت به وأكدته ولا زلت أذكره؛ لأنَّه شيء ثابت في ذهني، وقد أثبته في كتابي الذي أصدرته بعنوان «الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كلِّ زمان ومكان».

قلت لهم: لا تظنوا أنَّكم بمجرَّد أنْ تُصدروا قرارات بعمل تشريع إسلامي، أو تغيير القوانين الوضعيَّة وإحلال التشريعات الإسلامية محلها، تكونون قد طبقتم الشريعة، وصنعتم المجتمع المسلم، وأقمتم الأُمَّة المسلمة، لا، فهذا عمل يحتاج ـ كما يقول الأخ السائل فعلًا ـ إلى تغيير جذري، إلى تغيير بنية المجتمع، إلى تغيير وجهة المجتمع، إلى إعلان أنَّنا مسلمون.

ويجب أن نأخذَ الإسلام من أساسه، يجب أن نبدأ من دار الحضانة، إلى الجامعة، نعلم الإسلام في الحضانة، وفي الابتدائي، والإعدادي، وفي الثانوي، والجامعة.

ويجب أن نزيل الازدواجيَّة والتناقض في حياتنا، لا يقول المسجد شيئًا، وتقول المدرسة والإعلام شيئًا آخر، لا، لا بدَّ من عمل تربوي تقوم عليه جميع المؤسَّسات في المجتمع، ولا بدَّ من عمل فكري تقوم عليه المؤسَّسات الفكريَّة، ومراكز البحوث والجامعات ونحوها، ولا بدَّ من عمل إعلامي وتوجيهي تقوم عليه المؤسَّسات الإعلاميَّة والتوجيهيَّة، ولا بدَّ من عمل اجتماعي لتطهير المجتمع من التقاليد الدخيلة، لا بدَّ أن تسير هذه الأعمال كلُّها جنْبًا إلى جنْب، إذا أردنا أن نصنع مجتمعًا مسلمًا.

أمَّا أن تأخذ شيئًا واحدًا وتظن أنَّك أقمت الإسلام، وأقمت المجتمع المسلم، هذا لا يجوز، نحن نريد أن نحيا حياة إسلاميَّة متكاملة، نريد استئناف حياة إسلامية، والحياة الإسلامية: تربية، وتشريع، وعبادة،

QaradawiBooks.com

وأخلاق، لا بدَّ أن نحيا بالإسلام في كل هذه النواحي، أمَّا أن نأخذ شيئًا، ونترك شيئًا، فهذا لا ينفع، ولا يصلح، ولا يؤدِّي أبدًا إلى النتيجة المطلوبة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. لا يستحقون رحمة الله إلَّا إذا فعلوا ذلك جميعًا، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. كلُّ هذا يجب أن يسير جنْبًا إلى جنْب.

وليس معنى هذا أنَّه عندما يأتي فرد ويقول: نريد أن نعمل قانونًا للزكاة، نقول له: لا تعمل. لا، بل نقول له: اعمل، ولكن يجب أن يكون هذا العمل جزءًا من خطة إسلامية.

أمَّا أن تقيم جانبًا من الإسلام ـ أو جزءًا من جانب ـ لإرضاء الناس، أو لإلهاء المتدينين، أو لإظهار أنك تعمل للإسلام، وبالإسلام، ثمَّ تقوم بالهدم في بقية الجوانب، فهذا لا يجوز، ولا يصح، ولا ينفع، لا بدَّ أن يكون هذا العمل جزءًا من خطَّة للعودة إلى الإسلام كلِّه، والله تعالى يخاطب رسوله ﷺ فيقول: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]. حتى البعض لا تتركه، فعندما تريد أن تأخذ شيئًا بمفرده لا تستقيم الأمور، مثل أن تأخذ قطعة غيار سليمة من سيارة «مرسيدس» مثلًا وتضعها في سيارة «داتسون»، أو «فييت»، قد تكون صغيرة، وقد تكون كبيرة، فتبقى قلقة في مكانها لا تفيد شيئًا، فلمَّا تأخذ قطعة غيار من الإسلام وتضعها في نظام غير إسلامي لا تصلح، ولذلك يجب أن نمشي بالإسلام كلِّه جنْبًا

QaradawiBooks.com

إلى جنْب إذا أردنا أن نعيش مسلمين صادقين، هذا ما يجب أن ننادي به، وندعو إليه، وإذا كسبنا شيئًا لا بأس، ولكن لا نقول: هذا هو نهاية المطاف، أو هو الخاتمة، أو هو كلُّ شيء. بل لا بدَّ أن نعلن أنّ هذا جزءٌ من كلٍ، لا يتمُّ إلا بكذا وكذا، أي أنَّه بناءٌ على خطة إسلاميَّة كاملة، لا بدَّ أن نعرف هذا كله.

وأضرب لكم مثلًا: لو أنَّك جئت الآن، وقلت: نريد أن نجمع الزكاة، نريد أن ننفذ هذه الفريضة وحدها من الإسلام في المجتمع. إذا حاولت ذلك لم يفلح الأمر؛ لماذا؟

**أولًا**: قبل أن تجمع الزكاة لا بدَّ أن تربِّي الفرد الذي يؤمن بهذه الفريضة، وبقدسيتها، وأنَّ الله تعالى لا يزكِّي نفس هذا الفرد، ولا يطهِّر ماله، ولا ينمِّيه، إلَّا إذا دفعها، وأن ما دفعه منها لا ينقص ماله، فـ«**ما نقصَ مالٌ من صدقةٍ**»[1]. ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. فلا بدَّ ـ أولًا بالنسبة للمزكِّي الذي يدفع الزكاة ـ من تنمية الضمير الإسلامي، والوعي الإسلامي.

**ثانيًا**: نحتاج عند جمع الزكاة، وتوزيعها أيضًا، إلى أناس مسلمين، لديهم ضمير، حتى لا تُجمّع الزكاة من ناحية، وتنسفُ من ناحية أخرى، أو يسرق نصفها على خدمات خاصة بهم، وعندما تريد أنْ تصل بها إلى الفقير، لا يبقى منها إلا الثمالة، وأغلبها تبدد في الطريق، في مصاريف، ونفقات إدارية، وغيره.

---

(١) رواه أحمد (١٦٧٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبزار (١٠٣٣)، وأبو يعلى (٨٤٩)، والطبراني في الأوسط (٢٢٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥٧٧): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه رجل لم يسم، وله عند البزار طريق عن أبي سلمة عن أبيه، وقال: إنَّ الرواية هذه أصح. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٨١٤): صحيح لغيره. عن عبد الرحمن بن عوف.

QaradawiBooks.com

**ثالثًا:** الحياة البائسة الَّتي يعيش فيها الناس، تجعل بعض الناس يقولون: هل بقي عندنا شيء لنزكيه؟ اتركها على الله، وما يحتاجه البيت يحرم على الجامع.

إذنْ لا بدَّ أن نرفع مستوى معيشة الناس حتى يكون عندهم فضلُ ما يزكونه، ولا بدَّ قبل ذلك أن يحيا الناس حياة إسلامية، بأنْ ينفق المسلم المال كما أمره الله تعالى، فلا يشرب خمرًا، ولا دخانًا، ولا يجلس في المقاهي أو البارات، ولا يتسكَّع في الطرقات وراء الغاديات الرائحات، كل هذه الأمور بلَّاعات تبتلع الأموال، فمن أين يبقى له مال يحول عليه الحول حتى يزكيه؟

كل هذه الأمور ـ إذنْ ـ يرتبط بعضها ببعض، يضاف إلى ذلك ضرورة التنسيق بين الضرائب والزكاة، حتى لا يأتي مَنْ يقول: بعد أن كسرت الضرائب ظهورنا تأتي لتطلب الزكاة! إذنْ لا بدَّ من عمل تنسيق بين فريضة الزكاة، والضرائب المفروضة على الناس؛ حتى لا يُرهَق المسلمون من أمرهم عسرًا.

الأمر إذنْ متكامل، أمَّا أنْ تأتي وتقول: سأطبق الزكاة وحدها. لا يجوز، ولا ينفع، والناحية الاقتصادية نفسها لا بدَّ أنْ تسير أجزاؤها جنبًا إلى جنب، فنحرص على الزكاة من جانب، ونمنع الربا من جانب.

لهذا أقول: إنَّنا إذا أردنا أن نستأنف حياة إسلامية صحيحة، توجهها عقيد الإسلام، وتحكمها شريعة الإسلام، وتحرسها أخلاق الإسلام، وتسيطر عليها قوانين الإسلام، وتقاليد الإسلام، فلا بدَّ أن نعود إلى الإسلام كلِّه، وأن نؤمن بهذا إيمانًا لا يتزعزع.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

**السؤال الثاني**: ما هي الطريقة المثلى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أنَّي في كل خطوة أجد منكرًا أمامي، وكم أتعذَّب لأني لم أستطيع إنكاره؟

**الجواب**: والله هذه هي المصيبة في هذا الزمن، وقد جاء في بعض الأحاديث: «**كيف بكم إذا فسق شبابُكم، وطغت نساؤكم، وكثر جُهَّالكم؟**» قالوا: وإن ذلك كائن يا رسول الله؟ قال: «**وأشدُّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا، ورأيتم المنكر معروفًا؟**» قالوا: وإن ذلك كائن يا رسول الله؟ قال: «**وأشدُّ من ذلك، كيف بكم إذا لم تأمرُوا بالمعروف، وتنْهَوْا عن المنكر؟**» قالوا: وإنَّ ذلك كائن يا رسول الله؟ قال: «**وأشدُّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم بالمعروف؟**» ثمَّ قال النبيُّ ﷺ: «**قال الله تعالى: وعِزَّتي لأبعثنَّ عليهم فتنةً تذر الحليمَ حَيْرانًا**»[1].

يصبح المنكر معروفًا، ويُسمَّى تقدُّمًا، أو يُسمَّى حضارة، أو فنًّا راقيًا، ويصبح التدين رجعيَّة وتخلُّفًا وتزمُّتًا، ليس هذا فقط، بل يُؤْمر بالمنكر، ويُنْهَى عن المعروف، وقد وُجِدَ مَنْ يدعو إلى المنكر، مَنْ يدعُو إلى الشيوعية، ومَنْ يدعُو إلى الانحلال، مَنْ يدعو إلى الضلال علنًا في الصحف، ولهذا فنحن في الفتنة الَّتي تذَر الحليم حيرانًا.

وقد جاء في الحديث أيضًا: «**يأتي على الناس زمانٌ يذوب فيه قلبُ المؤمن كما يذوبُ المِلْح في الماء**». قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال:

(١) رواه ابن أبي الدنيا (٣٢)، وعبد الغني المقدسي (٥٦)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ٧٨٤: إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

«**بما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره**»[١]. فانظر إلى ما يذيب قلبك، ويجعله يتحرَّق ويغلي، كما يغلي المرجل فوق النار، ولا تستطيع أنْ تفعل شيئًا، وهذا الغليان والاحتراق للقلب مهم؛ لأنَّه الرصيد النفسي للتغيير المنشود، وهو الذي سمَّاه النبي ﷺ التغيير بالقلب، إنك إذا لم تستطع أنْ تُغيِّر بيدك، ولم تستطع أنْ تغيِّر بلسانك، فغَيِّرْ ـ على الأقل ـ بقلبك، وذلك أضعف الإيمان، ما معنى أنْ تغيِّر بقلبك؟ أنْ تكره المنكر وأصحابه، وتكون في قلبك هذه الشعلة الانفعاليَّة، كأنها قنبلة توشك أنْ تنفجر، فأنت إذا لم تستطع أنْ تعمل شيئًا، فغَيِّرْ ـ على الأقل ـ بقلبك، وأهم شيء لمظاهر هذا أنْ تقاطع أصحاب المنكر، لا تُجالسهم، ولا تُؤانسهم، ولا تُصاحبهم، ولا تكن صديقًا لهم وتقول: ماذا أفعل؟ إذا كنت تريد أنْ تُغيِّر بقلبك بالفعل لا تُخالطهم، ولا تُصاحبهم.

وقد جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أوَّلَ ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ اللهَ ودَعْ ما تصنع، فإنَّه لا يحلُّ لك. ثُمَّ يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أنْ يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلمَّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضِهم ببعض**»، ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۞ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١]. ثُمَّ قال:

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٦).

QaradawiBooks.com

«**كلَّا، والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يدي الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أَطْرًا، ولتقصرنَّه على الحقِّ قَصْرًا، أو ليضربنَّ الله قلوبَ بعضكم ببعض، ثمَّ ليلعننَّكم كما لعنهم**»[(١)].

فلا يجوز للمسلم ـ إذا غيَّر بقلبه ـ أنْ يجلسَ مع أصحاب المنكر، بل عليه أنْ يبتعد عنهم، وهذا أقل ما ينبغي، وممَّا روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنَّه كان يجلد شاربي الخمر، ومن شهد مجالسهم، وإن لم يشرب معهم. ورووا أنَّه رُفع إليه قوم شربوا الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إنَّ فيهم فلانًا، وقد كان صائمًا، فقال: به ابدؤوا. أمَا سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠][(٢)]. طالما أنَّه جلس معهم، ورضيَ بهم وهم يشربون الخمر فهو واحدٌ منهم، ولذلك قال ﷺ: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فلا يقعدنَّ على مائدةٍ يُدار عليها الخمر**»[(٣)].

فإذا استطاع الأخ أنْ يغيِّر المنكر بيده، وهذا لكلِّ ذي سلطان في سلطانه، الأب مع أولاده في البيت، والحاكم مع رعيته، الزوج مع زوجته، وصاحب المحل مع موظَّفيه، وبعد ذلك يكون باللسان ينصح به، والنصح باللسان له مراتب أيضًا، فهناك البيان والتعريف، والوعظ والتخويف، واللوم والتعنيف.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي في الدعوات (٣٠٤٧)، وقال: حسن غريب. عن ابن مسعود.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٣٢١/٩).

(٣) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

QaradawiBooks.com

ويكون البيان والتعريف بأن يقول له: هذه حلال وهذا حرام. ويكون الوعظ والتخويف بأنْ يقول له: اتَّق الله، أمَا تذكر الآخرة؟ أمَا تذكر النار؟ ويكون اللوم والتعنيف بأن يقول له: يا ظالم، يا فاسق. ولا يتأتَّى هذا إلا في حقِّ المجاهر بالمعصية، المُتبجِّح بها، الذي لا يبالي بما يفعل ويترك، أمَّا الأصل فهو أن تدعو الناس بالحُسنى، والله تعالى يقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ولذلك دخل رجل على المأمون ـ الخليفة العباسي ـ فقال له: يا ظالم، يا فاسق، أنت فعلت كذا وكذا. فقال له: يا هذا، هَوِّن عليك، إنَّ الله تعالى قد بعث مَنْ هو خير منك إلى مَنْ هو شرٌّ منِّي، وأمره بالرفق. فقال: مَنْ؟ قال: بعث الله موسى ـ وهو خير منك ـ إلى فرعون ـ وهو شرٌّ مني ـ وأمره بالرفق، فقال له: ﴿ ٱذۡهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤].

ولذلك قالوا: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فليكن أمره ونهيه بالمعروف. فاستعمل الحكمة، والموعظة الحسنة، كما أمر الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾. وهذا إذا عرفت أنَّ الوعظ مُجْدٍ، أمَّا إذا عرفت أنَّه لا فائدة من وعظك، فعليك أنْ تتركه وأمرك إلى الله، المهم أنْ تستعمل الحكمة والموعظة الحسنة.

قد يكره الإنسان ما يُوجَّه إليه من توجيه وإرشاد وإنكار لما هو عليه، ربما لأنَّ فيه عِرقًا فرعونيًّا، يقول بلسان حاله أو مقاله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. فيجب أن نراعي هذا في الناس، ونحاول أن نأخذهم

QaradawiBooks.com

بالرِّفق، وقد قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يحبُّ الرِّفْقَ في الأمر كُلِّه**»[١]. وقد قال الله لرسولِه: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فاستعملوا الرِّفقَ واللينَ والحكمةَ في الدَّعوة إلى الله تعالى.

## منهج التعامل مع الأهل:

**السؤال الثالث:** نريد أن نعرف المنهج السليم الذي ينبغي أن نتبعه في التعامل مع أهلينا وإخوتنا وأسرنا، خاصة مع انتشار الوسائل الهدَّامة في المجتمع، نرجو توضيح ذلك بطريقة عمليَّة؟

**الجواب:** ما قلناه في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي هنا أيضًا، والإنسان يؤثِّر في أهله بحُسن القدوة، ويؤثِّر فيهم كذلك بحُسن الدعوة.

## التأثير بحسن القدوة:

حينما يراك الأهل إنسانًا صادقًا، محسنًا في عملك، مخلصًا وبارًّا بوالديك، وَصُولًا لِرحِمِك، محسنًا إلى جيرانك، مؤديًا لحقك، متقنًا في عملك، مؤديًا لواجباتك الدراسية؛ فإنَّ ذلك مما يؤثر فيهم ويغير من سلوكهم، وكان السلف يقولون: حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل، يعني سلوك رجل واحد وعمله في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل واحد. لأنَّ العمل والسلوك أبلغ في التأثير والتغيير من الأقوال، فالتأثير بالسلوك أقوى من التأثير بالكلام، كونك أمامهم شخصًا مستقيمًا يحملهم على محبتك، والاستماع إليك.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

## التأثير بحسن الدعوة:

عليك أنْ تدعو غيرك بالحكمة والموعظة الحسنة، وخاصَّة الأهل، وخاصَّة الوالدين، لمَّا قلت لكم: إنَّ مراتب الدعوة باللسان تكون بالبيان والتعريف، ثم بالوعظ والتخويف، ثم باللوم والتعنيف. فإنِّي أن أنبِّه على أنَّ مرتبة اللوم والتعنيف لا تكون مع الوالدين أبدًا مهما كان، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥]. حتى لو كانا يحاولان أنْ يجعلاك مشركًا، ويبذلان الجهد في سبيل ذلك، مع هذا لا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفًا، فلا بدَّ من الأسلوب الحسن.

وقد نهانا الإسلام عن أدنى درجات الأسلوب السيِّئ وهو التأفُّف: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وهذا مع المسلم وغير المسلم، والبر والفاجر من الوالدين، ولذلك لمَّا دعَا سيدنا إبراهيم عليه السلام والده دعاه بأحسن أسلوب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥]. يخاطبه بهذه العبارة: يا أبتِ. الَّتي توحي بالاحترام، والأدب، وحُسن الرعاية، وعندما هدَّده أبوه بقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦]. ردَّ عليه بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧، ٤٨].

QaradawiBooks.com

فلا بدَّ أن نكون مع أهلنا رفقاء وخاصَّة مع الوالدين، وينبغي أن نعلم أنَّ المجتمع يضغط عليهم، وأجهزة الإعلام في المجتمع أجهزة جبّارة، والفرد المسلم في وسط هذه الأجهزة في الحقيقة مطحون، أختك الَّتي تعيش في وسط هذا المجتمع وتضغط عليها السينما، والتلفزيون، والإذاعة، والمجلة، والصحيفة، والشارع، والأصدقاء، والصديقات، وغيرها من الفتن الَّتي تحيط بها، فيجب أنْ تعذرها، وأنْ تأخذها بالرفق شيئًا فشيئًا، وكذلك الأم الَّتي شابت على شيء تعلمته من البيئة، يجب أن نرفق بها.

ويجب أن نُقدِّرَ الأمور والأوضاع حقَّ قدرها، وعلينا أن نُحاول معهم، وأن نسعى إلى هدايتهم، والهداية بيد الله وحده، وقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. فالله تعالى لن يسألك: لماذا لم يهتدِ أهلك؟ إنَّما سيسألك: لماذا لم تدعهم بالحكمة والموعظة الحسنة؟ فتقول: يا ربِّ دعوت. وهذا هو المطلوب منك، فيقول لك: وأنا لم أُقدِّر لهم الهداية. فابْذر الحَبَّ، وارج الثمار من الربِّ، فأنت مطالب بأن ترمي البذرة في الأرض، وتتعهدها وترعها، فإذا أثمرت البذرة، وآتت أكلها، فالبركة من الله، وإذا جاءت آفة فأهلكت الزرع، أو دودة فأكلته، فليس هذا بيدك، وحسبك أنك اجتهدت، فحاول أنْ تبذل، واترك الهداية لله تعالى؛ فإنَّها بيده في النهاية.

وعليك أنْ تعذرهم لأنَّ المجتمع ـ كما قلت ـ يضغط على الأفراد، لماذا نطالب بإصلاح المجتمع كلَّه؟ لأنَّ محنة الفرد المسلم في مجتمع لا يلتزم بأحكام الإسلام وتقاليده محنة عاتية، محنة شديدة؛ لأنَّه يعيش في صراع مع الفتن من حوله، يركب الأتوبيس، فيجد حوله الكاسيات

QaradawiBooks.com

العاريات، ويمشي في الطريق فيجدهنَّ عن يمينه ويساره، ومن أمامه ومن خلفه، فكيف يعيش الإنسان في اللهب ولا يحترق؟ وكما قال الشاعر:

**أَلْقَاهُ فِـي الْيَمِّ مَكْتُوفًـا وَقَالَ لَهُ إيَّـاكَ إيَّـاكَ أن تَبْتَـلَّ بِالْمَاءِ**[1]

فيجب أن نقدر هـذا كلَّه حينما ندعـو أهلَنا وأصدقاءَنـا وأحباءَنا، ونحاول أن نأخذهم بالتدرج، وأن نقبل منهم بعض الشـيء، ولا نغالي فيما نطلب منهم أيضًا، بحسبك أن يؤدوا الفرائض، ويجتنبوا الكبائر، هذه نصيحة أنصح بها كلَّ مـن يدعو الناس في هذا العصـر، عندما تريد أنْ تدعو أحدًا ليس من الضروري أنْ يكون على نفس درجتك في الالتزام.

لنفترض أنَّك مسـلم تلتزم بالسُّـنَّة، وتطلق لحيتك، وتُقصِّر ثوبَك، وتقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل غير ذلك من السُّنن والنوافل، فأنت تفعل هذا مع نفسك، ولا تطلبه من كلِّ إنسـان، حسبك من المسلم أن يؤدِّي الصَّلاة، ولا يرتكب الكبائر، حتى الصغائر أغتفرها له، حتى يتدرَّج في طريق الالتزام شـيئًا فشـيئًا، فهو في البداية يؤدي الفرائض، ثمَّ بعد ذلك يُحبُّ السُّنن فيبدأ بإتيانها، وهكذا.

هناك بعض الناس يجعلون من السـنن معارك كبرى، لا، هذا خطأ، لا تجعل من السُّـنن معارك، ولا من صغائر المحرَّمات معارك بالنسـبة لبعض الناس، اقبل منه الصغيرة إذا كان يتـرك الكبيرة، فنحن الآن في معركة مع الإلحاد، مع الذين ينكرون الألوهيَّة ويقولون: إنَّ الدين أفيون الشـعوب. ويقولون: لا إلٰه، والحيـاة مادة. ويقولـون: إنَّ الله لم يخلق الإنسان، وإنَّما الإنسان هو الذي خلق الله! معركتنا مع الشيوعيَّة العالميَّة،

(١) البيت منسـوب إلى الحسـين بن منصور الحلاج، كما في وفيات الأعيـان لابن خلكان (١٤٣/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

ومع الصهيونيَّة، ومع الماسونيَّة، مع أعداء الإسلام في كلِّ مكان؛ ولذلك لا نريد أن نحوِّل المعركة الكبرى إلى معارك جانبيَّة جزئيَّة صغيرة، وننسى عدونا، والميدان الذي يجب أن نحارب فيه، فكيف تستهلك هذه الأشياء الجزئية أوقاتنا؟! علينا أن نقبل من الناس القليل في البداية، ليأتي الناس أولًا إلى الإيمان، وهم بعد أن يتذوَّقوا حلاوة الإيمان سيمشون خُطًى أكبر في طريق الالتزام، اجعله فقط يذوق بعض الإسلام، اجعله أولًا يصلي الجمعة، وبعد ذلك اجعله يصلّي الظهر، وبعد ذلك خذه إلى بقية الفرائض، ثم إلى قراءة القرآن، وهكذا، خذه بالرفق والتدرج، هذا هو منهج الإسلام، لا تطلب منه مرَّة واحدة أن يكون مسلمًا صادقًا كامل الإسلام، ففي الحديث عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إنَّ أوَّل ما نزل منه سورة من المُفَصَّل، فيها ذكر الجنَّة والنَّار، حتَّى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوَّل شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا نَدَعُ الخمرَ أبدًا. ولو نزل: لا تزنوا؛ لقالوا: لا نَدَعُ الزِّنى أبدًا. لقد نزل بمكَّة على محمَّد ﷺ وإنِّي لجاريةٌ ألعبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلَّا وأنا عنده»[1].

إنَّ الرفق واللين والتدرج هو حكمة الداعية المنشودة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فلا بدَّ أن تكون عندك بصيرة، ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٩٣).

QaradawiBooks.com

## مواجهة عقبات الزواج:

**السؤال الرابع:** كيف يواجه الشباب زيادة العقبات أمام الزواج مع زيادة وسائل الإفساد؟

**الجواب:** أنا لست ـ والله ـ رئيس الدولة، ولكن يجب على الشباب ـ من ناحية ـ أن يُوطِّن نفسه على العفاف والإحصان، على أنْ يعيش عفيفًا راضيًا بالحلال، عليه أنْ يربِّي نفسه على هذا، أن يكون يوسفيًّا صديقيًّا، يقول إذا تعرَّض للفاحشة: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]. ويقول: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وعليه ـ من ناحية أخرى ـ أنْ يبتعد عن طريق الحرام، وأصدقاء الحرام، فللحرام طرقٌ معروفة، عليه أن يبتعد عنها، ابعد عن الشر كما يقولون، ثمَّ حاول بعد ذلك أنْ تدبر لنفسك طريقة تدَّخر بها قليلًا من جهدك، من راتبك القليل، والمسلم الحق دائمًا يكون أقل الناس مصاريف، ويقولون: الجنة أرخص من النار. فالنار تدفع لها مالًا، أمَّا الجنَّة فلا تنفق فيها شيئًا، لا أحد ينفق مالًا إذا ذهب إلى المسجد من أجل الصلاة، أمَّا إذا ذهبت إلى خمَّارة، أو مررت على كباريه، فلا بدَّ أنْ تنفق مالًا، وتنفق من صحتك، وهكذا، ولكن الجنَّة تتطلَّب جهدًا، تتطلَّب إنسانًا، وتتطلَّب إرادة، وتتطلب ضميرًا، هذا هو المطلوب، ولذلك فالمسلم الذي لا يشرب خمرًا، ولا يشرب بيرة، ولا يشرب سجائر، ولا يجلس في ملهى، يتوفَّر لديه من ذلك ما يمكنه أنْ يتزوَّج به بنت الحلال، ونسأل الله أنْ يهدي الناس في بلادنا كي يقلِّلوا من عَقَبات الزواج، أنَّ الخاطب لا بدَّ أنْ يدفع مهرًا كذا، وشبكة بكذا، وأنَّ البنت

QaradawiBooks.com

لا بـــدَّ أنْ تدفع كـــذا، وتُجهِّز أثاث شـــقتها، حتى أصبح الـــزواج بهذه العقبات مصيبة كبيرة لا يقترب الشـــباب منها، بسبب مغالاة الناس في أمور الزواج، فلا بدَّ من التيسير في كلِّ هذه الأمور.

ويجب على المجتمع المســـلم أيضًا أنْ يســـاعد علـــى هذا، وأول ما يجـــب أن نفعله هو توعية النـــاس بهذا، ويجب على المســـلمين أنْ يبدؤوا بهذا، أنْ يحاولوا أنْ يبسطوا أمور الزواج وييسروها.

ثم بعد ذلك يحتاج هـــذا الأمر إلى التوكل علـــى الله، فالنبي ﷺ يقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**ثلاثة حقٌّ علـــى الله عونهم: المجاهدُ في ســـبيل الله، والمكاتبُ الَّذي يريد الأداء، والناكح الَّذي يريد العفـــاف**»[1]. فالناكح الذي يريد أنْ يتزوج من أجل أن يعفَّ نفســـه عن الحرام، والعبد الذي يريد أن يحرِّر نفسَه فكاتب ســـيده على قدر من المال يؤدِّيه إليه ليتحرَّر، والمجاهد الذي يريد أن يعلي كلمة الله، هـــؤلاء جميعًا حقٌّ على الله تعالى أن يعينَهم، فإذا أردت أن تعفَّ نفسك، وعلم اللهُ منك صدق نيَّتك، فإنَّ الله تعالى سيُعينك ويسدِّدك.

قد يقول شاب: كيف أتزوَّج وأعيش؟ لا بدَّ أنْ أكون على الأقل في الدرجة الرابعة في ســـلَّم الوظائف حتى أســـتطيع أنْ أتزوَّج وأفتح بيتًا. لا يا أخي تزوَّج ورزقك على الله، أنا تزوَّجت وأنا في الدرجة السادسة، وقد يسَّـــر الله تعالى لنا، وفتح لنا الأبواب، والدرجة السادسة قديمًا هي

(١) رواه أحمد (٧٤١٦)، وقال مخرِّجوه: إســـناده قويٌّ. والترمذي في فضائـــل الجهاد (١٦٥٥)، وحسَّنه، والنســـائي في الجهاد (٣١٢٠)، وابن ماجه في العتق (٢٥١٨)، والحاكم في النكاح (١٦٠/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢١٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

السابعة الآن، فيجب على المسلم أنْ يكون عنده قدر من اليقين بما عند الله، والثقة بما في يدي الله، والتوكل على الله ﷻ، وعليه أن يقدِّم من نفسه، ليييسِّر الله له أسبابَ الخير إن شاء الله.

## عمل المرأة وضوابطه:

**السؤال الخامس**: ما حكم خروج المرأة إلى العمل، وما ضوابطه؟

**الجواب**: يجب أنْ نعلم أنَّ الأصل في عمل المرأة هو البيت، فهو مملكتها العظيمة، الَّتي هيَّأها الله تعالى له فِطْريًّا، وبدنيًّا، ونفسيًّا، وإلا لماذا كان هذا التفاوت في التكوين العضوي والبدني بين الرجل والمرأة؟ فهي أُعِدَّت لتكون أُمًّا، أُعدَّت لهذه الوظيفة من الناحية النفسيَّة، ولم يُعَدَّ الرجل هذا الإعداد، فهو لا يطيقه ولا يصبر عليه.

ومن هنا نقول: إنَّ الأصل في المرأة أنْ تكون زوجةً وأُمًّا، وأنْ تعملَ على إعداد الأجيال، وأنْ تقومَ بهذه المهمة العظيمة، لا أنْ تَدَع ذلك لمربِّية، أو خادمة، تأتي إليها من «سيلان» أو «الفِلبِّين» أو من أيِّ البلاد، فإنَّ أحدًا لا يستطيع أن يقوم مقام المرأة في هذا العمل الكبير، الذي يتوقَّف عليه مستقبل الأُمَّة، وبه تتكوَّن أعظم ثرواتها، وهي الثروة البشريَّة، ورحم الله شاعر النِّيل حافظ إبراهيم، حين قال:

**الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ**[1]

المرأة هي الأم المسؤولة عن رعاية أولادها، ففي الحديث: «**ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمامُ الَّذي على النَّاس راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ**

(١) ديوان حافظ صـ٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**راعيةٌ على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مال سيِّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته»**[1].

## أسباب عمل المرأة:

من هنا أقول: إذا كان الأصل الـذي ينبغي أن ترعاه المرأة هو التزام بيتها، للقيام بمهمتها نحو زوجها وأولادها؛ فإنَّ هناك حالات تقتضي من المرأة أن تخرج المرأة من بيتها لتعمـل، كأنْ تكون في حاجة إلى هذا العمل لنفسها، أو أسرتها، أو أن يكون المجتمع في حاجة إلى عملها.

## (١) حاجة المرأة إلى العمل:

لا مانع أنْ تخـرج المرأة من البيت إذا كانـت محتاجة إلى العمل، فهناك أسـباب تدفع المرأة نفسـها إلى العمل، كأنْ يكون قد مات عنها أبوها، أو مات عنها زوجُها، أو طلَّقها، ولم يكن لها دخل، فهي بحاجةٍ أنْ تعمل لتقوتَ نفسها، وحتى لا تكون عالةً على أحد، وقد يكون أبوها شيخًا كبيرًا، أو زوجها مريضًا قعيدًا، ولا يستطيع أنْ يعمل، فهي تساعده.

فالمرأة في الريف المصري تعمل مع زوجها وتساعده، وتذهب معه إلى الحقل وتساعده في أشياء معَيَّنة، خفيفة بسيطة، وهي في حشمتها، وفي أدبها، فلا مانع من عمل المرأة ما دام عملها مشروعًا.

## أسماء بنت أبي بكر:

كانت أسـماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ـ ذات النطاقين ـ تسـاعد زوجها الزبير في أرضه، وفرسه، وشؤونه، فلا مانع إذنْ أنْ تساعد المرأة زوجها، أو أباها.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأخرز غَرْبَهُ وأَعْجِن، ولم أكن أُحْسِن أَخْبِز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير الَّتي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أنْ أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير النـاس، فعرف رسول الله ﷺ أنِّي قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ، وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[1].

## قصة الشيخ الكبير وابنتيه مع موسى:

وقد قصَّ القرآن الكريم علينا قصَّة ذلك الشيخ الكبير وابنتيه، مع سيِّدنا موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]. تذودان الغنم عن الحوض، وتنعزلان بعيدًا عن مزاحمة الناس، ومزاحمة الرجال، فسأل موسى عليه السلام الفتاتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ قالتا: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾. هما تعملان في رعاية الغنم، ولكن مع التزام الأدب والحياء، لم تُزاحما الرجال بالمناكب، تركتا الرجال حتى يرووا ما معهم من دواب، فإذا صَدَرَ الرِّعاء وعادوا، وخلا المكان، دخلتا بما معهما من الغنم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٨٢).

QaradawiBooks.com

ثم قالتا لموسى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. إشارة إلى السبب الذي دفعهما إلى العمل، أي إنَّ الأب شيخ كبير، وهما بحاجة إلى أنْ تقوما بهذا الأمر مقامه، فلو كان قادرًا لكفاهما، أو لو كان لهما إخوةٌ من الذكور لكفوهما هذا العمل. فماذا صنع نبي الله موسى عليه السلام؟ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٤ ـ ٢٦]. تَصوَّروا، هذه الفتاة لم تجد حرجًا أنْ تقترح على أبيها أنْ يوظِّف هذا الشاب عنده، لم يسئ أبوها الظنَّ بها، ولم يقل لها: كُفِّ عن الكلام يا عديمة الحياء، مالَكِ وللرجال، من أين تعرفينه؟ لم يقل شيئًا من هذا.

ولكنها قد لاحظت أنَّه رجل قويٌّ أمين، قويٌّ لأنَّه حمل غطاء البئر الكبير وحده كما يقولون. وأمين؛ لأنَّه لم ينظر لإحداهما نظرة ريبة، ورأت في سلوكه، ما يشجِّع على استخدامه، فقالت رأيها بصدق وبصراحة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾. فوضعت بهذه الكلمة الحكيمة، أساس اختيار الشخصيَّات للأعمال، وهو القوة والأمانة، واستجاب أبوها إلى اقتراحها.

انظروا إلى هذه الحياة الطبيعيَّة، تذهب الفتاتان بالغنم لتسقيان، فوجدتا هذا الرجل، فكلَّمهما، فردَّتا عليه، فسقى لهما، ثم اقترحت على أبيها أنْ يستأجره، ثم ذهبت إليه إحداهما تمشي على استحياء، لتدعوه، فذهب معها إلى أبيها، كلُّ هذا في حدود الأدب المعروف.

هذه هي العلاقة الَّتي ينبغي أنْ تكون عليها المرأة المسلمة مع

QaradawiBooks.com

الرجل، كلُّ ما يمنعه الإسلام بالنسبة لعَلاقة المرأة بالرجل هو القيام بالإغراء والتكسِّر، الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. هذه هي الحدود الَّتي يريدها الإسلام للمرأة المسلمة.

فلا مانع ـ إذنْ ـ أنْ تعمل المرأة، إذا احتاجت إلى العمل، أو إذا احتاجت أسرتها إليه.

### (٢) حاجة المجتمع إلى عمل المرأة:

كذلك لا مانع أنْ تعمل المرأة، إذا احتاج مجتمعها إلى عملها، فقد يحتاج المجتمع ـ مثلًا ـ إلى ممرضات، وطبيبات، بدل أنْ يُمَرِّض المرأةَ رجلٌ، أو يُطبِّبها رجلٌ؛ تُطبِّبها امرأةٌ، وخاصةً في الأمور المتعلِّقة بالولادة وشؤون النساء، فالأَوْلى في هذه التَّخصصات أن تقوم بها امرأةٌ بدلًا من الرجل، فهذا ما يحتاج إليه المجتمع المسلم.

وفي رأيي: ينبغي أنْ يُفرض على المجتمع المسلم أن يكون فيه طبيبات من النساء، ومُمرِّضات من النساء، يَتَخصَّصن في تمريض وتطبيب أمثالهنَّ من بنات جنسهنَّ، فالمجتمع نفسُه بحاجة إلى هذا النوع من الأعمال، فلا مانع ـ إذنْ ـ أنْ تعمل المرأة المسلمة خارج بيتها.

### شروط عمل المرأة:

وإذا أجزنا عمل المرأة، فالواجب أنْ يكون مقيَّدًا بعدَّة شروط:

١ ـ أن يكون العمل مشروعًا في ذاته، بمعنى ألا يكون عملها حرامًا في نفسه أو مُفْضيًا إلى ارتكاب حرام، فلا تعمل المرأة في مرقص، أو

QaradawiBooks.com

في ملهى ليلي، لتُثيرَ الشهوات والغرائز، أو في «بار» لتُقدِّمَ الخمر الَّتي لعنَ رسول الله ﷺ ساقيها وحاملَها وبائعها[١]. أو مضيفة في طائرة يُفرَض عليها تقديمُ المسكِرات، والسفرُ البعيد بغير محرم، بما يلزمه من المبيت وحدها في بلاد الغربة، فعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تسافِرَنَّ امرأةٌ إلَّا ومعها مَحْرَم**»[٢].

٢ ـ ألا تعمل في عمل يترتب عليه أنْ تختلي بالرجال، كالتي تعمل خادمةً لرجلٍ أعزب، أو تعمل سكرتيرة للمدير، تقتضي وظيفتها أن يخلو بها وتخلو به، ويكونا معًا في غرفة واحدة، وقد أضيئت اللمبة الحمراء بالخارج، لئلا يدخل عليهما فـي خلوتهما أحد، لا يجوز هذا العمل إذا كان بطبيعته يقتضي الخَلوة، إذا كانت المرأة تعمل عملًا مشروعًا في حدِّ ذاته، فالإسلام يمنع أنْ يكون في هذا العمل خلوة محرمة.

٣ ـ أنْ تلتزم الأدب في خروجها، فـي ذهابها وإيابها، وتلتزم بالزِّي الشرعي، والبعد عن الخلوة بالرجال، وغض البصر، ونحو ذلك، ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ**﴾ [النور: ٣١]، ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١]، ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ولكن ذلك قلَّما يتيسَّر ـ للأسف ـ في بعض البلاد، فتجد تدافع الرجال والنساء بعضهم ببعض من شدَّة ازدحام الناس في الحافلات، أو

---

(١) رواه أحمد (٤٧٨٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلاهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٦)، ومسلم في الحج (١٣٤١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

السيارة العامة، أو القطارات، أو المركبات الكهربائية، خاصة في المدن الكبيرة، أو المزدحمة، فالأمر صعب جدًّا، ولذلك عمد شباب الجماعات الإسلامية في القاهرة، إلى علاج هذه المشكلة بتخصيص حافلات للفتيات المسلمات، الراغبات في نقلهم من الجامعة إلى البيت، ومن البيت إلى الجامعة، مقابل مبلغ معيَّن معقول.

٤ ـ ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها، كواجبها نحو زوجها وأولادها، وهو واجبها الأول وعملها الأساسي.

فإذا توافرت هذه الأسباب، وهذه القيود ـ أو هذه الشروط ـ فللمرأة المسلمة أنْ تتعلَّم، ولها أن تعمل، ولها أن تباشر حياتها، في حدود ما أحلَّ الله.

حفظ الله أبناءَ المسلمين وبناتِهم، وأعانهم جميعًا على ما يُرضيه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

# العمل الخيري ودوره في المجتمع(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُشد، وقائد الخلْقِ إلى الحقِّ: سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن سار على دربه، وانضم إلى حزبه، وسار في ركبه، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فحينما أكون في البحرين لا أعتبر نفسي ضيفًا، وإنَّما أعتبر نفسي بين أهلي وإخوتي وأخواتي، وأبنائي وبناتي، الذين أكنُّ لهم كل حب وتقدير، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذا البلد ويحفظه ويرعاه: شعبًا،

(١) ألقيت في جمعية الإصلاح بدولة البحرين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأميرًا، وحكومة، وأن يوحد أهله على الخير، ويجمع كلمته على الهدى، وقلوب أهله على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، وأن يجنبهم كيد الكائدين، ومكر الماكرين، ويجعل يومهم خيرًا من أمسهم، ويجعل غدهم خيرًا من يومهم؛ إنَّه سميع قريب.

حديثنا أيُّها الإخوة الأحبة، عن العمل الخيري التطوعي ودوره في خدمة المجتمع، ووقايته من الشرور والآفات، وتحصينه ضد السموم الغازية والأوبئة، التي تهدد حياته وتهدد صحته.

## عمل الخير واجب كل مسلم:

العمل التطوعي أو العمل الخيري، أنا أفضل أنْ أسميه العمل الخيري، العمل لخير الناس، لخير المجتمع كله، هذا العمل جزء من كيان المسلم، فكل مسلم مدعو إلى عمل الخير، ومأمور بعمل الخير، الله تعالى خاطب الجماعة المؤمنة في أوائل سورة الحج فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۞وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨]. الجماعة المؤمنة هنا لها مهمة ورسالة ذات شعب ثلاث: الشعبة الأولى تحدد العلاقة بالله ﷻ: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾. والشعبة الثانية تحدد العلاقة بالمجتمع: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾. والشعبة الثالثة تحدد العلاقة بقوى الشر، وبأعداء الله وأعداء الأمة وأعداء الدين: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، فهذه مهمة الجماعة المؤمنة: العبادة، وفعل الخير، والجهاد.

كل مَنْ يُنادَى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. مُطالَب بفعل الخير، ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، تفلحون في الدنيا، وتفلحون

QaradawiBooks.com

في الآخرة. وبدون فعل الخير لا يستحق الإنسان فلاح الدنيا ولا فلاح الآخرة، لا يُفلح الفرد ولا يُفلح المجتمع، فالمسلم مأمور بفعل الخيرات.

غير مرخصة للطباعة

**استباق الخيرات والمسارعة فيها:**

بل أكثر من ذلك أنَّ المسلم مأمور باستباق الخيرات، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، أي هناك سباق في فعل الخير، فحاول أن تكون السابق، عندما يكون هناك سباق بين الفرسان بعضهم وبعض، أو بين ركاب الهجن كما نرى في عصرنا ـ الرياضة التي يقولون عنها: الرياضة العربية. وما هي بعربية، لم يكن العرب يفعلون هذا، لا، بل كان كل واحد يسابق على جمله ـ على كل حال مهمة السباق أن أكون أنا السابق، يحاول كل إنسان أن يكون في المرتبة الأولى، أن يستبق الخيرات، أن يسارع في الخيرات، وصف الله قومًا بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]. فليس مطلوبًا فعل الخيرات فقط، بل مطلوب المسارعة في الخيرات واستباق الخيرات، هذا ما طلبه الإسلام.

**الدعوة إلى الخير:**

وأكثر من ذلك طلب الدعوة إلى الخير؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. حصر الفلاح فيهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي لا يفلح غيرهم، ولذلك قال بعض المفسرين: إنَّ «مِنْ» هنا في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾. بيانية، وليست تبعيضية؛ لأنَّه قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

QaradawiBooks.com

فلا بدَّ أن يحرص كل مسلم على أن يكون من المفلحين، فكما تقول: ليكن لي منك الصديق الوفي، ليكن منك الأسد الهصور لنصرة الإسلام. ليكن منك أي: كن أنت. فحينما يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾. فكأنما يقول: كونوا أُمَّة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

إذنْ فكل مسلم مأمور بفعل الخير، واستباق الخير، والدعوة إلى الخير، فلا يكفي أن تفعل الخير في نفسك، وإنَّما ينبغي أن تدعو إليه غيرك، حتى لو لم تقدر أن تفعل الخير؛ دُلَّ غيرك على الخير: «**الدال على الخير كفاعله**»[١]، كما في الحديث، وفي صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**»[٢]. وكذلك من سَنَّ سُنَّة حسنة في الخير، مثلما دعا النبي ﷺ الصحابة إلى أن يتبرعوا ويجودوا؛ حينما جاءهم رجل ذو ثياب بالية، وحالته رثَّة، فقال: «**رحم الله من تصدَّق من ديناره، من درهمه، من كذا**». فجاء رجل وجاء بصرة فيها دراهم وأعطاها للنبي ﷺ، فأقبل الناس بعد ذلك يقلدون هذا الرجل، ويتسابقون على الخير بعده، فقال النبي ﷺ: «**من سَنَّ سُنَّة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ سُنَّة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[٣]. فكل مؤمن مطالب بأن يدعو غيره إلى الخير، لا يُكتفى منه بعمل الخير.

(١) رواه أحمد (٢٣٠٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. عن بريدة.
(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.
(٣) رواه مسلم (١٠١٧)، والنسائي (٢٥٥٤)، كلاهما في الزكاة، عن جرير بن عبد الله البجلي.

QaradawiBooks.com

**الحضّ على فعل الخير:**

ولذلك نجد القرآن الكريم يطالب الإنسان بهذه الفريضة التي سمَّاها «الحضّ على إطعام المسكين»، كل واحد ينبغي أن يطعم المسكين، وإلَّا كان من أهل سقر والعياذ بالله، من أهل النار الذين يَسأل عنهم أصحاب اليمين يوم القيامة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٢]، ما الذي أدخلكم الهاوية، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]. ما الذي أدخلكم هذه النار؟ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤]. أضعنا حقَّ الله بإضاعة الصلاة، وأضعنا حقَّ عباده بإضاعة الزكاة، أو بعدم إطعام المسكين! فجعل القرآن هذا الأمر بجوار الإيمان بالله.

قد يستطيع إنسان أن يُطعم المسكين، وقد لا يستطيع آخر أن يطعم المسكين. وكل منهما مطلوب منه فريضة الحضّ ـ أي التحريض والحثّ ـ على إطعام المسكين، يقول الله تعالى في بيان أصحاب الشمال الذين يأخذون كتابهم بشمائلهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٧]. يا ليت الموتة الأولى كانت القاضية لي، والمعدمة لي، وليس هناك بعث ولا حساب ولا عقاب، يا ليتها كانت موتة وانتهى الأمر، ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٧ ـ ٢٩]، من أكثر ما ينفع الناس في الدنيا المال والسلطان، أمَّا يوم القيامة فلا ينفع مال ولا سلطان، هنا يصدر الحكم الإلٰهي على صاحب الشمال هذا فيقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]. ما هي حيثيات أو أسباب الحكم؟ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤].

QaradawiBooks.com

ولذلك كان سيدنا أبو الدرداء يقول لامرأته أم الدرداء: إنَّ لله تعالى سلسلة لم تزل تغلي بها مراجل النار منذ خلق الله النار، قد كسرنا نصفها بالإيمان بالله، وبقي النصف الآخر فحضي على طعام المسكين يا أم الدرداء[١].

يقول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١]. من هو الكافر المكذب بالدين، بلقاء الله، بالجزاء في الآخرة، أو بالدين من حيث هو؟ إن كنت تريد أن تعرف ذلك، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣]. هو الإنسان القاسي القلب، الأناني الذي يعيش لنفسه ولا يبالي بغيره، ويقول ما قال الشاعر:

**إذا بت ظمآنًا فلا نزل القطر**[٢].

يعيش لمصالحه ومنافعه وشهواته فقط، ولا يعبأ بالآخرين، هو قاسٍ على الضعفاء، ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه بعنف، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، لا يكلف خاطره أن يدعو الناس أن يطعموا المسكين.

## رعاية ضرورات المحتاج:

وطبعًا ليس معنى إطعام المسكين أن تطعمه وتتركه عاريًا، لا، بل هذا كناية عن رعاية ضرورات المسكين وحاجاته، فتطعمه وتكسوه وتسكنه في مكان لا تتركه مشردًا، كل ما يحتاج إليه المسكين، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فللمسكين حق يجب أن يُؤدَّى إليه، وأن تتم الدعوة إلى أدائه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٤/٨) لعبد بن حميد، وابن المنذر، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) من شعر أبي فراس الحمداني، انظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٢٣١/٣)، نشر عام ١٣٩١هـ.

QaradawiBooks.com

ومن هنا وصف الله المجتمع الجاهلي في سورة الفجر، فقال يخاطبه: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧ ـ ٢٠]. يضيع اليتيم فيكم ويُهان ويُساء إليه، ولا يجد أحدًا يدافع عنه، لأنَّه فقد الأب وفقد النصير، ولا يحض بعضكم بعضًا، ولا يحث بعضكم بعضًا على إطعام المسكين، فيضيع المسكين فيكم، ولا يجد من يقول: يا ناس، هؤلاء المساكين مَنْ لهم؟! وهذا خطر.

## الأصل في إنشاء الجمعيات الخيرية:

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عم: هذه الآية: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾. أصل في إنشاء الجمعيات الخيرية لإغاثة المساكين والفقراء[1]. حتى لا يكون المجتمع كذلك المجتمع الجاهلي، الذي لا يتحاضّ على طعام المسكين: يجب أنْ يُنشئ الناس الجمعيات والجماعات والمؤسسات التي تعمل على إطعام المساكين، وعلى إغاثة الفقراء، وعلى تعليمهم، وعلى كلِّ ما يحتاجون إليه، هذا شأن الأُمَّة الإسلامية، وهذا واجب على كلِّ مسلم.

## قصور معنى العمل التطوعي:

عنوان المحاضرة «العمل التطوعي»، وكلمة «تطوعي» هذه في الحقيقة تقلل من قيمة هذا العمل، كأنه عمل اختياري: من أراده فعله، ومن لم يفعله فلا حرج عليه، لا، هذا من فرائض الكفاية على الأُمَّة،

(١) تفسير جزء عم للإمام محمد عبده صـ١٦٢، نشر مطبعة مصر، ط٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يجب على الأُمَّة بالتضامن أن يكون فيها جمعيات تقوم بهذا الأمر، إلا إذا كان معنى التطوُّع هو الاحتساب، أي أنَّه ليس موظفًا، هو يقوم بهذا لله إيمانًا واحتسابًا، إذا كان هذا معنى التطوع فلا بأس به، لكن يجب أن يُعرف أن هذه فريضة من فرائض الإسلام يجب القيام بها، وإلا كان صاحبها من الذين لا يحضُّون على طعام المسكين.

## عمل الخير بكل الوسائل في شتى المجالات:

يكون العمل الخيري لنفع الناس؛ بكل أدوات العمل، وكل وسائله، وفي كل مجالاته، بعض هذا العمل يكون للإطعام، وبعضه للكسوة، وبعضه لإنشاء المساجد، وبعضه لإنشاء المساكن، وبعضه لكفالة اليتامى والمشردين واللقطاء.

الناس في عصرنا والحمد لله سنوا سنة حسنة «كفالة يتيم»، يقول لك: تستطيع أن تكفل يتيمًا. في أول الأمر كان لا بدَّ لكي تكفل يتيمًا أن تضمه إلى بيتك، وقد لا يكون عندك مكان، لا، الآن يمكنك أنْ تكفل اليتيم وهو في بلده: في أفريقيا، في السودان، في أفغانستان، في فلسطين، في غيرها، فقد يكون العمل الخيري في كفالة اليتيم.

## الدعوة إلى الإسلام ومواجهة التنصير:

وقد يكون العمل الخيري في تعليم الجُهَّال، في تعليم الأميين، تعليمهم القراءة والكتابة، تعليمهم الدين، هناك بعض الناس تجهل ألف باء الإسلام، في أفريقيا وآسيا مسلمون لا يجدون من يعلمهم، ومن عدة سنوات جاءنا وفد في قطر من أوغندا، وقالوا لنا: أنقذونا؛ أولادنا لا يجدون كراسة يكتبون فيها، قلم رصاص لا يجدونه، «محَّاية»

QaradawiBooks.com

لا يجدونها، مصحفًا أو أجزاء من المصحف يتلون فيها القرآن لا يجدونها، لا يجدون مكانًا يتخذونه مدرسة أو كُتَّابًا.

قالوا: وبجوارنا المؤسسات التنصيرية التبشيرية تقول: لا عليكم، هاتوا أولادكم ونحن نعلمهم بالمجان. هكذا! فكل من يقوم بجهد في هذا: تعليم الجاهل، وتدريب العامل، وتشغيل العاطل، وتنبيه الغافل، وتذكير الناسي، كل هذه أعمال خيرية.. الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الإسلام، ومقاومة الهجمات التي تريد أن تفتن المسلمين عن دينهم، وأن تسلخهم من جلدهم، وتخرجهم من هويتهم الإسلامية، والحرب قائمة! وهذه المؤسسات التي تريد فتنة المسلمين يُنفق عليها ليس عشرات أو مئات الملايين، لا، بل آلاف الملايين من الدولارات، مليارات!

**مؤتمر المبشرين البروتستانت في كولورادو:**

وأنا منذ سنوات حينما قرأت عن مؤتمر كولورادو، الذي عقده المبشرون البروتستانت الأمريكان، ليس كل المبشرين في العالم، وليس الكاثوليك ولا جماعة بابا الفاتيكان، ولا البروتستانت في أنحاء العالم، وإنَّما في أمريكا فقط، اجتمع مائة وخمسون من عتاة المنصرين في ولاية كولورادو بأمريكا سنة (١٩٧٨م). بهدف مُعلَن، أعلنوا عن الهدف، ما هو الهدف؟ هو تنصير المسلمين في العالم.

هم قبل ذلك اجتمعوا في بازل في سويسرا لتنصير غير المسيحيين في العالم، ثم بعدها بمدة قليلة اجتمعوا لتنصير المسلمين في العالم، فبدل أن يوجهوا همهم لتنصير الوثنيين والملاحدة ـ من لا يؤمنون بدين ـ وجهوا همهم إلى تنصير المسلمين

QaradawiBooks.com

أصحاب الدين السماوي التوحيدي؛ لأنَّهم وجدوا المسلمين في غفلة، وكما يقول الشاعر:

**ومَنْ رعَى غنمًا في أرض مَسْبعةٍ ونامَ عنها تولَّى رعيها الأسدُ**[١]

صار المسلمون أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام؛ فطمع غيرهم فيهم، وأصبحوا طُعْمة لكل آكل، وأصبحوا غرضًا لكل نابل!

**أهداف المبشرين:**

هكذا أعلنوا هدفهم، وقدموا أربعين دراسة عن الإسلام مقارنًا بالمسيحية، وأنشؤوا لذلك معهدًا اسمه «معهد زويمر»، وزويمر هذا كان مبشرًا من قدامى المبشرين العتاة، كان يرأس المبشرين، وهو الذي رأس المؤتمر التبشيري الذي عُقد في القاهرة سنة (١٩٠٦م). وكان مقره إقامته هنا في البحرين، فهو من عتاة المبشرين الذين لهم نشاط وجهود في التنصير، وهو صاحب الكلمة الشهيرة: تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأنَّ الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها[٢]. وهو الذي وجه المبشرين إلى أنَّه ليس من الضروري أن نصل بالمسلم إلى درجة الدخول في النصرانية، بحسبنا أن نشككه في الإسلام، وأن نزعزع ثقته بالإسلام، وليس من الضروري أنَّ أحمد ومحمد ومحمود يصبحون جورج ومايكل وديفيد!

فهذا الرجل أرادوا أنْ يحيوا ذكراه بإنشاء معهد يحمل اسمه، مهمته تخريج مبشرين ومنصرين متخصصين في تنصير المسلمين، فهذا

(١) من شعر أبي مسلم الخراساني، كما في المحاسن والأضداد صـ٤٥، نشر دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي صـ٨٠، نشر منشورات العصر الحديث، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

يتخصص في بلاد الخليج، وهذا في غرب أفريقيا، وهذا في شرق أفريقيا، وهذا في وسط أفريقيا، وهذا في جنوب أفريقيا، وهذا في شمال أفريقيا، وهذا في المنطقة العربية، وهذا في المنطقة الاستوائية، وهكذا، وأحيانًا يتخصص في منطقة معينة داخل بلد معين، يدرس هذه المنطقة، فيدرس العقائد السائدة فيها: سُنَّة أم شيعة؟ وعلى أي اتجاه: هل هم سلفيون أم صوفيون؟ وإذا كانوا صوفية فعلى أي طريقة: هل هم قادريون أو هم تيجانيون أم هم شاذلية أم هم أحمدية أم هم برهامية؟ لا بدَّ أن يعرف، وما المذهب السائد فيهم: هل هو المذهب المالكي أم الشافعي؟ وما اللغة السائدة؟ وما اللهجة؟ وما هي الشخصيات المؤثرة؟ رؤوس القبائل وزعماء القوم، وما هي المداخل للتأثير في الناس؟ وهكذا، فأنشؤوا «معهد زويمر» لتخريج هؤلاء، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وجمعوها في الحال، أتوا بألف واحد من المليونيرات وقالوا: على كل واحد مليون. وجمعوا المبلغ كله!

## محاولة مواجهة جهود المبشرين:

أنا في ذلك الوقت تحمست، وحاضرت في عدد من البلدان والأقطار، وقلت: يا ناس، إذا كان هؤلاء جمعوا ألف مليون دولار لينصروا المسلمين؛ فنحن نريد أن نجمع ألف مليون دولار لحماية الوجود الإسلامي. كان المفروض أن نقول: لنشر الإسلام في العالم!

هم يريدون أن ينصروا العالم، ونحن أولى بنشر الإسلام في العالم، لأننا أصحاب دين عالمي، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فعلى الأقل إذا ضعفت عزائمنا، ووهنت هممنا،

QaradawiBooks.com

وقصر طموحنا عن أن ننشر الإسلام في العالم؛ فليكن همنا أن نحافظ على الوجود الإسلامي، أن نحمي وجودنا الإسلامي من الهجمات، ولا يكون هذا إلا بأن نجمع كما يجمع هؤلاء، وأنا قلت في ذلك الوقت: المسلمون عددهم على الأقل ألف مليون مسلم، لو جمعنا من كل مسلم دولارًا سنجمع الألف مليون، ولذلك رفعت شعارًا وقلت: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا.

حينما أراد اليهود أنْ يقيموا دولتهم وقبل أنْ يقيموها كان عندهم شعار يقول: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا. ونحن لا نريد أن نقتل، نحن نريد أن نحيي وننقذ، ولذلك أطلقت هذا الشعار: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا. طبعًا هناك مسلم لا يستطيع أن يدفع الدولار؛ لأنَّه لا يملك قوت نفسه، لكن هناك مسلم يستطيع أن يدفع عشرة، وآخر يدفع مائة، وآخر يدفع ألفًا، وآخر يدفع مليونًا، وفعلًا حينما ذهبت إلى الكويت في أحد مؤتمرات المصارف الإسلامية، وقمت وناديت في الناس بهذا الأمر، وقلت لهم: نستطيع أن ننشئ هذه المؤسسة لتقوم بهذا الأمر، وتجمع الألف مليون دولار هنا في الكويت، وأنا أرشح فلان الفلاني الشيخ يوسف الحجي لأمانة هذه المؤسسة، وأدعو القائمين أن يتبرعوا.

وقام أحد الإخوة وهمس في أذني وقال: أنا أتبرع بأول مليون لهذا العمل، وأناشدك الله ألا تذكر اسمي. ولم أذكر اسمه، ووضع المليون في بيت التمويل الكويتي لحساب هذه المؤسسة، ثم عُرِف بعد ذلك هذا الأخ، وهو أبو بدر الشيخ عبد الله المطوع رئيس جمعية الإصلاح في الكويت، دفع المليون الأول، وبعد ذلك أوقف عمارتين لهذا الغرض، المهم أنَّ المسلمين يستطيعون أن يدفعوا الكثير، ولكن الذي يؤسف له أننا لم نصل إلى ما نريد!

QaradawiBooks.com

### هدف استثمار التبرعات لا إنفاقها:

كانت الفكرة التي عندنا في هذا الوقت أنَّنا نجمع ألف مليون دولار، لا لننفقها في إطعام المساكين وكسوة العراة، ولكن لنستثمرها، نريد ألف مليون صدقة جارية تُستثمر، ويُنفق من عائدها ويبقى الأصل، نشغلها لتأتي لنا بمائة مليون تقريبًا في السَّنَة فننفق منها على حاجات المسلمين في العالم، ويبقى الأصل قابلًا للزيادة، كانت هذه هي الفكرة، وكان الخليج في ذلك الوقت في حالة انتعاش وصعود.

### عراقيل ومعوقات:

ولكن للأسف الإجراءات البطيئة التي نعاني منها، جعلتنا نبقى حوالي ست سنوات، ونحن نحضر لهذا المشروع، ونعمل مسودات ولوائح وأشياء، ونختار الأعضاء، ونعرضها على الأعضاء، ثم عرضناها على الكويت، والكويت عرضها على لجان، واللجان عرضت على لجان، ثم إلى وزارة العدل، ثم إلى الأمير، ثم إلى البرلمان، إلى آخره!

فلما فاتت الست سنوات هذه كانت الدنيا تغيَّرت، هبطت قيمة البرميل من النفط، وتغيرت الحياة، فلم نجمع إلا حوالي ثلاثين مليونًا من الألف مليون، علام يدل هذا؟! يدلُّ على أنَّ الأُمَّة للأسف لا تدرك الأخطار التي تُهدِّدها، لكن هذا لا يجعلنا نيئس!

أنا أرى الأُمَّة الإسلامية بخير، ولكنها كما قال الأستاذ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ في مجلته «الفتح» من قديم، منذ أكثر من خمسين أو ستين سنة، أو سبعين سنة، كان يقول في مجلته: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة. الضعف في القيادات الإسلامية.

QaradawiBooks.com

## أهمية الشعور بالمسؤولية:

كانت له شعارات في المجلة منها هذا الشعار، ومنها كلمة الإمام الأوزاعي: أنت على ثُغرة من ثُغَر الإسلام فلا يُؤتينَّ من قِبَلِك[١]. أنت تقف حارسًا على ثغرة؛ فاحذر أن تنام عن هذه الثغرة، فيدخل الأعداء منها. إنَّه الشعور بالمسؤولية، لأنَّ أخطر ما نزل بالمسلمين هو فقدان الشعور بالمسؤولية، كل واحد يحاول أن يلقي المسؤولية على غيره، فهناك أناس يقولون: المسؤولية على العلماء، هم الذين يجب أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وكذا!

ولكن العلماء يحتاجون إلى الجماهير معهم، وكما قال أحد الدعاة يومًا لمن قال له: يا أستاذ فلان، أنتم صار لكم أربعون سنة وأنتم تتكلمون عن الإسلام؛ فماذا فعلتم؟ فقال له: وأنتم صار لكم أربعون سنة وأنتم تسمعون عن الإسلام فماذا فعلتم؟! فهي ليست مسؤولية المتكلم وحده، السامع عليه مسؤولية أيضًا. فالجماهير تلقي بالمسؤولية على العلماء، والعلماء يلقون بالمسؤولية على الحكام، والحكام يلقون بالمسؤولية على الاستعمار، والنبي ﷺ يقول: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٢]. صحيح المسؤولية تتفاوت، فمسؤولية الجاهل ليست كمسؤولية العالم، ومسؤولية الأمي ليست كمسؤولية الأستاذ المربي: المدرس في المعهد أو المدرسة أو الجامعة، ومسؤولية الشخص العادي ليست كمسؤولية القاضي، وليست كمسؤولية صاحب السلطة، إنَّما الكل مسؤول، فمن المهم جدًّا أن نربي الشعور بالمسؤولية.

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في السنة (٢٩)، وإسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤.

QaradawiBooks.com

ولو شعر كل إنسان بالمسؤولية لاستطعنا من خلال العمل الخيري هذا أن نملأ الدنيا، نشتغل في كل مكان: معلمين ودعاة، ومنفذين واجتماعيين، وثقافيين وتربويين واقتصاديين، خيريين في هذا كله، مجال الخير في الإسلام واسع مفتوح.

**بذل الخير لكل من احتاج إليه:**

لمن تفعل الخير؟ الخير للقريب والبعيد، للحبيب والبغيض، للمسلم وغير المسلم، حتى غير المسلم يُبذل له الخير، الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. ما دام غير المسلمين مسالمين، فلم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم؛ فالله تعالى لم ينهكم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، بل أنتم مطالَبون بالقسط لهم والبر بهم.

القسط هو العدل، والبر هو الإحسان، اختار الله الكلمة التي عبر بها عن أصل من أصول الفضائل، بر الوالدين، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، فحتى غير المسلم تبذل له الخير، أن تفعل الخير لكل الناس، بعض الناس يقول: لا تصنع المعروف في غير أهله. فسمع أحد السلف هذه الكلمة فقال: هذه الكلمة مثبطة عن فعل الخير! بل ابذر المعروف بذرًا؛ فإنْ أصاب الكرام كانوا له أهلًا، وإنْ أصاب اللئام كنت له أهلًا[1]. فالإنسان مطالَب أن يفعل الخير في كلِّ زاوية من الزوايا، وفي كل ركن من أركان الحياة، في كل مجال، ولكل الناس.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (٥٣)، من قول عبد الله بن جعفر.

QaradawiBooks.com

## رحمة الإسلام بالحيوان:

بل أكثر من هذا، مطالَب أن يفعل الخير للإنسان والحيوان، فالإسلام جاء رحمة عامة، للإنسان وللحيوان، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؟ فمن الرحمة التي للعالمين الرحمة حتى بالحيوان الأعجم، بالطير، بكل شيء، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**اتقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[(١)]. إذا كانت من الحيوانات التي تركب، أو من الحيوانات التي تُؤكل لحومها اتقِ الله فيها، لا تعذبها، لا تؤذها، لا تكلفها فوق طاقتها، رأى سيدنا عمر رجلًا يسحب شاة من رجلها ليذبحها، فقال له: يا هذا، قُدها إلى الموت قودًا جميلًا[(٢)]. ورأى النبي ﷺ رجلاً يحد الشفرة أمام الشاة فقال: «**ويحك! أتريد أنْ تميتها موتات؟**»[(٣)]. ولذلك من السُّنَّة ألَّا تحد الشفرة أمام الحيوان، وألَّا تذبح ذبيحة أمام أخرى، انظروا إلى هذه الرقة والإحساس إلى أي درجة!

وقد حدث النبي ﷺ الصحابة عن امرأة كانت بغيًّا مومسًا، لكنها سقت كلبًا فغفر الله لها[(٤)]، في حين حدَّثنا عن امرأة أخرى دخلت النار

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٥)، موقوفًا، وهو منقطع؛ ابن سيرين لم يدرك عمر.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، والحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٠)، عن ابن عباس.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[١]. هذا دلالة على قسوة قلبها، بخلاف المرأة البغي؛ فقد غفر الله لها لأنَّ قلبها رقَّ لهذا الكلب!

وحدثنا حديثًا آخر عن رجل رأى كلبًا يلهث من شدة العطش؛ فملأ خفه من البئر عدة مرات، حتى سقى الكلب إلى أن ارتوى، قال النبي ﷺ: «**فشكر الله له فغفر له**». فقال الصحابة: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟ لأول مرة يسمعون هذا الكلام، فقال النبي ﷺ: «**في كل كبد رطبة أجر**»[٢]. الكبد الرطبة دلالة على الحياة، يعني كل كائن حي تُحسن إليه ففيه أجر، ولذلك كانت الأُمَّة الإسلامية أرحم الناس بالحيوانات والطيور؛ قبل أن يعرف الناس جمعيات الرفق بالحيوان في الغرب، فالخير في الإسلام للخلق جميعًا، قريبيهم وبعيدهم، مطيعهم وعاصيهم، مسلمهم وكافرهم، إنسانهم وحيوانهم.

## من موارد الخير الزكاة:

موارد هذا الخير من الزكاة المفروضة، وهي الركن الثالث في الإسلام كما نعلم، ومن لم يدفعها طوعًا أُخذت منه كرهًا، والإسلام أقام على الزكاة حُرَّاسًا ثلاثة: حارس من داخل الفرد؛ وهو حارس الإيمان.

وحارس من المجتمع؛ وهو الوعي الاجتماعي: الرأي العام المسلم؛ بحيث لو رأى الإنسان زميله أو صديقه لا يؤدي الزكاة قال له: يا أخي، حرام عليك، هذا حقُّ الله عليك وحق الفقراء، والمال مال الله وأنت مستخلف فيه؛ فأدِّ زكاتك.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والحارس الثالث؛ هو سلطان الدولة المسلمة، إنَّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[١]، ولذلك حارب سيدنا أبو بكر مانعي الزكاة كما حارب المرتدين، وقال كلمته الشهيرة: والله لو منعوني عقالًا ـ حبل بعير ـ كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[٢]. فعندنا الزكاة من موارد عمل الخير.

## من موارد الخير الوصايا:

وعندنا من موارد الخير غير الزكاة الوصايا، القرآن قال: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]. فالمفروض أن يوصي، بعض المفسرين قالوا: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ﴾، أي ترك مالًا له قيمة. فهذا يوصي بشيء من المال، لا يزيد على الثلث، كما قال سيدنا سعد للنبي ﷺ: أوصي بمالي كله؟ قال: «**لا**». قال: بثلثيه؟ قال: «**لا**». قال: بنصفه؟ قال: «**لا**». قال: بثلثه؟ قال: «**الثلث والثلث كثير**»[٣]. وشاع هنا في بلاد الخليج الوصية بالثلث من أهل الخير أصحاب المال، يقول لأولاده: أنا سأوصي بثلث هذا المال، فافعلوا به ما يفعله الحي للميت، أي أنفقوا على المحتاجين من ذوي القربى واليتامى، والمساكين وأبناء السبيل، وافعلوا الخير بهذه الوصايا.

---

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصايا، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

## من موارد الخير الأوقاف:

وهناك الصدقات الجارية، الصدقات الدائمة مثل الوقف، والمسلمون كان لهم باعٌ طويل في الوقف منذ عهد الصحابة، من عهد سيدنا عمر، حينما جاء رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، أصبت مالًا في خيبر، لم أجد أنفس منه؛ فماذا أفعل به؟ قال له: «**احبس الأصل، وسبِّل الثمرة**»[١]. احبسه لله.. لا يُوهب ولا يُباع ولا شيء من هذا، واجعل ثمرته لله عز وجل. وقال جابر بن عبد الله: ما وُجِد أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ذو مقدرة إلا وقف[٢].

واشتهر المسلمون بالأوقاف طوال العصور، كان السلاطين والأمراء والأغنياء يتقرَّبون إلى الله بالوقف: يعمل مسجدًا ويقف عليه، أو بيمارستان: وهي المستشفى، أو تكية لإطعام الفقراء، أو سبيل للسقيا في الطريق، كل هذه الأشياء كانوا يفعلونها، وتنوعت أوقافهم بتنوع حاجات الناس، ما تركوا شيئًا إلا وجعلوا فيه وقفًا.

وجدنا من يقف وقفًا حتى لمؤنسي المرضى، فهناك أناس مهمتهم أنَّهم يذهبون إلى المستشفى لإيناس المرضى، فهناك مرضى قد لا يوجد من يعودهم من الأقارب أو غيرهم؛ فيذهب هؤلاء إليهم ليؤنسوهم، وحتى غيرهم يذهبون إليهم ليؤنسوهم وينفسوا لهم في الأجل، يستعملون الجانب النفسي، يقول للمريض: والله أنا أراك اليوم ما شاء الله وجهك مشرق وكذا، وأنا سمعت أنك إن شاء الله على خير، وأنَّ العافية في الطريق وكذا. يعطيه الأمل والإيحاء بالشفاء، فهذا وقف إيناس المرضى.

---

(١) رواه النسائي في الأحباس (٣٦٠٤). والحديث متَّفق عليه بلفظ: «**إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها**». رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٧)، ومسلم في الوصية (١٦٣٢)، عن ابن عمر.

(٢) المغني (٣/٦، ٤)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وهناك وقف الصحن المكسور، تصوروا أنَّ بعض الناس وجدوا الخدم ـ سواء كانوا من الرجال، أو النساء ـ ممكن الخادم يكسر الطبق؛ فيأتي سيده أو سيدته؛ فيسبه ويهينه ويعنفه، فوجد هناك من يعمل وقفًا لهذه الأطباق، وكانت الأطباق في ذلك الزمن شكلًا واحدًا، أو عدة أشكال معروفة، فمن يكسر الطبق أو الصحن: يذهب إلى هذا الوقف؛ فيضع هنا الطبق المكسور، ويأخذ طبقًا بدلًا منه، انظروا إلى رعاية الجوانب النفسية لهؤلاء الضعفاء من الناس في هذا الوقت!

## من موارد الخير الصدقات:

وهناك الصدقات التطوعية من موارد الخير، مهما قلنا: إنَّ الزكاة هي المورد الأول. ولكن تظل هناك أشياء لا يمكن أن تغطيها الزكاة، افرض أنَّ واحدًا جاءه طارئ، فمرضت امرأته أو مرض ابنه، ويريد أن يجري له عملية، أو نفد الطعام الذي عنده، وجاء يطالبك بمعونة، فهل تقول له: أنا أخرجت الزكاة. وتتركه يموت؟! لا، النبي ﷺ يقول: «**ليس منا من بات شبعان، وجاره إلى جنبه جائع**»[(١)]. أين حق الإسلام عليك؟ إغاثة الملهوف، إنَّ الله يحب إغاثة اللهفان، «**من فرَّج عن مسلم كُرْبة من كرب الدنيا؛ نفَّس الله عنه كُربة من كُرُبات يوم القيامة**»[(٢)]، «**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني (٢٥٩/١)، والبزار (٧٤٢٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وابن حجر في القول المسدد (٢١/١)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الزكاة هي أول الحقوق في المال، وليست آخرها، هناك حقوق كثيرة في المال، مثل حق الماعون، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧]. الماعون ما يحتاجه الجيران بعضهم من بعض.

وهناك حق الضيف، خصوصًا إذا كان غريبًا ولا يجد مكانًا، هل تتركه في العراء؟ وهناك حق الحصاد، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وهناك حق التكافل، لا يجوز في المجتمع المسلم أن يبيت إنسان جوعان، وجاره شبعان بجواره، «**أيُّما أهل عرصة من المسلمين بات فيهم امرؤ جائع؛ فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله**»[(١)]. حتى أوجب الإمام ابن حزم أن يقاتل الإنسان من أجل أن يأخذ قوته ولا يترك نفسه يموت جوعًا، يقول له أعطني. فيرفض فيقاتله، يقول: فإنْ قُتل المانع فإلى لعنة الله وهو طائفة باغية، ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]. وإن قُتل الطالب فهو شهيد؛ لأنَّه يقاتل دفاعًا عن نفسه وعن حقه[(٢)]. تصوروا إلى هذا الحد، فهناك حقوق في المال غير الزكاة هي موارد الخير.

**من أسخياء المسلمين:**

وهناك صدقة النافلة التطوع، وهذه لا حد لها، يبذل الإنسان ما يستطيع، وكان هناك من المسلمين من يبذلون أضعاف الزكاة، بل قالوا: كان بعضهم لا تجب عليه الزكاة، مثل الإمام الليث بن سعد، وهو

(١) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

(٢) المحلَّى لابن حزم (٢٨٤/٤) مسألة (٧٢٥).

QaradawiBooks.com

مدفون في مصر بجوار الإمام الشافعي هناك، وكان شيخ الإمام الشافعي، وكان قرينًا للإمام مالك، وكان من أغنياء المسلمين، وقليل من المشايخ من يكونون أغنياء، لكنَّه كان من العلماء الأغنياء، ومع هذا ما كان يجب عليه الزكاة، لماذا؟ لأنَّه ما كان ينتظر بالزكاة حتى يحول عليها الحول، ما يأتيه ينفقه[١].

وقد كان من الأجواد الأسخياء، حتى إنَّ امرأة سألته، فقالت له: إنِّي أشتهي أكلة من عسل. فأمر لها بزقٍّ من عسل، جرَّة من عسل، فقال له بعض من حوله: طلبت منك أكلة فتعطيها زقًّا؟! فقال: هي طلبت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا[٢].

ومن هؤلاء الأسخياء عبد الله بن جعفر؛ وقد لامه بعض أصحابه قالوا: كلما سألك سائل تعطيه، لا ترد سائلًا؛ ألا تخشى الزمن؟ ألا تخشى الفقر؟ ألا تخشى الشيخوخة؟ ألا تترك لأولادك؟ ألا كذا؟ فقال لهم: يا قوم، إنَّ الله عوَّدني عادة، وعوَّدت عباده عادة، عوَّدني أن يعطيني، وعوَّدت عباده أن أعطيهم، فأخشى إن قطعت عادتي عن عباده أن يقطع عادته عني[٣]. هكذا، فموارد الخير كثيرة في الإسلام.

## مهمة الجمعيات الخيرية:

كل ما نحتاجه أن نصل إلى أهل الخير، وهذه مهمة الجمعيات الخيرية التي يسمونها التطوعية أو العمل التطوعي، مهمتنا أن نصل إلى

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥٣٠/١٤)، تحقيق د. بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٢٥٠/٣).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٨٥).

QaradawiBooks.com

هؤلاء الناس، لا تكفي وزارة الشؤون الاجتماعية، ولا يكفي حتى إنشاء صندوق للزكاة، لا بدَّ من هذه الجمعيات، وخصوصًا في عصرنا؛ فكثير من الناس لا يثق بالجهات الرسمية، الناس في كثير من البلاد ليس عندها ثقة بالمؤسسات الرسمية، فهو يقول: أريد أنْ أعطيك يا فلان كذا، أو أعطي هذه الجمعية أو هذه المؤسسة، وأنا آمنك أو آمنها. هكذا نجد في كثير من البلدان، فيظل هذا العمل الخيري له مكان وله موضع في حياة الناس، وفي سد حاجات المجتمع، ولا يجوز للمسلمين أن يتغافلوا ويتكاسلوا عن هذا في حين يقوم غيرهم بهذا الدور، كما قلت لكم: المؤسسات التبشيرية والتنصيرية تقوم بدور هائل في العالم، حوالي ربع مليون مبشر في العالم، وهذه إحصائية قديمة، لعلهم أكثر الآن! ربع مليون مبشر ومبشرة؛ لأنَّهم لا يقتصرون على الرجال، هناك النساء، هناك الرهبان والراهبات، هناك المبشرون والمبشرات، هؤلاء يعملون في العالم أعمالًا مما يسمونها الأعمال التطوعية هذه، كيف يمكن للمسلمين أن يتكاسلوا عن هذا الأمر أو يغفلونه؟ هذا لا يجوز إطلاقًا!

## أهمية التشجيع على الأعمال الخيرية:

كل سلطة يجب أن تشجع هذه الأعمال الخيرية، وتشجع الناس على القيام بهذا؛ بدل أن نترك الشباب يشتغلون بالهزل وبالحرام أحيانًا؛ فالفراغ قاتل، ولا يمكن أن يُترك الإنسان في فراغ، وكما قيل: من لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل. عبدة الشيطان وأمثالهم لم يجدوا عملًا يشغلهم ويملأ أوقاتهم، ويجدون فيه ما يشبع نهمهم؛ فلجؤوا إلى ما لجؤوا إليه، ولذلك ينبغي أن نشجع أبناءنا وبناتنا على مثل هذه الأعمال الخيرية.

QaradawiBooks.com

ويجب أن تكثر هذه الأعمال في كل ناحية: هذا يعمل في الدعوة، وهذا يعمل في التعليم، وهذا يعمل في الجانب الاجتماعي، وهذا يعمل في الجانب الثقافي، وهذا يعمل في جانب تدريب العمال، وهذا يعمل في تعليم الأميين، وهذا يعمل في مساعدة الطلبة الذين لديهم ملاحق، وهكذا، العمل الخيري أو التطوعي بكل ألوانه وأنواعه واتجاهاته يجب أن يبقى، وأن يُوسَّع، وأن يُنمَّى، وأن يُشجَّع، فهو دليل على حيوية الأمة، ودليل على أنَّ هذه الأُمَّة بخير.

## أُمَّتنا بخير، لا تجتمع على ضلالة:

وأنا أعتقد أنَّ أُمَّتنا بخير، لا تجتمع على ضلالة، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. إذا كان هناك من ضلوا أو انحرفوا؛ فهناك المحافظون على دينهم وعلى هويتهم، والباقون على الصراط المستقيم، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. هناك الطائفة المنصورة، «**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[(١)].

يجب أن نسعى في الخير، وأن نعمل في الخير، وأن نستبق الخيرات، وأن ندعو غيرنا إلى الخير، أن نتحاضَّ على طعام المسكين، يجب أن نفعل هذا كله، وأن نساعد كل من يحتاج إلى مساعدة: من طائع ومن عاصٍ، من محسن ومن مسيء، من قريب ومن بعيد، من مسلم ومن غير مسلم، من إنسان ومن حيوان، يجب أن نساعد الجميع بكل ما نستطيع من موارد: من الزكاة، من الأوقاف، من الوصايا، من الحقوق

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

الواجبة بعد الزكاة، من الصدقات التطوعية وأبواب الإحسان، من هذا كله، عندنا موارد هائلة، وعندنا أهل الخير كثيرون.

إنَّما نحتاج إلى الأفراد العاملين، الذين يقومون بعملهم إيمانًا واحتسابًا، لا يبغون من أحد جزاء ولا شكورًا، هذا هو الذي ينقص الأُمَّة، الشخص المحتسب الذي لا يعمل من أجل فلان، ولا من أجل علان، ولا من أجل درجة، ولا من أجل علاوة، ولا من أجل دنيا، ولا من أجل مصلحة، ولا من أجل شهوة، إنَّما يعمل لوجه الله، هذا هو الذي نريده، نريد من هذا الصنف الكثير والكثير؛ حتى نستطيع أن نقاوم الهجمات التي تريد أن تسلخ هذه الأُمَّة من جلدها، وأن تخرجها من ذاتيتها، وأن تعطلها عن رسالتها، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا إلى عمل الخير وخير العمل، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا؛ إنَّه سميع قريب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## إجابات عن أسئلة المحاضرة

**السؤال الأول: إنَّ الجمعيات الإسلامية والخيرية التي تعمل في مجال الخير تُتَّهم الآن كثيرًا بالإرهاب، وأنَّها توجه الأموال إلى غير مصارفها، وأنَّها.. وأنَّها، فما كلمتكم حول هذا الموضوع؟**

**الجواب:** هذه إحدى التهم التي تُلقى جزافًا بغير دليل ولا بينة، كما يقول الشاعر:

**والدعــاوَى ما لم تُقيمــوا عليها بــيــنــاتٍ أبــنــاؤُهــا أدعــيــاءُ**[١]

وفي الحديث: «**لو يُعطى الناس بدعواهــم؛ لادَّعى ناسٌ دماء رجال وأموالهم**»[٢]. فهذا كلام لا بينة عليــه، من قال مثلًا: إنَّ جمعية الإصلاح هنا في البحرين تمول الإرهاب؟ أي إرهاب هذا؟!

هذه تهمة يُراد بها تعطيل كل عمل إســلامي، يراد أن يكون لليهود وحدهم جمعياتهــم اليهودية، التــي تجمع الملايين من يهــود العالم؛ لتمويل أكبر إرهاب في العالم ـ وهو الإرهاب اليهودي ـ ولا يقول عنهم أحد شيئًا، والمســلمون هم الذين يُتهمون بهذا ظلمًا وعدوانًا! يريدون إيقاف أي معونة لأي مســلم، وبعضهم قال: نريــد تجفيف المنابع، أي نمنع عن الأصوليين أو الإرهابيين الأموال التي تأتي لهم. وصارت لهم مدة في هذا، والإرهاب الذي يزعمونه لم ينقص!

---

(١) من شــعر الإمام البوصيري في همزيته، انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب (٢٥٠/١)، نشر دار الآثار الإسلامية ـ وزارة الإعلام ـ الكويت، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) رواه الدارقطني في الحدود والديات (٣١٩٠)، والبيهقي في القسامة (١٢٣/٨)، وضعفه ابن حجر في التلخيص الحبير (٧٤/٤)، عن عبد الله بن عمرو. والحديث متَّفق عليه بلفظ: «**اليمين على المدَّعى عليه**». رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فهذا كلام لا أصل له، ولا بينة عليه، هو اتهام من أعداء المسلمين، وكل يوم سيخرجون علينا بنغمة جديدة، في بعض الأحيان يقولوا: متطرفين. وأحيانًا أصوليين، وأحيانًا إرهابيين، الآن أصبحوا يقولون: احذروا الإسلام المعتدل، واحذروا الإسلاميين المعتدلين؛ فهم أشد خطرًا من المتطرفين، المتطرفون لا يُعمَّرون طويلًا، إنَّما الذي يُعمَّر ويبقى هو الإسلام المعتدل، فهؤلاء أشد خطرًا. فهم كل يوم يخرجون علينا بشيء، فلا ينبغي أن نصدق هذا ولا أن نعيره التفاتًا.

**السؤال الثاني: كثرت اللافتات التي تعمل للعمل الخيري؛ فاختلط الأمر على الناس.. إلى أي جهة يتجهون، ولمن يعطون أموالهم؟ فما توجيهكم في هذا الأمر؟**

**الجواب:** هذا أمر مبنيٌّ على الثقة، الناس تعرف أهل هذه الجمعية أو هذه المؤسسة، وهل هم ناس صالحون وطيبون، أم ناس متهمون؟ هذا أمر مرجعه إلى ضمير الإنسان المسلم، من يطمئن إليه عقلك وقلبك ساعده وأيِّده بما تستطيع.

ثم نحن نعمل لله، نحن أُمرنا أن نحكم بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، فالإنسان يعمل حسب اجتهاده، فإذا اجتهد ورأى أنَّ هذه الجمعية جمعية خيِّرة وأهلها أناس طيبون وصالحون، ولا يوجد أي شيء يُؤخذ عليهم؛ فهو يعطيهم. ولو ظهر فرضًا أنَّهم غير أمناء؛ فالله لن يضيع ما أعطيتهم، لأنَّ الله يجازيني على نيتي.

ونحن نعرف ما ورد في صحيح مسلم: «**قال رجل: لأتصدقنَّ الليلة بصدقة. فخرج بصدقته؛ فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على زانية. قال: اللهم لك الحمد، على زانية! لأتصدقنَّ**

QaradawiBooks.com

**بصدقة. فخرج بصدقته؛ فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق على غني. قال: اللهم لك الحمد، على غني! لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته؛ فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق على سارق. فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، وعلى غني، وعلى سارق! فأُتي فقيل له: أمَّا صدقتك فقد قبلت، أمَّا الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعلَّ الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعلَّ السارق يستعف بها عن سرقته»**[(١)]. فمعناه أنَّ الله لم يضيع نفقته سُدًى، فأنت أصلح نيتك وابذل، ولن يضيع عملك عند الله، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

**السؤال الثالث: هناك دعوى آخذة في التصاعد؛ للانكفاء إلى الداخل، وحكر أموال الخليج للتكافل في داخل المجتمع، وعدم إخراج الأموال إلى الخارج لمساعدة الشعوب الإسلامية المحتاجة؛ بحجة أنَّ الأقربين أولى بالمعروف، فما رأيكم في هذا؟**

**الجواب:** هذه دعوة غير إسلامية حقيقة؛ لأنَّ المسلمين أُمَّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ويشد قويهم على يد ضعيفهم، ويصب ملآنهم على فارغهم، ويأخذ غنيهم بيد فقيرهم، كما قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**»[(٢)].

طبعًا الأقربون أولى بالمعروف، إذا كان عندي قريبي أو جاري محتاجًا أعطيه، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة**»[(٣)]. فيها أجر الصدقة، وأجر صلة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٩.

(٣) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٢)، =

QaradawiBooks.com

الرحم، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. فالأقربون أولًا ثم يأتي من بعدهم، لكن لا يجوز أن نأتي إلى مجتمع مثل مجتمع الخليج.. أفاء الله عليه من فضله، والأغنياء فيه كثيرون، وأصحاب الملايين فيه كثيرون فأقول لهم: أنتم يا أهل الدوحة وأهل المنامة، وأهل الرياض وأهل جدة، وأهل الكويت وأهل دبي وأهل أبو ظبي.. أبقوا أموالكم التي تنفقونها عليكم فقط!

هذا لا يجوز.. وبقية المسلمين لهم حق في هذا المال، الأصل في الحقيقة أنَّ المسلمين أُمَّة واحدة، والدولة القُطرية هذه على خلاف ما يشرع الإسلام، الأصل أنَّ المسلمين دولة واحدة، وأوطانها كلها اسمها دار الإسلام، ذات أقاليم متعددة، وهم أُمَّة ذات شعوب وقبائل، ولذلك أنا لا أقبل أن يُقال: الأمم الإسلامية. فهي أُمَّة إسلامية ذات شعوب، وهي كلها دار إسلام، دار ذات أقاليم تحكمها مرجعية إسلامية واحدة، وعلى رأسها الخليفة، هذا هو الأصل، وهذه الأموال لكل المسلمين عامة، فأنا أقول: إنَّ للمسلمين عامة حقًّا في النفط والبترول الذي في بلاد الخليج، ولا يجوز أنْ يستأثر أهلها به ويقولون: نحن أولى. هذه دعوة شريرة في الحقيقة، وهي ليست من الإسلام في شيء، «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه**»[1]. وإذا تركت أخاك المسلم جائعًا عريانًا مريضًا ولم تسعفه؛ فقد أسلمته وخذلته وتركته، فهذا الانكفاء على النفس أو على الداخل إذا كان المقصود منه أنَّنا لا نهتم لأمر المسلمين؛ فهذا لا يجوز إطلاقًا!

---

= وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضَّبي.

(١) سبق تخريجه صـ١٥٩، وفيه: «من فرَّج عن مسلم كُرْبة».

QaradawiBooks.com

ولذلك حينما أرسل النبي ﷺ سيدنا معاذًا إلى اليمن، وذهب بعد ذلك في عهد سيدنا عمر، وفي سنة من السنوات بعث إليه بثلث الزكاة، وفي السَّنَة التي بعدها بعث إليه بثلثي الزكاة، ثم بعد ذلك بعث إليه بالزكاة كلها، فقال عمر: لماذا تبعثها كلها، وَزِّع الزكاة على الناس عندك. لأنَّ الأصل في الزكاة أنَّها تؤخذ من أغنيائهم لتُرَّد على فقرائهم، من أغنياء كل إقليم لتُرد على فقرائه، فإن استغنى أهل الإقليم أُرسل إلى الأقاليم الأخرى، أو إلى الدولة المركزية، أو إلى أحوج الناس، وهكذا، فقال له: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدًا يأخذه مني[١]. استغنى الناس هنا، عمّ الرخاء، هيمن عدل الإسلام والحمد لله، فهكذا إذا استغنى أهل بلد ترسل الزكاة إلى سائر المسلمين.

وفي عام المجاعة أرسل سيدنا عمر إلى عمرو بن العاص في مصر يقول: هلك الناس، أرسل إليَّ الإغاثة. فأرسل إليه نوقًا محملة بالدقيق، فكان سيدنا عمر يأخذ الدقيق ويعطيه للناس، وكانت أوعية دقيق قماشًا فقال لهم: اتخذوها ثيابًا. وذبح النوق ليأكل الناس[٢]، فاستفاد الناس من كل ناحية، لأنَّ مصر ردء للحجاز، فلا ينبغي أن يقال: أهل مصر وشأنهم. أين الأمة الواحدة إذنْ؟ فهذا ليس من الإسلام في شيء.

**السؤال الرابع: ما رأيكم فيمن يقول: إنَّ تأسيس الجمعيات الخيرية وما شابهها من الجماعات التي تحث على الخير بدعة؟**

**الجواب:** من قال هذا؟ هؤلاء أناس حرفيون، فكما قال الشيخ محمد عبده: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾. أصل

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (١٩١٢)، تحقيق خليل محمد هراس، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه ابن خزيمة (٢٣٦٧)، والحاكم (٥٦٣/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، كلاهما في الزكاة، عن أسلم.

QaradawiBooks.com

في إنشاء الجمعيات الخيرية لإغاثة المساكين والفقراء[١]. كيف يحض بعضنا بعضًا؟ هذه الجمعيات وسيلة لذلك، ونحن في عصر المؤسسات، العمل الفردي وحده لا يغني، أنت وحدك لا تستطيع أن تفعل شيئًا، إنَّما أنت وأخوك، وجارك وابن عمك، وقريبك وصديقك: تستطيعون معًا أن تفعلوا شيئًا، ولذلك أنا أقول: العمل الجماعي لخدمة الإسلام؛ سواء كان عملًا خيريًّا، أو عملًا دعويًّا، أو عملًا تربويًّا، أو عملًا ثقافيًّا، كل عمل جماعي هو فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع؛ لأنِّ الإسلام قال: «**إنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[٢]. الشاردة من الغنم يأكلها الذئب، وقال: «**إنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن الثلاثة أبعد**»[٣]. وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشد بعضه بعضًا**»[٤]. وقال: «**يد الله مع الجماعة**»[٥]. التجمع خير ورحمة وبركة.

ولو نظرنا لمنطق العصر ومنطق الواقع، نجد أنَّه لا يمكن أن ينجح عمل فردي. وإذا كان أعداؤنا يعملون بواسطة جماعات ومؤسسات وتكتلات؛ فكيف نواجههم بعمل مبعثر سائب غير

---

(١) تفسير جزء عم للإمام محمد عبده صـ١٦٢.

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن عمر.

(٤) سبق تخريجه صـ٥٩.

(٥) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

منظـــم؟! وإذا كان النبي ﷺ يقول: «**إذا كنتم ثلاثة في ســـفر؛ فأمِّروا أحدكم**»[١]. إلى هذا الحد، فهذه شـــرعية التنظيم حتى يكون شـــيئًا جماعيًّا له قيادة، فنحن لا يمكن أن ننجح في أي عمل من الأعمال؛ إذا كانت الأعمال ســـائبة ومبعثرة وفردية، وكل واحد مملكة وحده، ونحن في عصر التجمعات والتكتلات! فينبغي أن نعرف منطق ديننا ومنطق عصرنا وننزل عليهما.

* * *

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم».

QaradawiBooks.com

٦

# التكافل الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلاميَّة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، رحمةُ الله المهداةُ للعالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصَحْبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأُهَنِّئكم بهذا الشهر الكريم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والَّذي أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النَّار،

(١) ألقيتُ في نادي مكة الثقافي الأدبي، يوم الثلاثاء ١٢ رمضان ١٤١٤هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وأنْ يجعله شهر خير وبركة على أمَّة الإسلام، وأنْ يتمَّه علينا وعليكم وعلى أُمَّتنا الكبرى بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما يحبُّ ويرضى.

وأشكر لنادي مكَّة الثقافي الأدبي: أن هيَّأ لي فرصة أخرى من فرص اللقاء بأهل هذا النادي، وعلى رأسهم الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور راشد الراجح، وإخوانه الكرام حفظهم الله، نلتقي حيث تَحُفُّنا بركة المكان، وبركة الزمان، وبركة الهدف.

أمَّا المكان، فهو البلد الأمين، في رحاب بيت الله الحرام، في أقدس الأماكن، بجوار حرم الله، حرم الخليل إبراهيم، أوَّل بيت وُضع للناس.

وأمَّا بركة الزمان، فهي بركة هذا الشهر، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، الَّذي جعل الله صيامَه فريضة، وقيام ليله تطوُّعًا، و«**فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، مَن حُرِمها فقد حُرِم الخير كلَّه، ولا يُحرَم خيرها إلَّا محروم**»[(١)]، هذا الشهر الَّذي جعله الله ﷻ مَتْجَرًا للصالحين، وميدانًا للمتسابقين، فمَن نال حظَّه من هذا الشهر مغفرة ورحمة وعتقًا من النَّار، فطوبى له وحُسْن مآب، ومَن حُرم هذا فقد حُرم الخير كلَّه، وقد دعا عليه أمين السماء جبريل، وأمَّن عليه أمين الأرض مُحمَّد، صلى الله عليهما وسلم، كما ورد في الحديث: «**مَن أدرك رمضان فلم يُغفر له فأبعده الله**»[(٢)].

---

(١) رواه ابن ماجه في الصيام (١٦٤٤)، والطبراني في الأوسط (١٤٤٤)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب (١٤٩١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٦١/٢): هذا إسناد فيه مقال عمران بن أبي داود القطان مختلف فيه. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٣٣)، عن أنس.

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٠٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. والطبراني (٢٩١/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٨): فيه عمران بن أبان وثقه ابن حبان =

QaradawiBooks.com

نسأل الله ألَّا يجعلنا من المُبْعَدين، ولا من المحرومين في هذا الشهر الكريم، فبركة المكان تحفُّنا، وبركة الزمان تَحفُّنا، وبركة الهدف الذي اجتمعنا من أجله كذلك تَحفُّنا، فقد اجتمعنا لنتدارس الإسلام، اقتداء بالأمينيْن جبريل ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه، فقد كان جبريل ينزل على النبي ﷺ في كلِّ رمضان يدارسه القرآن، كانا يقضيان هذا الشهر في تَدَارُس القرآن، «فَلَرسولُ الله ﷺ أجرى بالخير من الريح المُرْسَلة»[1].

فالتدارس له تأثيره، على النفس وعلى السلوك، فليس تدارسًا منقطعًا عن السلوك، لم يكن مجرَّد قراءة، وإنَّما كان تَدَارُسًا، ولم يكن أيضًا مجرَّد تدارس أمر عقلي، منفصل عن القلب، وعن الإرادة، وعن حركة الحياة، لا، وإنَّما كان تدارسًا له تأثيره كما ذكرنا، ولذلك كان رسول الله ﷺ، في هذا الشهر أجرى بالخير من الريح المرسلة.

نحن نتدارس الإسلام، ونحاول أن نتعرَّف على هذا الدين، حتى نكون نماذج لهذا الدين، نماذج للعمل به، ونماذج للعمل له، كما كان الصحابة، رضوان الله عليهم، فقد كانوا يعملون بهذا الدين، ويعملون لهذا الدين.

هناك بعض المسلمين يعملون بالإسلام، ولكنهم لا يعملون للإسلام، لا بدَّ من الأمرين معًا، كما بيَّنت ذلك سورةُ العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. لم يكفِهم للنجاة من خسر الدنيا والآخرة أنْ يؤمنوا ويعملوا صالحًا، بل لا بدَّ أنْ يتواصَوا بالحقِّ، ويتواصوا بالصبر.

---

= وضعفه غير واحد وبقية رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٩٩٦)، عن مالك بن الحويرث.

(١) سبق تخريجه صـ٥٤.

QaradawiBooks.com

لا يكفي لنجاة الإنسان أنْ يكون صالحًا في نفسه، حتى يعمل على إصلاح غيره، وهذا هو العمل للإسلام الذي نتحدَّث عنه، ولذلك يجب أن نفهم الإسلام، لنعمل به في أنفسنا، ثم ندعو إليه غيرنا، نُزيل الصورة الشائهة عن الإسلام، نُبيِّن حقائق هذا الدين، نُصحِّح المفاهيم، وندفع الشُّبهات، ونردُّ على المفتريات، هذا هو عملنا في هذا الدين، وعمل كلِّ جيل صالح، وكلِّ خلف من الخلف العُدول، الذين يحملون هذا الدين، ويحملون ميراث النبوة، «**يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين**»[1].

## ما معنى التكافل؟

حديثي معكم كما طلب إليَّ الإخوة، عن التكافل الاجتماعي في الإسلام.

والتكافل صيغة (تفاعل) من الجانبين، يعني تَكْفُلُني وأكْفُلُك، تَضْمَنُني وأَضْمَنُك، تكون مسؤولًا عني وأكون مسؤولًا عنك، كلٌّ على قدر مُكْنَته واستطاعته، هذا هو التكافل.

---

(١) رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨)، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.
وانظر: كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

نسخة مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومعنى هذا: ألَّا يعيش الإنسان وحده، بمعزل عن غيره، يقول: نفسي نفسي، أنا ولْيَخرب العالم، أنا والطوفان من بعدي. لا، هذه الرُّوح الأنانية، روحُ الأثَرَة، الرُّوح الفرديَّة، يرفضها الإسلام.

## الفرد هو الأساس في النظام الرأسمالي:

النظام الرأسمالي قام على أساس الفلسفة الفرديَّة النفعيَّة، أنَّ الفرد هو أساس المجتمع، وهو أساس كلِّ شيء، فيُنظَر إلى الحياة كلِّها من خلال مصلحة الفرد، مصلحته المادية الدنيوية العاجلة، لا يهمُّه غيرُه، إلا بمقدار ما يكون هذا الغير نافعًا له، فإذا لم يكن كذلك، فلا قيمة لهذا الغير، ولا اعتبار له، ولا يبالي أنْ يسحقه، ويدوسه بأقدامه، ويفترسه بأنيابه، لا يبالي أنْ يصنع قصرًا من جماجم البشر، وأنْ يُزخرفه بدماء البشر. هذا هو النظام الرأسمالي، الذي يقوم على أساس الفلسفة الفرديَّة النفعيَّة الأنانيَّة، أنا وفقط.

وهي الفلسفة التي كانت في رأس (قارون) حينما قال له قومه، كما حكى القرآن: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۞ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧].

## خمس نصائح لأرباب الأموال:

نصح قومُ قارونَ قارونَ بنصائح خمس، هي من أغلى النصائح، بدأت بأن عليه ألا يفرح فرح الأَشَر والبَطَر، وأنْ يبتغي الدار الآخرة فيما رزقه الله، وألا ينسى نصيبه من الدنيا، وألا يبغي الفساد في الأرض، وأنْ يُحْسِن كما أحسن الله إليه.

QaradawiBooks.com

فماذا كان جواب هذا الطاغية؟ قال كما حكى الله عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. هذا المال الذي تَنُوء بمفاتيح كنوزه العصبةُ أولو القوَّة، اكتسبتُه بمهارتي، وحصلتُ عليه بذكائي ومهارتي، لقد أوتيتُه على علم عندي، فلا حقَّ لأحد أنْ ينصحني، أو أنْ يقول لي أحسن، أو يقول لي لا تبغِ الفساد في الأرض، أنا أتصرَّف كما أشاء.

هذه الفلسفة مستحيل أنْ يرى صاحبُها نفسَه مسؤولًا عن غيره، أو يَرى أنَّ واجبًا عليه أنْ يكفُل الضعفاء، أو يأخذ بيد الفقراء، هذا لا يمكن، لأنَّها فلسفة مخالفة تمامًا، وهي الفلسفة التي كانت في رأس أهل مَدْين، حينما قال لهم نبيُّهم شعيب عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۞ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۞ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هود: ٨٤ ـ ٨٧].

يرون أنَّهم أصحاب الحقِّ الوحيد في التَّصرُّف في المال، وليس لأحد أنْ يطالبِهم في شأن هذا المال بشيء، لا في تَمَلُّكه، ولا في تنميته، ولا في استهلاكه، ولا في توزيعه، هم الأحرار فيه. وقالوا له: لعلَّ الصلاة التي تصلِّيها ـ يا شعيب ـ هي التي جعلتك تقول هذا الكلام، وحملتك على أنْ تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء. هذا النوع من الفلسفة لا يمكن أنْ يقبل عمليَّة التكافل هذه، التكافل مرفوض عندها. فالنظام «القارونيِّ»، والنظام «المَدْيَنيِّ» قديمًا، والنظام «الرأسماليُّ» حديثًا، يرفض فكرة التكافل، ويرى ـ إنْ رأى ـ أنَّ التكافل شيء يكون على

QaradawiBooks.com

سبيل التَّبرُّع والتفضُّل، على بعض الفقراء والمحتاجين، ونحو ذلك، مِنَّةً منه وكرمًا، لا على سبيل الوجوب والإلزام.

ومشركو العرب لهم فلسفة أخرى يتنصلون بها من التكافل، ومن الالتزام بأيِّ حقٍّ للفقراء والضعفاء في أموالهم، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الله هو الذي أراد لنا أن نكون أغنياء، وأراد للآخرين أنْ يكونوا فقراء، ولو شاء أنْ يغنيَهم ويطعمهم لأغناهم وأطعمهم، ولكنَّه لم يفعل ذلك، فدلَّ على أنَّه يريدهم كذلك، فكيف نعاند قدر الله، ونحاول أن نخرج هؤلاء من طبقتهم، ومن وضعهم الذي فرضه القدر عليهم؟ وهذا ما حكاه القرآن عنهم، وأنكره عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي على الفقراء والمحتاجين. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

**من أسس التكافل في الإسلام:**

الإسلام يخالف هذه الفلسفات العوج، ويجعل التكافل فريضة من فرائضه، وقاعدة من قواعده، والإسلام حين أمر بالتكافل، بناه على أساسين، هما:

**١ ـ فكرة الاستخلاف:**

**الأساس الأول للتكافل**: فكرة الاستخلاف، فإنَّ الإسلام حينما جاء بالتكافل، جاء بنظرة جديدة، هي أنَّ الإنسان مُستخلَف في المال، فالمال ليس ماله، وإنَّما هو مال الله في يده، وهو مُستخلَف فيه. وهذه فكرة محورية، في الاقتصاد الإسلامي بصفة عامة، فالمال إنْ كان مِلكًا لمَن يحوزه ويتصرَّف فيه بموجب عقود قانونيَّة، فإنَّ الملكيَّة الحقيقيَّة لمُنشِئ هذا المال، وخالق مادته، ومُيسِّر سبيل اكتسابه، وهو الله ﷻ، وهذا تعبير عن الحقيقة.

QaradawiBooks.com

إذا زرع الإنسان زرعًا، فماذا له في هذا الزرع؟ وماذا لله فيه؟ إنَّه حينما يزرع، يأتي بحبَّة لم يخلقها هو، وإنَّما خلقها الله، ويبذرها في أرض، لم يصنعها هو، وإنَّما صنعها الله، فهو الذي خلقها، وهو الذي جعلها ذلولًا، هذه الحبَّة تمتصُّ من الأرض عناصر غذائيَّة، بنسب معيَّنة، هذه العناصر الغذائيَّة ليس هو الذي صنعها، وليس هو الذي فطر الحبة على أنْ تأخذ من الأملاح كذا، ومن الماء كذا، ومن الكالسيوم كذا، فمَن فطر الحبَّة أو البذرة على أنْ تفعل هذا؟ إنَّه الله الخلَّاق البديع.

ثم الماء الذي يروي هذه الحبَّة، ويسقي تلك البذرة، مَن صاحبُه؟ ومَن خالقه؟ نحن حينما نستنشق الهواء، نأخذ الأكسجين، ونُخرِج ثاني أكسيد الكربون، بينما المملكة النباتيَّة بالعكس، تأخذ ثاني أكسيد الكربون، وتُخرج الأكسجين، فمَن الذي نظَّم عمليَّة التبادل هذه؟ ليس الزارع، فالزارع لا يعرف شيئًا من هذا، ولكنَّه الله ربُّ العالمين.

وحرارة الشمس التي تُمِدُّ هذا النبات، ليس الإنسان هو الذي صنعها، إذا فمَن المالك الحقيقي؟ إنَّه الله تبارك وتعالى، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۞ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٧٠].

وفي سورة يس يقول الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

QaradawiBooks.com

حينما نتأمَّل قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، نجد أنَّه يوحي أن ما يأكلونه من نبات الأرض ليس هو عمل يد الإنسان، بل هو عمل يد الله ﷻ، كما قال تعالى في نفس السورة، سورة يس، في آخرها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣]، هذا في الزرع، ومثل هذا يقال في الصناعة، ومثله يقال في التجارة، وفي كلِّ شيء.

فالله هو صاحب المال الحقيقي، والإنسانُ مُستخلَف ومُوظَّف وأمين صندوق ووكيل فقط، أَنَابَه الله ﷻ في هذا المال، ولذلك لا بدَّ للمُستخلَف أنْ يتقيَّد بأوامر المُستخلِف وتوجيهاته، هذا هو أساس من أسس التكافل، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

سُئِل أعرابي يرعى إبلًا: لمَن هذه الإبل، يا أعرابي؟ قال: هي لله عندي[1]. فما أبلغ العبارة وما أصْدَقَها، هي لله عندي، وليس كما قال الآخر: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾، هي لله عندي، صحيح هي عندي، ولكنَّ مالكها الحقيقي هو الله. هذه فكرة محوريَّة، من أسس التكافل في الإسلام.

## ٢ ـ مقتضى الأخوَّة الإيمانيَّة:

**الأساس الثاني للتكافل قائم على فكرة الأخوَّة الإيمانيَّة:** أنَّ المسلم أخ المسلم، هذه الأخوة تقتضي أنْ يأخذ بيد أخيه، يُقوِّيه إذا ضعُف، يَنهض به إذا عَثَر، يُعلِّمه إذا جهِل، يُطعمه إذا جاع، يداويه إذا مرِض،

(١) تفسير ابن عطية (٥/٢٨٥)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

QaradawiBooks.com

هذه مقتضيَات الأخوَّة، ولذلك جاء في الحديث: «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه**»[١]. ما معنى لا يُسْلِمُه؟ يعني لا يتركه، ولا يتَخلَّى عنه، ولا يخذله، فإذا تركه يجوع وهو قادر على إطعامه، ويَعرَى وهو قادر على كسوته، ويمرض وهو قادر على مداواته ومعالجته، فقد أسلمه وخذله.

فهذا ليس من مقتضى الأخوَّة الإسلاميَّة، فالأخوَّة تقتضي التَّساند والتَّعاون والتَّناصر، ولذلك فإنَّ تتمَّة هذا الحديث: «**ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»، والحديث الآخر: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا**»، وشبَّك بين أصابعه[٢]. والحديث الآخر أيضًا المتَّفق عليه: «**ترى المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر**»[٣]، وحْدَة عُضْوِيَّة.

كما أنَّ أيَّ عضو في الجسم لا يمكنه أنْ يحيا وحده، لأنَّ كلَّ الأعضاء مرتبطة بغيرها، يخدم بعضها بعضًا، فالجهاز الهضمي يهضم الطعام، ويأخذ منه الغذاء اللازم، ويعطيه للجهاز الدوري فيحوِّله إلى دم، ثم إلى الجهاز التنفسي، ولو أنَّ أحد أعضاء الجسم مثلًا قال: أنا ليس لي علاقة بغيري من الأعضاء، لما انتظمت حركة الجسم؛ كذلك اعتبر النبيُّ ﷺ المسلمين كالجسد الواحد، هناك وحدة عضوية، وتكامل وظيفي، تتعدَّد الأجهزة والخلايا والأعضاء في الجسم، ولكن كلها يخدم

(١) سبق تخريجه صـ١٥٩، وفيه: «**من فرَّج عن مسلم كُرْبة**».
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.
(٣) سبق تخريجه صـ٥٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعضها بعضًا، ولا يستغني بعضها عن بعض، ويتألَّم بعضها لبعض، وهكذا ينبغي أنْ يكون المسلمون، فأساس التكافل الإسلامي: فكرة استخلاف من ناحية، وفكرة الأخوة التي تربط المسلمين برباط الإخاء من ناحية أخرى.

والأخوة هذه صنو الإيمان، فالقرآن العظيم يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، معنى ذلك: إذا وُجِد الإيمان وُجدت الأخوَّة. والأخوَّة ليست مجرَّد عاطفة فارغة، أو دعوة تُدَّعى، أو شعار يُرفع وليس له مضمون، لا، فما معنى أنت أخي وأنا أخوك، إذا لم تكن لي وأكن لك، إذا لم تضمنِّي وأضمنك، إذا لم تحملني وأحملك. فالأخوة معناها أنَّ الجميع مسؤولون بالتضامن في سائر النواحي، خصوصا الناحية الاجتماعيَّة.

الواقع أنَّ معنى التكافل أوسع من التكافل الاجتماعي، الذي يرتبط بالجانب المادي، والجانب المعيشي.

**أنواع من التكافل:**

ذكر أخونا الكبير الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنواعًا عشرة من التكافل، كلُّها مفروضة في الإسلام: التكافل الأدبي، والتكافل العلمي، والتكافل الدفاعي، والتكافل الديني إلخ، أنواع من التكافل، فليس التكافل اجتماعي فقط.

**التكافل الدفاعي:**

فمثلًا التكافل الدفاعي يعني: أنَّه إذا أُغِير على بلد مسلم، أو اعتُدي عليه، فعلى المسلمين جميعًا أنْ يدافعوا عن هذا البلد، خصوصًا مَن

QaradawiBooks.com

كانوا قريبين منه، إذا استطاع أهله أنْ يردُّوا المعتدين فبها، وإلا كان على المسلمين، الأقرب فالأقرب، أنْ يعاونوهم حتى يشمل ذلك المسلمين جميعًا، وهذا أمر متَّفق عليه في جميع المذاهب، فهذا تكافل دفاع.

**التكافل الاجتماعي:**

حينما يذكر التكافل الاجتماعي، يقصد به التكافل في أمر المعيشة، بمعنى أنَّه لا يجوز أنْ يكون بين المسلمين جائع، بينما هناك آخرون يشبعون! واحد يضع يده على بطنه يشكو من زحمة التُّخَمَة، لِمَا يأكل من لحوم وعصائر وحلويات، وغيرها، ثم بعد ذلك يطالِب بمُهضِّم، لماذا هذا؟ وهناك آخرون لا يجدون ما يأكلون، حتى في الحرمين: ناس يأتون بطعام كثير، ويفرشون الموائد الكبيرة، فيُؤْكل منه جزء قليل، ويكون مصير الكثير الرمي في صناديق القمامة! أين الإسلام في كل هذا؟

لو رأيتم ما عرضه أحد الإخوة القادمين من سراييفو، صور لإخوة لنا هناك، يبحثون في صناديق القمامة، عسى أنْ يجدوا فيها لقمة، أو حبَّات من الأُرز، أو شيء من بقايا طعام، من شدَّة الجوع، إنَّهم يعيشون على الإغاثة، وإذا لم تأتهم الإغاثة، أو تأخَّرت عنهم فعلوا ذلك. لا يجدون شيئًا، ونحن عندنا خيرات كثيرة، والعزائم عندنا قائمة على الإسراف، يدعو أحدهم للوليمة عشرة، ويُقدِّم طعامًا يكفي الأربعين، فيُؤْكل القليل، وما بقي من طعام يُلْقي في صناديق القمامة.

الإسلام يفرض على الجماعة المسلمة أنْ يَكفُل بعضها بعضًا، بحيث تكون مسؤوليَّة تضامنيَّة في المجتمع المسلم، حتى يكتفي أهله. لا يجوز أنْ توجد فضول أموال، ولا نوفِّر طعامًا لكلِّ جائع، وكُسوة لكلِّ عار،

QaradawiBooks.com

ومأوى لكلِّ مشرَّد، ودواء لكلِّ مريض، وتعليمًا لكلِّ جاهل، وكفالة لكلِّ محتاج. هذا هو ما جاء به الإسلام، الناس في عصرنا يعرضوا علينا هذا الكلام أنَّه اشتراكية، أين الاشتراكية من عظيم ما جاء به الإسلام؟!

الإسلام يفرض حدًّا أدنى للإنسان يجب أنْ يتوافر له، يُسمِّيه العلماءُ الكفايةَ. ليس الكفاية وحسب، بل تمام الكفاية. هناك حدٌّ يُسمَّى حدَّ الضرورة، أو مستوى الضرورة، المشار إليه بقول الله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، كما يقولون: «قوت لا تموت»، وهناك مستوى الكفاف، الحد الأدنى للمعيشة، أي: ما لا يعيش الإنسان إلا به، وهناك حدُّ الكفاية، أو تمام الكفاية.

### حد الكفاية:

العلماء يقولون: يجب أنْ يتوفر لكلِّ مسلم في المجتمع الإسلامي تمام الكفاية، والكفاية معناها كما قال الإمام النووي في «المجموع»: «المعتبر في قولنا: يقع موقعًا من كفايته. المطعم والملبس والمسكن، وسائر ما لا بدَّ له منه، على ما يليق بحاله، بغير إسراف ولا إقتار، لنفس الشخص ولمَن هو في نفقته»[1]. كلُّ هذه النواحي، المأكل والمشرب والملبس والمسكن، له ولمَن يعوله، وكلُّ ما لا بدَّ له منه.

### حاجات الإنسان تتجدد:

حاجات الإنسان تتجدَّد، في عصرنا، أصبحت هناك أمور لا يستطيع أنْ يعيش الإنسان بدونها، أصبح لا يستطيع أنْ يعيش من غير ثلَّاجة، وخاصَّة في البلاد الحارَّة، أصبحت أمرًا لازمًا. كذلك الكهرباء، الناس

(١) انظر: المجموع للنووي (١٩١/٦)، نشر دار الفكر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

كانوا يعيشون على السراج من الزيت، أمَّا الآن فلا بدَّ من دخول الكهرباء البيوت، فمثل هذه الأمور لا بدَّ أنْ تتوافر له.

بل قال علماؤنا: إنَّ من الكفاية أنْ يتوافر للإنسان أدوات الحرفة للمحترف، وكتب العلم لطالب العلم، وإن كان من أهل العلم؛ تُوفَّر له الكتب والمراجع والمصادر، وإذا لم يكن متزوِّجًا، فلا بدَّ أنْ يُزوَّج، لأنَّ الزواج يُعتبر أساسًا من ضرورات الحياة، فكلُّ هذا من الكفاية[1].

## من وسائل تحقيق التكافل:

لتحقيق الكفاية التامَّة وسائل يتحقق بها التكافل:

### تهيئة العمل:

من أهمِّ وسائل التكافل: أنْ تُهيَّأ للإنسان فرصة العمل، ويُهيَّأ له التَّدريب عليه، لأنَّ كثيرًا من الأعمال تحتاج إلى تهيئة، فإذا كان العمل يحتاج إلى تعليم نُعَلِّمه، إذا أراد البعض أنْ يعمل في الهندسة نُعلِّمه الهندسة، وإذا أراد أنْ يعمل بالصناعات الصغيرة، نفتح له مدارس صناعيَّة، وكذلك في الزراعة، وغيرها. ثم بعد التعليم نُهيِّئ له المجال الذي يعمل فيه، حتى يتاح له العمل، فلكلِّ شخص من العمل ما يناسبه، وليس من المعقول أنَّ شخصًا يتخرَّج طبيبًا ثم يعمل كنَّاسًا، لماذا كان تعليمه إذنْ؟

### مسؤوليَّة الدولة عن إقامة التكافل:

لا بدَّ أنْ يتكافل المجتمع كلُّه، وعلى رأسه الحُكَّام، لأنَّ الدولة في الإسلام على رأس مَن يقوم بالتكافل، بخلاف الدولة في النظام الرأسمالي، الأصل في مسؤوليَّتها أنَّها أَمنيَّة، حتى إنَّ بعضهم يعبِّر عن

(١) انظر: فقه الزكاة (٥٧٥/١ ـ ٥٨٠)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

مسؤوليَّة الدولة فيقول: إنَّها حماية الذين يملكون من الذين لا يملكون. يعني أنَّ الدولة مهمَّتها أنْ تحمي أصحاب رأس المال من الناس الآخرين.

الدولة في الإسلام مسؤولة عن إقامة التكافل، فهي مسؤولة عن تهيئة العمل للناس، وإعانتهم على تيسير فرصها، صحيح أنَّها لن تصبح المخطِّط لكلِّ شيء، والموجِّة لكلِّ شيء، فالتخطيط المركزي من سمات النظام الشيوعي، وليس في الإسلام أنَّ الدولة تصبح هي المالكة للأرزاق، والمتسلِّطة على الأعناق، لا، إنَّما على الدولة أنْ تهيِّئ الفُرَص، تساعد الناس، حتى يجدوا الوسيلة للعمل، وكلُّ إنسان عليه ـ أيضًا ـ أنْ يبحث لنفسه عن عمل، فأول وسيلة من وسائل التكافل هي العمل.

### كفاية غير القادر على العمل:

ولكن قد يوجد في الناس مَن لا يقدر على العمل، فهناك العاجز عن العمل، كالمرأة العجوز، أو الشيخ الكبير، أو الطفل اليتيم، أو الإنسان المُقعَد أو الزَّمِن، أو المرأة التي لا حَوْل لها ولا طَوْل. فالإنسانُ العاجز عن العمل، أو القادر عليه ولكن لا يجده، كما نرى في كثير من المجتمعات، ملايين قادرة على العمل لكنها لا تجده، أو تجده ولكن لا تحصل منه على الأجر الكافي، الذي يُحقِّق لها تمام الكفاية؛ هذا الإنسان يجب أنْ يكفله المجتمع.

### من وسائل تحقيق التكافل: نظام النفقات الواجبة:

كذلك من وسائل تحقيق التكافل في الإسلام: نظام النفقات، نفقات الأقارب، فالأقارب أو الأسرة في الإسلام، وحدة يُكمِّل بعضها بعضًا، ويكفُل بعضها بعضًا، يرث أحدهم من الآخر إذا مات، بنظام معيَّن

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

معروف، وكما أنَّه يرث منه فيَغْنَم، يُنفِق عليه فيغرَم، وهذا هو العدل، «الغُرْمُ بالغُنْم»، لذلك إذا كان القريب مُعْسِرًا، وله قريب آخر موسر، ولا يوجد دخل عند الآخر، ويستطيع أنْ ينفق عليه ـ وهو يرثه إذا مات ـ عليه أنْ ينفق عليه، وإن كانت المذاهب مختلفة في مسألة نفقات الأقارب، إلا أنَّ الأصل العامّ متَّفق عليه.

**نظام النفقة الواجبة لا يوجد في غير الإسلام:**

ونظام نفقات الأقارب هذا، لا يوجد إلا في الإسلام. حكى أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى حينما كان يدرس الدكتوراه في فرنسا، قال: كانت تخدمنا في البيت الذي كنتُ أسكن فيه فتاة فرنسية، وكان معنا مجموعة يسكنون أيضًا، وكان يظهر على هذه الفتاة الجِدُّ والوقار، ليست فتاة لعوبًا ولا عابسة، تؤدِّي عملها وتنصرف. فسألتُ صاحبة البيت عن هذه الفتاة، فقالت لي: إنَّها من عائلة كبيرة جدًّا في فرنسا. ثم قالت لي: أمَا تعرف المَتْجَر الفلاني، في الشارع الفلاني؟!

فقلتُ لها: نعم أعرفه. قالت: فإنَّ صاحب هذا المَتْجَر هو عمُّ هذه الفتاة.

فتعجَّبتُ وقلتُ لصاحبة البيت: عمُّها صاحب هذا المَتْجَر، وابنة أخيه تخدم شُبَّانا غُرَبَاء!؟ قالت: وماذا تفعل؟

قلتُ: على عمِّها أنْ يقوم بأمرها ويرعاها ويكفلها. قالت: هذا تبرُّع منه إن شاء.

قلتُ: يُمْكنها أنْ ترفع عليه دعوى في المحكمة. قالت: ومَن يُقيم لها الدعوة؟ وأين هذه المحكمة التي تسمع دعواها في مثل هذا؟ ثم قالت صاحبة البيت: هل عندكم في الإسلام مثل هذا؟

QaradawiBooks.com

قلتُ لها: نعم، عندنا لو أنَّ واحدًا مثل هذا، وله أولاد أو إناث من أخيه فقراء أو أيتام، يستطيعون أنْ يرفعوا دعوة أمام المحكمة، والمحكمة تحكم لهم. قالت: لو كان عندنا مثل هذا ما رأيتَ مثل هذه الجيوش الجرَّارة من النساء والبنات يعملن من الصباح الباكر في المعامل والمصانع، لأنهن لو لم يفعلن ذلك لمِتْن من الجوع.

فخروج المرأة هناك إلى العمل ونحوه، ليس رحمة بها، لكنها لو لم تعمل لسُحقت سحقًا وهلكت، لأنَّه لا يسأل عنها أحد، ولا يكفلها أحد. من هنا تميَّز الإسلام بنظام النفقات، نظام التكافل الأسْري، تكافل الأقارب.

## تكافل أهل الحي:

من وسائل تحقيق التكافل أيضًا: تكافل أهل الحي، الذين يعرف بعضهم بعضًا. يقول النبي ﷺ: «**ما آمن بي مَنْ بات شبعانَ، وجارُه إلى جَنْبِه جائعٌ، وهو يعلم به**»[(١)]. وفي حديث آخر: «**ليس بمؤمنٍ مَن بات شبعانَ وجارُه إلى جنْبه جائع**»[(٢)]. ويقول: «**أيُّما أهل عَرْصَة من المسلمين بات فيهم امرؤٌ جائع، فقد برئت منهم ذمَّة الله**»[(٣)].

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد: أنْ يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، وإن لم تقُم الزكوات بهم،

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

(٣) سبق تخريجه صـ١٦٠.

QaradawiBooks.com

ولا في سائر أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بدَّ منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنُّهم من المطر، والصيف، والشمس، وعيون المارة.

ولا يحل لمسلم اضطر أنْ يأكل ميتة أو لحم خنزير، وهو يجد طعامًا فيه فضل عن صاحبه، لمسلم أو لذمِّي، لأنَّ فرضًا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإذا كان ذلك كذلك، فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير، وبالله تعالى التوفيق.

وله أنْ يقاتل عن ذلك، فإن قتل فعلى قاتله القود، وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله، لأنَّه منع حقًّا، وهو طائفة باغية، قال تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. ومانعُ الحقِّ باغٍ عن أخيه الذي له الحقُّ. وبهذا قاتل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه مانع الزكاة»[١].

وروى البيهقي، عن الحسن: أنَّ رجلًا أتى أهل ماء فاستسقاهم، فلم يسقوه حتى مات عطشًا، فأغرمهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدية[٢].

## تكافل المجتمع بالزكاة:

وهنا أيضًا في وسائل التكافل تأتي فريضة الزكاة، هذه الفريضة العجيبة، التي نقلت الصدقة والإحسان ـ الذي كان معروفًا عند بعض الأديان من قبل ـ إلى مستوى الحقِّ المعلوم، والفريضة المُلزِمة. في الأديان السابقة كان يوجد الإحسان إلى النَّاس، والتصدُّق والتبرُّع بالخيرات، ولكن كم يُدفع؟ ولمن يُدفع؟ ومتى يُدفع؟ لم يكن هذا حقًّا، ولذلك لم تحدَّد الجهة التي تأخذه، ولا مقداره.

(١) انظر: المحلى لابن حزم (٤/٢٨١ ـ ٢٨٤).
(٢) رواه البيهقي في إحياء الموات (٦/١٥٣).

QaradawiBooks.com

ولكن الإسلام جعل هذا حقًّا، بل حقًّا معلومًا، وبيَّن مَن تجب عليهم الزكاة، ومَن تجب لهم الزكاة، وحُدِّد هذا الحق بمقادير معيَّنة، في أموال معيَّنة، إذا بلغ نصابًا معيَّنا؟ وكم يدفع من هذا النصاب؟ العشر أو نصف العشر أو ربع العشر، إلى آخره، وألزم الدولة أن تقوم على هذا الأمر، كما في الآية الكريمة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال ﷺ، كما في حديث معاذ: «**أَعْلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تُؤخَذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم**»[(١)]. تُؤخَذ أخذًا، ولذلك جعل القرآن سهمًا للعاملين عليها، حتى لا يتواكل الناس، حين لا يجدون أحدًا يجمع الزكاة من أهلها، ويوزِّعها على مستحقِّيها، فكان من ضمن المصارف الثمانية، مصرف العاملين عليها.

## للدولة الإسلاميَّة أنْ تقاتل من أجل حقوق الفقراء:

الدولة الإسلاميَّة هي أول دولة في التاريخ قاتلت من أجل حقوق الفقراء، أبو بكر رضي الله عنه، جَيَّشَ أحد عشر جيشًا، وعقد أحد عشر لواءً، لمقاتلة المُتنبِّئين الذين ادَّعوا النبوَّة، كمسيلمة وسَجَاح والأسود العنْسي وطُلَيْحة الأَسَدي، هؤلاء ومَن اتبعهم، وقاتل كذلك مانعي الزكاة، وقال كلمته التاريخيَّة: والله لو منعوني عناقًا (عَنْزًا صغيرة) ـ وفي رواية: عِقالًا (حَبْل بعير) ـ كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة[(٢)]. فالزكاة حقُّ المال لمستحقِّيه، والدولة أمينة عليه، فكانت الدولة الإسلاميَّة أول دولة في التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء.

هذه الزكاة فريضةٌ عظيمة، جعلها الإسلام الركن الثالث بعد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥) ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٧.

QaradawiBooks.com

الشَّـــهادتين وبعد الصلاة، وقرنها القرآن مع الصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا، وأمَّا في السُّـــنَّة، فتوجد مئات المواضع. لو أنَّ المسلمين أدَّوا هذه الفريضة كما ينبغي، ما كان هناك مَن يشـــكو الجوع، ومَن يشـــكو المرض، ومَن يشكو العُرْي، ومَن يشكو الجهل.

**الكفر والفقر قرينان:**

أموال المســـلمين الآن في البنـــوك الأجنبيَّة بمئـــات المليارات، هذه المليارات لو زُكِّيت، كم ستكون؟ فالمليار زكاته خمسة وعشرون مليونًا، مليارات في الخـــارج، ومليارات فـــي الداخل، لو بُذِلت هـــذه الأموال، ما وجدت الاشتراكيَّة ولا الشيوعيَّة فريسة وضحية لها من أبناء المسلمين.

إنَّ الذي جعل هؤلاء الضحايا يســـتجيبون للدعاوي الباطلة: هو أنَّ كثيرًا من أبناء المسلمين ـ للأســـف ـ لا يُطبِّقون شريعة الإسلام، فوُجِد الفقر، وكما قـــال أبو ذر: إذا ذهب الفقر إلى بلـــد، قال له الكفر: خذني معك. يعني قالت له الاشتراكيَّة: خذني معك. وقالت له الشيوعيَّة: خذني معك. وكذلك المبادئ الهدَّامة، تذهب مع الفقر حيثما ذهب.

يقول الإمام علي رضي الله عنه: لـــو تمثَّل لي الفقر رجـــلًا لقتلته. ولذلك استعاذ النبي ﷺ من الكفر والفقر[١]، ومن القِلَّة والذلَّة[٢]. من أجل هذا كانت مهمَّة الزكاة: القضاء على الفقر والمسكنة، ورفع مستوى المعيشة للفقراء والمساكين.

---

(١) رواه أحمد (٢٠٤٠٩)، وقال مخرِّجوه: إســـناده قوي على شرط مســـلم. والنسائي في السهو (١٣٤٧)، وابن خزيمة في الصلاة (٧٤٧)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه أحمد (٨٠٥٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (١٥٤٤)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

**الزكاة تقضي على الفقر وتقيل العثرات:**

المذهب الحنبلي يقول: الفقير مَن يملك أقلَّ من نصف الكفاية، والمسكين مَن يملك أكثر من نصف الكفاية، ولكنَّه لا يملك تمام الكفاية[١]. يعني لو كان كفايته أنْ يكون عنده ألف (ريال) ولكن دخْلَه ثمانمائة فقط، نكمِّل له الألف، ولو كان كفايته عشرة آلاف، ويملك ثمانية آلاف، يبقى له ألفان، وهكذا، والكفاية تختلف. بل قال الشافعية: لا يُعطَى الفقير كفاية سنة، ولكن يُعطَى كفاية العمر الغالب لأمثاله، يُعطَى ما يغنيه طول عمره، بحيث لا يحتاج إلى الزكاة مرَّة أخرى[٢].

من هنا قضى الإسلام بالزكاة على الفقر والمسكنة، بأنْ يُعطَى ما يكفي لأمثاله عادة، وكيف نغنيه؟ إن كان صاحب حرفة مثلًا، نُهيِّئ له ما يستغني به، إنْ كان يحتاج إلى دُكَّان نُجهّز له دُكَّانًا، وإذا كان نجَّارًا نأتي له بأدوات النجارة، وإذا كان تاجرًا نأتي له بما لا بدَّ منه للتجارة، فتاجر البقل يحتاج إلى بعض الدراهم، بينما تاجر الجواهر يحتاج إلى الآلاف من الدراهم، ولو كان تاجر الجواهر قد أصابته آفة ولم يعد قادرًا نُعِينه[٣]. يعني ذلك أنَّ الزكاة تحاول أنْ تنهض بالناس من عثرتهم.

من هنا كان في الزكاة سهم يُسمَّى سهم الغارمين، وذكر الفقهاء والمفسرون في تفسير هذا السهم، أن مَن احترق بيته، أو ذهب السيل بماله، أو نزلت به آفة، فضاع ماله، وادَّان على عياله، فإنه يُعطى من سهم الغارمين[٤].

---

(١) انظر: الإنصاف للمرداوي (١٩٦/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) انظر: المجموع للنووي (١٩٤/٦).

(٣) انظر: المجموع (١٩٤/٦).

(٤) انظر كتابنا: فقه الزكاة (٦٣٣/٢ ـ ٦٤٦).

QaradawiBooks.com

## فرق بين الزكاة والتأمين:

ومن هنا كانت الزكاة تقوم بالتأمين، قبل أنْ يعرف الناس ما سُمِّي في عصرنا بالتأمين، لكن التكافل الذي تؤدِّيه الزكاة أعظم وأوسع وأعمق من التَّأمين، وذلك أنَّ التَّأمين عادة لا يُعطِي إلا مَن دفع، فمَن لم يدفع قسط التأمين لا حقَّ له فيه، ولكن الزكاة قد تعطَي لِمَن كان يدفعها من قبل ثم افتقر، ولِمَن لم يدفعها أبدًا، لأنَّه ليس من أهلها، فلم تجب عليه.

التأمين كذلك، يعطي الإنسان على قدر ما دفع، إذا دفع مبلغًا كبيرًا يعوَّض بمبلغ كبير، مع أنَّ الذي يُؤمِّن بمبلغ كبير تكون حاجته أقل، وقدرته أكبر، فكأنَّ الأشدَّ حاجة يكون نصيبه أقل، أو لا نصيب له قط إذا لم يُؤمِّن، بينما التكافل خلاف هذا، فالأصل في التكافل الإسلامي أنَّه يكفل الجميع، وعلى قدر الحاجة، ويعطي ما يسدُّ حاجة الإنسان، الحاجات الدائمة والحاجات الطارئة، الحاجات الطارئة، مثل ابن السبيل الذي ينقطع في الطريق عن ماله وعن وطنه، فجعل له الإسلام سهمًا في الزكاة، وسهمًا في الغنائم، وسهمًا في الفيء، كلُّ هذا اهتمام بهذا الإنسان، الذي قد يكون غنيًّا في بلده، لكنَّه انقطع عن ماله، كهؤلاء المُشَرَّدين من المسلمين واللاجئين، فهم أغنياء في بلادهم، ولكنهم شُرِّدوا بسبب اضطهاد، أو حرب من الخارج أو من الداخل، وتركوا أموالهم وأملاكهم، فهؤلاء أبناء السبيل، فالزكاة تكون لمثل هؤلاء أداةً من أعظم أدوات التكافل الاجتماعي في الإسلام.

## موارد الدولة من وسائل التكافل:

ثم هناك أيضًا من أدوات التكافل ووسائله: موارد الدولة، فالدولة عندها موارد خاصة من أملاكها، أو مداخل مخصوصة، مثل النِّفط والغاز

QaradawiBooks.com

في عصرنا، أو عندها أرض، أو عقارات، أو شيء من هذا القبيل، فهذه الموارد الخاصَّة بالدولة فيها نصيب للتكافل، فهناك الغنائم، كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وهناك الفيء، كما في قول الله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وإذا لم تكفِ الزكاة وموارد الدولة، فمن حقِّ الدولة ومن واجبها أنْ تفرض على الناس حقوقًا أخرى، حتى تكفل المحتاجين من الناس، ففي الآية التي يقول الله تعالى فيها: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾، أي: آتى المال وأعطاه هذه الفئات، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾. والعطف يقتضي المغايرة، ولذلك فالزكاة أول الحقوق في المال وليست آخرها، هناك حقوق في المال سوى الزكاة، فإذا لم تكفِ الزكاة ولا موارد الدولة، تُفرض على الناس ضرائب نُسمِّيها ويُسمِّيها بعض العلماء النوازل، وبعضهم يُسمِّيها الكُلَف السُّلطانية، المهم تُوفَّر للناس الكفاية، ولا يعيش بعض الناس في ترف ورفاهية،

QaradawiBooks.com

والآخرون يعيشون دون الحدِّ الأدنى للمعيشة، دون مستوى الإنسان، هذا لا يجوز في الإسلام، الذي يفرض على المجتمع أنْ يتكافل.

## القرآن المكي يُعْنى بفريضة إطعام المسكين:

والعجيب أنَّ هذا التكافل واضح منذ العهد المكِّيّ، منذ فجر الدعوة، فمن قرأ القرآن المكي يجد بوضوح أنَّ الله فرض إطعام المسكين، في سورة المدثِّر المكيَّة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٤]، يعني أضعنا حقَّ الله بإضاعة الصلاة، وأضعنا حقَّ الناس بأننا لم نطعم المسكين. وإطعام المسكين هو كناية عن رعاية حاجات المسكين وضروراته، فلا يعني إطعام المسكين، أن نطعمه ونتركه عاريًا بلا كساء، أو نطعمه ونتركه مريضًا بلا دواء، فالإطعام هذا كناية عن رعاية مطالب المسكين.

## عناية القرآن بفريضة الحضِّ على إطعام المسكين:

وأعجب من هذا أنَّ الإسلام لا يكتفي من المسلم أنْ يطعم المسكين فقط، بل يوجب عليه فريضة أخرى، هي فريضة الحضِّ على إطعام المسكين، وهذه فريضةٌ على الجميع، على القادر على الإطعام، وعلى العاجز عنه، لأنَّ مَن عجز عن الإطعام، يستطيع أنْ يحضَ غيره، كما تشير إلى ذلك سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٧]، فإهمال المسكين، وعدم القيام برعاية مطالبه، وترك حَضِّ الغير على ذلك، من خصائص المُكذِّب بيوم القيامة.

QaradawiBooks.com

## تَرْكُ الحضِّ على إطعام المسكين قرين الكفر:

في سورة الحاقَّة، يعرض لنا القرآن مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، مشهد أصحاب اليمين، ومشهد أصحاب الشمال، مَنْ أوتي كتابه بيمينه، ومَنْ أوتي كتابه بشماله، فيقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩]، ثم يأتي الحكم الإلٰهي: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]، ما سبب هذا الحكم؟ ما جريمة هذا الإنسان؟ قال أصدق القائلين سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤].

من هنا نجد القرآن قرَن بين الكفر وبين عدم الحضِّ على إطعام المسكين.

الصحابي الجليل أبو الدرداء يقول لامرأته: يا أم الدرداء، إنَّ لله سلاسل لم تزل تغلي بها النار منذ خلق الله النار، قد كسرنا نصفها بالإيمان بالله، وبقي النصف الآخر أن نحضَّ على طعام المسكين[1]. ولذلك ذمَّ الله المجتمع الجاهلي بقوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]، ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، أي: لا يَحُضُّ بعضكم بعضًا.

## التكافل عن طريق تَكْوِين الجمعيَّات الخيريَّة:

يقول الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الماعون: «الحضُّ على طعام المسكين: الحثُّ عليه، ودعوة الناس إليه، والَّذي

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (٩٠٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا يحضُّ على طعام المسكين لا يُطْعِمه في العادة، فقوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]، كناية عن الذي لا يجود بشيء من ماله على الفقير المحتاج إلى القوت، الذي لا يستطيع له كسبًا، وإنَّما جاء بالكناية، ليفيدك أنَّه إذا عرضت حاجة المسكين ولم تجد ما تعطيه، فعليك أن تطلب من الناس أنْ يعطوه. وفيه حثٌّ للمُصدِّقين بالدِّين على إغاثة الفقراء، ولو بجمع المال من غيرهم. وهي طريقة الجمعيات الخيرية، فأصلها ثابت في الكتاب بهذه الآية، وبنحو قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]»[1]. لأنَّ المفروض حَضُّ الناس ودعوتهم إلى العناية بالفقراء والمُحْتاجين، مثل ما تقوم به «الإغاثة الإسلاميَّة»، «وسنابل الخير»، «الجمعيات الخيرية الإسلاميَّة»، وغير ذلك، فهذه الجمعيات وأمثالها، مُهِمَّتُها حَضُّ النَّاس على إطعام المسكين، وهذا هو شأن الإسلام، وهذا هو التكافل، وهذه هي أدواته.

## تكافل المسلمين جميعًا:

التكافل في الإسلام، تكافل المسلمين جميعًا، لا يعرف الإسلام الإقليميَّة الضيِّقة، التي تجعل كلَّ إقليم وحدة مستقلة، منفصلة عن سائر المسلمين، كما أنَّ الإسلام يرفض الفرديَّة، أنْ يقول الفرد: أنا ولا علاقة لي بغيري، أنا ولْيأتِ الطُّوفان من بعدي. كذلك يرفض العنصريَّة المتعصِّبة، وينظر إلى المسلمين عامة باعتبارهم أمَّة يكفُل بعضها بعضًا،

(١) انظر: تفسير جزء عمَّ للإمام محمد عبده صـ١٦٢.

QaradawiBooks.com

كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَر والحُمَّى**»[١]. فقال هنا: «**مَثَلُ المؤمنين**».

وقال أيضًا في حديث آخر: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا**». وشبَّك بين أصابعه[٢]. وقال: «**المسلمُ أخو المسلم**»[٣]. فلم يقل: العربي أخو العربي، أو المصري أخو المصري، أو السعودي أخو السعودي. وإنَّما قال: «**المسلمُ أخو المسلم**». فالمسلمون كلُّهم أمة واحدة، كما في الحديث: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[٤].

## الأقربون أولى بالمعروف:

جعل الإسلام للأقربين الأولويَّة أكثر من غيرهم، فإذا كان للإنسان رحم محتاج، وحاجته كحاجة الآخرين ممَّن ليسوا بذوي رحم، فإنَّ ذوي الرحم أولى بسدِّ حاجتهم من غيرهم، كما في الحديث: «**الصدقة على المسكين صدقةٌ، وهي على ذي الرحم ثِنْتان: صدقة، وصلة**»[٥].

وحديث: «**أفضلُ الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحِم الكاشح**»[٦]. وذو

(١) سبق تخريجه صـ٥٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٩.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥٩، وفيه: «من فرَّج عن مسلم كُرْبة».

(٤) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

(٥) سبق تخريجه صـ١٦٧.

(٦) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الرحم الكاشـــح هو: من يُضْمِر في كَشْحه أي باطنه عداوة، فإنَّ التصدُّق عليه في هذه الحالة يكـــون لله، وليس لغرض من الأغراض، ولا لعرض من الأعراض، وإنَّما لله ﷻ.

كذلك الجار أولى بالمعروف، والجيران يتفاوتون، فأقربهم بابًا أحقُّ بالإحســـان وبالصلة من غيره، ولذلك قال العلماء: الأصلُ في الزكاة أن تؤْخَذ من كلِّ إقليم، فتوزَّع أولًا على المحتاجين من هذا الإقليم، ولكن ليس معنى هذا أنَّه ليـــس للآخرين أنْ يأخذوا منها، فلـــو فُرِض أنَّ هذا الإقليم أغنياؤه كثيرون وفقراؤه قليلون، فإنه يذهب إلى الأقاليم الأخرى.

لذلك بعث معاذ بن جبل إلى أميـــر المؤمنين عمر بن الخطاب في أول سنة ثلث الزكاة، وفي السنة الثانية نصفها، وفي السنة الثالثة بعث له الزكاة كلَّها، فقال له عمر: يا معاذ، لم أبعثك لهذا. فقال معاذ: والله يا أمير المؤمنين، ما بعثتُ إليك وهنا أحد يحتاج[1].

فالأصل أنَّ الزكاة توزَّع في أقاليمها، ولكن إذا كانت هناك أقاليم أخرى محتاجة، أو استغنى الإقليم، أو كان هناك إقليم أشد حاجة من غيره، يَئِنُّ أهله من الجوع أنين الملسوع، لا يجد أهله ما يُمسكون به الرَّمق أو يطفئون به الحَرَق، ففي هذه الحالة لا بدَّ أن تُسدَّ جوعته وضرورته.

## شعوب إسلاميَّة لأُمَّة واحدة:

فالإسلام ينظر إلى الأمَّة الإسلاميَّة باعتبارها وحدة متماسكة، ولذلك سمَّى الله المسلمين أمَّة، بعض الناس يقول الأمم الإسلاميَّة، وهذا ليس تعبيرًا إسلاميًّا، نعم هناك شعوب إســـلاميَّة، لكنها شعوب لأمَّة واحدة،

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (١٩١٢).

QaradawiBooks.com

كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

نحن المسلمين أُمَّة متماسكة، تربطها العقيدة، وليس هناك رباط أقوى من رباط العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من عقيدة الإسلام، ولذلك فإنَّ هذا الرباط ـ والحمد لله ـ هو الرباط المتين، وهو العروة الوثقى لا انفصام لها، وهو الذي يربط المسلمين بعضهم ببعض، ولذلك نحمد الله تبارك وتعالى، أنَّه لا زالت هذه المشاعر الإسلاميَّة موجودة، حتى لدى الفرد المسلم العادي، حيث يشعر بأنه عضو في كيان كبير، هو الأُمَّة المسلمة.

وهذا هو الذي جعل المسلمين يتحرَّقون على إخوانهم في البلاد الإسلاميَّة المنكوبة، كما فعل إمام الحرم المكِّي في قنوته، حيث دعَا بحُرقة وحرارة لإخوانه المسلمين، في البوسنة والهرسك، وفي فلسطين، وفي غيرها من بلاد الإسلام، أنْ يأخذ الله بأيديهم، وأنْ ينصرهم على عدوِّهم، ورأينا تجاوب الناس معه، في تأمينهم خلفه بحرارة وبكاء، هذا هو رُوح التكافل: إحساس المسلم بأنه عضو في جسم حيٍّ.

حدَّثني بعض الإخوة في فرنسا، في لجنة الإغاثة، قالوا: جاءنا إخوة من أقاصي فرنسا، من جنوبها، بتبرُّعات نقديَّة وعينيَّة، لإخوانهم في البوسنة والهرسك، ووجدناهم متحمِّسين في جمع التبرُّعات لإخوانهم، ولكننا فوجئنا بهم يسألوننا في خجل: نريد أن نتعلَّم الوضوء والصلاة، لأننا لم ندخل مسجدًا في حياتنا.

QaradawiBooks.com

قلنا: فما الذي حمَّسَكم هذا التَّحمُّس؟ قالوا: رأينا ما يجري لإخواننا على شاشات التلفاز، فتحرَّكت عواطفنا الإسلاميَّة، وغَلَت المَرَاجِل في صدورنا، وجمع بعضنا من بعض هذه التبرعات وجئنا بها، لكننا شعرنا بالخجل من أنفسنا، فأردنا أن نُسْلم، ونتديَّن حقيقة ونعرف ربَّنا.

## التكافل بين الأجيال الإسلاميَّة:

وهناك لون من التكافل لم يلتفت إليه الباحثون، وقد نبَّهنا عليه في عدد من كتبنا[١]، وهو التكافل بين أجيال الأمَّة بعضها وبعض، وهو يكمِّل التكافل بين أقطار الأمة بعضها وبعض، فهو تكافل زماني، بجوار التكافل المكاني.

ومعنى تكافل الأجيال: ألَّا يستأثر جيل بخيرات الأرض المذخورة والمنشورة، ويحلب دَرَّها، حتى لا يترك في ضَرعها قطرة لمَن بعده.

بل يجب على الجيل الحاضر: أنْ يحسب حساب الجيل المقبل، بل الأجيال المقبلة، وأنْ يصنع صنيع الأب الرحيم البصير، الذي يحرص على أنْ يَدَعَ ذريته في حال اكتفاء واستغناء، وأنْ يقتصد في إنفاقه واستهلاكه، حتى يترك لهم شيئًا ينفعهم، وقد قال ﷺ: «**إنَّكَ أنْ تَذَر ورثتَكَ أغنياء، خير من أنْ تَذَرهم عالة يتكفَّفون الناس**»[٢].

---

(١) انظر كتابينا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي صـ٣٩٧ ـ ٣٩٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، وملامح المجتمع المسلم صـ٢٢٧ ـ ٢٢٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وقد جاء عن أبي بكر رضي الله عنه: لا يعجبني الرجل يأكل رزق أيام في يوم واحد[١]!

ومثل ذلك يقال للمجتمع الذي يأكل رزق أجيال في جيل واحد.

وهذا ما جعل الفاروق عمر بن الخطاب يأبى تقسيم سواد العراق على الفاتحين ـ وقد طلب ذلك عددٌ من الصحابة ـ وهو ثروة هائلة يستمتع بها جيل الفتح، ولا تجد الأجيال القادمة المدافعة عن حُرُمات الأُمَّة، وبيضة الملَّة، ما يصرفون منه لإعداد عُدَّتهم، وبناء قوَّتهم، وقضاء حوائجهم.

ولهذا كان عمر يقول لمعارضيه: أتريدون أنْ يأتي آخر الناس وليس لهم شيء[٢]؟!

وروى عنه البخاري قوله: أمَّا والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر الناس بَبَّانًا ـ فقراء معدمين، متساوين في الفقر ـ ليس لهم شيء، ما فتحت عليَّ قرية إلا قسمتُها كما قسم النبي ﷺ خيبر، ولكنِّي أتركها خزانة لهم يقتسمونها[٣].

وقال معلنًا عن وجهته ووجهة مَن أيَّده: إنِّي أُريد أمرًا يَسَع أول الناس وآخرهم[٤].

(١) العقد الفريد (٢٢٧/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٧/٢)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) رواه البخاري في المغازي (٤٢٣٥).

(٤) رواه أبو عبيد في الأموال (١٥٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان على رأيه من فقهاء الصحابة أمثال علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

وكان ممَّا قاله معاذ لعمر حين فكَّر في الاستجابة لطالبي التقسيم، هذه الكلمات الحكيمة البليغة: والله ليكوننَّ ما تكره، إنك إن قسمتَه صار الرَّيع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي مَن بعدهم قوم يسدُّون من الإسلام مسدًّا، وهم لا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يَسَع أولهم وآخرهم[١].

وعلَّق الإمام أبو يوسف في خراجه على صنيع عمر فقال: «والذي رأى عمر رضي الله عنه من الامتناع من قسمة الأرضين بين مَن فتحها، عندما عرَّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ـ يشير إلى ما فهمه عمر من آيات قسمة الفيء في سورة الحشر ـ توفيقًا له من الله فيما صنع، وكانت فيه الخِيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمْعِ خراج ذلك وقِسْمتِه بين المسلمين عمومُ النفع لجماعتهم»[٢].

وكتب عمر إلى سعد بعد فتح القادسية يقول له: واترك الأرضين والأنهار لعمَّالها، ليكون ذلك في أُعطيات المسلمين، فإنا لو قسمناها بين مَن حضر، لم يكن لمَن بعدهم شيء[٣].

ووجد عمر في آيات سورة الحشر ما أيَّد توجُّهَه، حيث جعلت توزيع الفيء على الجيل الحاضر من المهاجرين والأنصار، ثم أشركت معهم

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٤/٢).
(٢) انظر: الخراج لأبي يوسف صـ٣٨، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد.
(٣) الأموال صـ١٥٠. والخراج ليحيى بن آدم (٤٩، ١٢١)، نشر المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

QaradawiBooks.com

الجيل القادم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. قال عمر بعد أنْ قرأ الآية: فكيف أقسمه لكم، وأَدَع مَن يأتي بغير قسم[1]؟

وبهذا تتكافل الأجيال وتتواصل، ويدعو اللاحق للسابق، بدل أنْ يلعن آخرُ الأمة أوَّلَها، حين يقولون: أخذوا كلَّ شيء، ولم يُبقوا لنا شيئًا. وهذا ما أخشى أنْ تقوله الأجيال اللاحقة في بلاد النفط، حيث استهلكوه في الزينة والمتاع، والتوسُّع في الاستهلاك، وأسرفوا في استخراجه، حتى كثُر في سوق العرض، فباعوه بأرخص الأسعار، ولو نظروا إلى حقِّ الأجيال القادمة لاقتصدوا، واعتدلوا ولم يسرفوا، فإنَّ الله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

## كلمة الختام:

التكافل رُوح، وللتكافل أُسُس، تقوم على أساس الاستخلاف، وعلى أساس الأخوَّة التي هي صنو الإيمان، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهناك وسائل وأدوات لهذا التكافل:

منها: العمل والإعانة على إتاحة الفرصة للعمل، ثم النفقات من الأقارب بعضهم مع بعض، وهو التكافل الأسري، ثم تكافل الجيران وأهل الحي، ثم تكافل المجتمع كلِّه بالزكاة كفريضة أساسية من فرائض هذا الدين، وركن من أركانه العظام، ثم موارد الدولة الأخرى، ثم الحقوق الواجبة في المال بعد الزكاة، ثم تأتي أمور أخرى بعد هذه الواجبات، مثل الصدقة العادية، والصدقة الجارية، لأنَّ باب التكافل مفتوح، يسع الواجبات وغيرها من صور الخير.

(١) انظر: الخراج لأبي يوسف صـ٤٥ ـ ٤٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هناك بعض المسلمين يدفع ما ليس واجبًا عليه، وهذا ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم، حتى وجدنا بعضهم لا تجب عليه الزكاة، لكثرة ما ينفق، مثل الإمام الليث بن سعد، وكان فقيهًا غنيًّا سَخِيًّا، سألته امرأة أَكْلَةً من عسل، فأعطاها زِقًّا، أي جرَّة كبيرة، فقال له بعض جلسائه: تسألك أَكلة تعطيها زِقًّا؟ قال: إنَّها سألت على قدر حاجتها فنعطيها على قدر النعمة علينا[1]. ومثل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من أثرياء المسلمين ومن أسخيائهم، ولكن قلَّما تجب عليه الزكاة، لأنَّه لم يكن يترك المال حتى يحول عليه الحَوْل، وكان كلما سأله سائل أعطى، حتى عُوتب على السَّخاء، قيل له: أكلما سألك سائل أعطيتَه، ألا تحسب حساب الزمن؟ قال: يا هؤلاء، إنِّي عوَّدتُ الله عادة، وعوَّدني عادة، وإنِّي أخاف إنْ قطعتُها قطعني[2].

هذا هو التكافل في الإسلام، وهذه هي رُوحه، نسأل الله ﷻ أنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يعلِّمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علمنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة الأحبة ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم وللمسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٥٩)، تحقيق عبد الوكيل الندوي، نشر الدار السلفية، بومباي، الهند، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٨٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## أسئلة المحاضرة وإجابات الشيخ القرضاوي عنها

### الزكاة فرع المِلك:

**السؤال:** هل يصحُّ أنْ يُقال: إنَّ الإسلام يُنكر المِلكيَّة الفرديَّة، لأنَّ المِلك لله وحده؟

**الجواب:** ليس معنى فكرة الاستخلاف التي تحدَّثتُ عنها، أنَّه ليس هناك ملكية فرديَّة، بل هي موجودة، ولكن المالك في الإسلام مَن يملك المال بصفة رسميَّة، هو مالك يُنسب إليه المال بأوراق قانونيَّة، كما قال الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢]، «**أعلمهم أنَّ الله افترض عليهم في أموالهم**»[1]. الزكاة فرع المِلْك، فهي لا تجب إلا على مالك، ولذلك لا نطالب المدين بزكاة الدَّيْن، بل يزكِّيه صاحبه، لأنَّه ليس مالكًا له، والزكاة فرع عن المِلك، ولذلك لا زكاة على الدولة في الأموال التي عندها، لأنَّ الدولة لا تملك هذه الأموال، بل هي ملك المجموع، وأيضًا الأموال الموقوفة على الفقراء لا تجب فيها الزكاة، لأنَّها خرجت من ملكيَّة صاحبها إلى ملكيَّة الله، فالملكيَّة الفردية هي أساس النظام الاقتصادي في الإسلام.

### غريزة حبِّ التملُّك:

لأنَّ الإسلام جاء يحترم الفطرة، والتملُّك هذا فطرة، الطفل لديه غريزة حبِّ التَّملُّك، ولو أخذتَ منه شيئًا يبكي ويصرخ، إنَّها الفطرة، والذي

(١) سبق تخريجه صـ ١٩٠.

QaradawiBooks.com

لا يملك هو العبد، ولذلك قال الله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥]. لماذا لا يقدر على شيء؟ لأنَّه لا يملك شيئًا، فالذي جعل له قدرة على الأشياء هو المِلْك، وهو ما تفعله الشيوعيَّة، تمنع الملكيَّة، فيصبح الناس عَجَزة، عبيدًا لا يقدرون على شيء، لأنَّهم لا يملكون، أمَّا الدولة فتملك كلَّ شيء، فالملكية من ثمار السيادة والحرية.

## المِلْكية فرع الآدمية:

المِلكية فرع الآدميَّة، فالآدمي يملك والحيوان لا يملك، كما قال الإمام ابن قُدامة المقدسي رحمه الله: «بالآدمية يتمهَّد ـ الإنسان ـ للملك، من قِبَل أنَّ الله تعالى خلق المال لبني آدم ليستعينوا به على القيام بوظائف العبادات وأعباء التكاليف، قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. فبالآدميَّة يتمهَّد ـ الإنسان ـ للمِلْك ويصلح له، كما يتمهَّد للتكليف والعبادة»[1]. يعني ليس فقط الحرُّ مَنْ يملك، بل الإنسان يملك بحُكْم آدميته، بينما لا تملك البهيمة، أيُّ حيوان سواء كان من البهائم المستأنسة أو غيرها، كالأسود والنمور مثلًا لا تملك، إذ الملكيَّة ناتجة عن كون الإنسان يُفكِّر ويعمل، فالملكيَّة قاعدة أساسيَّة للنظام الإسلامي.

## المِلْكية فرع الاستخلاف:

صحيح هي ليست مِلكيَّة مطلقة، كملكيَّة الرأسماليين، أو ملكيَّة القارونيين أو المَدْيَنِيين، (أتباع قارون وقوم مدين)، ولكنها مِلكيَّة يشعر الإنسان المسلم معها، أنَّ المِلك الحقيقي والمطلق لله وحده لا شريك له، فالله هو الذي رزق الإنسان هذا المال، وخوَّله إيَّاه، وأنعم به عليه، كما قال

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٤٦٦/٢).

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤]. لذلك يقول القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ويقول: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣]. فكلمة: ﴿ ءَاتَىٰكُمْ ﴾، وكلمة: ﴿ رَزَقْنَٰكُم ﴾، معناها ملكتموه ورُزِقتُموه، ومَن الذي ملَّككم المال ورزقكم إيَّاه؟ إنَّه الله تبارك وتعالى، ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾. فلا تنافي بين الملكيَّة الفرديَّة، وبين أنَّ المالك الحقيقي هو الله، وأنَّ الإنسان مستخلَف في هذا المال.

## حُرَّاس على إخراج الزكاة:

**السؤال:** ليس هناك بيت للمال في بعض الدول، فهل يجوز إخراج الزكاة بين الناس بعضهم وبعض؟

**الجواب:** نعم، يجوز إخراج الزكاة بين النَّاس بعضهم وبعض، فإنَّ الإسلام أقام على الزكاة حُرَّاسًا ثلاثة:

### الحارس الأول: السلطان:

الدولة نفسها، أو السلطان، أو الحاكم، ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣]، يأخذها السلطان، ويأتي بها بيت مال الزكاة، فقد كان هناك عدَّة بيوت أموال: بيت مال الزكاة، وبيت مال الغنائم، وبيت مال الجزية، وبيت مال الخراج، وبيت مال الضوائع، وميراث مَن لا ميراث له، إلى آخر ذلك. فهذا حارس السلطان، كما قال الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه: إنَّ الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن[1]. ولذلك قاتل أبو بكر مانعي الزكاة،

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١).

QaradawiBooks.com

كما هو مقرَّر فقها: أنَّ النـاس إذا لم يدفعوا الـزكاة طوعًا، تؤخذ منهم كرهًا، وإذا اجتمع جماعة وكانوا ذوي شَوكة، وتمرَّدوا على إعطاء الزكاة يقاتَلـون بحدِّ السـيف[1]. أي: تُعلـن عليهم الحرب، كما فعل سـيدنا أبو بكر، والصحابة معه، فهذا هو الحارس الأول، حارس السلطان.

## الحارس الثاني: المجتمع الإسلامي:

حارس المجتمع الإسلامي نفسـه، فقد قلنا: إنَّ المجتمع الإسلامي مجتمع متكافـل. ومن أنـواع التكافـل: التكافل الأدبـي، ومعناه: أنَّ المجتمع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. فبمقتضى الإيمان أصبح لي ولاية عليك، وأصبح لك ولايـة عليَّ، فمن حقِّ المؤمـن أنْ يأمر وأنْ ينهَى، وأنْ يوصِي وأنْ يُوصَى، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. يوصِي غيره، ويقبـل الوصيَّة من غيره، فليس هنـاك أحد أصغر من أنْ يُوصِي، وليس هنـاك أحد أكبر مـن أنْ يُوصَى، فالتكافـل الأدبي: هو الضمير الاجتماعي، الذي ينشأ عن الحسِّ الإسلامي، والوعي بالإسلام، وبفرائض الإسلام، ويجعل المؤمنين متكافلين في هذه الناحية.

القرآن يأتي بالأوامر بصيغة الجماعة، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾. ولـم يقُل: يا أيها المؤمن. لأنَّ الجميع متضامنون، حتى في القضايا التي هي من شؤون الدولة، كإقامة الحدود وإبرام العهود ونحو ذلك، نجد أنَّ الأمر فيها

(١) انظر: فقه الزكاة (١/٩٤ ـ ١٠١).

QaradawiBooks.com

للجماعة المؤمنة، في الأمر بإقامة حدِّ السرقة يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. وفي إقامة حدِّ الزنى يقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. مَن الذي يَجلد؟ ومن الذي يَقطع؟ ليس أيُّ أحد، وإنَّما الإمام، بنفسه أو بواسطة نوَّابه.

وفي أخذ العهود أو نبذها، نجد قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٤]. فالذي يعاهد ليس الأمَّة كلُّها، وإنَّما الحاكم المسؤول. لِمَ كان الخطاب للأمَّة جميعها إذنْ، ولم يكن للمسؤول أو الإمام أو نائبه؟ ذلك ليشعر الجميع أنَّهم متضامنون في تنفيذ أحكام الله، وهذا هو التكافل الأدبي كما قلنا، وفي الحديث الصحيح المشهور، عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمَثَل قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضهُم أعلاها وبعضهُم أسفلها، فكان الَّذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإنْ يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعًا**»[1].

فالمجتمع كلُّه ركَّاب سفينة واحدة، وهذا هو التكافل الأدبي، والرأي العام الإسلامي، والضمير الاجتماعي الإسلامي، وهو حارس آخر للزكاة.

### الحارس الثالث: الوازع الذاتي:

والحارس الثالث للزكاة، هو الوازع الذاتي من داخل كلِّ فرد مسلم، وهو الإيمان، أو ما نسمِّيه في عصرنا «الضمير»، ضمير الإنسان المؤمن،

(١) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أنَّه يخاف الله ويراقبه، ولو لم يطالبه سلطان، ولو لم يأمره أحد بمعروف، ولم ينهه أحد عن منكر، هو بدافع إيمانه لا بدَّ أنْ يدفع الزكاة.

ولذلك في كثير من البلاد ليس هناك مَن يطالب بالزكاة، ولكن أهل الدِّين يدفعون الزكاة، ما دام الواحد منهم يُصلِّي فلا بدَّ أنْ يُزكِّي، كيف يستجيب لقول الله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولا يستجيب لقول الله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؟ فهذا هو الحارس الثالث.

فالدولة إذا لم تقُم بواجبها نحو الزكاة، فإنَّ الفرد المسلم يقوم بواجبه نحوها، ولو استطاع النَّاس أنْ ينظِّموا جمعيات تقوم على جمع الزكاة، وتوزيعها فلا مانع، هناك بعض البنوك الإسلاميَّة عملت شيئًا من هذا، بنك فيصل الإسلامي المصري، عمل صندوقًا للزكاة للبنك نفسه، ولمَن شاء من الناس، فكثير ما يقول بعض الناس: خذوا المال وقوموا أنتم بتوزيعه على الفقراء، فنحن لا نستطيع الوصول إلى الفقراء المستحقِّين للزكاة، ومثل هذا الأمر مطلوب.

فإذا لم تقم الدولة بالقيام على أمر الزكاة، فالمجتمع المسلم مطلوب منه أنْ يُنظِّم أمرها، بالطريقة التي يراها أفضل، وإذا لم يقُم المجتمع المسلم، فالفرد المسلم ملزم أنْ يُخرِج الزكاة للمستحقِّين، ويوصِّلها إليهم حتى ينال رضا الله ﷻ، وتبرأ ذمَّته من هذه الفريضة العظيمة.

## التنازل عن الدَّيْن واعتباره من الزكاة:

**السؤال:** هل يصحُّ أنْ يعتبر من الزكاة أنْ يَحطَّ الدائن عن مدينه المعسر ما عليه من أموال؟

**الجواب:** إذا أعسر المدين ولم يكن هناك أمل قريب في أنْ يجد ما يسدُّ به الدَّين، فإن هناك من الفقهاء مَن أجازوا أنْ يتنازل له عن الدَّين، ويعتبر

QaradawiBooks.com

هذا من الزكاة، لأنَّ القرآن اعتبر هذا صدقة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وأنْ تصدَّقوا بجزء من الدَّين، أو تصدَّقوا به كلَّه خير لكم، فاعتبر التنازل صدقة، والزكاة صدقة، كما قال الإمام الماوردي: «الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم، ويتَّفق المسمَّى»[1]. وبعض الأحاديث سمَّته صدقة بالفعل، فيجوز له أنْ يتصدَّق عليه، بتنازله عن هذا الدَّين كلِّه أو بعضه، على أنْ يعرِّفه أنَّه تنازل له عنه، حتى لا يبقى المدين مشغولًا بالدَّين، فالدَّين همٌّ بالليل ومَذلَّة بالنهار، كما يقال، فيجوز ولا حرج إن شاء الله.

## هل تُغْني الضرائب عن الزكاة؟

**السؤال:** هل تُغْني الضرائب عن الزكاة؟

**الجواب:** لا تُغني الضرائب عن الزكاة، فإنَّ الزكاة عبادة وفريضة، لا بدَّ أنْ تبقى باسمها ورسمها، ووصفها ومقاديرها ومصارفها الشرعيَّة، ونُكمِّل عليها بفرض الضرائب، إن كان ولا بدَّ من ذلك في بعض البلاد لسد الاحتياجات. فلا تُغني الزكاة عن الضرائب، كما لا تُغني الضرائب عن الزكاة.

في ظل الدولة الحديثة لم تَعُد تكفي الزكاة، لكثرة الأشياء التي تقوم بها الدولة الحديثة، لذلك احتاجوا أنْ يأخذوا ضرائب من الناس، فلا مانع إذنْ، على أنْ تكون الزكاة هي الأساس، ويُكمَّل عليها بالضرائب، لكن الضرائب لا تُغني عن الزكاة بحال من الأحوال، بل لا بدَّ كما قلنا: أنْ تبقى الزكاة باسمها ووصفها، وأنْ تُدفع بنيَّة الزكاة،

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي صـ١٧٧، تحقيق عصام فارس الحرستاني ومحمد الزغلي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

لأنَّها عبادة، والعبادة لا بدَّ فيها من نيَّة، الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الصحيح: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه إلى دُنْيا يُصيبها أو امرأةٍ يَنْكِحُها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1].

## المصارف الإسلاميَّة خُطوة على طريق العودة إلى الإسلام:

السؤال: هل للمصارف الإسلاميَّة دور في عملية التكافل في المجتمع المسلم؟ وما هو دور عامَّة المسلمين حيالها؟ هل النقد؟ أم التفرج؟ أم انتظار الكمال لها؟

الجواب: المصارف الإسلاميَّة لا شكَّ أنَّها خُطوة جيدة وعظيمة على طريق العودة إلى الإسلام، هناك ميادين كان المسلون قد هُزموا فيها أمام الحضارة الغربية، من هذه الميادين: الاقتصاد، ومنها الإعلام والفنون، وفي بعض البلاد مَيدان المرأة، فبدأ المسلمون في عصر المدِّ الإسلامي، والانبعاث الإسلامي، والصحوة الإسلاميَّة، بدأ المسلمون يستمدُّون ثقتهم بدينهم ويعودون إلى الإسلام.

في وقت من الأوقات كان هناك أناس يقولون: الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربويَّة عصب البنوك، فلا تحلُموا ببنوك تقوم على غير الفوائد. وحاول من حاول أنْ يُبرِّر الربا، لهزيمته النفسيَّة أمام الحضارة الغربيَّة، فقالوا: إنَّ المحرَّم هو ربا الجاهلية، إنَّما الربا الحالي ليس كربا الجاهلية.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

ومن قالوا: إنَّ المُحرَّم هو ربا الاستهلاك، وليس ربا الإنتاج.

ومن قالوا: إنَّ المُحرَّم هو ربا الأضعاف المضاعفة، إنَّما الثمانية في المائة، والعشرة في المائة هذه ليست أضعافًا مُضاعَفَة.

ومن قالوا: الربا حُرِّم في عصر غير العصر، فالضرورة الآن تقتضي أن نبيح الربا، وإلا انعزلنا عن العالم، ولن نستطيع أنْ نعيش وحدنا. ومُبرِّرات شتى، لم ينزل الله بها من سلطان، ولم يَقُم عليها من الشرع برهان.

كلُّ هذه الادِّعاءات ـ والحمد لله ـ رُدَّ عليها نظريًّا، وأُلِّفت كتب، وأُلقيت محاضرات، فمن الناحية النظريَّة انتصرت الفكرة الإسلاميَّة، ثم هيَّأ الله رجالًا أقاموا بنوكًا ومصارف ومؤسَّسات إسلاميَّة، هذه المؤسَّسات اجتمع لها رجال الشرع، مع رجال المال، مع علماء الاقتصاد والإدارة، مع رجال السياسة الذين صرَّحوا بهذا، فبدأت البنوك الإسلاميَّة تظهر على استحياء.

فظهر بنك في دبي، وبعده بنك فيصل الإسلامي في مصر، ثم بنك فيصل الإسلامي في السودان، وبنك التمويل الكويتي، والبنك الأردني، وهكذا حتى صارت حوالي مائة بنك في العالم الإسلامي، وتمتدُّ وتتوسَّع والحمد لله، صحيح هي قطرة من بحر بالنسبة للبنوك الربويَّة، إنَّما هي والحمد لله خطوة على الطريق.

كان الناس يقولون للعلماء والمشايخ: تقولون لنا هذا حرام، وهذا حرام، لِمَ لا توجدوا لنا البدائل؟ فكانت ـ والحمد لله ـ البنوك والمصارف الإسلاميَّة هي البديل الشرعي للبنوك الربويَّة. خصوصًا وأنَّ الربا من المُوبقات السبع، كما صحَّ بذلك الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبعَ المُوبقات**». قالوا: يا رسولَ الله وما هنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحر، وقتل النفْسِ الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتَّولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

ولم يذكر الله في معصية ما ذكر في الربا، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وقد صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه. وقال: «**هم سواء**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا ظهر الربا والزنى في قريةٍ، فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله** ﷻ»(٣). فلهذا وُجدت البدائل الإسلاميَّة والحمد لله.

ونحن الآن في عصر تحسين هذه البدائل، يعني البنوك الإسلاميَّة تتحسَّن، نعم هناك أخطاء في بعض البنوك الإسلاميَّة لا نُنكر هذا، لأنَّ كثيرًا ممَّن يعملون في البنوك الإسلاميَّة، جاؤوا من البنوك الربويَّة، فعقله مركَّب تركيبة ربويَّة، فهناك أخطاء من بعض الأفراد مثل هؤلاء، لكن التَّوجُّه في مجمله سليم.

بعض الناس سألني قال لي: بعض الشبهات تحوم حول البنوك الإسلاميَّة؟ فقلت له: البنوك الإسلاميَّة هذه قامت على أساس إسلامي،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (٣٨٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو يعلى (٤٩٨١)، وابن حبان في الحدود (٤٤١٠)، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥٨١): لأبي يعلى فقط، وجوَّد إسناده، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ونظامها يُلزِم أنْ يعمل حسب أحكام الشـريعة، ومجلس إدارته مُلزَم أنْ يُنفِّذ هذا، وهناك هيئة رقابة شرعية، ومجموعة علماء يشرفون على تنفيذ هذه العملية.

نسأل الله أنْ يكفينا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمَّن سواه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

# المسكرات وخطرها على المجتمع(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهمَّ عَلِّمْنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

أيُّها الإخوة الكرام: سألت نفسي، وأنا قادم إلى هذا اللقاء المبارك: لماذا نتحدث عن المسكرات، وما يلحق بها من المخدرات هنا، وليس من الموجودين ـ والحمد لله ـ أحد يتناول هذه الآفات؟ لماذا نتحدث عن هذا الموضوع في مكان لا يأتي إليه أحد من هؤلاء المبتلين؟

(١) في ندوة بجامعة قطر.

QaradawiBooks.com

## ابتلاء المجتمعات الإسلامية بالمخدرات:

وأنا أعتقد أنَّ الحديث هنا من أجل أن نتحمَّل المسؤولية في مكافحة هذه المصائب التي ابتلي بها المسلمون؛ لنعرف كيف ابتليت مجتمعاتنا بهذا الأمر، وقد شاعت للأسف وانتشرت، وكان بعض الإخوة أقاموا مؤتمرًا هنا في قطر لمحاربة التدخين، وهذا شيء جميل؛ لأنَّ التدخين أصبح آفة مضرة: تأكل الأموال، وتأكل الصحة، وتأكل الأخلاق معها، وتأكل أشياء كثيرة في حياة الإنسان الأسرية والاجتماعية.

ولذلك قال بعض الإخوة: لماذا لا يُقام أسبوعٌ لمكافحة المخدرات، وكان الرد أنَّ هذه الأشياء ممنوعة، ممنوعة بحكم القانون، ولكن من الناحية الواقعية نعلم أنَّها منتشرة انتشار النار في الهشيم، وأنا شخصيًّا من الناس الذين يلمسون هذا؛ من كثرة ما يرد إليَّ من أسئلة مكتوبة أو مسموعة، ومن مكالمات هاتفية من رجال ونساء، وزوجات وأمهات، يشكون دائمًا من الزوج السكران، الذي يُطلق باستمرار، الذي تصوم امرأته في رمضان وهو مفطر من أجل أن يشرب الخمر في رمضان، وقد يطالبها أن تقدم له الغداء والخمر أحيانًا، وقد يأتي في بعض الأوقات بضيوفه، ويطلب منها أن تخدمهم، وتقدم لهم الكاس والطاس! وهذا أمر يطرق سمعي باستمرار.

ولذلك لا يجوز لنا أن نكون كما قالوا عن النعامة: إنَّها تدفن رأسها في الرمال؛ حتى لا يراها الصياد، فالموضوع في الحقيقة جدير بالمعالجة.

ومعالجة هذا الموضوع في مثل هذا المكان لا تكفي؛ لأنَّه يجب أن يعالج على مستوى الأجهزة التي تُرى وتُسمع وتُقرأ، على مستوى الدولة

QaradawiBooks.com

جميعًا، ولكن حسبنا أن نعرف نحن وننقل إلى غيرنا التحذير من هذا الآفات والدعوة إلى تركها.

## لماذا يشرب الناس الخمر؟

سألت نفسي أيضًا: لماذا يشرب الناس الخمر أيًا كان مصدرها، وأيًا كان اسمها كما قال الدكتور عبد الله؟ أيًّا كان الاسم الذي تسميها به، سَمِّها خمرًا، سَمِّها وسكًا، سمها شمبانيا، سمها بيرة، الأسماء لا تغير فيها شيئًا، هي خمر بصرف النظر عن اسمها؛ لأنَّها تخامر العقل وتغطيه، وليس العقل فقط.

هناك من الفقهاء القدامى الذين قالوا بتحريم الخمر لحماية العقل، وفي الحقيقة أنَّ تحريمها ليس لحماية العقل فقط؛ بل لحماية العقل، وحماية الجسم، وحماية الأخلاق، وحماية الأسرة، وحماية المجتمع، وحماية الاقتصاد، فتحريمها إذن يدخل في حماية الضروريات الخمس، التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها على الإنسان، وقد ذكرها الفقهاء بأنها: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وأضيف إليها العرض. فالواقع أنَّ تحريم الخمر ليس من أجل هذه الخمسة فقط؛ بل للضروريات الستِّ كلها.

## هل يجهل الناس حكم الخمر؟

لماذا يشرب الناس الخمر؟ هل يجهلون حكمها حقيقة؟ هل الذين يشربون الخمر يعتقدون أنَّها ليست حرامًا؟ طبعًا هناك من يماحكون في حقيقة هذا الكلام، وقد رددْنا عليهم، وردَّ عليهم فضيلة الأخ الشيخ عبد التواب جزاه الله خيرًا.

QaradawiBooks.com

فالمسألة في الحقيقة لا تحتاج إلى مناقشة، وأنا أذكر وأنا طالب في كلية أصول الدين، أن جاء طالب من هؤلاء المماحكين وقال لي: أرني دليلًا على تحريم الخمر؟ فقلت له: الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. هذا من القرآن، ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**»[1] فقال لي: أريد لفظ التحريم من القرآن. فقلت له: هل لا بدَّ أن يرد في القرآن كلمة حرام؟ لا يَحرُم الشيء إلا إذا قال القرآن إنَّه حرام؟!

ثم قلت له: هل الزِّنَى حرام، أم ليس بحرام؟ فقال: حرام. فقلت له: دلني على آية في القرآن تقول: إنَّ الزِّنَى حرام، الموجود في القرآن: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. ثم قلت له: هل القتل حرام، أم ليس حراما؟ قال: حرام. فقلت له: دلني على آية في القرآن تقول: إنَّ القتل حرام، فالموجود في القرآن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١، فلماذا الخمر وحدها هي التي تطلبون دليلها من القرآن بلفظ حرام؟!

## دلائل التحريم في القرآن والسُّنَّة:

إنَّ التحريم قد يأتي في القرآن، وكذلك السُّنَّة بعبارات كثيرة: قد يأتي بالنهي عن الشيء، وقد يأتي بلعن صاحبه، وقد يكون بالتوعد بالعذاب عليه، وقد يكون بقوله: ولا تقربوا، وقد يكون بكلمة: فاجتنبوه، وكلمة

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٠٣)، وأحمد (٤٦٤٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

«فاجتنبوه» لم تأتِ في القرآن إلا مع الشرك ومع الكبائر: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشُّورى: ٣٧].

ثم قلت له: ومع هذا سوف آتي لك بآيات من القرآن، جاء فيها تحريم الخمر بلفظ حرام، خُذ هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. فهذا دليل على أنَّ الخمر إثم، والإثم حرام، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذه الآية تعتبر في المرتبة الأولى من مراتب النهي والتحريم، فالنهي والتحريم مراتب ودرجات، هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾. ثم الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. ثم الآية الثالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

## محاولة تحويل القطعيات إلى ظنيات:

المشكلة مع هؤلاء ليست أنَّهم يجهلون التحريم، فالتحريم معروف ومعلوم من الدين بالضرورة، وأرى أنَّ من المؤامرات الفكرية التي نقع في شراكها أحيانًا، أن بعض الناس يريدون أنْ يحوِّلوا قطعيات الدين إلى ظنيَّات، ويحوِّلوا المحكمات إلى متشابهات! الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة يريدون أن يجعلوها موضع جدل، كيف هذا؟!

QaradawiBooks.com

أنا لا أناقش في فرضية الصلاة، ولا في حرمة الربا، ولا في حرمة الزنى، ولا في حرمة الخمر، أو في وجوب الزكاة، أو في وجوب صوم رمضان، لأنَّها أمور انتهت، وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة، وأصبحت تمثل الوحدة الفكرية والسلوكية للأُمَّة، فلا معنى أبدًا أن نعيد البحث في هذه الأمور، انتهينا، هذا ما قاله الفقهاء، أصبح معلومًا من الدين بالضرورة.

ما معنى أصبح معلومًا من الدين بالضرورة؟ أنَّه لا يحتاج إلى دليل، لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، فقد استوى في معرفته الخاص والعام، إلا من كان حديث عهد في الإسلام، أو إنسان يعيش في جبل بعيد عن العمران والناس، وقد قالوا: الجهل في ديار الإسلام ليس عذرًا، طالما يعيش في بلاد الإسلام؛ فليس لديه عذر في معرفة ما عرف من الدين بالضرورة، ونحن اليوم يعتبر القضاء الجهل بالقانون ليس عذرًا، فالجهل بأحكام الدين ليس عذرًا، وليس هناك من يجهل.

المشكلة إذنْ ليست في جهل الناس بالحكم، فلماذا يتعاطى الناس المخدرات ويتناولون المسكرات، وهذه السموم القاتلة؟ هناك أشياء وأسباب ينبغي أن نقف عليها:

**أصدقاء السوء:**

بعض الناس للأسف يقع فريسة لبعض أصدقاء السوء، يقع فريسة لصيادي البشر، هناك صيادون وتجار كما نرى يصطادون البشر، خاصة من أبناء الخليج الذين معهم المال، فبمجرد أن ينزل في لندن، أو في بيروت، أو في القاهرة، أو في أي عاصمة من العواصم، تجد هناك من يصطاده ليعلمه هذه الأشياء، فيتعلمها وهو يظن أنَّه بذلك يتحرر أو

QaradawiBooks.com

يتمدَّن، أو يخرج من إطار البيئة القديمة هذه، فالمسألة هنا ليست مسألة الجهل بالحكم، المسألة هي فقدان الوعي، من أنت؟ ما هي أُمَّتك؟ ما هي رسالتك؟

## الفراغ القاتل:

الواقع أنَّ الشباب عندنا فريسة الفراغ، فهم فارغون من المُثُل العليا؛ التي ينبغي يعيش لها المسلم. ينبغي أن يعيش شبابنا لرسالة، أن يعيش لهدف كبير، من أجل هدف كبير، من أجل رسالة، عند ذلك لا يفكر في خمر، ولا في حشيش، ولا في هيروين، ولا في امرأة، ولا في شيء من هذا، ولكن إذا عاش في فراغ؛ فسيحاول أن يملأ هذا الفراغ، المشكلة إذنْ في الفراغ، ليس فراغ الوقت، وإنَّما فراغ النفس والعقل، وقديمًا قال أبو العتاهية:

**إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَةْ مفسدةٌ للمرءِ أي مفسدةْ**[1]

هنا فراغ وشباب وجِدة، والجِدَة يعني: وجدان المال الذي يستطيع أن ينفق منه، وللأسف الشباب في هذه البلاد يجد، والآباء يعطون أبناءهم عن سخاء، ولا يسألون أبناءهم فيمَ أنفقتم هذا المال!

## فقدان الرعاية الأسرية:

بل من الأسباب الأساسية لتناول هذه الأشياء: فقدان الرعاية الأسرية، انعدام الرقابة الأبوية، حرمان الأبناء من عطف الآباء، الأب لا يفرغ من وقته ليجلس مع أبنائه وأولاده، يسهر بعيدًا عن البيت، ولا يسأل عنهم، ولا يهتم بمشكلاتهم، خاصة إذا كان متزوجًا أكثر من امرأة، أو إذا كان

(١) انظر: ديوان أبي العتاهية صـ٤٩٥، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

هو مشغولًا بعمل يستغرق جلَّ وقته، أو إذا كان هو نفسه مبتلى بهذا الأمر، فكيف يعطي القدوة من نفسه؟

**إذا كان الغرابُ دليلَ قومٍ سيهديهم إلى جِيَف الكلابِ**[١]!

أو كما قال الشاعر الآخر:

**إذا كان ربُّ البيت بالدفِّ ضاربًا فشيمةُ أهلِ البيتِ كلِّهم الرقصُ**[٢]

أين الرعاية؟ أين الرقابة؟ أين المسؤولية؟ «**كلُّكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته**»[٣].

لا توجد الرعاية، هذه الأشياء هي التي تسبب في وقوع الشباب في تناول المسكرات والمخدرات.

## أجهزة الإعلام:

من ناحية أخرى تجد أجهزة الإعلام للأسف، تغري بهذه الأشياء، تغري لا بالطريق المباشر ـ فالطريق المباشر هذا أقل الأشياء تأثيرًا ـ لا يعلن الإعلام عن شرب الخمر مثلًا، ولا يدعو إلى ذلك، ولكن تجد الأفلام والمسلسلات وهذه الأشياء كلها، تعرض لك أنَّ الإنسان إذا نزلت به مشكلة، أو حلت به مصيبة، أو ضاق ذرعه بأمر من الأمور، ماذا يفعل؟ وأين يلجأ؟ لا يجد إلا الخمر والمخدرات، وفي آخر القصة

(١) ذكره بلفظ مقارب الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/٢٤٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي صـ٢٤٧، في هجاء ابن عروة، تحقيق س. مرجليوث، نشر مكتبة المقتطف، مصر، ١٩٠٣م.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٤.

QaradawiBooks.com

يأتون بالنتيجة لصالح المخدرات والمسكرات، فكل أحد يصيبه هم، أو ينزل به كرب؛ ويريد أن يسري عن نفسه، يلجأ إلى تناول هذه الآفات!

**القوى المعادية للإسلام:**

وهناك أيضًا القوى المعادية للإسلام المتربصة به، والقوى الرافضة لهذه الأُمَّة من الشرق والغرب، تريد أن تدمر ثروة هذه الأُمَّة، وهذه الثروة لا تتمثل في البترول وهذه الموارد الطبيعية التي أنعم الله بها على هذه الأمة، الثروة الحقيقية: هي الإنسان، هي البشر، أعظم ما تملك هذه الأمة هم رجالها، وخير هؤلاء الرجال هم الشباب؛ لأنَّهم ثروة الغد، وأمل المستقبل، فإذا حُطِّم الشباب، حُطِّمت الأمة، وحُطِّم مستقبلها، ولذلك تعمل هذه القوى اليهودية والصليبية، والاستعمارية والشيوعية والماسونية، والفئات العلمانية المنحلة، كل أعداء الإسلام على اختلاف أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم، يعملون على طمس الشخصية الإسلامية، وتدمير الأسرة الإسلامية، وتدمير المجتمع الإسلامي، وأعظم المدمرات. وأعظم الوسائل في أيديهم أمران: **الأول**: الجهل والمرض. **والثاني**: الخمر والنساء، وكلاهما مقترنان، وبهذين الأمرين يصل الأعداء إلى ما يريدون.

كيف استطاع اليهود إلى معرفة أدق الأسرار في الجيوش العربية؟ كيف استطاعوا معرفة هذه الأسرار؟ استطاعوا باستخدام هذه الوسائل أيضًا: النساء، والخمر.

فهؤلاء قالوا: نستطيع أن نكسب هذه الأموال: أموال الخليج، إذا كان الخليج فيه ذهب يتدفق، وفيه ثروة ضخمة، فنحن نريد أن نأخذ هذه الثروة، ونريد أن نبدد هذه الثروة، حتى لا ينتفع بها هؤلاء، وهم يفعلون ذلك بالإغراء بهذه السموم.

QaradawiBooks.com

الدول المختلفة تعمل ونحن غافلون، لا نقابل العمل بعمل، لا نقابل الإيجابية بمثلها، ولا نقابل الجدية بمثلها، نحن مشغولون بقضايا جزئية، بخلافات فرعية، بمعارك جانبية، ننشغل بهذه القضايا، ونترك هذه الأمور المهمة، نتناقش في أشياء مختلف فيها، وقد يكون فيها عشرون قولًا وقولًا، ولكنا لا نعمل عملًا جِديًّا لحماية الأمة، ولإنقاذها وإنقاذ شبابها من هذه السموم التي تفتك بها وتدمرها.

## واجباتنا تجاه هذه المشكلة:

يا أيُّها الإخوة: إنَّ علينا واجبات تجاه هذه المشكلة الكبيرة:

## حماية الشباب:

علينا أن نعمل على حماية الشباب، علينا أن نجد لهم ملاذًا ومأوى يؤوون إليه، ويجدون فيها سكينة أنفسهم التي لم يجدوها في بيوتهم، علينا أن نختار لهم أصدقاء الخير بدل رفقاء السوء.

للأسف أنا أقول: إنَّ مفهوم رعاية الشباب في البلاد العربية مفهوم خاطئ، هناك مجالس لرعاية الشباب، وهناك وزارات للشباب في كل دولة، وهناك مؤسسات للشباب، وهناك دور وبيوت للشباب، وهذه المؤسسات كلها يرصد لها مبالغ ضخمة بالملايين في كل بلد، ولكنا نجد رعاية الشباب محصورة في الرياضة، وممارسة الكرة فحسب.

الإسلام لا يمنع ممارسة الرياضة بصفة عامة، ولا ممارسة الكرة بصفة خاصة، ولكنَّه يريد أن تكون هذه الأشياء وسائل وليست غايات، على ألا تصبح الكرة وثنًا يتعبَّده الناس، ويصبح الناس أحزابًا لفريق ضد الآخر، فهذا يتعصب للسد، وهذا يتعصب للعربي، وهذا يتعصب للريان وهكذا!

QaradawiBooks.com

لا مانع من الرياضة بشرط أن تكون وسيلة وليست غاية، أن نقيم توازنًا في الحياة بين الرياضة وبين غيرها، بين اللهو وبين غيره، لا مانع من اللهو البريء المباح، ولكن الحياة ليست كلها لهوًا، ولذلك مفهوم رعاية الشباب يجب أن يشمل جوانب مشكلات الشباب، مشكلاتهم النفسية، ومشكلاتهم الأسرية، ومشكلاتهم الثقافية، ومشكلة الفراغ الذي يشكونه، والوحدة التي يحسونها في مجتمع هائج، هل هناك مرشدون دينيون؟ هل هناك مرشدون اجتماعيون؟ هل هناك أناس يهتمون بمثل هذه المشاكل على مستوى الشباب، الشباب في حاجة إلى هذا كله.

## تطهير المجتمع من أسباب الفساد:

طبعًا وبجانب هذا لا بدَّ من تطهير المجتمع بمحاربة الفساد وإزالة أسبابه، بعض الناس يظن أنَّ المجتمع لا يعاقب الناس إلا بالعقوبة المادية وحدها، نعم لا بدَّ من العقوبة المادية، ولكن العقوبة وحدها ليست كافية، الإسلام في الحقيقة يهتم بالوقاية أكثر مما يهتم بالعقوبة.. نعم الوقاية؛ فدرهم وقاية خير من قنطار علاج؛ ولذلك قال الدكتور عبد الله في كلمته. أول شيء لا بدَّ من تقوية الإيمان، يعني التربية، يعني تربية الإنسان المؤمن، حتى إذا قلت له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. يقول: انتهينا واجتنبنا. تربية الضمير الحي، والوازع الديني، والدافع الذاتي، الإنسان الذي يخشى الله، الذي ترميه في اللهب ولا يحترق، وفي البحر ولا يغرق، يذهب إلى أوروبا وإلى أمريكا فلا يهمه، لقد رأينا من الشباب المؤمن من يعيش في أوروبا، وفي أمريكا، في وسط المخدرات والمسكرات، وفي وسط المغريات، وفي وسط يموج بالفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومع ذلك يعيش عفَّ الفرج، عفَّ النفس، عفَّ اللسان؛ لأنَّه علم للإسلام، وعاش في ظل الإسلام.

QaradawiBooks.com

## إفساح المجال للدعاة والمربين:

نحن أيُّها الإخوة في حاجة إلى تكوين وتربية جيل مسلم جديد، ومن أجل ذلك يجب أن نفسح المجال للدعاة والمربين؛ لتنشئة هذا الجيل على تقوى من الله ورضوان، لا بدَّ من هذا، لا بدَّ من التربية، لا بدَّ من تطهير المجتمع من أسباب الفساد، لا يجوز أن تدخل الخمر بأسلوب وآخر، وتحت عنوان وآخر، وبصورة وأخرى، باسم غير المسلمين وباسم كذا، ثم تصبح تحت استطاعة كل يد، من يستطيع من يدفع فله ما يريد، وهذا أمر يجب أن تتعاون فيه الدولة، ويتعاون فيه الناس، لا بدَّ من عمل.

إنَّ القضية قضية تتعلق بمقومات مجتمعنا، مما ينبغي أن يُقام حوله سياج يحميه من غارات المغيرين، ومن مكايد الشياطين، الذين يدبرون له السوء، ويبيتون الأمر بليل؛ ليأكلوا هذا المجتمع ويبتلعوه، وهو لا يدري ولا يشعر، لا بدَّ من هذا كله.

لا أريد في الحقيقة أن أطيل عليكم أكثر من هذا، ولكن الذي أريد أن أؤكده أنَّنا ـ وقد عافانا الله من هذا البلاء ـ مطالبون بنشر الوعي عن هذه القضية، وأن نبلغ الرسالة، وأن نحذر وننذر، وأن نقول لمن نعرف من المسؤولين والموجهين ما نعرفه عن هذه الأمور.

نسأل الله تعالى أن يحمي هذه المجتمعات التي كان يُفترض أنَّ الله تعالى قد حماها بالإسلام.

بعد قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. كان من المفترض من المجتمعات الإسلامية ـ وقد أغناها الله عن هذه الأشياء ـ

QaradawiBooks.com

أن تبتعد عنها، ولكن المؤامرات كما قلت لكم تعمل عملها، فلا بدَّ أن نحذر، ولا بدَّ أن نُحذِّر، ولا بدَّ أن ننبه، ولا بدَّ أن نُنذر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أكتفي بهذا القدر، وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الإجابة عن أسئلة المحاضرة

**السؤال الأول:**

**ما حكم التدخين؟**

قضية التدخين قد تكلمنا عنها كثيرًا، ومعرفة من في هذا المكان لهذا الحكم لا يحتاج إلى كثير نقاش، والذي يمكن أنْ أقوله: إننا بعد ما سمعنا ما قيل عن أضرار التدخين في الأسبوع الذي أقيم من أجل ذلك وهي كثيرة.

هناك الأضرار المالية؛ لأنَّ الإنسان ينفق ماله فيما لا نفع فيه في الدنيا والآخرة.

وهناك الأضرار النفسية؛ لأنَّه استعباد للإنسان وإذلال له، والشعور بعدم القدرة على الانتصار عليها بسب هذه الآفة.

وهناك الأضرار الصحية؛ فهو يسبب كثيرًا من الأمراض، أعظمها السرطانات التي تودي بحياة الإنسان.

وهناك الأضرار الاجتماعية: فهو ضرر للآخرين بما يسببه من الإزعاج لهم، وإيذائهم بالرائحة الكريهة، بل قال الأطباء: إنَّ هذا ليس إيذاء فقط، بل هو ينقل لغيره جزءًا من هذا السم عن طريق التنفس.

فهي أضرار من كل ناحية، فبالله عليكم، أي عاقل يقول بعد ذلك إنَّه مكروه وليس بحرام؟ وهب أنَّنا قلنا: إنَّه مكروه. أليس الإصرار على هذا المكروه مع هذه الأضرار المعلومة، ترقى به إلى درجة الحرام؟

QaradawiBooks.com

**السؤال الثاني:**

**ما حكم القات؟**

مصيبة في الحقيقة مسألة القات هذه، عندما ذهبت إلى اليمن وجدت شيئًا عجيبًا غيرت نظرتي إليه ومعرفتي به، وجدت القات يعطل الإنسان ويجمده، الرجل يأخذ القات ويخزنه تحت لسانه من الظهر إلى المغرب، والصلاة ماذا يفعلون بها، أصحاب المذهب الزيدي يجمعون الصلاة، والشافعية قبل المغرب بخمس دقائق يقوم أحدهم فيخطف أربع ركعات، فالقات يتناوله حتى المصلين، حتى العلماء إلا من عصم ربك من المؤمنين الصادقين؛ ولذلك حينما كنا في المؤتمر العالمي لمكافحة المخدرات والمسكرات، والذي عقد في المدينة المنورة برعاية الجامعة الإسلامية، وتحت إشراف وزارة الداخلية السعودية، أجمع الحاضرون على تحريم القات، وقالوا فيه من الأضرار ما يكفي، وغير ذلك أنا كنت أراه أنَّه شيئًا رخيصًا، فلما سألت قيل لي: إنَّ الإنسان يخزن في اليوم ما بين مائتين وخمسمائة ريالًا. وشيء آخر: الأرض اليمنية ٥٢٪ منها على الأقل تُزرع بالقات، الناس يزرعون القات ويستوردون القمح والخضرة! فلا شك أنَّ القول بحرمة القات هو القول الصحيح، ونسأل الله العافية.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

# المـرأة المسلمـة

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

# من الدستور الإلهي للبشرية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي.



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٨

# مسلمة الغد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهمَّ وأصلِّي وأسلِّم على رسولك، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته إلى يوم الدِّين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا.

نحمدك اللهمَّ على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

ونعوذ بالله تعالى من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عمل لا يُرفع، ومن دعاء لا يُسمع.

إنَّ موضوعنا هذا هو عن «مُسلِمة الغد»، المسلمة التي أتصوَّرها أمامي غدًا كما يجب أنْ تكون.

## المسلمة اليوم بين تيارين خاطئين:

ولماذا اخترت بالذات «مسلمة الغد»؟

لأنَّ المسلمة العصرية ـ للأسف ـ ليست كما ينبغي أنْ تكون

نسخة مجانية

المسلمة، وأقول هذا من ناحية الاتجاه العام[1]، وإن كان هناك والحمد لله في كلِّ بلد من بلاد الإسلام والعرب مسلمات صالحات، مؤمنات قانتات، تائبات عابدات.

ولكن الاتجاه الغالب في بلادنا نجده بين تيارين مُتنازعين:

تيار يميل إلى التزمُّت والتشدُّد وإغلاق الأبواب أمام المرأة المسلمة.

وتيار آخر يفتح الأبواب على مصاريعها، ويطلق العِنان للمرأة لتفعل ما تشاء، لتقتبس من المرأة الغربية، لتقلِّدها تقليدًا أعمى، لتحاكيها محاكاة القِرَدة، ولتتكلَّم مثلها كما تتكلَّم الببغاء.

هذان تيَّاران وكلاهما للأسف خاطئ.

هذان التياران موجودان في حياتنا، نجد الإفراط والتفريط، أو الغلو والتقصير، نجد هناك فتاة تُخطب، فلا يراها خاطبها، وما زالت بعض البيئات تمنع الخاطب أنْ يرى مخطوبته، حتى تأتي ليلة الزفاف، فيفاجأ بإنسانة غير التي كان يتخيَّلها في ذهنه وفي مخيلته.

هذا في جانب. بينما في الجانب الآخر هناك العصريون التقدميون التحرريون، هناك من يبيحون للخاطب أنْ يصطحب مخطوبته، وأنْ يتأبَّط ذراعها، وتتأبَّط ذراعه، ليذهبا معًا إلى المنتزهات أو إلى السينمات، أو إلى المسرحيات، أو إلى غير ذلك، يُمضيان الوقت معًا إلى منتصف الليل بلا رقيبٍ ولا حسيب.

---

(١) قلت هذا منذ ١٥ عامًا أو يزيد، قبل بروز الصحوة الإسلامية المعاصرة، التي شملت المسلمين والمسلمات، وخصوصًا في المعاهد والجامعات.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

هذان تياران، تيار التزمُّت الذي لا يبيح حتى الرؤية، وتيار إطلاق العِنان إلى هذا الحدِّ.

وكلاهما لا يُمثِّل الإسلام.

**الحقيقة الضائعة:**

الإسلام أباح للمرأة أنْ ترى خاطبها، وشرع للرجل ـ بل أمره ـ أنْ يرى من يخطبها، قال النبي ﷺ لمن قال له: إنِّي خطبت امرأة: «**هل نظرت إليها؟**». قال: لا. قال: «**انظر إليها، فإنَّه أحرى أن يُؤدم بينكما**»[(١)]. أي: يحصل بينكما الائتلاف والموافقة.

نجد مثل هذا في علاقة الرجل بامرأته.

هناك من يُهمل امرأته ويعتبرها في البيت كمًّا مهملًا، لا رأي لها، ولا مشورة، حتى في زواج بناتها لا يأخذ رأيها، مع أنَّ النبي ﷺ قال: «**آمِروا النساء في بناتهنَّ**»[(٢)]. يعني: خذوا رأيَ الأمِّ في بنتها؛ لأنَّها أعرَفُ بها، وأخبَر بأحوالها، وأدرَى بأسرارها، وأعرف برغباتها منك أيها الرجل، فشاورها في ابنتها.

إنَّ الله ﷻ يقول في شأن الرضيع: ﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ومع هذا لا يشاور الرجل المرأة، وإذا شاورها ضرب برأيها عُرض الحائط.

---

(١) رواه أحمد (١٨١٣٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٥٠٣/٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

## مشاورة المرأة:

للأسف اخترعوا مقولة: «شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[(١)]! وما قال هذا سيِّدنا رسول الله ﷺ قطُّ؛ لأنَّ الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فكيف يأتي الحديث مخالفًا للقرآن؟!

ولقد شاور النبيُّ ﷺ زوجه أمَّ سَلَمة في أمرٍ من الأمور بعد صلح الحديبية، بعد أنْ أمر النبيِّ ﷺ أصحابه أنْ يحلقوا ويقصِّروا شعورهم ويتحلَّلوا من إحرام العمرة، ليعودوا بعد اتفاقية صلح الحديبية، ولكن الصحابة عزَّ عليهم ـ وقد خرجوا بنيَّة العُمْرة وبنيَّة العبادة ـ أنْ يتحلَّلوا ويعودوا دون أنْ يؤدُّوا النُّسُك.

شقَّ على أنفسهم هذا الأمر، فبعد أن لم يتقدَّم أحد منهم ليتحلَّل من إحرامه، ويقص شعره أو يحلقه، ويخلع ملابس الإحرام، بعد أن لم يفعل أحد ذلك دخل النبي ﷺ على أمِّ سلمة رضي الله عنها يشكو إليها ما صنع أصحابه ويقول: «**هلك الناس**». أي: عصوا أمر رسول الله.

فأشارت عليه أمُّ سَلَمة، قالت: يا رسولَ الله، اخرجْ فلا تكلِّم أحدًا، واطلب الحلَّاق ليقصِّر لك شعرك ويحلقه أمامهم، وتحلَّلْ من الإحرام أمامهم، ولا تفعل غير ذلك. فخرج النبيُّ ﷺ، واستدعى الحلَّاق ليقصِّر له شعره، وتحلَّل من إحرامه.

---

(١) قال السخاوي: لم أره مرفوعًا... وقد استشار النبي ﷺ أمَّ سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلًا لجواز استشارة المرأة الفاضلة لفضل أم سلمة ووفور عقلها. المقاصد الحسنة صـ٤٠٠، ٤٠١، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٠): لا أصل له.

QaradawiBooks.com

وكأنَّ الناسَ كانوا في نوم، فاستيقظوا، وقالوا: كيف لم نفعل ما فعل رسول الله؟! ففعلوا[١]. وكان ذلك بفضل رأي أمِّ سلمة.

إذنْ، المرأةُ في الإسلام لها رأيُها.

## التقليد الأعمى:

أمَّا الآن فإنّنا نجد: إمَّا رجلًا يهمل امرأته تمامًا، وإمَّا رجلًا يُسلم لها الزمام؛ فتصبح المرأة هي سيِّدة البيت ـ بما فيه الرجل ـ وهي المُتَصَرِّفة في كلِّ شيء، والرجل لا يفعل شيئًا، ولا يحكم على شيء.

لم يقل الله سبحانه: النساء قوَّامات على الرجال، وإنَّما قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. فالرجل الذي يعيش في بيته، ولا أمر له ولا رأي، ولا يستطيع أنْ ينفِّذ شيئًا، وإنَّما المرأة هي التي تتحكم فيه، هذا ليس رجلًا. وهكذا نجد الإفراط والتفريط في هذه الأمور كلِّها.

الَّذي نريده هو الأمر الوسط، وهذا الوسط هو الاعتدال الَّذي جاء به الإسلام. ومن هنا نريد مسلمة الغد، المسلمة المعتدلة الَّتي تؤدِّي واجباتها كما تطالب بحقوقها، بل تؤدِّي الواجبات قبل أنْ تطالب بالحقوق.

هذا العصر تسوده موضة فكريَّة، ألا وهي طلب الحقوق قبل أداء الواجبات؛ كل إنسان يقول: ماذا لي؟ قبل أن يقول: ماذا عليَّ؟

فالمرأة تطالب بحقِّ التعليم، بحقِّ العمل، بحقِّ الانتخاب، بحقِّ الترشيح. ولا تقول: ماذا يجب أنْ أفعل؟!

---

(١) حديث صلح الحديبية، رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

QaradawiBooks.com

الحقوق قبل الواجبات، والعناية بالمظهر قبل المخبر، والعناية بالجسم قبل الرُّوح، والعناية بالشارع قبل البيت! هذا هو طابع المرأة العصرية.

ذلك أنَّنا أخذنا هذه الأشياء من الغرب ومن المرأة الغربيَّة. وتقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربيَّة لا ينبغي أنْ يكون؛ لأنَّ لكل منهما خصائصها.

المرأة الغربيَّة لها طبيعتها، لها عقيدتها، لها مواريثها من القِيَم والتقاليد، لها بيئتها المختلفة. ونحن لنا تراثنا وقيمنا وتقاليدنا، فلا ينبغي أنْ تقلِّد المرأة المسلمة في بلاد المسلمين المرأة الأوربيَّة أو الأمريكيَّة.

المرأة هناك خرجت تعمل وتزاحم الرجال بالمناكب في كل ناحية من نواحي الحياة، إنَّها فعلت ذلك مضطرة غير مختارة، مسيرة لا مخيرة؛ لأنَّها لو لم تفعل ذلك لهلكت ولماتت جوعًا، لأنَّها لم تجد من ينفق عليها، لا أب ولا أخ ولا زوج ولا أي إنسان آخر.

هذا ليس في الإسلام.

المرأة في الإسلام هي الأصل؛ إنَّها مكفولة الحاجات، مكفيَّة النفقات؛ لأنَّها دائمًا في كفالة رجل، إمَّا أبوها إنْ كانت بنتًا، وإمَّا أخوها إنْ كانت أختًا، وإما ابنها إنْ كانت أمًّا، وإما زوجها إنْ كانت زوجة، هي مكفيَّة بهؤلاء بحكم نظام النفقات في الشرع، ويُلزَم الإنسان بهذا إلزامًا.

أمَّا هناك في الغرب فلا شيء من هذا!

كان أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى رَحِمَهُ اللَّهُ يتعلَّم في فرنسا، ليحصل على الدكتوراه من هناك، حيث كان يعيش في باريس، ذكر في كتابه «الإسلام وحاجة الإنسانيَّة إليه» يقول: «كنَّا نعيش في بيت، وكانت

QaradawiBooks.com

تخدمنا فتاة يظهر من سلوكها أنَّها ذات أصل ونسب، ليست من بنات الهوى ولا من بنات الليل، ولا ممن يبعْن عرضهن، كانت تؤدِّي عملها بشرف واحترام، فسألنا صاحبة البيت الَّذي نسكن فيه عنها، فقالت: أتعرفون المتجر الفلاني في الشارع الفلاني؟ ـ وهو من المتاجر الكبيرة المشهورة ـ فقلنا: نعم. قالت المرأة: هذا عمُّها، وهي ابنة شقيقه. فعجبنا، وقلنا لها: عمها هذا التاجر الثري، ويترك ابنة أخيه تخدم في المنازل! فلترفع عليه دعوى ليُحكم عليه بالنفقة ولا تضطر إلى الخدمة في البيوت. فابتسمت المرأة وقالت: أي قانون يحكم لها؟! وهل عندكم مثل هذا النظام؟! قلنا: نعم، عندنا، وتستطيع مثل هذه الفتاة أنْ ترفع دعوى على عمِّها، ويُجبَر على دفع النفقة إجبارًا.

فقالت المرأة: لو كان هذا عندنا لما رأيتم هذه الطوابير من الفتيات والنساء اللواتي يعملن في المصانع والمتاجر والمؤسسات من الصباح الباكر؛ إنَّ ما أجبرهنَّ على مثل هذا أنَّهنَّ لم يجدن من ينفق عليهنَّ»[1]!

هؤلاء الناس إذنْ لهم قِيَمُهم وشرائعهم وتقاليدهم.

كيف نفعل مثلما فعلوا، ونقول: إنَّ المرأة يجب أنْ تعمل كما يعمل الرجل تمامًا؟

لا مانع أنْ تعمل المرأة إذا احتاجت إلى العمل، أو إذا احتاج المجتمع إلى عملها، كالمعلمة والطبيبة والقابلة. هناك أنواع من الأعمال يحتاجها المجتمع الإسلامي، وتليق بفطرة المرأة وطبيعتها.

إنَّ مشكلتنا إذنْ هي مشكلة التقليد الأعمى.

(١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه صـ٣٠٤.

QaradawiBooks.com

**المرأة المسلمة بين أمسيْن:**

إنَّ المرأة العصريَّة تريد أنْ تكون كالمرأة الأوربيَّة تمامًا.

ولكن الشرق شرق، والغرب غرب.

ومن هنا نقول: إنَّ المرأة المسلمة في الغد ـ إنْ شاء الله ـ ستنحلُّ عنها هذه العقدة، عقدة المحاكاة والتقليد، وستسترد ثقتها بنفسها، وستنظر إلى ماضيها نظرة أخرى.

ستنظر إلى الأمس، لا إلى الأمس القريب، ولكن إلى الأمس البعيد.

**الأمس القريب:**

المرأة عندنا لها أمسان؛ الأمس القريب الذي يمثل عصور التخلُّف، وهذا لا نحب أنْ تعود إليه؛ لأنَّ المرأة في عصور التخلف للأسف ظُلمت، وفُرضت عليها العزلة، وفُرض عليها الجهل.

عُزلت عن الحياة، وعن الدِّين، وعن الدُّنيا، إنَّها حُرمت من المسجد، وكان هو منفذها إلى الدِّين والحياة. الفقهاء في الأزمنة الماضية قالوا: إنَّ الزمان قد فسد، وإنَّ سبل الفساد قد عم، وإنَّ خروج المرأة يعرِّضها للفتنة، ولهذا أفتَوْا بأنَّ المرأة ـ وبخاصَّة المرأة الشابَّة ـ لا تذهب إلى المسجد! لا تذهب إلا العجوز التي أكل عليها الدهر وشرب! وعلى زوج المرأة الشابَّة أنْ يعلِّمها، وعلى الأب أنْ يعلِّم ويفقه ابنته إذا لم تكن متزوِّجة.

والذي حدث أنَّ الأب لم يعلِّم ابنته، وكيف يعلِّمها وهو نفسه بحاجة إلى من يعلِّمه؟! وفاقد الشيء لا يعطيه! لم يستطع الأب ولا الأخ أنْ يعلِّم المرأة، وحُرمت هي من الذهاب إلى المسجد لتسمع الدروس

QaradawiBooks.com

والعظات والخُطَب. ومعنى هذا أنَّها بقيت في عزلة وفي جهالة، لا تعرف واجبها نحو زوجها كما أراد الإسلام، ولا واجبها نحو أولادها، لم تحسن تربية الأولاد، ولذلك ظلَّت تُخوِّف أولادها من الغول وما شابه ذلك، ظلت تحكى للأولاد القصص والخرافات. وللأسف فإنَّ آثار هذه العزلة لا نزال نشكو منها إلى اليوم.

المرأة في عصرنا خرجت من بيتها، وذهبت إلى المدرسة، ذهبت إلى الجامعة، ذهبت إلى السوق، ذهبت إلى العمل، ذهبت إلى السينما! وإلى أماكن شتى، ولكن المكان الوحيد الذي لم تذهب إليه كما ينبغي هو المسجد!

لماذا لا تذهب المرأة إلى المسجد؟ كل نساء العالم يذهبن إلى معابدهن: النصرانيَّة تذهب إلى الكنيسة، اليهوديَّة تذهب إلى البيعة، والهندوسيَّة تذهب إلى المعبد، كل صاحبة دين تذهب إلى مكان عبادتها.

فلماذا لا تذهب المرأة المسلمة إلى المسجد؟ لماذا لا تُهيَّأ دروس منتظمة للنساء؟

لماذا لا تحضر الجمعة والجماعة؟

كانت المرأة في عهد النبيِّ ﷺ تحضر الجماعة، وكانت الصفوف الأماميَّة للرجال، والخلفيَّة للنساء.

وكان النساء يدخلن ويخرجن مع الرجال من باب واحد، وظل هذا لفترة طويلة، فقال النبي ﷺ يومًا: «**لو جعلتم هذا الباب للنساء**»، وأشار إلى أحد الأبواب في مسجده الشريف. قال ابن عمر: فلم أدخل بعدُ من

QaradawiBooks.com

هذا الباب[1]. ولا يزال هذا الباب إلى يومنا هذا يُسمَّى «باب النساء» في المسجد النبوي الشريف.

في عصور التخلُّف والانحطاط فرضت هذه العزلة على المرأة، وفرض هذا الجهل، فلم تقم بحق بيتها، ولم تقم بحق أولادها، ولم تقم بحق زوجها، بل لم تقم بحق ربها.

وترك كثير من النساء الصلاة. المرأة المسلمة ـ من جهلها ـ تركت الصلاة! تركت الفرض الأساسي اليومي الذي هو عماد الدين، والذي هو الفرق بين الإسلام والكفر.

ونحن لا نريد العودة إلى عصور التخلف والانحطاط.

نحن نريد لمسلمة الغد أنْ تعود لعصر المسلمة الأولى، التي عاشت في عصر النبوَّة وفي عصور الصحابة وتابعيهم بإحسان، وفي العصور الذهبيَّة التي أدَّت المرأة فيها واجبها، وعرفت حقَّها تمامًا.

عرفت واجبها نحو الله، فأدَّت واجبها نحوه، وعرفت ربها تمامًا، فعبدته حق عبادته، وصامت شهرها، وصلَّت خمسها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، فاستحقَّت جنة ربها.

**الأمس البعيد:**

كانت المرأة تأتي إلى النبيِّ ﷺ تسأله في أخصِّ الشؤون، حتَّى إنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: «رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهنَّ الحياءُ أنْ يتفقَّهن

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح أبو داود والدارقطني في العلل (٢٩٢٢) الموقوف، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود مرفوعًا (٤٨٣)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

في الدِّين»[١]. حتَّى في علاقة الرجل بامرأته، وفي علاقة المرأة بزوجها، كانت تسأل النبيَّ ﷺ لأنَّه لا حياء في طلب العلم، وكانت النساء حريصات على اتِّباع ما أمر الله، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، لما نزلت هذه الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: «ذهبت نساء الأنصار كل واحدة تبحث عن غطاء عندها، وجئن إلى الصلاة وقد وضعن الأغطية على رؤوسهن، وتلفعن وكأن على رؤوسهن الغربان»[٢].

لم ينتظرْنَ لحظةً واحدة، بل سارعن إلى امتثال أمر الله سبحانه وتعالى. وهكذا كان شأن المرأة مع ربِّها وأوامر دينها.

أمَّا زوجها فقد كانت نعم العون له.

ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كانت تعين زوجها الزُّبَير بن العوَّام ابن عمَّة رسول الله ﷺ وحواريّهِ، كانت له أرضٌ على ثلثي فرسخ من المدينة ـ أي: عدَّة كيلو مترات ـ وكانت تذهب ماشية إلى هذه الأرض، وكانت له فرس، فكانت تدقُّ لها النوى طعامًا، وفي مرَّة عادت فرآها النبيُّ ﷺ ماشية، فأراد أن يردفها، فاستحيت وتذكرت غيرة زوجها، فحكت ذلك للزُّبَير، فتألَّم لما تعانيه من مشقَّة[٣]، ولكن هذا واجبها، تساعد زوجها. المهم أن تكون مع زوجها وقت الشدَّة وساعة العسرة.

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم قبل حديث رقم (١٣٠)، ووصله مسلم في الحيض (٣٣٢).
(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٤٤٠٥)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٨٣).
(٣) سبق تخريجه صـ١٣٥، وفيه: «والله لحملك النوى كان أشد عليَّ...».

QaradawiBooks.com

كانت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وسيِّدة نساء العالمين رضي الله عنها تكنس في بيتها، وتعجن وتطبخ وتخبز، حيث لا يوجد خبز حاضر كما هو الحال في زماننا، بل كانت المرأة تطحن الشعير وتعجنه.

طحنت فاطمةُ رضي الله عنها حتى مَجَلَتْ يداها، وظهرت فيها آثار هذا الطحن ـ تقرَّحت وصار بين الجلد واللحم ماء ـ وكانت بعد الطحن تعجن وتخبز.

وذهبت يومًا إلى النبيِّ ﷺ تشكو إليه ما تُلاقي وتطلب خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، وكان النبي ﷺ يقول: «**فاطمةُ بَضْعة مِنِّي يَريبني ما رابها**»(١). فجاءها النبيُّ وقال لها ولزوجها: «**ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبِّرا ثلاثًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم**»(٢). أي: إنَّ ذكر الله يمنحك قوَّة روحيَّة تُعينك على أعباء الحياة، استعيني بالله عز وجل.

ساعدت زوجها عليَّ بن أبي طالب؛ لأنَّ عليًّا لم يكن يملك في ذلك الوقت أنْ يأتي لها بخادم يساعدها، فكان لا بدَّ أنْ تشاطره أعباء الحياة، لا بدَّ أنْ تعيش الحياة بحلوها ومُرِّها، ووردها وشوكها.

هذا هو الإخلاص، وهذا هو الوفاء.

المرأة في عهد السلف كانت نعم العون للزوج، بينما امرأة اليوم تريد نقودًا وثيابًا وحليًّا، وتريد أنْ تكون في مظهرها أحسن من فلانة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩)، عن المسور بن مخرمة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٧)، عن عليّ.

QaradawiBooks.com

وفلانة، وتحرِّض الرجل على أنْ يوفِّر المال عن أي طريق كان؛ حلالًا أو حرامًا، عزيزًا أو ذليلًا.

المرأة في عصر السلف الصالح كانت تقول لزوجها إذا خرج للعمل أو للتجارة أو نحو ذلك: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام! فإنَّنا نصبر على الجوع والطَّوى، ولا نصبر على النار، وغضب الجبار!

فلو كان الزوج رخْوَ العُود، أو ضعيف الإرادة أمام الحرام، فإنَّ هذه الكلمة من امرأته ستجعله يصحو لنفسه وبيته، ويستيقظ ضميره، ويحاسب نفسه مرة ومرة قبل أنْ يرتكب حرامًا.

وإذا ذهب الرجل إلى الجهاد، ماذا كان موقف زوجته منه؟ لم يكن موقفًا مثبِّطًا وإنَّما كانت تحثُّه على الجهاد. فلو قيل لها: ماذا تصنعين أنت وعيالك بلا زوجك؟ قالت لهم في إيمان الواثقة، وثقة المؤمنة: إنِّي عرفت زوجي أكَّالًا لا رزَّاقًا، فإنْ ذهب الأكال، فإنَّ الرزاق باق!

نريد مسلمة الغد أنْ تكون صورة من هذه المسلمة، مُعينة لزوجها على طاعة الله وأداء الواجبات. نريدها زوجة صالحة. كما قال النبي ﷺ: «**خيرُ متاع الدُّنيا الزوجة الصالحة**»[1].

نريدها أُمًّا صالحة تحسن تربية أولادها، نريدها أنْ تنشئهم على مكارم الأخلاق، وعلى فضائل الإسلام، وعلى محبة عبادة الله وطاعته، وأنْ تكرِّههم في معصية الله، وتنفِّرهم من الرذائل، وترغِّبهم في الفضائل، وتذكِّرهم بالآخرة.

(١) سبق تخريجه صـ٤٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذه الأم المسلمة، عند ما يدعو الداعي وينادي منادي الجهاد، وعند ما يدقُّ ناقوس الخطر، وعند ما يقول القائل: يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري، نجدها تدفع أبناءها لأداء الواجب، كما كانت الأم المسلمة من قبل، فالأم المسلمة كانت تحثُّ أبناءها على الجهاد.

نريد أمًّا كالخنساء. الخنساء هذه كانت لها حالتان: حالة قبل الإسلام، وحالة بعد الإسلام. قبل الإسلام مات أخوها صخر ـ وكان أخاها من أبيها ـ فملأت الدُّنيا بكاء وصراخًا وعويلًا، نظمت ديوانَ شعْرٍ كلَّه بكاء وعويل على صخر!

وممَّا قالت في رثائه:

**يُذَكِّرني طلوعُ الشمسِ صخرًا وأذكرُه لكلِّ غروبِ شمسِ**
**ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نَفْسِي**
**وما يبكين مثل أخي ولكنْ أعزِّي النَّفْس عنه بالتأسِّي**[1]

وقصائدها مشهورة في رثاء أخيها، ولكنها بعد أن دخلت الإسلام، وخالطت بشاشةُ الإيمان قلبها، غيَّرها الإسلام، وأنشأها خلقًا آخر، وصاغها من جديد، وأصبحت إنسانة أخرى، لها أهداف أخرى، ولها تفكير آخر.

فعند ما ذهب أبناؤها ليقاتلوا في معركة القادسية في عهد عمر رضي الله عنه ظلَّت تعلِّمهم وتنصحهم وتعظهم أنْ يقدِّموا ولا يُحجموا، وأنْ يثبتوا ولا يتردَّدوا، وأنْ يحرصوا على الشهادة في سبيل الله. وأوقدت شعلة الحماسة واليقين في صدورهم، ولهذا لما خاضوا المعركة ـ وكانوا أربعة

(١) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (١٤١/٢)، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.

QaradawiBooks.com

فرسان ـ كان كل واحد يُذكِّر أخاه كلما رأى منه بعض التكاسل، فيقول له: أنسيتَ وصية الأم العجوز؟ فيُقدم غير هيَّاب ولا وجل، وخاضوا المعركة بهذه الروح الإيمانية، وكان أن أختارهم الله جميعًا شهداء.

أربعة قتلوا في سبيل الله.

ونعى الناعي الأبناء الأربعة. وجاء الخبر إلى الأم، فماذا صنعت؟ هل لطمت خدًّا أو شقَّت جيبًا؟

هل دعت بدعوى الجاهلية؟ هل ضعُفت؟

موت أربعة!

هي أم، ولكن إيمانها كان أقوى من لوعتها، فقالت: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[1]. هذا ما قالته المرأة الأم!

كما نعرف موقف ذات النطاقين أسماء من ابنها عبد الله بن الزبير، حينما كان يقاتل بني أمية على الخلافة.

وحينما حوصر ولم يبقَ معه إلا أتباع قليلون، وأراد أنْ يستسلم، فقالت له: الأم الصابرة الشجاعة: يا بنيَّ، إنْ كنتَ على الحقِّ فلا تدع هؤلاء القوم يلعبون برأسك، فقال لها: يا أم، إنِّي أخشى إذا قُتلت أنْ يمثِّلوا بي. فقالت له: يا بُني، إنَّ الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها[2]!

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٩/٤)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤٠١/٣)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وأم الفضل زوج العباس عم النبي ﷺ عند ما قيل لها: إنَّ ابنك فلانًا قُتل في البلدة الفلانية، وابنك فلان مات في البلدة الفلانية، قالت كلمة حكيمة: «لقد باعدَتْ بينهم الهمم! ولو كانوا ذوي همم منحطَّة لماتوا حيث ولدوا».

نريد أم الغد أنْ تكون على هذا المستوى.

نريد مسلمة الغد مسلمة فاقهة لدينها، عارفة بحياتها، غير معزولة عن الحياة وعن الدين.

نريدها أنْ تعيش في عصرها، ولكن على ألَّا تتخلَّى عن دينها.

أنا موقن بأنه لا بدَّ أن يأتي هذا اليوم ـ وهو قريب ـ لتستعيد المسلمة الثقة بدينها، والثقة بشخصيتها، الثقة برسالتها، والثقة بتراثها، وتقول:

أنا لست أوربية ولا أمريكية ولا روسية، إنَّما أنا مسلمة. ومعنى مسلمة أي من خير أُمَّة أخرجت للناس.

أنا قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن كتابًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

لا بدَّ أن أظل محتفظة بإسلامي وبقيمي الإسلامية، بشخصيتي الإسلامية، وبتقاليدي الإسلامية.

لا بد أن تعود إليها هذه الثقة، واحتفاظها بهذا لن يحرمها من الحياة إطلاقًا، لن يحرمها شيئًا من حقوق الحياة.

لا بدَّ أنْ تتعلَّم؛ لأنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والإسلام لم يفرض الجهل على المرأة، والذين فرضوا الجهل على المرأة في بعض الأوقات كانوا هم جهلاء؛ الجهل عمَّ الرجال والنساء جميعًا.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلام، فهو يريد التعلُّم لكلا الجنسين.

لقد كان من نساء المسلمين من يفتي الرجال.

نعرف أنَّ الرجال كانوا يذهبون إلى أمهات المؤمنين كأمثال السيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ليرووا عنهن الحديث، ويسألوهن في كثير من أمور الإسلام، وكان كبار الصحابة والتابعين يذهبون إلى السيدة عائشة ويسألونها، وكانت ترد عليهم وتستدرك عليهم، وقد أُلِّف في هذا أكثر من كتاب.

ألَّف الإمام الزركشي كتابًا أسماه «الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة»، حيث كانت عائشة تردُّ على الصحابة: فلان مخطئ في كذا، وفلان في كذا، بكل شجاعة وبكل قوة.

وفي العصور الأخرى كانت النساء المسلمات لهن مجالس.

كانت السيدة سكينة بنت الحسين يُرحل إليها، وكان لها مجلس علم. وقالوا: إنَّ الإمام الشافعي ـ أحد الأئمة الأربعة ـ حضر مجلسها.

كانت بعضهن تروي الحديث، ويأتي الرجل ليروي عنها قائلًا: حدثتني الشيخة الصالحة المسنِدة فلانة بنت فلان.

الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ أعظم شارح للبخاري وأمير المؤمنين في الحديث ـ يقول: إنَّ من شيوخي فلانة بنت فلان.

أحد أئمة المذهب الحنفي ومن كبار علمائه كانت له بنت تُفتي كما يفتي أبوها. ويخرج الخط من بيت أبيها وعليه توقيع الأب، وتوقيع البنت بأنها أقرَّت الفتوى.

QaradawiBooks.com

وقد زوَّجها لأحد تلاميذه، وهو أيضًا من كبار العلماء، هو علاء الدين الكاساني، وكان يسمى «ملك العلماء». ألَّف كتابًا في الفقه الحنفي اسمه «بدائع الصنائع»، وهو عبارة عن توسعة لكتاب شيخه وأستاذه المسمَّى «تحفة الفقهاء»، ولذلك قال العلماء: شرَحَ تُحفته وتزوَّج ابنته! وكانت الفتوى أيضًا تخرج وعليها توقيع ابنته وتوقيع زوج ابنته. البنت كانت تُفتي كما كان يفتي أبوها، وكما كان يفتي زوجها.

وأيضًا نجد أنَّ أبا حيان كان له من شيوخه ثلاث نساء ذكرهن، ونوَّه بهن.

**التكامل بين المرأة والرجل:**

هكذا كانت المرأة.

المرأة لم تُعزل إلا في عصور الضعف والتخلُّف والانحطاط.

فحينما نقول: إنَّ المرأة المسلمة يجب أنْ تحتفظ بشخصيتها الإسلامية، فليس معنى هذا أنَّها ستعزل عن الحياة، أو أنَّها ستحرم شيئًا من الحقوق.

يمكن أن تتعلَّم، بل يجب أنْ تتعلَّم، ولكن تتعلم في حدود فطرتها، وفي حدود وظيفتها؛ فالمرأة أنثى كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ ـ ٣].

وكما خلق الله في دورة الحياة اليومية ليلًا ونهارًا، خلق الذكر والأنثى. فكما أنَّ الحياة لا تتم إلا بليل ونهار، لا بدَّ من ذكورة وأنوثة: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ربُّنا أقام الكون كله على الازدواج. بل في الجمادات ـ كالكهرباء ـ موجب وسالب، كذلك المرأة والرجل يمثلان الموجب والسالب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

المرأة ليست ضد الرجل ولا خصمًا، وليست هي نفس الرجل، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي: إنَّ المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، ولا يستغني الرجل عن المرأة، ولا تستغني المرأة عن الرجل؛ ولذلك لا يصح أنْ تجعل المرأة نفسها عدوًّا للرجل، ولا خصمًا له، ولا منافسًا له، بل المرأة تُكَمِّلُ الرجل.

ومن هنا لمَّا خلق الله آدم وأسكنه الجنة لم يدَعْه وحده؛ لأنَّه لا معنى لجنَّة يعيش فيها آدم وحده، إنَّ الله لمَّا خلق آدم خلق له امرأة معه، وقال له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أمَّا جنة بلا حوَّاء فلا معنى لها، ولذلك قال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ليتم سكونه وأُنسُه بها.

الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، لا ينبغي أنْ تجعل المرأة همَّها منافسة الرجل ومعارضة الرجل، ولا ينبغي لمسلمة الغد أنْ تجعل من نفسها منافسة للرجل، تعمل ما يعمل، وتلبس ما يلبس.

في عصرنا اختلط الحابل بالنابل: المرأة تريد أنْ تصبح رجلًا، والشاب يتأنث ويتكسَّر حتى تكاد تحسبه فتاة.

يجب أن يظل الرجل رجلًا بخشونته ورجولته، وتظل المرأة امرأة برقتها ولُطفها، وإذا فقد الرجل خشونته وفقدت المرأة لُطفها، فقدت الحياة معناها، ومن هنا نهى النبي ﷺ أنْ يلبس الرجل لباس المرأة وتلبس المرأة لباس الرجل[1]. ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء،

(١) رواه أحمد (٨٣٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٩٨)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٣٢)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٤٦٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمتشبهات من النساء بالرجال[1]؛ ليظلَّ كلُّ جنس محتفظًا بخصائصه كما فطره الله.

ولذلك تصوُّري لمسلمة الغد أنَّها ستحتفظ بأنوثتها، لا تنافس الرجل في رجولته، وإنَّما تعاونه على أنْ يقوم بواجبه، وتعمل في حدود ما هيَّأتها له الفطرة، تعمل معلمة وطبيبة وممرضة للنساء، بدلًا من أنْ يفحص المرأةَ المسلمة رجلٌ أو طبيب، وربما يكون غير مسلم، أو حتى في بعض المتاجر إذا كانت تبيع الأشياء الخاصة بالمرأة، كالملابس الداخلية وما شابهها، فتبيعها المرأة للمرأة.

**صور من الغرب:**

إنَّ ما أتصوَّره في الغد هو أنَّ المسلمة ستستعيد ثقتها بشخصيتها وبدينها وبتراثها، وبخاصة أنَّه في عصرنا بدأ أهل الحضارة الغربية ـ التي تُقلِّدها المسلمة ـ ينتقدونها، ويقولون: إنَّ هذه الحضارة مقبلة على الانهيار.

ولِمَ ينقدها أهلها أنفسهم؟

لأنَّ هذه الحضارة بلغت القمة في الناحية المادية، استطاع الإنسان في أوربا وأمريكا أن يغزو الفضاء، وأنْ يستخدم القنبلة الذرية، وأنْ يصل إلى القمر، وأنْ يضع قدميه على سطح القمر؛ ولكن القيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية، لم يستطع هذا الإنسان أن يصل فيها إلى الحد الذي يشعر معه الإنسان بالسعادة، ولا يزال الإنسان يشعر بالقلق وبالتوتر. المعاني الإنسانية: العلاقة بين الأب وأولاده، بين الأم وأولادها، بين الجار وجاره، هذه المعاني هم محرومون منها.

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

هناك تقارير وكتب، كتبها بعض الناس عن أنَّ المرأة الغربية مستعدة أنْ تشتري سيارة تركبها على أنْ تنجب طفلًا ثانيًا.

وهناك في تلك الحضارة، تبحث البنت لنفسها عن عمل، والابن كذلك، دون اهتمام بالأم ولا بالأب. قد يكونون في بيت واحد، وقد لا يكونون، وربما كانوا في مكان آخر ولا يلتقون، ومن هنا احتاجوا إلى ما سمَّوْه «عيد الأم»، يسأل الابن في يوم من أيام السنة عن أمِّه، يذهب إليها ومعه زجاجة عطر أو هدية ما.

من أتعس مراحل الحياة هناك مراحل الشيخوخة، الأب يعيش وحده؛ لأنَّ الإنسان لا يجد من يأنس إليه، ولذلك هناك تنتشر تربية الكلاب! لماذا؟ لأنَّ الإنسان إذا لم يجد أحدًا يأنس إليه أنِس بالكلاب!

قرأت في بعض الكتب أنَّ في فرنسا أكثر من سبعة ملايين كلب، هذه السبعة ملايين تأكل «البسكويت والشيكولاتة»! ولمَّا سُئل رئيس جمعية الرفق بالحيوان: ما سر هذا العدد الهائل من الكلاب؟ قال: إنَّ السر هو أنَّهم استعاضوا عن صداقة الإنسان بالكلاب!

الإنسان في حاجة إلى أنْ يُحِب ويُحَب، ولهذا وجدوا في هذه المخلوقات نوعًا من التعويض.

كنتُ في أمريكا في الصيف الماضي فسمعت عجبًا، سمعت أنَّه ليس من النادر أو الشاذ أن يحس الناس برائحة منتنة تنبعث من إحدى الشقق! فإذا أزعجتهم الرائحة إلى حد كبير حاولوا أن يعرفوا مصدرها تمامًا، فيضطروا إلى استدعاء الشرطة، حيث تكسر الباب، فيفاجؤون بإنسان وافته المنية! وإذا سئل الابن أو البنت عنه، قالوا: إنَّنا مؤمِّنُون على حياته!

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبعضهم يذهب إلى مصحة للعجزة، فيقضي فيها بقية عمره، ولا يرى أولاده أو أحفاده إلا مرة في السنة، إن تفضلوا عليه بالزيارة!

هذه الحضارة التي يقلِّدها الناس حضارة بدأت تعلن إفلاسها، بدأ الناس ينقدونها نقدًا عنيفًا، كتب كثيرة بدأت تنقد هذه الحضارة وتعرِّيها، ونحن نأخذها كما هي.

ما حاجتنا أن نقلِّد وعندنا ديننا، وفيه ـ والحمد لله ـ ما يغنينا عن الاستيراد؟

**موقف المرأة من الحضارة الغربيَّة:**

لماذا يستورد المرء بضاعة أجنبيَّة إذا كانت عنده بضاعة وطنيَّة منافسة؟ فكيف إذا كانت أفضل وأحسن؟

هي من عند الله، إنَّها بضاعة لم يصنعها بشر.

نحن عندنا شريعة لم يصنعها بشر، وإنَّما أنزلها خالق القُوَى والقُدَر، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، حكم الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

نحن نريد لمسلمة الغد أنْ ترجع إلى دينها وإلى أصالتها، أنْ ترفض التقليد الأعمى، أنْ تقف من هذه الحضارة الوافدة موقف المتخيِّر المنتقي، تأخذ خيرها، وترفض شرها، وتأخذ ما يلائمها.

نريد من مسلمة الغد أنْ تقف هذا الموقف الأصيل، لا موقف المقلِّد.

نريد منها أنْ تؤدي الواجبات كما ترعى الحقوق.

نريد منها أنْ تُعنَى بالمَخْبر قبل أنْ تُعنَى بالمظهر، تُعنَى بالبيت قبل أنْ يشرئب عنقها للشارع.

QaradawiBooks.com

نريد منهـــا أن تُعنَى بزوجهـــا وأولادها بدلًا من منافســـة الرجال أو اختطاف أنظارهم إليها.

نريد من المسلمة أنْ تعود كما كانت المسلمة في العصور الأولى، فهي المثال الذي يُحتذى في رعاية الحقـــوق، وأداء الواجبات، وفي فهم الدين.

نريدها ذات إيمان، وذات خلق، وذات فهم، وذات رسالة، وذات علم.

هذا ما نريده لمسلمة الغد.

نريد أنْ تنبثق نهضة إســـلامية حقيقية، فقد انحرفت النهضة في بلاد الإسلام إلى التقليد المطلق للمرأة الغربية.

نحن نريد هذا العصر أنْ ينتهي، نريد أنْ نبدأ عصرًا جديدًا، وأنْ نفتح صفحة جديدة للمرأة المسلمة.

نريد أنْ تعود نهضة إسلامية حقيقية تقف على أرض صلبة من تعاليم الإسلام، التعاليم الحقيقية كما جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ حيث لم يجِيئا إلا بكل خير، وكل إنصاف للمرأة.

## المرأة بين الجاهلية والإسلام:

المرأة لم يظلمها الإسلام.

كان الرجل في الجاهلية يعتبر المرأة من ســـقط المتاع، كان يعتبرها شيئًا من الأشياء، وكانت المرأة توَرَّثُ كما توَرَّثُ الدوابُّ والأبقار! كان الرجل يرث امرأة أبيه كما يرث بقره وغنمه! وكان يتصرَّف في امرأة أبيه كما يشاء، إنْ شاء تزوَّجها وإنْ شاء أمســـكها، حتى تعتق نفسها منه، أو تدفع له مبلغًا من المال! فحرَّم ذلك الإسلام.

QaradawiBooks.com

كانت المرأة لا ترث إطلاقًا؛ لأنَّه عندهم كان لا يرث إلا من حمل السلاح ودافع عن القبيلة، وركب الفرس، وقاتل بالسيف والرمح، ولهذا لم يورِّثوا النساء ولا الصبيان، كانت المرأة لا حقَّ لها في الميراث بتاتًا.

الإسلام أنصف المرأة أيَّما إنصاف، ورفع عنها هذه الوصمة حينما كان الرجل يستغفلها، الأب نفسه كان يحزن لميلاد ابنته، حيث يقول: ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبرها سرقة! ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

رفع الإسلام هذا عن المرأة، واعتبرها هبة من هبات الله: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]. وقدَّم الإناث على الذكور هنا، واعتبر أدبهن وحسن تربيتهن من موجبات الجنة.

رفع الإسلام من قدر المرأة ـ بنتًا وزوجة وأمًّا ـ ولم يُجِز للأب أنْ يتصرف فيها كما يتصرف في المتاع ويزوجها من يشاء. تستطيع أنْ تقول بأعلى صوتها: لا. وإذا قالت: لا، لم يملك أنْ يزوِّجها.

جاءت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ـ وفي رواية: وهي كارهة ـ فجعل الأمرَ إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أنْ تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء[1].

الإسلام لم يظلم المرأة، ولم يهدر حقَّها، ولم يضيِّع لها حقًّا. بل أنصفها، ورفع من قدرها في كل ناحية من نواحي الحياة.

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في النكاح (٣٢٦٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

إنَّ مسلمة الغد لا بدَّ أنْ تعود إلى إسلامها بثقة واطمئنان ويقين، وأنْ تقف من الحضارة الغربية الوافدة موقف الأصيل الذي يتخيَّر وينتقي، ويقول: هذا لا يصلح لي، وهذا لا بأس به.

وأقول بصراحة: إنَّه إذا كان في الحضارة الغربية من خيرٍ، فكله قد سبق به الإسلام. وإذا كان فيها شر، فقد نزهنا عنه الإسلام. إنَّنا لسنا في حاجة إلى الاستيراد، ولسنا في حاجة إلى أن نتسوَّل من غيرها ونحن أغنياء.

إنَّ تسوُّل القادر لا يجوز، فكيف نتسوَّل من مائدة غيرنا وقد أغنانا الله بالإسلام؟

**مسلمة الغد:**

أخواتي المسلمات؛ هذا ما أريده من مسلمة الغد، أريدها مسلمة عارفة بدينها وبحياتها، مؤدية لواجبها نحو ربها، ولواجبها نحو زوجها وأولادها، ولواجبها نحو مجتمعها ودينها وأمتها الإسلامية.

نريدها أنْ تقود نهضة إسلامية حقيقية.

نريدها الداعية المسلمة، نريدها المربية المسلمة، والمرشدة المسلمة، التي تعلِّم بنات جنسها، وتقود نهضة حقيقية.

وما أَوْلى هذه البلاد ـ ونحن في جزيرة العرب وفي قلب دار الإسلام ـ ما أولاها أن نرى فيها مثل هذه النهضة الإسلامية الحقيقية، ووراءها خير الدنيا وسعادة الآخرة! وراءها رضا الله تعالى، وإعجاب العقلاء من الناس، وراءها الكسب المادي والروحي، والسعادة النفسية، السعادة التي ليس هناك سعادة أعظم منها أبدًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

إنَّها السعادة التي قالت عنها أم كلثوم بنت عليٍّ وزوج عمر رضي الله عنهم جميعًا، حينما قال لهـا عمر مرة، وقد أغضبته فـي أمر من أمور البيت: لأُشـقينَّك، فقالت: لا تستطيع، فإنِّي أرى سـعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

أسـال الله تبارك وتعالى أنْ يرزقنا السـداد في القول والعمل، وأنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يعيد المرأة المسلمة إلى أصالتها، وإلى شخصيتها الإسـلامية الحقيقية الأصيلة، تعود كمسـلمة العصـور الأولى، نافعة، صالحة، مصلحة إن شاء الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٩

# المكانة العلمية للمرأة في الإسلام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدَنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا: عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكن به أيتها الأخوات العزيزات، وأيتها البنات الفاضلات: تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكن ورحمة الله وبركاته.

وأهنئكنَّ بهذا العام الدراسي الجديد، الذي نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله عام خير وبركة على الجميع، وأن يجعل يومنا فيه خيرًا من أمسنا، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

(١) ألقيت في أحد المواسم الثقافية لجامعة قطر، تحت رعاية اللجنة الثقافية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية الإنسانيات بالجامعة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

طلب إليَّ الإخوة أنْ أُحدِّثكم، واسمحوا لي أنْ أتحدث بصيغة التذكير، لأنَّه العادة جرت في الخطاب الإسلامي أن يكون للمذكر، «يا أيها الذين آمنوا» هي خطاب للمؤمنين وللمؤمنات جميعًا، «السلام عليكم ورحمة الله» هي للمسلمين وللمسلمات، ولذلك أقول: طلب إليَّ الإخوة أن أحدثكم عن «المكانة العلمية للمرأة في الإسلام».

## نظرة الإسلام للمرأة:

ولا شك أنَّ هذا الموضوع مبنيٌّ على نظرة الإسلام للمرأة، ما هي المرأة؟ هل هي مخلوق مكرَّم ككل إنسان كرَّمه الله ﷻ، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]؟ هل هي مُستخلفة في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

هل مطلوب منها عمارة الأرض كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ [هود: ٦١]؟ فإنَّ الله قد خلق الإنسان لمقاصد ثلاثة كما ذكر الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه القيم «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، قال: إنَّ المقاصد من خلق الله للناس ثلاثة، وهي مذكورة في القرآن: العبادة، ويشير إليها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والخلافة، ويشير إليها قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. والعمارة، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾[1]. السين والتاء في اللغة العربية تفيد الطلب، أي طلب منكم أن تعمروها. هذه المقاصد الثلاثة ليست خاصة بالرجال، هي مطلوبة من الرجال والنساء جميعًا، كلٌّ عليه أن يساهم؛ سواء في العبادة، أو الخلافة، أو العمارة.

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة صـ٨٢، ٨٣، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

## دور العلم في خلافة الإنسان:

والعلم أول المرشحات للخلافة كما ذكر القرآن الكريم بعد آية الخلافة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ثم بيَّن الله تعالى للملائكة أهلية هذا المخلوق الجديد، الإنسان الأول: آدم وذريته، بأنه أهل للتعلُّم والتعليم، ولذلك ذكر هذه المسابقة بين آدم والملائكة، من الذي تفوَّق فيها؟ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣]، فالعلم هو المرشح الأول للإنسان لخلافة الله تعالى في الأرض، هذا أمر واضح في هذه القضية.

## بعضكم من بعض:

المرأة كالرجل، مطلوب منها تحقيق هذه المقاصد الثلاثة؛ على حسب استطاعتها طبعًا، ولذلك في الإسلام أنَّ المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، ليست المرأة خصمًا للرجل، ولا الرجل خصمًا للمرأة، ليس هناك عداوة بين الجنسين، لا، الله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. يعني أنَّ المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، أي هو يكملها، وهي تكمله، لا حياة للرجل بغير المرأة، ولا حياة للمرأة بغير الرجل، لأنَّ الله خلق في كل من الجنسين

QaradawiBooks.com

الانجذاب إلى الجنس الآخر، والحاجة إليه، فهذه فطرة فطر الله عليها كلًّا من الجنسين.

ومن هنا حينما خلق الله آدم عليه السلام قال له: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. خلق له من جنسه زوجًا، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. ﴿مِنۡهَا﴾ أي من جنسه، لم يصح في الإسلام أنَّ المرأة خُلقت من ضلع الرجل كما هو مذكور في التوراة، إنَّما خُلِقت المرأة من الرجل أي من جنسه، كما خلق الرجل من المرأة، وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾. مثل قوله تعالى لكل الرجال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١]. فكل رجل خُلقت منه امرأة، ليس آدم فقط هو الذي خلقت منه حواء، أي خلقت من جنسه، من نوعه، ليكون آنس بها، ولتكون آنس به، فالله تعالى خلق المرأة من جنس آدم ومن نوعه، وقال له: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾. لأنَّه لا معنى للجنة إذا عاش آدم فيها وحده بدون أنيس ولا جليس، ولهذا كان لا بدَّ من المرأة لتكون مع الرجل.

## التكاليف والجزاء للذكر والأنثى معًا:

وحينما أراد الله أن يصدر أول تكليف لآدم عليه السلام أصدره له ولزوجه معًا، أول تكليف إلٰهي شمل الرجل والمرأة معًا، لأنَّه قال: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فالتكليف صدر للاثنين، للرجل وللمرأة جميعًا.

وحينما وقعت المخالفة لم تكن المرأة هي السبب في مخالفة آدم، في أسفار العهد القديم في التوراة أنَّ المرأة هي التي أغرت آدم بالأكل

QaradawiBooks.com

من الشجرة، وهي التي وسوست له وحرضته؛ حتى وقع في الخطيئة، ولذلك انتشر بين الناس أنَّ المرأة هي سبب شقاء البشرية، لولا أنَّها وسوست لآدم وحرَّضته لما حدث هذا الشقاء.

وهذا الكلام ليس له في القرآن أي صدى، بالعكس آدم هو الذي أكل أساسًا، والكلام كله كان موجَّهًا له، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١١٧ ـ ١٢١]. كانت الوسوسة لآدم أساسًا، ثم كان الأكل من الاثنين، شاركت المرأة زوجها، لكن الوسوسة كانت له، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾، استغلال غريزة حب البقاء وحب الخلود وحب الملك.

ثم يقول القرآن: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]. فالكلام عن آدم هو الأساس، ولذلك تأتي المرأة تبعًا له، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. عند التوبة أحست أنَّها مسؤولة معه، وأحيانًا يقول القرآن: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]. فالكلام عن آدم، فليس في القرآن أنَّ المرأة هي المسؤولة عن أكل آدم ولا عن شقاء البشرية، هذه خرافة، وإن كان للأسف كثير من الكُتَّاب العرب والمسلمين الذين يكتبون في الصحف ويملؤونها بالمقالات والأعمدة: يسيرون على ما يسير عليه الكتاب الغربيون في القول بأنَّ المرأة هي السبب في إغواء آدم وشقاء البشرية، هذا ليس له أصل في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

## النساء شقائق الرجال:

المرأة في الإسلام مخلوق مُكرَّم مثل الرجل، وهي كما جاء في الحديث: «**إنَّما النساء شقائق الرجال**»[١]. المرأة شقيقة الرجل، كما أنَّ الرجل شقيق المرأة، وكل منهما مُكلَّف بالتكاليف الإلٰهية، صدرت تكاليف الإسلام للجنسين في كل شيء، الأصل في التكاليف العموم والشمول؛ إلا أشياء معينة اختص بها الرجال أو اختصت بها النساء.

ولهذه الخصوصية حكمة معروفة، لا يتسع المجال لذكرها.. مسألة شهادة المرأة، ليس لأنَّ المرأة أقل عقلًا من الرجل، لا، لأنَّ المرأة أقل اهتمامًا من الرجل في الأمور المدنية والمالية، لو كانت أمورًا تتعلق بالأسرة والزينة وهذه الأشياء يكون للمرأة مكانها، لكن حينما تكون الشهادة في مسائل المداينات والماليات للاستيثاق قال: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. لماذا امرأتان؟ قال: خشية أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى، لأنَّه أمر لا يدخل في اهتمامها في الغالب، صحيح هناك الآن نساء أعمال، لكن هذا شيء نادر جدًّا، إنَّما الأصل أنَّ هذا ليس ما يشغل المرأة، فاحتياطًا حتى لا تضيع الحقوق قال: ﴿فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾. ليس معنى هذا أنَّ المرأة أقل من الرجل.

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣) وقال: وإنَّما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر عن عبيد الله ابن عمر، وعبد الله ضعَّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

**طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة:**

ولذلك حينما طلب الإسلام العلم طلبه من الرجل والمرأة، والحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١]. المقصود به: على كل إنسان مسلم، ولذلك شاعت روايته بهذه الصيغة: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. الرواية ليست فيها «ومسلمة»، ولكن المقصود في الواقع: على كل إنسان مسلم، ذكرًا كان أو أنثى، رجلًا كان أو امرأة.

طلب العلم مفروض على الجميع، سواء كان فرض عين، أم فرض كفاية. هناك نوع من العلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وهو ما يجب على المسلم أن يتعلمه من أمور دينه؛ حتى يُصحِّح عقيدته، ويصحح عبادته، ويضبط سلوكه، ويقف عند أمر الله ونهيه، وعند حلاله وحرامه، فلا يتعدَّى الحلال إلى الحرام، لا بدَّ أن يعرف هذا القدر، هذا مطلوب من المسلم والمسلمة معًا، لا بدَّ للمسلمة أن تطلب هذا العلم حتى تتعلم أمر دينها.

صحيح في فترة من الفترات للأسف لم يفعل المسلمون هذا، حرموا على المرأة الذهاب إلى المساجد، وكانت الجوامع هي الجامعات، كانت هي مدارس العلم، ولكن أخذًا من كلمة قالتها عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن من المساجد[٢]. بعض الناس قالوا: لا، المرأة أحدثت وأصبحت تخرج متبخترة ومتبرجة؛ فتُمنع من المساجد.

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٤٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في أول الأمر قالوا: تُمنع الشابات، إنَّما المرأة العجوز تذهب إلى المسجد. وبعد ذلك جاء زمن قالوا فيه: حتى العجوز!

**لكُلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سُوقُ**[1]

كل فولة لها كيال، حتى العجوز ستجد من يُغوى بها، فمنعوا الجميع!

وقالوا: إنَّ على المرأة أن يُعلِّمها أبوها، وأن يُفقِّهها زوجها. ولكن الواقع أنَّ أباها لم يُعلِّمها ولا زوجها فَقَّهَها؛ لأنَّ الأب والزوج نفسيهما ما كان عندهما العلم ولا الفقه، وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضل من كانت العميان تهديه، هذا العصر للأسف عصر التراجع والتخلف والانحطاط في الحضارة الإسلامية.

**المرأة في العصور الأولى:**

أمَّا في العصور الأولى فالمرأة عرفت أنَّ هناك قدرًا من العلم يجب عليها أن تتعلمه، وبدأ هذا من عصر النبوة، كان النساء يحرصن على حضور مجلس رسول الله ﷺ، ويحرصن على حضور الصلوات الخمس، حتى العشاء والفجر، فكن يحضرن مجلس النبي ﷺ، ويستمعن إليه ويستفدن، ويسألن أحيانًا أسئلة محرجة، تسأل إحداهن: ماذا عن المرأة إذا احتلمت؟ قد لا تستطيع النساء في عصرنا أن تفعلن هذا، لكنهن في عصر النبوة كن يسألن هذا، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين[2].

(١) ذكره من غير نسبة ابن عابدين في رد المحتار (٤٦٤/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

ومع هـذا لم يـروِ هـذا القدر غُلَّـة النسـاء، وجـاء بعضهن إلى رسـول الله ﷺ وقلن: يا رسـول الله، غلبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا من نفسـك يومًا. غير الأيام العامـة للجميع اجعل يومًا مخصوصًا للنسـاء (يتبحبحن) فيه، يسـألن كما يشـأن ولا حرج عليهـن، وفعلًا خصص النبي ﷺ لهن يومًا[1]، فهذا العلم المفروض فرض عين.

وهناك العلم المفروض فرض كفاية، وهو التبحر والتعمق سواء في علم الدين أم في علم الدنيا، وفروض الكفايـة هي الفروض التي تقوم عليها الأُمَّة الإسلامية في مجموعها، والمسؤولية فيها مسؤولية تضامنية، من ذلك: علم الفقه وأصولـه، وعلم الحديث، وعلم التفسـير، وعلوم اللغة، وحتـى العلوم الأخـرى: علم الطـب والهندسـة، والرياضيات والفيزياء، حتى الصناعات: البناية، والنجارة، والحدادة، كل هذه العلوم اعتبر العلماء تعلمها فرض كفاية على المجتمع المسلم.

## مساهمة المرأة في العلوم:

وهذه العلوم سـاهمت فيها المرأة منذ عصر النبوة وعصر الصحابة، وكلنا يعلم مقدار ما أسهمت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد كانت إحدى فقيهات الإسلام، وإحدى المفتيات بكثرة مع مجموعة من الصحابيات، وإحدى راويات الحديـث، روت أكثر من ألفي حديـث، وظلت تروي وتُحدث، وتُفتي وتعلم بعد رسـول الله ﷺ أكثر من أربعين سنة؛ لأنَّ من حكمة الله تعالى أنَّ النبي ﷺ تزوجها وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة، فعاشت بعد النبي ﷺ عمرًا، وهذا من حكم الله فعلًا، أن تُعمَّر واحدة من أمهات المؤمنين وتظل تفتي وتعلم، ويحتاج

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٠١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

الناس إليها في معرفة ما كان يفعله النبي ﷺ فتقول لهم: كذا وكذا وكذا. ولم يكن الأمر يتعلق فقط بالجانب المنزلي أو البيتي، أو الأمور الخاصة في حياة النبي ﷺ، لا، بل كانت تفتي في كل شيء.

وكانت لها استدراكات على الصحابة وعلمائهم رضوان الله عليهم، وهذه الاستدراكات جمعها بعض العلماء في كتب؛ مثل الإمام الزركشي له كتاب اسمه «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة»، استدركت على أبي موسى، وعلى ابن عمر، وعلى أبي هريرة، وعلى فلان وفلان، تقول لهم: ليس الأمر كما تقولون، بل الأمر كذا وكذا. فهي شجاعة، وهي مجتهدة وفقيهة، والصحابة وافقوها في بعض الأشياء ولم يوافقوها في بعض الأشياء، لأنَّ لكل رأيه، لكن المهم أنَّها كانت صاحبة رأي وفكر.

وأكثر من هذا أنَّها كان لها رأي في سياسة الأُمَّة، ولذلك خرجت في معركة الجمل المعروفة، ومعها اثنان من كبار الصحابة: من العشرة المبشرين بالجنة، ومن الستة أصحاب الشورى: طلحة، والزبير، صحيح هي ندمت بعد ذلك أنَّها أخطأت في تقدير الموقف، ليس على مشاركتها، لا، من حق المرأة أن تشارك في سياسة الأُمَّة، فمن عهد الصحابة والمرأة لها مكانتها.

وكان هناك من التابعيات أيضًا من روت الحديث؛ مثل عمرة بنت عبد الرحمن بن عوف وغيرها، ومن قرأ كتب الرجال في علم الحديث يجد أنَّ هناك عددًا من الصحابيات الراويات، في كتاب مثل «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، أو في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر، أو في كتاب «تهذيب الكمال» وفروعه «تهذيب التهذيب» و«تقريب التهذيب» يجد عددًا من الراويات من الصحابيات ومن التابعيات ومن مختلف العصور، نجد النساء في مجلد خاص.

QaradawiBooks.com

## عالمات ومحدثات وفقيهات:

اهتم هؤلاء برواية الحديث، كما اهتممن بالفقه، كما اهتممن بالأدب، كان هناك الأديبات والشاعرات، ومعروف مجلس سُكينة بنت الحسين، وكان يحضره الأئمة الكبار، كان منهن المحدثات، وكان بعض الشيوخ الكبار يقول: حدَّثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلان. يروون عنهن الأحاديث، وأحيانًا يروون الأدب والشعر، حتى وجدنا تاج الدين السبكي صاحب كتاب «طبقات الشافعية» المشهور، يقول: حدَّثني فلان الفلاني، وحدثتني زينب بنت أحمد، وحدثتني شقراء بنت كذا. يذكر اثنتين من شيخاته يروي عنهن قصيدة الجرجاني المشهورة:

**يقُولونَ لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما ... رأَوْا رجُلًا عن مَوْضعِ الذُّل أحْجَمَا**

**أرى النَّاس من داناهمْ هانَ عندهمْ ... ومَنْ أَكرَمَتْه عزةُ النَّفسِ أُكرمَا**[1]

إلى آخر القصيدة المعروفة.

وابن حجر العسقلاني، وهو أعظم شراح البخاري، وأعظم الحفاظ في العصور المتأخرة، كان مما اعتمد عليه في شرح البخاري نسخة موثقة مصححة، هي نسخة كريمة بنت أحمد المروزية، فهي نسخة مشهورة معتمدة، وكان له شيخات عديدات، منهن الشيخة مريم بنت أحمد بن إبراهيم الأذرعية الدمشقية، وقد صنف معجمًا في أحد عشر جزءًا عن شيوخها وتلاميذها، سمَّاه «معجم الشيخة مريم»، وذكر من شيوخها إحدى وعشرين شيخة، أخذت عنهن الشيخة مريم في وقت واحد، سمعت منهن، وأجزنها أن تروي عنهن.

(١) البيتان للقَاضِي أبي الْحسن عَليّ بن عبد الْعَزِيز الجرجاني، كما في أدب الدنيا والدين للماوردي صـ٨٣.

QaradawiBooks.com

ومن قرأ الكتب التي تهتم بالتراجم مثل كتاب «البداية والنهاية لابن كثير»، وهو حوليات على السنين، نجده يذكر كثيرًا من النساء، وكتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي يذكر كثيرًا من النساء، وكتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر، ذكر فيه أعدادًا كبيرة جدًّا من النساء، وكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وكتاب «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» للسخاوي، كل هذه الكتب التي تُعنى بالتراجم والشخصيات يُذكر فيها عادة الكثير من النساء، وطبعًا هم لا يذكرون فيها إلا الشهيرات، من اشتهرت وأُخذ عنها العلم، وأصبحت علمًا من الأعلام في عصرها، ولكن هناك الكثيرات لم يصلن إلى هذه الدرجة، ولذلك لا يُذكرن في هذه الكتب.

**ميراث المرأة علم أبيها:**

ساهمت المرأة في علم الحديث، كما ساهمت في علم الفقه، كان هناك العلامة الكاساني من كبار علماء الحنفية، كانوا يسمونه «ملك العلماء»، له كتاب شهير في الفقه الحنفي اسمه «بدائع الصنائع»، وكان للكاساني زوجة اسمها زينب ابنة العلامة علاء الدين السمرقندي صاحب كتاب «تحفة العلماء»، زوَّجها أبوها من الكاساني، ولذلك قال العلماء: شرح تحفته وزوَّجه ابنته. شرح كتاب «تحفة العلماء» في كتابه «بدائع الصنائع»، وتزوَّج ابنة الشيخ صاحب التحفة، تتلمذت على أبيها وعلى غيره من شيوخ عصرها، وأصبحت تفتي كما يفتي أبوها، وأحيانًا تصدر الفتوى من الشيخ علاء الدين السمرقندي موقعة منه ومن ابنته زينب، فكانت تفتي مع أبيها، وحينما تزوجت كانت تفتي مع زوجها: ملك العلماء الكاساني[1].

(١) انظر: الجواهر المضية لمحيي الدين الحنفي (٢٧٨/٢)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي.

QaradawiBooks.com

وهذا أمر موروث من قديم في عهد التابعين، فسعيد بن المسيب رضي الله عنه، وهو ـ كما يقول الإمام أحمد ـ سيد التابعين، وأفقه التابعين، جاءه الوليد بن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ليخطب ابنته؛ فاعتذر سعيد، ورفض أن يزوجها لولي عهد الخلافة، وأُوذي في سبيل ذلك، ولكنَّه أصر على موقفه.

وفي يوم من الأيام سأل عن أحد تلاميذه ـ ابن أبي وداعة ـ: أين فلان؟ قالوا له: إنَّ زوجته قد توفيت. فذهب إليه وعزاه وواساه، وقال له: ما رأيك في أزوجك ابنتي؟ فتعب الرجل وأصابه الذهول، لأنَّه رفض أن يزوجها ابن أمير المؤمنين، ويطلب أن يزوجها من طالب فقير، قال له: قد زوجتكها بدرهم. ثم في الليل سمع دقًّا على بابه فقال: من الطارق؟ قال: سعيد. قال: فخطر في بالي كل سعيد في الدنيا أعرفه إلا سعيد بن المسيب. فمن المعروف أن سعيدًا لا ينتقل من البيت إلا إلى المسجد. فقال: فتحت الباب؛ فإذا سعيد بن المسيب، وقال له: هذه عروسك. والرجل مسكين لا يملك شيئًا، فظل ينادي على الجيران: يا أبا فلان، يا أم فلان، سعيد بن المسيب زوَّجني ابنته، وليس عندي شيء. فأخذوا يساعدونه بما يستطيعون، ثم في الصباح أراد أن يذهب إلى المسجد، فقالت له زوجته: إلى أين تذهب؟ قال: إلى حلقة سعيد. فقالت: اجلس أُعلِّمك علم سعيد[1]. فهكذا كان النساء في ذلك العصر.

### باب العلم مفتوح أمام المرأة:

الباب مفتوح للمرأة المسلمة لتتعلم: تتعلم علم الدين، وتتعلم علم الدنيا، لا حرج عليها في ذلك ما دامت ملتزمة بتعاليم دينها، وأحكام

(١) انظر: المدخل للعبدري (٢١٥/١)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

شرعها، تتعلم علوم الشريعة وهي أساس طبعًا، وتتعلم العلوم الكونية المختلفة: الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والأحياء، والبيولوجيا. وتتعلم العلوم الإنسانية: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد. المهم أن تكون ملتزمة بدينها، وألا تفقد شخصيتها وهويتها الإسلامية، وأن تحافظ وهي تطلب العلم على آداب الإسلام، فلا تختلي بغير محرم، ولا تتبرج، تحافظ على آداب الخلطة: غض البصر، والعفة، وأدب اللباس والزينة، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وأدب الحركة، تمشي على استحياء، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وأدب الكلام، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. تحافظ على هذه الآداب كلها، وتطلب العلم ما استطاعت، لا حرج عليها.

## تشدُّد في غير موضعه:

سمعت في مرة أحد المشايخ المتشددين يقول: إنَّ المرأة لا يجوز لها أن تطلب العلم؛ إلا في المرحلة الابتدائية فقط. قلت له: لماذا؟ قال: لتزيل أميتها، فتستطيع أن تقرأ وتكتب، وتعرف بعض الأشياء الأساسية، وما عدا ذلك يُمنع. قلت له: ولكن يا أخي هذه المرحلة الأمية لا تزيل الأمية، ستظل أمية، صحيح أن ستقرأ وتكتب، ولكنها لا تعرف الحياة، لا تستطيع أن تفهم ما يجري حولها، ثم من يعلم هؤلاء اللائي يدرسن في الابتدائي؟ قال: يعلمهن بعض المعلمات. قلت: ومن يعلم المعلمات؟ ثم من يطبب النساء؟ قال: يمكن للضرورة أن يعلمها ويطببها الرجل. لكن هذه الضرورة ينبغي أن تظل استثناء، لا تصبح الضرورة قاعدة ولا أصلًا.

QaradawiBooks.com

ليس هناك أي نص شرعي يُحرِّم على المرأة أي علم من العلوم، أي علم يمكن أن يفيدها، ويمكن أن يفيد أولادها، حينما تنجب أولادًا بعد ذلك. الأم المتعلمة والمثقفة قادرة على أن تساعد أولادها، ونحن نعلم الآن حاجة المدرسة إلى تعاون البيت في تعليم الأولاد، والأخذ بأيديهم، فدور الأم هنا دور لا يُنكر، ولشاعر النيل حافظ إبراهيم هذا البيت الذي نحفظه جميعًا:

**الأمُّ مـدرسـةٌ إذا أعـددتَـهـا أعددت شـعبًا طيبَ الأعـراقِ**[1]

لأنَّ الأم المثقفة المتعلمة قادرة على أن تعلم أولادها وتنورهم، وتنبههم وتوقظهم، وتخرجهم من الأمية، سواء الأمية الرسمية، أو الأمية الفكرية والدينية والثقافية؛ بواسطة الأم المثقفة المتعلمة، باب العلم مفتوح أمام المسلمة، ما دامت ملتزمة بأمر دينها وأحكام شرعها.

شكر الله للجميع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) ديوان حافظ صـ٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٠

# واجبات المرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به أيُّها الإخوة الأحبة، ويا أيتها الأخوات العزيزات والبنات الكريمات: تحية الإسلام، تحيةً من عند الله مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

(أمَّا بعد)

فأحمد الله تبارك وتعالى أن نفتتح هذا المساء هذا العمل الصالح، وهذا الجهد الطيب، وهو هذه التسجيلات الإسلامية الصوتية والفيديو،

QaradawiBooks.com

المسموعة والمرئية، وهذا لا شـكَّ من أعظم الأعمال في هذا العصر؛ فلا بدَّ أن نوصِّل صوت الإسلام ورسـالة الإسلام إلى كل من نستطيع أن نُسْـمِعه أو نُرِيَه ما يتعلق بالإسـلام، هذا فرض كفايـة علينا نحن المسلمين، إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم عن سائر الأمة؛ وإلا أثمت الأُمَّة جميعًا.

## يجب أن تصل رسالة الإسلام إلى المسلمين:

نحن مأمورون أن نبلغ رسالة الإسلام إلى المسلمين أنفسهم؛ حتى يُصحِّحوا إسلامهم ويفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا من مصادره المصفاة، غير منتقص منه، ولا مزيد عليه، وغير مشوَّه التعاليم.

ينبغي أن نعلِّم المسلمين الإسـلام الأول، غير مضاف إلى أحد، إسلامَ القرآن والسُّنَّة، إسـلام الصحابة والتابعين. هذا ما يجب علينا نحن الدعاةَ إلى الإسـلام: رجالًا كنا أم نساءً، مسلمين أو مسلمات، علينا أن نُعلِّم المسلمين حقيقة الإسـلام، وأن نردَّهم إلى هذا الدين ردًّا جميلًا.

## علينا أن نبلغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين:

وعلينا من ناحية أخرى أن نبلغ غيرَ المسـلمين رسالة الإسلام، فإنَّ الله سيسـأل المسـلمين عن ضلال الأمم ماذا فعلوا؟ نحن نعلن في كل وقت أنَّ الإسـلام رسـالة عالَمية، وهذه حقيقة؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيـاء: ١٠٧]. ويقول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ويقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعـراف: ١٥٨].

QaradawiBooks.com

ويقول النبي ﷺ: «**وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى الناس كافَّة**»[١]. فإذا كانت نبوة محمد ورسالة محمد رسالة عالمية؛ فعلينا أن نبلِّغ العالمين حقيقة هذه الرسالة.

## استخدام الوسائل المتاحة لنشر الإسلام:

ومن هنا، كان علينا أن نستخدم الوسائل التي لا بدَّ منها في هذا الإطار، الوسائل المسموعة، والوسائل المقروءة، والوسائل المرئية، كل ما يمكننا أن نصنعه في هذا العصر يجب أن نصنعه، وإلا كنا من المقصرين، وإذا كنا نرى أصحاب الديانات الأخرى يبذلون الجهود المكثفة والدؤوبة لنشر دياناتهم، كما نرى ذلك في النصرانية التي جنَّدت عشراتِ الألوف من الرجال والنساء، وبعثتهم في أنحاء العالَم؛ مبشرين بدينهم ومبشرات، جاؤوا من أوروبا وأمريكا، من البلاد الباردة إلى البلاد الحارة، من بلاد الأزرار الأتوماتيكية والأجهزة الإلكترونية، إلى الأدغال والغابات التي ليس فيها لا ماء ولا كهرباء؛ من أجل أن ينشروا رسالة يؤمنون بها. فأولى بنا نحن المسلمين أن نفعل هذا.

## واجب المؤمنين والمؤمنات:

وهذا الواجب ليس مقصورًا على الرجال وحدهم، من الخطأ البالغ أن يظن الناس، أنَّ الإسلام يقصر مهمة الدعوة والتربية والتبليغ على الرجال، النساء مأمورات بالدعوة كالرجال، الله تعالى يقول لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكل من اتبع رسول الله ﷺ من رجل أو امرأة، من فتى أو فتاة، فعليه أن يدعوَ إلى الله،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويدعوَ على بصيرة. هذا واجب كل مسلم، الله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالدعوة إلى الخير والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر واجب الأمة، من مسلمين ومسلمات، ومؤمنين ومؤمنات؛ لقد قال تعالى في سورة التوبة من أبين ما يكون وأصرح ما يكون: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. ومن هنا كان على الأخت المسلمة والبنت المسلمة أن تأخذ دورها، وتقوم بنصيبها في الدعوة إلى الإسلام، بين المسلمين وغير المسلمين؛ هذا واجب. وخصوصًا في عصر الصحوة الإسلامية المعاصرة، الصحوة التي أيقظت الأُمَّة من سبات، وأحيت الأمة من موات، وحرَّكت الهممَ والعزائمَ لنصرة الإسلام.

## دور المرأة المسلمة:

على الفتاة المسلمة وعلى المرأة المسلمة أن تقوم بدورها، دور المرأة في عصر الصحوة يتمثل في عدة واجبات:

## واجب المرأة نحو نفسها:

أول هذه الواجبات: واجبها نحو نفسها، أن تنمِّيَ نفسَها علميًّا وثقافيًّا، بمعرفة الإسلام من مصادره المصفاة: من القرآن والسُّنَّة، ومن كتب العلماء الثقات. لا بدَّ أن تدرس الإسلام دراسة منهجية، دراسة متأنية، دراسة متصلة وعميقة، بحيث تعرف من القرآن ومن السُّنَّة، ومن العقيدة ومن الفقه، ومن السيرة ومن التاريخ، ومن الثقافة الإسلامية ومن الفكر المعاصر، ومن فكر الإسلام للقضايا الكبرى، وتعرف عن أعداء الإسلام والقوى المعادية للإسلام وكيف تكيد للإسلام، وما هي أهدافها، وما هي وسائلها؟ هذه الثقافة لا بدَّ منها.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن تُوعِّي نفسَها وتنمي نفسَها عقليًّا وفكريًّا؛ حتى تكون مسلمةً واعية فقيهة في دينها، «**ومَن يرد الله به خيرًا يُفقِّهْه في الدين**»[١]. هذا واجبها نحو نفسها.

## التزكية الروحية والإيمانية:

ومن واجبها نحو نفسها: أن تنمِّي نفسَها روحيًّا وإيمانيًّا، أن ترقى بإيمانها. الإيمان درجات: هناك إيمان ضعيف، وهناك إيمان متوسط، وهناك إيمان قوي عميق. ينبغي للمسلمة أن ترقى بإيمانها؛ حتى يكون إيمانًا عميقًا قويًّا.

العلماء قالوا: هناك علم اليقين، وهناك عين اليقين، وهناك حق اليقين. درجات بعضها فوق بعض.

سيدنا إبراهيم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. يريد أن يقوي إيمانه، وينتقل من درجة إلى درجة.

لا بدَّ أن ترقِّي نفسَها إيمانِيًّا؛ حتى تقف على أرض صُلبة من اليقين الثابت، والعقيدة التي لا تتزعزع.

عليها أن تنمِّيَ نفسَها سلوكيًّا وأخلاقيًّا، فقد بُعِث محمد ﷺ ليُتمِّم مكارم الأخلاق. ولا بدَّ أن نأخذ من مكارم الأخلاق ما نستطيع؛ حتى نكون كما كان النبي ﷺ، الذي وصفته عائشة بقولها: «كان خُلُقه القرآن»[٢].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٦٣، وفيه: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق».

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

## التخلُّق بأخلاق القرآن:

ينبغي أن يكون القرآن هو خُلُقنا، يعني إذا فتحنا المصحف، وأردنا أن نعرف خُلُق النبي ﷺ، افتح المصحف واقرأ أوائل سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٩]. تعرف خُلُق النبي ﷺ.

اقرأ أوائل سورة الأنفال، اقرأ أواخر سورة الفرقان وصفَ عباد الرحمن. اقرأ سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

اقرأ في سورة الرعد هذه اللوحة عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۞ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢١] إلى آخره.

كان النبي ﷺ خُلُقه القرآن، ونحن مأمورون أن نتبع محمدًا ﷺ، وأن يكون لنا فيه أسوة حسنة، فنريد أن تكون أخلاقنا قرآنية محمدية، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وهذا يتطلب منا جهادًا لأنفسنا حتى نصل بها إلى مرحلة التزكي، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]. كما وصف الله تعالى سحرة فرعون حينما آمنوا قال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، حينما آمن سحرة فرعون تبيَّن لهم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخروا ساجدين وقالوا: آمنا برب

QaradawiBooks.com

هارون وموسى. هدَّدهم فرعون وتوعَّدهم وقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۞ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧١ ـ ٧٦]. انظر إلى كلمة هؤلاء السحرة، الإيمان فجَّر الحكمة على لسانهم فقالوا هذا الكلام الطيب.

## الترقي في درجات الإيمان:

لا بدَّ أن نزكي أنفسنا ونجاهدها حتى تكون أنفسا صالحة، تنتقل من النفس الأمَّارة بالسوء، كما قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]. تنتقل هذه النفس من الأمر بالسوء أو من كثرة الأمر بالسوء ـ كما تفيده كلمة «الأمَّارة» ـ إلى النفس اللوامة، ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢]. النفس اللوامة التي تكثر لوم صاحبها؛ إذا قصَّر في أداء واجب أو ارتكب ما لا يليق؛ تلومه وتشتد عليه اللوم. هذا الذي نسميه في عصرنا: «الضمير الحي» الذي يحاكم صاحبَه ويحاسبه إذا ارتكب ما لا يليق؛ بفعل محظور أو ترك مأمور.

ثم ترتقي هذه النفس بعد ذلك إلى النفس المطمئنة، إذا استمرت في هذا اللوم تصل إلى مرحلة اطمأنت إلى الخير، واستقرت عليه، وهذه هي النفس المخاطَبة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۞ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

QaradawiBooks.com

أول ما يجب على الفتاة المسلمة والأخت المسلمة أن تنمي نفسها فكريًّا، وتنمي نفسَها روحيًّا، وتنمِّي نفسَها أخلاقيًّا. وبعبارة أخرى: تنمي نفسَها علميًّا، وتنمي نفسَها إيمانيًّا، تنمي نفسَها سلوكيًّا؛ حتى تصبح شخصية مؤمنة مكتملة. هذا هو الواجب الأول، واجب المسلمة نحو نفسها.

**واجب المسلمة نحو أسرتها:**

وعليها واجب نحو أسرتها إن كانت لها أسرة، إن كانت متزوجة عليها واجب نحو زوجها: تعينه على الخير إن كان من أهل الخير، وتشجعه على الدعوة إن كان من أهل الدعوة، تشد أزرَه في المواقف التي تسترخي فيها العزائم، هكذا ينبغي.

وإذا كان زوجها مقصِّرًا تنصحه برفق، وتدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة، كما كانت نساء السلف الصالح تقول لزوجها إذا خرج في تجارة: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإنا نصبر على الجوع والظمأ، ولا نصبر على حر النار وغضب الجبار. هكذا كانت المرأة تحذر زوجَها أن يكسب لقمة من حرام، أو درهمًا من حرام. فإذا أراد الرجل أن تنزلق قدمه إلى شيء، تذكَّر كلمة زوجته.

وكانت المرأة تعين زوجها على الجهاد في سبيل الله، فإذا جاءها المثبطون وقال لها: كيف ترككِ زوجك؟ ومن أين تأكلين؟ ومن أين تُرزقين؟ فتقول له في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: إنَّ زوجي منذ تزوجته عرفته أكَّالًا، وما عرفته رزَّاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزَّاق. هكذا، إذا كانت المرأة زوجة تعين زوجَها على الخير، وتحاول أن تبعده عن الشر.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت أمًّا تكون نعم الأم لأبنائها وبناتها: ترعاهم، وتقوم بحقهم، كما قال النبي ﷺ: «**والمرأةُ في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها**»(١).

على المرأة أنْ تقوم بحق أسرتها، زوجة كانت أو أمًّا أو بنتًا، إذا كانت بنتًا تبرُّ والديها، تساعد والديها إن احتاجا إلى مساعدتها، كما رأينا القرآن يقص علينا قصة ابنتي الشيخ الكبير في سورة القصص، حينما جاء موسى إلى ماء مدين ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣]. فهما تقومان برعاية الغنم؛ لأنَّ أباهما شيخ كبير، وليس لهما إخوة ذكور، فالمرأة في هذه الحالة لا تتخلف عن دورها، وتقوم بإعانة الأسرة، وتعمل ما دام عملها في حدود الشرف والأمانة.

العمل ليس حرامًا، كما تفيد هذه القصة. وكلام الفتاتين مع موسى وهو غريب لا حرج فيه، ما دام قولًا بالمعروف، وقد جاءت إحداهما تمشي على استحياء وقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾ وحينما جاء قالت إحداهما: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٥، ٢٦].

القرآن يعرض قصص اتصال الرجل بالمرأة، وكلام المرأة مع الرجل، والرجلِ مع المرأة؛ لأنَّه لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولكنَّه كلام بالمعروف، وفي حدود المعروف، لا حرج في ذلك.

المرأة عليها واجب نحو أسرتها، إذا احتاجت الأسرة تعمل كما عملت هاتان الفتاتان في رعاية الغنم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٣٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

## واجب المرأة نحو بنات جنسها:

على المرأة واجب ثالث نحو بنات جنسها، أن تدعو بناتِ جنسها إلى الإسلام. لقد رأيت أنَّ المرأة أقرب إلى الإسلام من الرجل، هذا ما لاحظته في حياتي.. وأنا أستاذ جامعي درَّست الطلاب والطالبات، وأنا أفتي الناس رجالًا ونساءً، تأتيني الرسائل وتأتيني الهواتف بالتليفونات، أكثر الرسائل من النساء، وأكثر الهواتف من النساء، رأيت المرأة أحرص على دينها من الرجل؛ لأنَّ المرأة رقيقة القلب، رقيقة الوجدان، مرهفة الحس، فهي تتجاوب مع الدين أكثر مما يتجاوب الرجال.

ورأيتُ في أوروبا وأمريكا أكثر من يدخل الإسلام من النساء، ولذلك هناك مشكلة تزويج الأخوات المسلمات هؤلاء من رجال مسلمين.

فعلى الفتاة المسلمة، وعلى البنت المسلمة، وعلى الأخت المسلمة أن تبذل جهدًا مع بنات جنسها، وستجد الاستجابة إن شاء الله، ستجد الاستجابة من الفتيات والنساء حينما تدعوهن إلى الخير دعوة موفقة. فعلى المسلمة واجب نحو بنات جنسها أن تدعوهن إلى الإسلام.

وليس هناك أفضل من وظيفة الدعوة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وكل مسلم داعية، وكل مسلمة داعية، ولكن كل واحد يدعو بما يقدر عليه. هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإصدار نشرة، وهناك من يدعو بكتابة مقالة في صحيفة أو مجلة، وهناك من يدعو بإلقاء درس، وهناك من يدعو بحديث عادي، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، وبالأسوة الحسنة، وبالخُلُق الكريم، وبالصحبة الطيبة والمعاشرة

QaradawiBooks.com

الكريمة مع الناس. كل إنسان عليه أن يدعو إلى الإسلام، رجلًا كان أو امرأة، شابًّا كان أو شابة.

رأينا غير المسلمين يدعون إلى دينهم، ويجندون الرجال والنساء في ذلك، فعلى المسلمة أن تدعو إلى الإسلام.

**واجب المرأة نحو مجتمعها:**

هناك واجب آخر بعد هذه الواجبات الثلاث ـ واجب المسلمة نحو نفسها، وواجبها نحن أسرتها، وواجبها نحن بنات جنسها ـ: وهو واجبها نحو المجتمع بصفة عامة، واجبها أن تحمل الدعوة إلى الإسلام، فهي شريكة الرجل في حمل الدعوة، الإسلام قام على الرجال والنساء جميعًا، وكما قلت في إحدى المحاضرات: إنَّ أول صوت ارتفع بتأييد النبي ﷺ أول ما أوحى الله إليه، أول صوت أيَّده وشدَّ من أزره كان صوت امرأة، ولم يكن صوت رجل، هذا الصوت كان صوت زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، حينما جاء يقول: «**زملوني، زملوني**» وقد نزل عليه جبريل بالآيات الأولى من الوحي وخشي على نفسه، قالت له: والله ما يُخْزيك الله أبدًا؛ إنَّك لتصل الرحِم، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسِبُ المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحقِّ[1]. من يحمل هذه الأخلاق العُلْيا لا يمكن أن يخذله الله، لا يمكن أنَّه أتاك شيطان، هذا دليل على أنَّ الله اصطفاك. بفطرتها السليمة، وبعقلها الرشيد أدركت هذا المعنى ونبَّهتْ عليه، وعلَّلت هذه التعليلات القوية.

أول من أيَّد النبيَّ ﷺ لم يكن رجلًا ولكن كان امرأة، وأول من استُشهد في سبيل الإسلام لم يكن رجلًا، ولكن كانت امرأة: سُميَّة زوجة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

سيدنا ياسر، أم سيدنا عمار، هي أول من استُشهد في سبيل الله، طعنها أبو جهل لعنه الله فاستُشهدت[١].

المرأة كان لها دورها في الإسلام، كان لها دورها في الغزوات، كان لها دورها في الهجرة. من ينسى دور أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين؟ وقد كان تصعد إلى النبي ﷺ في غار ثور، وهو في جبل وعر، يشق على كثير من الرجال أن يصعدوه، كيف كانت هذه الفتاة الرقيقة تصعد كل يوم إلى هذا الغار، ومعها الطعام والزاد، والأنباء والأخبار.

المرأة كان لها دورها في الدعوة، ولها دورها في الهجرة، ولها دورها في الغزوات، ولها دورها في رواية الحديث، ولها دورها في نشر العلم، ولها دورها في الوقوف بجوار الرجال.

نحن نريد من المسلمة المعاصرة أن يكون لها دور في حمل الدعوة، النبي ﷺ يقول: «**إنَّما النساء شقائق الرجال**»[٢]، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، هذا للرجال والنساء،

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. وقال ابن الأثير: سمية أم عمار بن ياسر هي سمية بنت خباط كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفًا لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة. انظر: أسد الغابة (١٥٢/٧)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٦٨.

QaradawiBooks.com

المرأة هاجرت وقاتلت وقُتلت، فهذا يدل على أنَّ المرأة شريكة الرجل في حمل أعباء الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والقرآن الكريم يؤكد في أكثر من سورة دور المرأة بجوار الرجل، قد قرأنا قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقد كانت عائشة رضي الله عنها من فقيهات الصحابة، وروت أكثر من ألفي حديث عن النبي ﷺ، وكان كبار الصحابة يرجعون إليها ويسألونها، وكانت أعرف الناس بحال النبي ﷺ، وأفتت في كثير من المسائل، هي من المكثرات في الفتوى من الصحابة، واستدركت على كثير من الصحابة، وأُلِّفت كتب في ذلك: «الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة»، اعترضت على ابن عمر، واعترضت على أبي هريرة، واعترضت على أبي موسى الأشعري، وعلى غيرهم من الصحابة. فينبغي أن يكون للمرأة دورها.

## دور المرأة في التاريخ الإسلامي:

في عصورنا الإسلامية وجدنا كثيرًا من علماء الحديث يروون عن شيخات، يقول العالم: حدثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلانة. ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: إنَّ من النسخ التي اعتمد عليها في شرح البخاري نسخة كريمة بنت أحمد المروزية. كانت نسختها من المعتمدات عند الحافظ ابن حجر. وهكذا كانت ابنة السمرقندي صاحب «تحفة الفقهاء» من علماء الحنفية، اسمها زينب، كانت تفتي مع أبيها، تخرج الرقعة وفيها توقيع أبيها وتوقيع ابنته زينب، وقد زوَّجها للكاساني الذي عُرف عند الأحناف بملك العلماء، صاحب كتاب «بدائع الصنائع».

QaradawiBooks.com

المرأة لها دورها في التاريخ الإسلامي وفي بناء الحضارة الإسلامية، ويجب أن يستمر دورها. وهذا ما ينبغي أن تعيه أخواتنا وبناتنا من بنات الصحوة الإسلامية المعاصرة، أن يقمن بدورهن. لا نريد أن تحبس المرأة في القُمْقُم، وأن توصف المرأة بأنها لؤلؤة مكنونة، وجوهرة مصونة، وليست إنسانًا يتحرك ويعمل ويدعو!

ما معنى أن تُحبس المرأة، ويكون العمل كله على الرجال، وأن يمنع بعض الرجال النساء حتى من حضور الجُمَع والجماعات والأعياد؟ وهذا مخالف للسُّنَّة النبويَّة الصحيحة، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(١).

## أهمية المسجد للمرأة المسلمة:

كانت المرأة في عصر النبوة تذهب إلى المسجد النبوي، تصلي الصلوات الخمس في المسجد، حتى العشاء في الظلام؛ ولم تكن الشوارع مضاءة ولا مرصوفة، وصلاة الفجر في وقت الظلام والغلس، تذهب المرأة.. لم يمنعها زوج، ولم يمنعها أب، ولم يمنعها النبي ﷺ، صلين مع النبي ﷺ، وفي عصر الصحابة. هكذا كانت المرأة.

وفي الأعياد كانت تحضر المرأة العيد، النبي عليه الصلاة والسلام يدعوهن إلى ذلك، حتى الحُيَّض ـ كما قالت أم عطية ـ كُنَّ يحضرن صلاة العيد، لا يصلين، يعتزلن الصلاة ولكن يشهدن الخير ودعوة المسلمين. هذه سُنَّة محمد ﷺ، هل نأتي بدين جديد من عند أنفسنا؟ هل نشرع في الدين ما لم يأذن به الله؟ يجب أن تكون المرأة مع الرجل.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أنا أنادي من سنوات طويلة: أنَّه لا يجوز أن يبنى مسجد لا يُجعل فيه حظٌّ للنساء، لا بدَّ أن تكون هناك شرفة (الدور الثاني) للنساء المصليات، يحضرن الجمعة، ويحضرن الجماعة، ويحضرن صلاة التراويح في رمضان، يحضرن الدروس الدينية والمحاضرات الدينية، يجب أن تتثقف المرأة.

الفقهاء حينما قالوا في أحد من العصور: إنَّ المرأة لا تذهب إلى المسجد؛ سدًّا للذريعة وخوفًا من الفتنة. وقالوا: إنَّ على أبيها أن يعلمها، وعلى زوجها أن يفقِّهها. والنتيجة: إنَّ المرأة حُرِمت من المسجد، ولا علَّمها أبوها، ولا فقَّهها زوجها؛ لأنَّ الأب نفسه في حاجة إلى من يعلِّمه، والزوج في حاجة إلى من يفقِّهه، وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضل من كانت العميان تهديه.

ضيَّع المسلمون النساء قرونًا طويلة، وليس هذا من الإسلام في شيء، آن لنا أن نراجع أنفسنا على ضوء كتاب الله وسُنَّة رسول الله، وحاجات الواقع. والواقع أنَّ النساء الآن يعملن في كل الأديان في خدمة أديانهن، وكل امرأة تذهب إلى معبدها، الوثنية تذهب إلى المعبد، واليهودية تذهب إلى البَيعة، والنصرانية تذهب إلى الكنيسة، كيف تُمنع المرأة المسلمة وحدها من الذهاب إلى المسجد؟! هذا أمر لا يجوز، ينبغي أن تخرج المرأة المسلمة وتحمل عبء الدعوة؛ ولذلك أنا أرحِّب بهؤلاء الفتيات المسلمات، اللائي وهبن أنفسهن للدعوة إلى الإسلام، مع الالتزام بالحشمة، ومع الالتزام بأدب الإسلام، في غض البصر، وحفظ الفرج، والقول بالمعروف، والمشي على استحياء، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

QaradawiBooks.com

هذه دعوتي إلى أخوات مسلمات وبنات مسلمات، فعلى بركة الله أيتها الفتيات المسلمات، على بركة الله أيتها البنات المسلمات، على بركة الله أيتها الأخوات المسلمات، سرن في الطريق، والله معكن، ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وإنِّي داعٍ فأمِّنوا: اللهم إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهم أكرمنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنَّا وأرضنا.

اللهمَّ اهدنا صراطًا مستقيمًا، وافتح لنا فتحًا مبينًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم اجمع كلمة المؤمنين على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير، وخير العمل.

اللهم طهِّرْ أقوالنا من اللغو، وطهر أعمالنا من العبث، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من الغش، وطهر أعمالنا من الرياء، وطهر أعيننا من الخيانة، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر حياتنا من التناقض.

QaradawiBooks.com

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وحبِّبْ إلينا الإيمان وزَيِّنْه في قلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. اللهم آمين.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

* * *

QaradawiBooks.com

١١

# المرأة المُسْلِمَة بين الإنصاف والإجحاف[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا، وإمامنا، وأسوتنا، وحبيبنا، ومُعَلِّمنا، وقائد دربنا، مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، تحيَّةً من عند الله مباركة طيِّبة، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

**كتاب تحرير المرأة لـ«أبو شُقَّة»:**

فحديثي إليكم ـ كما حدَّده الإخوة مُنَظِّمو الندوة ـ هو المرأة المسلمة في القرآن والسُّنة، وذلك في ضوء كتاب أخينا وحبيبنا الأستاذ

(١) ألقيت في مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام، الذي عقدته اللجنة الإسلامية العالميَّة للمرأة والطفل، بالتعاون مع دار القلم بالقاهرة، في ٢٢ فبراير ٢٠٠٣م، لمناقشة الإشكاليات التي تعاني منها المرأة من خلال موسوعة: تحرير المرأة في عصر الرسالة للأستاذ عبد الحليم أبو شقَّة.

QaradawiBooks.com

عبد الحليم أبو شُقَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقبَّله في الصَّالحين من عباده، وما جلَّى به من حقائق عن المرأة، كانت قد خَفِيَتْ على كثيرٍ من المسلمين عصورًا كثيرة.

لقد اجتهد رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ يجمع ما استطاع ـ جمعًا مستوعبًا ـ نصوصَ القرآن والسُّنَّة المُتَعَلِّقة بالمرأة، ثمَّ انتهى إلى نصوص صحيحَي البخاري ومسلم، حتَّى إنَّه جمع في مشاركة المرأة في مجالات الحياة العامَّة المختلفة بحضرة الرجال أكثر من ثلاثمائة نَصٍّ، كلها من الصحيحَيْن.

وهو لم يكتفِ بالجمع، ولكنَّه استنطق هذه النصوص، رغم أنَّه كثيرًا لا يُعَلِّق عليها، ولكنَّ وضْعَ العناوين للنصوص نفسها يدلُّ على ما توحي به هذه النصوص، وما يُستنبط منها من أحكامٍ وتوجيهات، وبهذا وصل إلى نتائج طيِّبة منطقيَّة، غير مُتكلَّفة ولا مُفتعَلَة في قضيَّة المرأة المسلمة.

لقد أراد أنْ يبيِّن بكتابه أن تحرير المرأة لم يقم به قاسم أمين، ولا من قلَّدهم قاسم أمين، إنَّما تمَّ تحرير المرأة في عصر النبوَّة، فالَّذي قام به ـ منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا ـ هو مُحَمَّد ﷺ.

وهو يريد من إثبات هذا التحرير في كتابه أن يتَّخذ منه وسيلة إلى تحرير المرأة في عصرنا هذا، أي أنَّه أراد أنْ يُثبت تحرير المرأة في عصر النبوَّة، ليسعى من ورائه إلى تحرير المرأة في هذا العصر الَّذي نعيش فيه، تحريرها من جاهليتَيْن: جاهليَّة التقليد الأعمى للآباء، وجاهليَّة التقليد الأعمى للغرب، وسمَّى الجاهليَّة الأولى: جاهليَّة القرن الرابع عشر، لأنَّها صدرت من بلاد المسلمين، وسمَّى الجاهليَّة الثانية: جاهليَّة القرن العشرين، فهو يريد تحرير المرأة من كل الجاهليتين: من الموروث عن عصور التخلف، ومن الوافد الغازي أو المستورَد من حضارة الغرب.

غير مرخصة للطباعة

وقال: إنَّه لا يمكن تحرير المرأة إلا إذا تحرَّر الرجل، ولا يتمُّ تحرير المرأة والرجل إلَّا بتحرير عقليهما، فهو يسعى دائمًا وراء العقل لتحريره من القيود والعوائق والأغلال، الَّتي تحول بينه وبين التفكير الحُرِّ، والبحث الحُرِّ، ومن ثمَّ بين الإنسان والحركة الحُرَّة.

## المرأة في القرآن والسُّنَّة:

في ضوء هذا الكتاب نتحدَّث ـ أيُّها الإخوة ـ عن المرأة في القرآن والسُّنَّة، وأنا لم أعلم أنَّه مطلوب مِنِّي هذا الحديث إلا مساء أمس، ولذلك لم أُحَضِّرْ شيئًا، وسأُحَدِّثكم على سَجيَّتي مرتجلًا بما يردُ على خاطري في هذا الموضوع.

## تكريم المرأة في الإسلام:

لقد حرَّر الإسلام المرأة، وأنصفها، وكرَّمها، باعتبارها إنسانًا، وباعتبارها أنثى، وباعتبارها بنتًا، وباعتبارها زوجة، وباعتبارها عضوًا في المجتمع.

إنَّنا نستخدم تعبير «زوجة» حتَّى يكون الأمر واضحًا ومفهومًا، أمَّا في اللغة العربيَّة فنقول عن الزوجة: زوجًا. والقرآن يقول: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ويقول: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فكلمة زوج في العربية تعني: الرجل. وتعني: المرأة. خصوصًا أنَّ لها إيحاء معيَّن، كأنَّ كل واحد من الطرفين يحمل همَّ الآخر، وروحه وشعوره، فهو فرد في زوج، أو زوج في فرد. هذا هو المعنى، وإنَّما نستخدم هنا تعبير «زوجة» لتيسير الفهم.

نقول: لقد حرَّر الإسلام المرأة، وأنصفَها، وكرَّمها، باعتبارها إنسانًا، وباعتبارها أنثى، وباعتبارها بنتًا، وباعتبارها زوجة، وباعتبارها عضوًا في

QaradawiBooks.com

المجتمع، هذا ما جاء به الإسلام وقرَّره بنصوصه القاطعة، ومقاصده الكليَّة، وتطبيقاته العمليَّة، خصوصًا في عصر النُّبوَّة، وعصر الراشدين.

ولكنَّ المسلمين ـ إلَّا من رحم الله ـ بدؤوا يتخلَّون للأسف شيئًا فشيئًا عمَّا قرَّره الإسلام في شأن المرأة، فالإسلام الَّذي أنصفها وكرَّمها، جاء المسلمون من بعد فظلموها من بعد إنصاف، وأهانوها من بعد تكريم، واشترك في هذا الأمر بعض العلماء، خصوصًا المتأخِّرين منهم، كما اشتركت فيه المجتمعات بتقاليدها، فهناك مقولات في الكتب، وفتاوى من بعض الفقهاء، ظلمت المرأة، ورُبَّما أهانتها، وهناك تقاليد فُرضت على المرأة بعيدًا، وبمعزلٍ عمَّا جاء به الإسلام.

**أصل التكليف والجزاء:**

أنا أستطيع أنْ أضرب لكم أمثلة على ذلك: حينما نقرأ القرآن، نجده يخاطب الرجل والمرأة بخطاب واحد، فإذا قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾، أو ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ** ﴾، أو ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ** ﴾، أو ﴿ **يَٰعِبَادِ** ﴾. كان هذا خطابًا للرجل والمرأة، ولذلك حينما كانت أم سلمة رضي الله عنها تُمشِّطُ شعرها، وسمعت الرسول يقول: «**يا أيُّها الناس**». وضعت خمارها على رأسها، وهمَّت بالخروج، فقالت لها ماشطتها: أين تذهبين، إنَّه يقول: «**يا أيُّها النَّاس**»؟ قالت: أنا من الناس[1]. فالإسلام خاطب الرجل والمرأة خطابًا واحدًا، وكل ما كلَّفَ به الرجال كلَّفَ به النساء، إلا في أشياءَ مُعيَّنة، لاختلاف طبيعة الذكورة عن طبيعة الأنوثة، ورعاية للفطرة الَّتي فطر الله الناس عليها.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥)، عن أم سلمة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**بعضكم من بعض:**

يقول الله تعالى في الآيات الَّتي قُرئت في الجلسة الافتتاحية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

انظر إلى هذه الجملة: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. يعني أنَّ الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، هو يُكمِّلُها وهي تُكمِّلُه، لا يستغني عنها، ولا تستغني عنه. فليس بينهما عداء ولا صراع، وإنَّما ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

ثم يقول الله بعد ذلك: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾. أي: من الرجال والنساء. فَمِنَ النساء من هاجرن، ومنهنَّ من أُوذين، ومنهنَّ مَن قَاتَلن، ومنهنَّ مَن قُتلن. ونحن نعلم أنَّ أوَّل صوت ارتفع بتأييد دعوة رسول الله ﷺ كان صوت امرأة، هي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[1]، وأوَّل من أريق دمه في الإسلام لم يكن رجلًا، بل كان امرأةً، هي سُميَّة، أمُّ عمَّار، وزوج ياسر[2]، رضي الله عنهم جميعًا، فالمرأة يمكن أنْ تهاجر، وتقاتل، وتُقتل، وهذا أمر واضح.

يقول الله سبحانه أيضًا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]. في مقابل: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٨٨.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾. فللمرأة وظيفةٌ اجتماعيَّة كالرجل، هي وظيفةُ الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والوظائف السياسيَّة كلها من مقتضيات وظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالمؤمنات مع المؤمنين جنبًا إلى جنب.

## آراء ومواقف تخالف نظرة الإسلام للمرأة:

الحقيقة أنَّ آيات القرآن الكريم كلها تُنصف المرأة وتُكرِّمها، والأحاديث الَّتي عُني أخونا عبد الحليم أبو شقَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحشدها واستيعابها كلها تنصف المرأة وتُكرِّمها، ولكننا وجدنا للأسف مواقف للعلماء والفقهاء تختلف كثيرًا عمَّا قرَّره القرآن والسُّنَّة، نتناول بعضها فيما يلي من حديثنا.

## حقيقة الزواج:

كنت أقرأ في كتاب «الإحياء» للإمام الغزالي، وهو يتحدَّث في كتاب النكاح، كان كلامه جيدًا جدًّا، ولكن شابته كلمةٌ صار يتَّكئ عليها الآن كثيرون للتشنيع على الإسلام، هذه الكلمة في باب حقوق الرجل على امرأته، بدأها بقوله: القول الشافي فيه أنَّ النكاح نوعُ رِقٍّ، فهي رقيقة له[1]. أي أنَّ الزوجة أَمَة. من أين جاء الإمام الغزالي بهذا الكلام؟ مَنْ قال: إنَّ النكاحَ نوعُ رِقٍّ؟

هناك حديث للنبيِّ ﷺ في حجَّة الوداع، يوصي فيه الرجال بالنساء فيقول: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنَّما هنَّ عوانٍ عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أنْ يأتين بفاحشةٍ مُبَيِّنة، فإن فعلْنَ**

(١) إحياء علوم الدين (٥٦/٢).

QaradawiBooks.com

**فاهجروهنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضربًا غير مُبَرِّح، فإنْ أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلًا، ألا إنَّ لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا، فأمَّا حقُّكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقُّهن عليكم أنْ تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»**[1].

وكلمة عَوانٍ جمع عانٍ أو عانية، وهو الأسير، والمعنى: أنَّ المرأة أسيرة عندك أيُّها الرجل، أي تحت سلطانك، فأحسن إليها، واتَّق الله فيها. فهل يؤخذ من هذا أنَّ النكاح نوعُ رِقٍّ؟ كيف يقال ذلك؟ وأين ذلك من قول الله تعالى في وصف الزواج: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ومن العبارات الَّتي قالها بعض الفقهاء: إنَّ الرجل يدفع المهر ليملك البُضْع[2]. ولا دليل على هذا القول إطلاقًا، إنَّ أركان الحياة الزوجيَّة هي: السكن، والمودَّة، والرحمة. وإذا كان الرجل يستمتع بالمرأة، فإنَّ المرأة تستمتع كذلك بالرجل، فالاستمتاع أمر مشترك بينهما، وهذا ما يُؤكِّده القرآن: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فلماذا جعلوا معنى الزواج استيلاءَ الرجل على المرأة ليستمتع بها؟ الحقيقة أنَّ هذا الكلام لبعض الفقهاء لا يقرُّهم عليه القرآن الكريم، ولا تقرهم عليه السُّنَّة النبويَّة.

(١) رواه الترمذي في الرضاع (١١٦٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في النكاح (١٨٥١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٠)، عن عمرو بن الأحوص.

(٢) بدائع الصنائع للكاساني (٢٨٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

**ذهاب المرأة إلى المسجد:**

وقد شدَّد بعض الفقهاء على المرأة في بعض الأوقات تشديدًا كبيرًا بمنعها من الذهاب إلى المساجد، مع أنَّ المرأة في عهد الرسول ﷺ، كانت تذهب إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس، حتَّى صلاة العشاء والفجر، وفي وقتٍ لم تكن فيه الطرق مُضاءَة، ولا مرصوفةً، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كان يصلي الصبح بغَلَس، فينصرفْنَ نساءُ المؤمنين لا يعرفن من الغَلَس» أو «لا يعرف بعضهنَّ بعضًا»[١]. يعني أنَّ الظُّلْمة لا تزال قائمة، ومع ذلك لم يمنعهن، بل قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله**»[٢].

وكانت عاتكة رضي الله عنها ـ زوج عمر بن الخطاب ـ تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أنَّ عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أنْ ينهاني؟! قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ**»[٣]. فظلَّت تُصَلِّي في المسجد، حتَّى حينما طُعِن عمر كانت موجودة في المسجد[٤].

وحينما قال سيِّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا استأذنكم نساؤكم باللَّيْل إلى المسجد، فأذنوا لهنَّ**». قال له أحد أولاده: «والله، لا ندعهنَّ يخرجْنَ فيتَّخذنه دَغَلًا». يعني يخادعن به لمآرب

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٧٣)، ومسلم في المساجد (٦٤٥).
(٢) سبق تخريجه صـ٢٩١.
(٣) سبق تخريجه صـ٢٩١.
(٤) رواه أحمد (٤٥٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

QaradawiBooks.com

سيِّئة، فغضب عليه ابن عمر، وقال: أُحَدِّثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنَعْهُنَّ؟! والله لا أُكَلِّمُك. فما كلَّمه حتَّى مات غضبًا لسُنَّة رسولِ الله ﷺ[١].

وقد عاشت السيِّدة عائشة رضي الله عنها حتَّى العصر الأموي، فرأت بعض النساء اللواتي انحرفن عن الهدي النبوي، فقالت هذه الكلمة تنكر بها عليهن: لو أنَّ رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمَنَعَهُنَّ المسجدَ، كما مُنعتْ نساءُ بني إسرائيل[٢]. تريد أنَّ النبيَّ ﷺ أمرهنَّ أنْ يذهبنَ إلى المسجد تفلات، غير مُتطيِّبات، ولا مُتعطِّرات، ولا مُتبرِّجات، فلو عرف هذا لَمَنَعهنَّ، فجاء بعضُ العلماء واتَّخذ من هذه الكلمة تكأة لمنع النساء من المساجد.

وقد كانوا في أوَّل الأمر يمنعون المرأة الشابَّة من الذهاب إلى المسجد، ويجيزونه للمرأة العجوز، فلمَّا جاءت العصور المتأخرة، وُجِدَ من قال: لا، حتَّى العجوز لا ينبغي لها أنْ تذهب إلى المسجد. وقال شاعرهم:

**لكلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سوقُ**[٣]

أي أنَّ للمرأة العجوز واحدًا شائبًا سينظر لها، فمنعوا المرأة العجوز والشابَّة، وحُرِّمت النساء تمامًا من الذهاب إلى المسجد.

---

(١) رواه أحمد (٤٩٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٦٩.

(٣) سبق عزوه صـ٢٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**تعليم المرأة:**

وقد نشأت في صباي فوجدت النساء في الريف جاهلات بالدين تمامًا، وكثيرات منهن لم يركعن لله ركعة، ومع ذلك يصُمْنَ رمضان كلَّه، حتَّى وهُنَّ حُيَّضٌ، يستكثرن أنْ يفطرن فيه؛ فما علَّمهن أحد، وكان جهلُهُنَّ أثرًا من آثار مَنعِهنَّ من المساجد، وقال الفقهاء الذين منعوها: على أبيها أنْ يعلِّمها، وعلى زوجها أنْ يفقِّهها. ولكن إذا كان أبوها نفسه غير متعلِّم، وزوجها غير متفقِّه، فكيف تتعلم المرأة وتتفقه؟ وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العُميان تهديه، ولذلك بقيت المرأة جاهلة بالدِّين إلى هذا الحدِّ، رغم وضوح الأحاديث القوليَّة، ووضوح السُّنَّة العمليَّة، بذهاب المرأة إلى المسجد خمس مرَّات.

والعجيب أنَّ المرأة إلى اليوم ـ في كثير من البلاد الإسلامية ـ لا تذهب إلى المسجد، وحين ذهبتُ إلى الهند، وباكستان، وبنجلاديش، وألقيت محاضرات في آلاف من النَّاس في تلك البلاد، وقلت لهم: لماذا لا تحضر النساء إلى المسجد؟ فقالوا: يُحرِّم المذهب الحنفي هذا. فقلت: وماذا عمَّا يقوله المذهب الحنفي من أنَّ على الزوج أنْ يُعَلِّمَ زوجته. هل ستذهبون إلى بيوتكم وتُعلِّمون زوجاتكم خلاصة هذه المحاضرة؟ قالوا: لا. قلت: كيف تمنعونهن إذنْ؟!

إنَّ الذهاب إلى المسجد ليس المقصود منه أداء العبادة فقط، بل علاوة على ذلك يتعلم فيه المسلم دينه، وطلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، فلماذا تُحرَم المرأة من التَّعلُّم بمنعها من الذهاب إلى المسجد؟ ثمَّ هي تتعرَّف على أخواتها المسلمات الأخريات، وقد يتعاونَّ على عملٍ من أعمال الخير والبر، فلماذا تُحرَم المرأة من هذه العبادة الجماعيَّة.

QaradawiBooks.com

ومن العجيب أنَّ المرأة في عصرنا خرجت من بيتها، وذهبت إلى المدرسة، وذهبت إلى الجامعة، وذهبت إلى السوق، وسافرت إلى أنحاء العالم، ومع هذا بقي المسجد وحده هو المُحرَّمُ عليها.

ورغم أنَّ المرأة النصرانيَّة ذهبت إلى الكنيسة، والمرأة اليهوديَّة ذهبت إلى البيعة، والمرأة المجوسيَّة ذهبت إلى المعبد، إلا أنَّ المرأة المسلمة هي الَّتي حرمت من حقِّها في الذهاب إلى المسجد، ومنعت من الكثير من الخير، والمشكلة أنْ يتم هذا باسم الدين.

**الأيسر والأحوط:**

ولذلك نقول أيُّها الإخوة والأخوات: إنَّ أخانا عبد الحليم رَحِمَهُ اللَّهُ، جمع هذه النصوص كلَّها لتساند المرأة في موقفها، وتساند الداعين إلى الإسلام الحقِّ، الإسلام الصحيح، إسلام المنهج الوسطي، أو الصراط المستقيم، تساند هؤلاء في أنْ تأخذ المرأة حقَّها في عبادة الله، وفي المشاركة في مختلف أمور الحياة ونواحيها.

لقد ظلم بعض العلماء المرأة في كثير من الأحيان، وخصوصًا في العصور المتأخرة، وهذا الظلم في الحقيقة ليس له سند، لا من الكتاب، ولا من السُّنَّة.

وأنا ألاحظ أنَّه كلما نظرنا إلى العصور الأولى، إلى عصر النبوة، ثمَّ إلى عصر الصحابة، ثمَّ إلى عصر التابعين؛ نجد التيسير في أمور الإسلام واضحًا، فإذا نزلنا إلى العصور اللاحقة وجدنا كل عصر يشدِّد عما قبله، ويضيف بعض القيود، ونحن نعرف أنَّ هناك من يأخذ بالأحوط، وهناك من يأخذ بالأيسر، وكلما تأخَّرنا عن العصور المُتَقَدِّمة

QaradawiBooks.com

كان الاتِّجاه إلى الأحوط هو أغلب، حتَّى صار الدِّين في النهاية مجموعة من الأحوطيَّات، والأحوطيَّات هي الأشد والأثقل، وتراكم الأحوطيَّات بعضها على بعض يجعل الدِّين آصارًا وأغلالًا، وقد بعثَ الله محمَّدًا ﷺ ليضع عن الناس إصْرَهم، والأغلال الَّتي كانت عليهم، وهذا هو وصفه في التوراة والإنجيل، كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

من هنا نقول: لقد أعطى الإسلام للمرأة مساحةً كبيرةً في الحياة، وقد كان المتقدِّمون دائمًا أفضل من المُتأخِّرين، في الحفاظ على هذه المساحة.

لو نظرنا مثلًا إلى كتاب الإمام البخاري، نجده يقول: باب غزو النساء وقتالهن. ويذكر ما جاء في ذلك من أحاديث، باب عيادة الرجال للنساء، باب عيادة النساء للرجال، باب إلقاء السلام على النساء، إلقاء الرجال السلام على النساء، إلقاء النساء السلام على الرجال. تقرأ هذا في صحيح البخاري.

**وجه المرأة:**

وليس الفقهاء في مرتبة واحدة في موقفهم من المرأة، وقد وجدت أنَّ الإمام محمد ابن حزم هو أعظم فقيه أنصف المرأة، فجعل من حقِّها أنْ تتولَّى القضاء في الأموال، وفي الجنايات، وفي الحدود، وفي كلِّ

QaradawiBooks.com

شـــيء[١]، حتَّى قال: يمكن للمرأة أنْ تكون نبيَّة. وقـــال: إنَّ مريم كانت نبيَّـــة، ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمـــران: ٤٢]. قـــال: حدثتها الملائكة. وأنَّ أم موســـى كانت نبيَّـــة، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧][٢]. إلى هذا الحد ذهب برأيه.

كما كان يرى جواز كشف المرأة وجهها، ويقول: لو كان ستر الوجه واجبًا ما قال الله تعالـــى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. ولكن كان يقول: وليضربن بخمرهن علـــى وجوههن. فلم يأمر بضرب الخمار على الوجوه أبدًا[٣]. وهذا صحيح، وهو رأي جمهور العلماء، وإن كانت قد نبتت في عصرنا فئة تجعل كشف المرأة وجهها معصيةً أو كبيرةً.

وحين كان يناقشـــني بعضهم، قلت له: يا أخي، تريـــد أنْ أقول: إنَّ هؤلاء الأخوات اللاتي عُدنَ إلى الحجـــاب باختيارهن في أنحاء العالم آثمات؟ قال لي: نعم. قلـــت له: لكنَّ هذا الأمر مختَلـــفٌ فيه، والأمور المختلَف فيها لا يجوز الإنكار فيها، والآيات، والأحاديث، والتَّطبيقات العمليَّة تدلُّ كلها على أنَّ النساء في عهد النبي ﷺ كُنَّ سافرات الوجوه، لم يكُنَّ يلبســـن نقابًا إلا القليل، حتَّى إنَّ الـــراوي في بعض الأحاديث يقول: جاءت امرأة تســـأل النبيَّ ﷺ، وكانت منتقبـــة. كأن هذا الأمر قد لفت نظر الراوي، حتَّى صرَّح به، لأن الأصل في ذلك الوقت هو سفور الوجه. والله تعالى حين يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النـــور: ٣٠]. فإذا كانت المرأة تمشي كخيمة سوداء، مثلما نرى في بعض الأحيان، فعمَّا يغضُّ الرجل بصره إذا لم يكن هناك

(١) انظر: المحلَّى (٥٢٧/٨، ٥٢٨)، المسألة (١٨٠٤).
(٢) الفصل في الملل لابن حزم (١٣/٥)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٣) المحلى (٢٤٧/٢) مسألة (٣٤٩).

QaradawiBooks.com

ما يغض بصره عنه؟ فللأسف هناك من تشدَّدوا في قضية المرأة، وما زالوا يتشدَّدون.

وإذا كنا نقول: إنَّ الإسلام كرَّم المرأة وأنصفها ـ كما تدلُّ على ذلك الأدلة المتكاثرة ـ فإنَّ بعض الناس يتوقَّفون عند بعض القضايا، مثل أنَّ شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، أو أنَّ ميراث البنت نصف ميراث أخيها، ويجعلون منها قضايا كبيرة، ولو نظروا إلى هذه الأمور في حدودها وفي إطارها، وفهموا فلسفتها جيدًا؛ لعرفوا أنَّ الإسلام لم يظلم المرأة.

**شهادة المرأة:**

فمثلًا قضية الشهادة، ذكرها القرآن الكريم في موضع الاستيثاق، حينما ينشئ الإنسان عَقدًا ويريد أنْ يوثِّقه، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. لماذا كانت امرأتان في مقابل رجل واحد؟ لأنَّ اهتمام المرأة وانشغالها بالقضايا المدنيَّة والماليَّة أقل من اهتمام الرجل وانشغاله بها، ومعروف أنَّ انتباه الإنسان للأمور على قدر اهتمامه وانشغاله بها، وما كان غير ذلك لا يُركزِّ عليه تمامًا، ولا يحفظه تمامًا، ولا يستظهره تمامًا، فمن أجل ضمان حق الإنسان قال الله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾. وعلَّل ذلك بقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾. إذا نسيت المرأة الأولى تقول لها المرأة الثانية: ألا تذكرين يا أمَّ فلانة حين كنَّا في المكان الفلاني، في اليوم الفلاني، وحدث كذا وكذا، فتذكر إحداهما، فليس لأنَّ المرأة أقلُّ عقلًا أو أقل ذكاء، هذا غير

QaradawiBooks.com

صحيح، لأنَّ هناك أمور تُقْبل فيها شهادة المرأة وحدها، مثل القضايا المُتَعَلِّقة بالحيض، والنفاس، والولادة، وأمثالها، وفي ما يُسمَّى المجتمعات النسائيَّة الَّتي لا يتواجد فيها الرجال، مثل الحمامات الخاصة بالنساء، أو في الأعراس النسائيَّة، إذا حصلت جناية وضربت امرأةٌ امرأةً أخرى فشجَّت رأسها، فمن يشهد على ذلك غير النساء؟ هنا تكون شهادة المرأة مقبولة وإن كانت وحدها، فليست أقلَّ عقلًا أو ذكاءً، والإسلام لا يهين المرأة أو يُقَلِّل من قيمتها.

**ميراث المرأة:**

كذلك قضيَّة الميراث، ففي بعض الحالات يكون ميراث المرأة مثل الرجل، ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]. وكذلك في الإخوة والأخوات من الأم قال: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢]. ذكورًا كانوا أو إناثًا فهم جميعًا متساوون.

لهذا نقول: إنَّ قضية ميراث البنات والأبناء لها خصوصيَّة معيَّنة، قضية ميراث المرأة، فهي مبنيَّة على التكاليف الماليَّة لكل من الرجل والمرأة، فعلى الرجل تكاليف ليست على المرأة، وأضرب لكم مثلًا: لو مات رجلٌ، وخلَّف وراءه ابنًا وبنتًا، وترك لهما ثلاثمائة ألف، وكانا أعزبين لم يتزوجا، حينها سيرث الابن مائتي ألف، وسترث البنت مائة ألف، فإذا أراد الابن أن يتزوج، أعطى امرأته مهرًا خمسين ألفًا، فصار لديه مائة وخمسون ألفًا، وإذا تزوَّجت البنت هي الأخرى أعطاها زوجها خمسين ألفًا، فصار لديها مائة وخمسون ألفًا، وقد يتكلَّف الزوج فوق المهر تكاليف الأثاث والمنزل والنفقة على البيت، ولذلك يقول الله

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤]. فالرجل ينفق من ماله على المهر، وينفق من ماله على البيت، أمَّا المرأة فليست مُطالَبة شرعًا بأنْ تنفق على البيت، ولو كانت من أغنى الأغنياء، إلا من باب مكارم الأخلاق، فهذا من أسرار التفاوت بينهما في الميراث، كونه مبنيًّا في الإسلام على تفاوت التكاليف المالية الشرعية بين الرجل والمرأة.

أنا أقول: إنَّ شريعة الإسلام لم يضعها الرجال حتَّى يتحيزوا للنساء ولكن وضعها ربُّ الرجل والمرأة ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، فلا يتصور أنْ يكون منه تَحيُّزٌ لأحد من خلقه، لذلك كانت شريعة الإسلام تحقِّق العدل المطلق بين الرجل والمرأة على حد سواء.

إنَّ المرأة في الإسلام مساوية للرجل، في أصل التَّكليف، وفي الكرامة الإنسانيَّة، وفي الحقوق والواجبات الأساسيَّة، ولكن هذه المساواة لا تعني أنَّ المرأة مطابقة للرجل، وإلا فلا معنى لذكرٍ وأنثى، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ ـ ٣]. فكما أنَّ هناك ليلًا ونهارًا متقابلين، ولا يمكن أنْ تنتظم الحياة إلا بهما، ولا يجوز أنْ يقال: النهار أفضل من الليل، أو الليل أفضل من النهار؛ كذلك هناك ذكرٌ وأنثى، ولا يجوز أن يقال: الذكر أفضل من الأنثى. والإسلام إنَّما يريد أنْ يُحقِّق العدل بينهما.

جاء الإسلام وأنصف المرأة وأعطاها حقوقها في كلِّ ناحية من النواحي، لكن المشكلة في كثير من الأفهام، وكثير من الفتاوى الَّتي شدَّدت على المرأة، وفي كثير من التقاليد الَّتي سجنت المرأة وحبستها في بيتها، مع أنَّ القرآن جعل الحبس في البيوت ـ في أوَّل الإسلام قبل

QaradawiBooks.com

أن يستقر التشريع ـ عقوبةً من عقوبات الكبيرة على إتيان المرأة الفاحشة، ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥]. فهؤلاء الذين حبسوا المرأة ظلموها من غير شك، وليس معهم في ذلك نصٌّ.

جاء الإسلام ليقول: إنَّ المرأة تشاركُ الرجال في كلِّ شيء. ولكن هذه التقاليد والفتاوى حبست المرأة، كما في أمر الخِطْبة مثلًا، إذا أراد الرجل أنْ يخطب امرأة لا يسمح له برؤيتها، وصاروا في عصرنا يرسلون إلى الخاطب صورة فوتوغرافيَّة للمرأة ليطالعها عوضا عن رؤيتها ماثلة، رغم أنَّ النبيَّ ﷺ أمر برؤية المخطوبة، وقال: «**انظرْ إليها؛ فإنَّه أحرى أنْ يؤدم بينكما**»[(١)]. «**انظر إليها؛ فإنَّ في أعيُنِ الأنصار شيئًا**»[(٢)]. لكنَّهم لا يسمحون له برؤيتها، وإنَّما يرى صورتها فقط، ثمَّ يعقد عليها، وأهل الخليج يقولون: يملك عليها. أي: تصبح زوجته. وهو لم يرها إلا ليلة الزفاف.

وهذه الفتاة تذهب إلى المدرسة إنْ كانت في المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى الأسواق، وتسافر إلى القاهرة، وبيروت، ولندن، وباريس، ويراها كل الرجال إلا واحدًا مسكينا هو الخاطب أو الزوج، المسكين الَّذي لا يراها، ليلة الدخلة أو ليلة الزفاف.

وهذه التقاليد ـ الَّتي ما أنزل الله بها من سلطان ـ هي الَّتي جعلت المرأة في الحج تطوف وهي متنقبة لابسة النقاب، أو «البطولة»، أو

(١) سبق تخريجه صـ١٨.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«البرقع»، أو ما يُسمُّونه، مع أنَّ الرسول ﷺ يقول: «**لا تنتقب المُحْرِمة، ولا تلبس القُفَّازين**»[١].

وقد كنت في سنة من السنوات أحج أنا وأهلي وبناتي، فإذا برجل يقف في المسعى ويقول: غطِّي يداك يا امرأة، غطِّي يديك يا امرأة. فقالت لي ابنتي: يا أبي، نحن درسنا في الفقه بالمدرسة أنَّ إحرام المرأة في وجهها. قلت لها: صحيح. قالت: إذن لماذا يقول هذا الرجل: غطِّي يديك يا امرأة؟ قلت لها: انتظري. حتَّى إذا كنا عند هذا الرجل، قلت له: بدل أنْ تقول غطِّي يداك يا امرأة، قل لهذه المتنقِّبة: اكشفي وجهك يا امرأة. قال: كيف؟ قلت له: لأنَّ الرسول ﷺ قال: «**لا تنتقب المُحْرِمة**». قال: (آه).. «**لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين**». قلت له: يعني أنت تحفظ الحديث إذنْ. قال: نعم، ولكن مدلول الحديث هو كذا. قلت له: أنتم دائمًا ضدَّ التأويل، لماذا تجيئون عند هذه القضية وتؤولون الحديث، مع أنَّه حديث صريح؟!

إنَّ هؤلاء لو استطاعوا أنْ يمنعوا المرأة من الطواف بالكعبة في وجود الرجال، بأنْ يجعلوا يومًا للرجال، ويومًا للنساء، أو أنْ يجعلوا الطواف في الصباح للرجال، والطواف في المساء للنساء ـ لفعلوا، فهذا التشديد ما أنزل الله به من سلطان، إلا سلطان التقاليد، الَّتي يقررها ـ للأسف ـ أناس ينتسبون إلى أهل العلم، ويلبسونها لبوسًا دينيًّا، فيشدِّدون على المرأة المسلمة بغير حق، وبغير مبرر.

ونحن أيُّها الإخوة والأخوات، ندعو المرأة المسلمة إلى أن تتمسَّك بكتاب ربها، وسنة نبيِّها ﷺ، وستجد فيهما ما يدفعها إلى أنْ تشارك في

(١) رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٨)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة صفية
QaradawiBooks.com

الحياة العامة بحرية، وقوة، وعزيمة، وأنْ تكون مع أخيها الرجل، أو مع شقيقها، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّما النساء شقائق الرجال**»[1]. تساهم مع شقيقها في بناء المجتمع على أسس سليمة، وبهذا تنهض الأُمَّة، وتعمل بجناحيها، وتتنفَّس برئتيها جميعًا، في ظلِّ الإسلام، وتحت راية القرآن، وتحت لواء محمد عليه الصلاة والسلام.

أكتفي بهذا القدر؛ لأفتح الباب للمناقشة والتعقيب.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٢٦٨.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

## إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

### سفر المرأة بدون مَحْرَم:

**السؤال الأوَّل:** ما حكم سفر المرأة مع عصرنا بدون مَحْرم، وهل يشترط له إذن زوجها؟

**الجواب:** يجوز أنْ تسافر المرأة في عصرنا بدون محرم، ما دامت تسافر في حالة أمنٍ واطمئنان، ومن المعروف أيُّها الأخوة: أنَّ أحكام الشريعة الإسلاميَّة في أمور الحياة الدنيا ومعاملاتها أحكام مُعلَّلة، وقد ذكر الإمام الشاطبي أنَّ الأصل في الأمور الشعائرية والتعبدية: أنْ تُؤخذ كما وردت، ولا يطلب فيها المقصد، أو السر، أو العِلَّة؛ لاحتمال أنْ يكون فيها معنًى تعبديٌّ لا نعرفه، والأصل في الأمور العادية أو المعاملات: أنْ يُنظر فيها إلى المقاصد، والأسرار، والمعاني، والعلل[١]. وحينما قررت الشريعة أنَّ المرأة لا تسافر إلا مع محرم، كانت الأسفار حين ذاك في البراري والقفار، الَّتي يهلك فيها الرجل نفسه، فكيف بالمرأة؟ ولذلك النبي ﷺ نهى عن الوحدة، أنْ يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده[٢]. وقال: «**الراكب شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ**»[٣]. كان ذلك من أجل الأمان.

---

(١) انظر: الموافقات (٢/٣٠٠ ـ ٣٠٥)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) رواه أحمد (٥٦٥٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٠٨): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٩١٩). عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٦٧٤٨)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٢/١٠٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

أمَّا الآن فإذا سافرت المرأة في الطائرة، مع مئات من الناس، في حالة أمن واطمئنان، فقد انتفت العلَّة من منعها، ولذلك قال كثير من الفقهاء: إنَّ المرأة تستطيع أنْ تحج بدون محرم، إذا كانت مع نسوة ثقات، في وجود الأمان. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]. والشافعية قالوا: يجوز لها السفر مع امرأة ثقة[٢]. فهذه أحكام معللة، والمقصود هنا هو الأمان.

وسفر المرأة بإذن زوجها قضيَّة أخرى، فهي تسافر طبعًا بإذنه، وتركب الطائرة بإذنه، في صحبة مأمونة آمنة، بحيث لا يكون في سفرها خطرٌ عليها.

**العودة إلى الأصل عودة إلى التيسير:**

**السؤال الثاني:** شغلت قضايا المرأة حيِّزًا كبيرًا من كتابات الشيخ محمد الغزالي، وقد تعرض بسببها لنقد لاذع، فما تقويمكم لموقف الشيخ الغزالي؟ ثمَّ إنَّ استعمال لفظ «المُتَشَدِّدين» يجري على ألسنة المتغرِّبين، وأنصاف المتعلِّمين، أليس الأجدر بكم التخلِّي عن هذا اللفظ؟

**الجواب: أوَّلًا:** موقف الشيخ الغزالي هو موقف الشيخ عبد الحليم أبو شقة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو موقفي، هو موقف مدرسة واحدة، هي مدرسة الاعتدال والتوسط والتيسير في شؤون المرأة، ورفع الحرج والإعنات عنها، من خلال نصوص الشريعة نفسها، فنحن لا نأتي بدين جديد.

(١) انظر: الفروع لابن مفلح (٢٤٥/٥)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: المجموع للنووي (٨٧/٧).

QaradawiBooks.com

**ثانيًا:** هذا التَّشدُّد كما ذكرت هو ما كان عليه الحال، كثرة التَّحوُّطات والإضافات بغير سلطان، ونحن ندعُو إلى الرجوع إلى الأصل، إلى مَعين السهولة الأولى، إلى عصر النَّبيِّ ﷺ والصحابة ومن تبعهم بإحسان، وهناك من يقول: الأخذ بالأحوط هو الأتقى، والأخذ بالأيْسَر رقَّة في الدين، وقلة ورع. ولذلك يعتبر بعض الناس أنَّ المفتي الَّذي ييسر على الناس هو رجل قليل الدين، ومن يشدِّد عليهم هو رجل تقي، وبعض الناس يدخل سوق المزايدة من أجل أنْ يظهر أنَّه رجل تقي، وفي هذه السوق لا يَكتفي بتحريم الرأي المعارض، لا، بل يعتبره من الكبائر! لهذا نقول: التيسير هو روح الإسلام، إذا عدنا إلى زمن النبي ﷺ نجد أنَّه كان أكثر الناس تيسيرًا، وكان الصحابة في ذلك على إثره، والتابعون قريبون من الصحابة، حتَّى أخذ التشدد ينمو أكثر فأكثر، من عصر إلى عصر، فلا بدَّ من الرجوع إلى الأصل، إلى العصر الأول، عصر التيسير.

## الطاعة في المعروف:

**السؤال الثالث:** يقول البعض: إنَّ طاعة المرأة لزوجها طاعة مطلقة طالما لا يأمر بالمعصية واستدل بحديث: «**لو أمرتُ أحدًا أنْ يسجد لأحدٍ لأمرتُ الزوجة أنْ تسجد لزوجها**»[1]. ويقولون: هل النَّار للمرأة، والجنَّة للرجل حتَّى وإن كان ظالمًا؟

**الجواب:** ليس في الإسلام طاعة مُطْلَقة إلا لله تبارك وتعالى، والله تعالى قال لنبيِّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ

(١) رواه أحمد (١٢٦١٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٦)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة: ١٢]. قيَّد اللهُ طاعةَ النبيِّ ﷺ بأنْ تكون في المعروف: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾. وفي الحديث: «**إنَّما الطَّاعةُ في المعروف**»[(١)].

وقد قرَّر القرآن الكريم التَّشاور بين الزَّوجين في فِطام الرضيع، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال النبي ﷺ: «**آمروا النساء في بناتهنَّ**»[(٢)]. حتَّى جاء من يقول: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ.

وهذا كلام لم يرد عن النبيِّ ﷺ، ومشكلة المسلمين للأسف في شيوع الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وما لا أصل له في أوساطهم، وفي ضياع الأحاديث الصحيحة، وكم سمعت مَنْ يقول: سأل الرسول ﷺ ابنتَه فاطمة: «**أيُّ شيءٍ أصلح للمرأة؟**» فقالت: ألَّا يراها رجل، ولا ترى رجلًا. ثمَّ قبَّلها بين عينيها، وضمَّها إلى صدره، وقال: «**ذريَّة بعضها من بعض**»[(٣)]. وهذا حديث ضعيف جدًّا، كيف وكل الدلائل أكَّدت على أنَّ المرأة ترى الرجل، وأن الرجل يراها؟ والأحاديث: «شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[(٤)]، «دفن البنات من المَكْرُمات»[(٥)]، «لا تُسكنوهنَّ الغرف،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٠)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٧.

(٣) رواه البزار (٥٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار وفيه من لم أعرفه (١٥٢٠٠). وضعف العراقي سنده في تخريج الإحياء صـ٤٨٥.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٤٠.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٦٣)، وفي الكبير (٣٦٦/١١)، وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٣٦/٣): لا يصح عن رسول الله ﷺ. وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٩٥): موضوع.

QaradawiBooks.com

ولا تعلموهنَّ الكتابة»[١]. هي من الثقافة الَّتي ضيَّعت المسلمين، فعلينا أن نستضيء بالثقافة الصحيحة، والحقيقة أنَّ كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» يُقدِّم لنا الثقافة الأصيلة المُوثَّقَة من القرآن الكريم، ومن البخاري ومسلم، وليس هناك بعد ذلك أوثق وأعلى من هذه المصادر.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله على مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه الحاكم في التفسير (٣٩٦/٢)، وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل موضوع. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٧) قال: وهذا بهذا الإسناد منكر. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

١٢

# كيف نتعامل مع قضايا المرأة؟(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا وقائد دربنا محمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، تحيَّةً من عند الله مباركةً طيبةً، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للمجلس الأعلى لشؤون الأسرة أنْ أتاح لي الفرصة لألتقي بهذا الجمع الطيِّب؛ لنتحدَّث عن موضوعٍ من أهم الموضوعات التي يحتاج المسلمون إلى تجليتها، في ضوء حقائق القرآن والسنَّة، وقواعد الشريعة الإسلاميَّة ومقاصدها ونصوصها؛ حتى يتبيَّن لنا الحقُّ من الباطل، ليحيى من حيَّ عن بيِّنة، ويهلك من هلك عن بيِّنة.

(١) ألقيت في الدوحة، بدعوة من المجلس الأعلى لشؤون الأسرة القَطَريّ، في ١٣ أبريل ٢٠٠٢م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## نجتمع رغم الآلام:

وأودُّ أيُّها الإخوة، أنْ أقول: إنَّ المرء في هذه الأيام لا يكاد يسعفه البيان أو اللسان للحديث في أيّ موضوع من الموضوعات، أو قضيَّةٍ من القضايا، وعندنا قضيَّة تَطرح نفسها على كل ندوةٍ، وعلى كل مجلسٍ، وعلى كل مُحاضِرٍ، وعلى كل متحدِّثٍ، هي قضيَّة القضايا، وأمُّ القضايا، قضيَّة المسجد الأقصى، وأرض الإسراء والمعراج، قضية فلسطين.

ومع هذا فلا بَّد للحياة أنْ تمضي، ولا بدَّ للسفينة أنْ تسير، بسم الله مجراها ومرساها، ولا يمكن أن نُعطِّلَ الحياة من أجل هذه المأساة، فلا بدَّ لنا أن نتداعى، ونتدارس، ونتذاكر، ونتناقش في أمورنا، ما دُمنا في إطار الشريعة، وفي إطار هذا الدين العظيم، الذي أكرمنا الله تعالى به، وأتمَّ به النعمة علينا، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

## مكانة المرأة في المجتمع:

أيُّها الإخوة والأخوات، يقولون: إنَّ المرأة نصف المجتمع. وهذا صحيح، فالمرأة نصف المجتمع بحُكم العدد، فقد جرَتْ سُنَّة الله تعالى أنَّ عدد الرجال يكاد يكون متساويًا مع عدد النساء، حتى إنَّ بعض الدارسين يتَّخذ من هذا دليلًا على وجود الله ﷻ، على أنَّ وراء هذا الكون قوَّةً عُليا، لأنَّ الناس لو تُرِكوا لأهوائِهم وشهواتِهم لاختاروا الذكور، وهذا من سوء فهمهم؛ لأنَّه لا يوجد ذكور بلا إناث، ولكنَّ القوَّة التي تُشرِف على هذا العالم، قوَّة الخالق تبارك وتعالى هي التي تُرتِّب هذا الأمر وتُنظِّمُه. فالمرأة نصف المجتمع من حيث الكمُّ والعدد،

QaradawiBooks.com

ولكنها في الواقع والتأثير أكثر من النصف؛ لأنَّ للمرأة تأثيرًا في زوجها، وتأثيرًا في أبنائها، ومن هنا كانت العناية بالمرأة أمرًا واجبًا.

ولا عجب أنْ يهتم القرآن الكريم، والسُّنَّة النبويَّة، والفقه الإسلامي، وكتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب السلوك والتربية ـ بالمرأة.

## اهتمام القرآن بالمرأة:

ذكر القرآن الكريم المرأة في سورٍ كثيرة جدًّا، ويكفي أنَّ هناك سورًا خاصَّةً بشأن المرأة، مثل سورة المُجادَلة أو المُجادِلة، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]. وسورة الممتحَنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وسورة الطلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]. وسورة التَّحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]. وسورة آل عمران، التي تتحدَّث عن أسرة عمران، وتتحدَّث عن امرأة عمران وهي أمِّ مريم، وعن ميلاد امرأة هي مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦]. عندنا سورة باسم مريم، كما أنَّ عندنا سورة النساء، وسورة النور، وعشرات السور تحدثت عن المرأة.

## الخطاب القرآني للرجل والمرأة:

ثم إنَّه كُلَّما قال الله تعالى في آيات القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ﴿يَٰعِبَادِ﴾. كان هذا خطاب للرجال

QaradawiBooks.com

والنساء جميعا، ولذلك لمَّا كانت السيدة أمُّ سَلَمة رضي الله عنها، تُمَشِّط لها جاريتها شَعرها، وسمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**يا أيُّها الناس...**». غطت شَعرها؛ لتذهب مسرعة إلى النبيّ ﷺ، فقالت لها جاريتها: إنَّه يقول: «**يا أيُّها النَّاس**». قالت: أنا من النَّاس[1].

من أجل هذا نقول: إنَّ الإسلام اهتمَّ بالمرأة؛ لأنَّها في الغالب نصف المجتمع، وهي في بعض المجتمعات أكثر من النصف، هي نصف المجتمع من ناحية الكَمِّ، وأكثر من النِّصف من ناحية التأثير أو الكيف، فلا عجب إذنْ أن نهتم بالمرأة، وبحقوق المرأة، وبواجبات المرأة، لكنهم في عصرنا يُركِّزون على الحقوق أكثر من التركيز على الواجبات.

## نظرة الإسلام في رعاية الحقوق:

وربما سأل سائل: لماذا لمْ نرَ في تراثنا الإسلامي العريض، الغنيّ، الثريّ، هذا العنوان واضحًا: حقوق المرأة في الإسلام، أو حقوق الإنسان في الإسلام؟

وأحبُّ أنْ أقول أيُّها الإخوة: إنَّ الإسلام يراعي الحقوق من حيث يهتم برعاية الواجبات؛ لأنَّ كلَّ حقٍّ لإنسان هو واجب على غيره، فحقُّ الأبِ في البِرِّ والإكرام، والطَّاعة والإحسان، هو واجبٌ على أولاده، واجبُ برِّ الوالدين، أو فريضةُ برِّ الوالدين، أو فريضة الإحسان إلى الوالدين، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فإذا أُدِّي واجب البرِّ رُعِيتْ حقوق الأُبوَّة، وكذلك حقوق الأمومة، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فإذا رُعِيَ واجبُ برِّ الوالدين رُعِيَ إذنْ حقُّ الوالدين.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٨.

QaradawiBooks.com

وفي المقابل أيضًا حقوق الأولاد في الرِّعاية والتربية والتَّعليم والنفقة وغير ذلك، هي واجبات على الأبِ، فـإذا أدَّى الأب واجبَه فقد رُعِيت حقوق أبنائـه وبناته، وهكذا فالإسـلام رعى الحقوق مـن حيث اهتمَّ بالمطالبة بأداء الواجبات.

**الحقوق بين الغرب والإسلام:**

وفلسفة الحضارة الغربية تُخالف النظرة الإسلاميَّة في هذا الجانب؛ لأنَّ الحضـارة الغربيَّـة تقوم على الاهتمـام بالحقِّ أكثر مـن الاهتمام بالواجب، فالإنسان في الحضارة الغربيَّة مُطالِبٌ سائل، بينما الإنسان في الحضارة والرسالة الإسـلامية مخلوقٌ مُكلَّفٌ مُطالَبٌ مسؤول، فشريعتُنا تقوم على التَّكاليف، أي على الإلزام بما فيه كُلْفةٌ، الإنسان في الإسلام يقول: ماذا عليَّ؟ والإنسـان في الغرب يقول: ماذا لي؟ فهناك فرق بين الفلسفتين، الإنسان عندنا يريد أنْ يُعطي، والإنسان عندهم يريد أنْ يأخذ، الإنسان عندهم نفعيٌّ أنانيٌّ، والإنسان عندنا غيريٌّ أخلاقيٌّ.

هذا هو الذي لم يجعل فلسـفة الحقوق تظهر عندنـا في الحضارة الإسلامية؛ لأنَّ فلسـفتها قائمة على رعاية الواجبات، أدِّ واجبك قبل أنْ تطالب بحقِّك، فإذا أدَّيتَ واجبَك رُعِيَـتْ حقوق الآخرين، فلا تظن أنَّ الإسلام أهمل حقوق المرأة، وأنَّها بضاعة مسـتورَدة كُنَّا في غفلة عنها، لا والله، نحن أوَّلُ من علَّم الناس الحقوق من خلال تعليمهم الواجبات، والمرأة لها حقوقٌ وعليها واجبات، وكلُّ حقٍّ يقابله واجبٌ، والعكس.

**أُمَّتنا غـنيَّة عن الاستيراد:**

ونحـن ـ أُمَّة الإسـلام ـ أغنياء بمـا عندنا، بحيـث لا نحتاج إلى الاسـتيراد من غيرنا، أو التَّسـوُّل من سوانا، فالتَّسـوُّل مع القدرة تعيبه

QaradawiBooks.com

الأخلاق، وتعاقب عليه القوانين، لا يجوز لنا أن نَتَسوَّل من على موائد الغرب، وعندنا ثروتنا القِيمِيَّة والأخلاقيَّة والتَّشريعيَّة والفكريَّة الهائلة، التي لا يُوجَد عُشر معشارها عند غيرنا، فلسنا في حاجة إلى غيرنا، ففي علم الاقتصاد لا يجوز للإنسان أنْ يستورد وعنده بضاعةٌ من صُنْعِ بلده ووطنه، هذا أمر لا يُجيزه الاقتصاد الحقيقي، ونحن عندنا ما يُغنينا عن الاستيراد، ولهذا يجب أن نقف وقفة ناقدةً فاحصةً عند ما يطرحه العالم علينا في عصرنا هذا، الذي يسمُّونه عصرَ العولَمَة.

## عصر العوْلَمَة:

والعوْلَمَة كلمةٌ حديثة صكَّها مَنْ صكَّها، وفي كل مدَّة يصكُّون لنا مصطلحات يغزون بها عقولنا وأفكارنا، ففي وقتٍ كان يقولون: الحداثة. ثم صاروا يقولون: ما بعد الحداثة. وفي وقتٍ كانوا يقولون: النظام العالمي الجديد. ثم صاروا يقولون: العَوْلمَة.

## حقيقة العوْلمة ومجالاتها:

والعَوْلمة في حقيقتها أيُّها الإخوة ـ إذا تجاوزنا التنظير والتفلسف ـ هي الأمْرَكة، عَوْلَمة النَّاس أي أمْركتهم، أنْ يصبحوا خاضعين للفلسفة الأمريكيَّة، والثقافة الأمريكيَّة، ووجهة النظر الأمريكيَّة، سواءً في مجال الاقتصاد، أم في مجال السياسة، أم في مجال الثقافة، أم في مجال الدِّين، أم في مجال الأمن، فقد ظهرت بعد أحداث (١١) سبتمبر عَوْلَمَة تُسمَّى «عولمة الأمن»، تعني أنْ يخضع العالم كله إلى نظام أمني تُسيطر عليه أمريكا، أمَّا في مجال الدواء، فقد كنا منذ ثلاثة أسابيع في الكويت، بدعوة من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، نتحدث عن العولمة والصحَّة والطب، وقالوا: هناك عولمة الدواء، شركات كبرى عالميَّة،

QaradawiBooks.com

عابرة القارات، متعدِّدة الجنسيَّات، تصنع الدواء، وتريد أنْ تسيطر على العالم بهذا الإنتاج العريض، فتسحق بذلك الشركات الوطنيَّة والمحليَّة المسكينة، إنَّ العولمة غولٌ يُريد أنْ يأكل العالم، فلا بدَّ أن نحذر منها.

**موقفنا من عولمة قضايا المرأة:**

وما تطرحه هذه العَوْلمة في جانبها الثقافي من أمور تتعلَّق بالمرأة يجب أن ننظر فيها نظرة فحص وتدقيق، لا نأخذها أخذ المقلدين، نحاكي محاكاة القردة، أو نقلد تقليد الببغاء، فنحن قوم لنا رسالتنا، ولنا تميُّزنا، ولنا شخصيتنا، لقد كنَّا الأمَّة الأولى، والعالم الأوَّل عشرة قرون، كنَّا سادة العالم، كنَّا قادة الحضارة، كنَّا معلمي البشريَّة، أشهر أسماء العلماء في العالم كانت أسماء علمائنا، وأشهر المراجع العلمية كانت مراجعنا العلمية، وأشهر الجامعات كانت في ديارنا، ولغة العلم الأولى والوحيدة في العالم كانت هي اللغة العربية، التي تعجز كثير من الجامعات الآن ـ أو تدعي العجز ـ عن تعليم العلوم والهندسة والطب والصيدلة وغيرها بها.

**الفحص والتمييز:**

لهذا أنا أقول: إذا أردنا أن نتعرف على حقوق المرأة في الإسلام فلن نتعرف عليها من وثيقة المرأة في بكين، أو في هولندا أو في نيويورك، أو من وثيقة مؤتمر السُّكان في القاهرة، تلك الوثائق التي أرادت أنْ تفرض نفسها على الأمَّة، وتلغي شخصية الأمَّة، هذا ما أريد التحذير منه، هو غزوٌ يُراد منا أن ننحني له خاضعين، وأن نستسلم له قائلين: سمعنا وأطعنا. لا، هذا الأمور ننظر إليها بعقلانية واضحة، وفي ضوء مسلَّماتنا، بعقل منفتح، لا بعقل مُغلَق.

QaradawiBooks.com

## رفض التقليد:

نحن نعارض ـ أيُّها الإخوة ـ التقليد الأعمى في شأن المرأة لعلمائنا ومشايخنا وأئمتنا السابقين، فلا نريد أن نفكِّر بعقولهم، نريد أن نجتهد لزماننا ومكاننا وبيئتنا، كما اجتهدوا لزمانهم ومكانهم وبيئتهم.

وإذا كنا نرفض تقليد أئمتنا العظام، فلا يمكن أن نقبل بأن نقلِّد فلانًا وفلانًا من قادة الغرب، إذا كنا نرفض الاغتراب في الزمان، بتقليد من هم منَّا وليسوا في زماننا، فأولى بنا أن نرفض من ليسوا منَّا وإن كانوا في زماننا.

## التَّمسُّك بالثوابت:

نحن ينبغي أن نأخذ ما نأخذ في قضايا المرأة وَفْق قواعد، فعندنا ثوابت في الإسلام لا يجوز أن نجور عليها بحال من الأحوال، فهذه الثوابت لا تقبل التجديد ولا التطوير؛ لأنَّها هي التي تُمسِك على الأمَّة وحدتها، حتى لا ينفرط عِقْدَها، وحتى لا تتمزَّق إلى أمم، نحن في حاجة إلى أن نتمسَّك بثوابت الإسلام وقطعيَّاته، نحن عندنا في الإسلام قطعيَّات وظنيَّات، والقطعيَّات في الثبوت والدلالة لا مجال فيها للاجتهاد.

## الاجتهاد في محلِّه:

أمَّا الظنيَّات فهي المجال الأوسع لإعمال العقول، لتجتهد وتُفكِّر وتستنبط وتُرتِّب أحكامًا على هذه القطعيَّات، ومن حسن حظِّنا، ومن فضل الله تعالى علينا، أنَّ معظم أحكام الشريعة، وأحكام الفقه الإسلامي ظنيَّات، قابلة للاجتهاد، تقبل أكثر من فهم، وأكثر من تفسير، وأكثر من رأي، أمَّا المنطقة المغلقة فهي محدودة جدًّا، ولكنها مع ذلك مهمَّة جدًّا، فلا يجوز أن نُذيب الحواجز بين المنطقتين، أو بين الدائرتين، هذا أمرٌ في غاية الأهمية.

QaradawiBooks.com

## وثيقة إلغاء التمييز:

لذلك أريد من إخوتنا وأخواتنا ـ خصوصًا المشغولين بهذه القضايا في المجلس الأعلى للأسرة ـ أنْ يقفوا على أرضٍ صُلبة حينما تُعرض عليهم هذه الوثائق، مثل وثيقة إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة التي يطرحونها، ما معنى إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة؟

## مجال المساواة بين الرجل والمرأة:

نحن نقول: إنَّ المرأة في الإسلام مساوية للرجل، في أصل التَّكليف، وفي الكرامة الإنسانيَّة، وفي الحقوق والواجبات الأساسيَّة، ولكن هذه المساواة لا تعني أنَّ المرأة مطابقة للرجل، وإلا فلا معنى لذكرٍ وأنثى، وهذا غير صحيح، فالقرآن يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، ويقول: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ ـ ٣]، فكما أنَّ هناك ليلًا ونهارًا متقابلين، ولا يمكن أنْ تنتظم الحياة إلا بهما، ولا يجوز أنْ يقال: النهار أفضل من الليل، أو الليل أفضل من النهار؛ كذلك هناك ذكرٌ وأنثى.

المساواة بين الجنسين قائمة في التكليف، فالمرأة مكلَّفة كالرجل، وأول تكليف صدر من الله تعالى للبشر صدر للرجل والمرأة، لآدم وحواء معًا، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾، هو تكليف بالأمر والإباحة، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، هو تكليف بالنَّهي والتحريم، بلغة المثنَّى، فالمرأة مُكلَّفة كالرجل من أول يوم في حياة البشريَّة، مطالَبة بالعبادة والعمل كالرجل،

QaradawiBooks.com

وجزاؤهما في الدنيا والآخرة واحد، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤]، فالجنَّة للرجال والنساء جميعًا، وليست للرجال وحدهم، كما في بعض الفلسفات والأديان التي تقول: إنَّ المرأة لا تصلح لدخول الجنَّة، أو التي تقول: إنَّ المرأة لا تُكلَّف إلا بعد سنِّ الأربعين. لكن الإسلام يعتبر المرأة مثل الرجل، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

## مجال التمايز بين الرجل والمرأة:

هذا هو مجال المساواة بين الرجل والمرأة، لكنْ هناك فروق طفيفة في التكاليف يقتضيها الاختلاف بين طبيعة المرأة والرجل، فالمرأة تحيض، وتلد وتنْفس، وتُرضع، وتربِّي، إلخ، وهناك أحكام تتعلق بهذه النواحي، فأصل المساواة بينهما موجود، لكنها ليست المساواة بمعني المطابقة؛ إذ ليس معقولًا إلغاء جميع أشكال التمييز، ولذلك فهم معترضون على أنْ ترث البنت من أبيها أو أمها نصف حظ الذكر، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ومعترضون على قوَّاميَّة الرجل على شؤون الأسرة، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، فالإلغاءُ لجميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة، بهذا العموم وهذا الإطلاق مرفوض عندنا، فالأصل عندنا المساواة إلا ما قطعت به الشريعة الإسلاميَّة، نحن

QaradawiBooks.com

مجتمعات مسلمة، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا، فلا نتنازل عن هذه الثوابت بحالٍ من الأحوال، ولهذا كانت لنا نظرة في قضية المساواة.

غير مرخصة للطباعة

## رعاية العدل في مجال التمايز:

وللأستاذ عباس العقَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ، كتاب اسمه «الشيوعية والإنسانية»، ناقش فيه مقولة الشيوعيين والماديين: بأنَّ المرأة يجب أنْ تكون مثل الرجل في كل شيء. وأوضح أنَّه لا يمكن أنْ تكون المساواة في كلِّ شيء؛ لأنَّ المساواة في الحقوق مع الاختلاف في الواجبات ظلم، فإذا كلَّفتَ بعض موظَّفيك دون بعضهم بشيء، فليس من العدل أنْ تساويهم جميعًا في المكافآت والرواتب؛ كما أنَّ المساواة في الواجبات مع الاختلاف في القُدرات والطاقات ظلم، فالعدلُ هو المطلوب، ولهذا يركِّز القرآن الكريم على العدل، ومعناه: أنْ تعطي لكل ذي حقٍّ حقَّه ولا تظلمه.

## موقفنا من الغزو الثقافي في قضية المرأة:

أنا أقول ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ نحن نُغزى الآن من الحضارة الغربية، ومن المؤتمرات الدولية التي جاءت الإشارة إليها هنا، فهذه المؤتمرات ليست مُقدَّسة عندنا، فهي اجتهاد بشر، نأخذ منه ونترك، والحَكَم والمعيار عندنا في الأخذ والترك هو قواطع الشريعة الإسلامية، والشريعة الإسلامية وفَّرت للمرأة الحقوق، ووفَّرت لها المناخ الذي تستطيع أنْ تمارس فيه حياتها، بقُدرةٍ، وحريَّةٍ، وكرامةٍ، وهذا هو الذي ينبغي أن نحرص عليه، ينبغي أن نُطالب بحقِّ المرأة في الحياة، مع استمساكنا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، عروة الشريعة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

## إقرار حق الخلع للمرأة:

كنت في إحدى حلقات برنامج «الشريعة والحياة» أعلق على الإصلاحات التي أراد قانون الأحوال الشخصية في مصر أنْ يُدخِلَها، وكنت مع معظم هذه التجديدات والإصلاحات، مثل حق المرأة في الخُلع، ليس معقولًا أنْ يُعطى الرجل حق الطلاق، ولا يكون للمرأة حقٌّ في مقابله، وليس معقولًا أنْ تُجْبَر المرأة على أنْ تعيس مع رجلٍ تبغضه كل البغض، ولا تُطيق النظر إليه، وتبقى معه في جحيم لا يُطاق، كما قال أحد الحكماء: إنَّ من أعظم البلايا مصاحبة من لا يوافقك ولا يفارقك. وكما قال أبو الطيب:

**وَمِن نَكَدِ الدُنيا عَلى الحُرِّ أَنْ يَرى عَدُوًّا لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ**[1]

أقول: أنا كنت مع حق الخُلع، ومن قديم كتبت مقالة عن حق المرأة الكارهة، ماذا للمرأة من حقوق إذا كرهت زوجها في مقابل حق الرجل في الطلاق؟ وذكرت هناك ثلاثة خيارات للمرأة:

منها التحكيم، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]. وقال بعض الصحابة: إنْ شاء الحكمان أنْ يُجمِّعا جمَّعا، وإنْ شاءا أنْ يفرِّقا فرَّقا. محكمة عائليَّة من حقِّها أنْ تفرِّق بين الزوجين إذا كانت العِشرة بينهما غير ممكنة، هذا هو التحكيم.

ومنها الطلاق بسبب الضرر، الذي يوقعه القاضي إذا وجد أنَّ الزوج يُضارُّ زوجته ويسيء عشرتها، فمن حقِّه أنْ يطلِّقها منه جبرًا رغم أنفه.

---

(١) ديوان المتنبي صـ١٩٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومنها حقُّ الخُلع، إذا قالت الزوجة: أنا لا أطيق الحياة مع زوجي. وحدث ذلك أيام النبي ﷺ، حينما أتت امرأة ثابت بن قيس إلى النَّبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلِقٍ ولا دين، ولكنِّي أكره الكفر في الإسلام! فقال رسول الله ﷺ: «**أترُدِّين عليه حديقته؟**» قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: «**اقْبَلِ الحديقةَ وطلِّقْها تطليقة**»[١]. وفي بعض الروايات: «وأمره ففارقها»[٢].

ورُوِيَ أنَّ امرأة جاءت إلى سيدنا عمر لتطلب الخلع من زوجها، فنهرها، وقال: ضعوها في حظيرة. أراد أنْ يختبرها، فباتت ليلتها حتى الصباح، فلما جاءت قال: كيف كانت ليلتك؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين هذه أهنأ ليلة بِتُّها. فعرف أنَّها كارهة للبقاء مع زوجها، ففرَّق بينهما. ففي الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة متَّسع لقضايا التَّجديد والإصلاح، نستطيع أن نأخذ منه وندع، وفق أصول الاجتهاد وضوابطه.

## رفض وثيقة التنمية الوطنية:

على أنِّي في حلقة أخرى من برنامج «الشريعة والحياة» رفضت ما يجري في المغرب، حين أرادوا القيام بعمل وثيقة، اسمها «وثيقة التنمية الوطنيَّة»، وهي مستوحاة من فلسفة الغرب وحضارته، فأنا رفضت هذه الوثيقة، وقلت: هناك فرق كبير جدًّا بين ما يجري في مصر، وما يجري في المغرب؛ فما يجري في مصر منطلقُهُ الشريعة الإسلامية، وما يجري في المغرب منطلقُهُ الحضارة الغربية والثقافة الغربية.

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.
(٢) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لهذا كان تحديد المرجعيَّة أمرًا مهمًّا جدًّا: هل مرجعيَّتنا هي الإسلام؟ أم مرجعيَّتنا هي الغرب، وفلسفات الغرب، وثقافة الغرب، وتقاليد الغرب؟

الغرب لا يلزمنا بكل ما يقول، بل نأخذ منه وندع، فلا أقول: إنَّ كلَّ ما في الغرب شرٌّ. لا، هذا ليس صحيحًا، ففي الغرب أشياء حسنة طيِّبة، وفيه أشياء سيِّئة وخبيثة، ونحن نأخذ الطيِّب وندعُ الخبيث، نأخذ الجيِّد وندعُ الرديء، نفكر بعقولنا، وفق مسلَّماتنا. فما هي النظرة الغربية للمرأة؟

## النظرة الغربية للمرأة:

تقوم فلسفة الغرب على أنَّ المرأة جسد، لا يكاد يهتم بالجوانب الأخرى للمرأة، ولذلك يستخدمها كأداةٍ إعلاميَّة، وهذا الاستخدام ينطلق من إعلاء الجسد على الروح، والمرأة باعتبارها إنسانًا هي جسدٌ وروحٌ، بدن وعقل، ليست مجرَّد جسدٍ يُشتهى، فنحن لا نسير وراء الغرب في هذه الناحية، وقد صاروا الآن في الغرب يشكون من هذه النظرة، وتشتكي النساء هناك ممَّا جرَّت عليهن الحضارة الغربية من ويلات.

## الجنس الثالث:

ظهر في الحضارة الغربية ما يُسمَّى «الجنس الثالث»، وهو الجنس الذي ليس امرأة ولا رجلًا، إنَّه يتمثل في المرأة التي استهلكها العمل في المصانع والمشاغل والمعامل، حتى فقدت أنوثتَها، حتى أطلق عليها بعض المفكرين الغربيين اسم «الجنس الثالث»، فلا هي بقيت أنثى، ولا هي صارت رجلًا، ومن هنا اشتكت كثير من النساء هذه الحالة.

من ذلك ما شهده شيخنا الدكتور محمد يوسف موسى رَحِمَهُ اللَّهُ، أثناء دراسته في فرنسا، وحكاه في كتابه «الإسلام وحاجة الإنسانية إليه»، قال:

QaradawiBooks.com

كانت تخدمنا فتاة، ليست لعوبًا، ولا امرأة عابثة، كانت تبدو عليها الجديَّة والوقار، تؤدي عملها وتذهب، فأحسسنا أنَّها امرأة أصيلة، فسألناها: من أنت؟ فقالت: أنا فلانة بنت فلان، تعرفون المحل الكبير في شارع كذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو محل عمِّي. قالوا: يملك عمُّك هذا المحل الكبير، وأنت تعملين خادمةً عند جماعة غرباء؟! كان يمكنه أنْ يكفيك هذه المهانة. قالت: وهل عندكم أنَّ العمَّ يكفل بنت أخيه إذا احتاجت لكفالته؟ قالوا: نعم، يلزمه أنْ ينفق عليها، وإذا أبى يُلزمُه القضاء الشرعي بالنفقة، إذا كان مُوسرًا، وهي مُعسرة. فقالت: لو كان هذا عندنا ما رأيتم هذا الجيش الجَرَّار من النساء العاملات اللائي يذهبن من الصباح الباكر إلى المشاغل والمصانع وغيرها، ما ذهب بهن إليها إلا الضرورة والحاجة، إنهن لو لم يفعلن ذلك لهلكن جوعًا[1].

إنَّهم في الغرب ـ أيُّها الإخوة ـ لا يعرفون نظام النفقات في الإسلام، فللحضارة الغربية دينها، ولنا ديننا.

## تيار الغلو والإفراط:

أريد أنْ أقول: علينا أن نتمسَّك برسالتنا، وبقيمنا، وبعقيدتنا، وبشريعتنا، على أنْ يكون ذلك في ضوء فقهٍ جديد، واجتهادٍ جديد، فآفة قضيَّة المرأة أنَّها ضاعت بين الإفراط والتفريط، بين الغلوِّ والتقصير.

## سجن المرأة:

هناك أناس متشدِّدون، مُفَرِّطون، غُلاة، يريدون أنْ يحبسوا المرأة أو يسجنوها في البيت، وحبس المرأة في البيت كان عقوبة للمرأة الزانية في

(١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه صـ٣٠٤.

QaradawiBooks.com

أول الإسلام، ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥]. فالإمساك في البيوت عقوبة كبيرة، كانت خاصَّة بتلك المرأة، وتعميمها من قبل المتشدِّدين خطأ كبير، وما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. من الواضح أنَّ الآية خطاب لنساء النبي ﷺ، فلا يصح الاستشهاد بها على سجن المرأة، بل إنَّ هذه الآية نفسها ترد عليهم؛ فالتبرج المذكور بها لا يكون في البيت.

## منع المرأة من المساجد:

فهؤلاء المتشدِّدون يريدون أنْ يحبسوا المرأة في بيتها، حتى إنهم ـ في وقت من الأوقات ـ حرَموا المرأة من الصلاة في المسجد، وقد كانت في عهد الرسول ﷺ تصلي الصلوات الخمس في المسجد، حتى صلاة العشاء والفجر، وكان ذلك في وقت لم تكن الطرقات فيه مُضَاءة، ولا كانت مرصوفة، ومع ذلك لم يمنعهنَّ النبيُّ ﷺ، بل قال: «**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله**»[(١)].

ثم جاء من الفقهاء بعد ذلك من قال: يجب أنْ تُمنع المرأة الشابَّة من الذهاب إلى المسجد؛ خوفًا من الفتنة. ثم جاء مِنْ بعدهم مَنْ قال: حتى العجوز لا يجوز لها ذلك. وقال قائلهم:

**لكلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سُوقُ**[(٢)]

أي أنَّ للمرأة العجوز واحدًا شابًا سينظر لها، فحرَموا المرأة بذلك من المسجد.

(١) سبق تخريجه صـ٢٩١.

(٢) سبق عزوه صـ٢٧٠.

نسخة مجانية غير مصرح بها للطباعة
QaradawiBooks.com

وأنا نشـــأت في صباي، فكانت النساء لا تعرفن المساجد، وبعضهن عشـــن ومتن، ولم يركعن لله ركعة واحـــدة، لأنَّ الفقهاء قالوا: لا شـــابَّة ولا عجـــوزًا تذهب إلى المســـجد، وعلى أبيهـــا أو زوجهـــا أنْ يفقِّهَها ويُعلِّمها. ثمَّ لم يُعلِّمها أبٌ ولا زوجٌ؛ لأنَّ الأب والزوج نفســـه كان في حاجة إلى من يُعلِّمه، وفاقد الشيء لا يعطيه، كما قال الشاعر:

**أَعمى يَقودُ بَصيـــرًا لا أَبا لَكُمُو قَد ضَلَّ مَن كانَت العميانُ تَهديهِ**[1]

فأصبحت المـــرأة محرومة من هذه العبـــادة الجماعيَّة، بينما تذهب المرأة النصرانيَّة إلى الكنيســـة، واليهوديَّة إلى البيعة، والمجوســـيَّة إلى المعبد، وحتـــى في العصر الحديث حينما ذهبت المرأة إلى المدرســـة، وإلى الجامعة، وإلى السوق، وسافرت إلى لندن وباريس وإلى كل مكان، ظلَّ بعض الناس يمنعها من المسجد.

وقد ذهبتُ إلى باكستان والهند وبنجلاديش، وحاضرت الرجال، ولم أرَ امرأة بين الحضـــور، فقلت لهم: لماذا لا أرى المرأة في المســـجد؟ قالوا: المذهب الحنفي يمنع المرأة أنْ تذهب إلى المســـجد. فقلت لهم: المذهب الحنفـــي يقول: على الرجـــال أنْ يُعلِّموها، فهـــل تذهبون إلى زوجاتكم وتُعلمونهم المحاضرة التي ســـمعتموها الآن؟ قالوا: لا. قلت: لماذا تحرمون المرأة من المسجد إذنْ؟ فهذا هو الحال للأسف.

### تزويج المرأة بغير رضاها:

عندما تراجعت الحضارة الإسلامية ـ للأسف ـ حرمَ المسلمون المرأة كثيرًا من حقوقها، حرموها من المسجد، وبعض الآباء زوَّج ابنته من غير

(١) ديوان بشار بن برد صـ٩٨، تحقيق السيد بدر الدين العلوي، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

رضاها، مثل ما يحدث هنا في الخليج، تُجْبَر بعض النساء على الزواج من ابن عمِّها، وهي لا تريد ابن عمِّها، ولا هو يريدها، ولكنها تقاليد سادت وطغت، فأحيانًا تخرج التقاليد على التعاليم والأصول الإسلامية، والتقاليد إنَّما تُحترم إذا كانت في إطار الشريعة، أمَّا إذا خرجت عليها فلا قيمة لها، ولا تُلزمنا.

## منع المرأة من قيادة السيارة:

وهناك من يمنع المرأة أنْ تقود السيارة، مع أنَّ المرأة قديما كانت تركب الإبل، كما جاء في الحديث: «**نساءُ قُرَيْشٍ خيرُ نساء ركبْنَ الإبل، أحناه على ولدٍ، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[1]. ولا مانع من قيادتها السيارة الآن، ما دام في ضوء ضوابط شرعية.

## منع المرأة من حق الانتخاب:

وهذا التيَّار المتشدِّد رفض حتى مجرد أنْ تذهب المرأة لتنتخب، وتقول: أرى أنَّ هذا المرشح يستحق أنْ يكون ممثلًا عن الدائرة. مع أنَّها قد تكون حاصلة على شهادة جامعيَّة، أو على ما فوقها، فلم تعد المرأة قابعة في بيتها مثلما كانت في الماضي، فلا بدَّ أنْ تتغيَّر الفتوى بتغيُّر الزمان والمكان، لكن مع هذا وجدنا من الإسلاميين من يرفض ليس فقط ترشحها، بل حتى حقَّها في الانتخاب، وأنا أرى جواز ترشح المرأة وانتخابها، ولدينا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## تيار الانحلال والتفريط:

نحن في شأن المرأة كما نعاني من تيار التشدُّد، نعاني من تيَّار التَّسيُّب، ذلك التيَّار الذي يريدُ أنْ يُطْلِق العنان للمرأة، ويَدَع حبلها على غاربها؛ لتقلِّد المرأة الغربية، وتسير في ركابها، وتتَّبع سننها شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، وهذا ما نرفضه أيضًا.

للأسف في وقت من الأوقات غلبت الحضارة الغربيَّة المرأة العربية والمسلمة، كنت أمشي في شوارع العواصم العربية الكبرى، فلا أكاد أجد امرأة محجبةً، حتى بعض النساء العجائز اللاتي أكل الدهر عليهن وشرب، كانت تمشي إحداهنَّ وهي تلبس ما يسمونه «الجابونيز، والميني جب، والميكرو جب»، ثم بعد ذلك رجعت بحمد الله كثير من النساء إلى التمسُّك بتعاليم الإسلام وأحكام شريعته، فنحن نقف ضد تيَّار التشدُّد، وضد تيَّار التسيُّب، ولنضرب لذلك مثالًا بقضية الخِطْبَة.

## قضية الخِطْبَة:

انظروا مثلًا إلى قضية الخِطْبَة، أجاز الإسلام للرجل أنْ ينظر إلى مخطوبته، فقد روي أنَّ المغيرة بن شعبة خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ: «**انظر إليها؛ فإنَّه أحرى أنْ يؤدم بينكما**»[1]. العين رسول القلب، فانظر إليها ليحدث الائتلاف بينكما، ولكن للأسف لا يُسمح في مجتمعات الخليج إلى الآن للخاطب بمجرَّد النظر إلى المخطوبة، وإذا تسامحوا أرسلوا إلى الخاطب صورتها ليراها، لكنَّ الصورة شيء والمُصوَّر شيء آخر، هذا مع أنَّ هذه الفتاة المخطوبة تذهب إلى المدرسة، أو إلى

(١) سبق تخريجه صـ١٨.

QaradawiBooks.com

الجامعة، أو إلى السوق، وقد تسافر إلى لندن أو باريس، ويراها المدرسون والأساتذة والأطباء والباعة في الأسواق، كلهم يرونها إلا واحدًا مسكينًا هو خاطبها، وقد يكون زوجها، حين يكون عاقدًا عليها، ومع ذلك لا يراها إلا ليلة الدخلة، ليلة الزفاف. هذا نوع.

ونوع آخر: رجل يخطب امرأة، ثم يتأبط ذراعها، ويذهب بها إلى الخلوات، والسينمات، ويسهر معها في مشاهدة الفيلم، ثم يعود بعد منتصف الليل، وأين الآباء والأمهات؟ إنهم أناس «مودَرْن» كما يُقال، لا مانع لديهم في ذلك، وفي هذا التَّسيُّب ضياعٌ، وأي ضياع.

**الموقف الوسط:**

قضيَّة المرأة ضاعت بين الإفراط والتفريط، ونحن نريد أن نلتزم المنهج الوسط، الذي لا يغلو مع الغالِين، ولا يتسيَّب مع المتسيِّبين، أنا هنا ـ في هذه المحاضرة ـ تحدثت في قضايا عامَّة، وتركت نفسي على سجيتها لأشرح فلسفة حقوق المرأة، أكثر من الدخول في تفاصيل الحقوق، وهي معروفة لكم، وأنا لا أحب التكرار، إنَّما أردت أنْ أتحدَّث عن الفلسفة التي يجب أنْ تقوم عليها حركتنا النهضويَّة بالنسبة للمرأة، لنعرف ما هي منطلقاتنا؟ ما هي مرجعيَّتنا؟ ما هي الأسس التي نرتكز عليها؟

**تكامل لا صراع:**

ليس عندنا صراع بين الرجل والمرأة، هذه الفكرة يجب أنْ تزول تمامًا، بل هناك تكامل الأدوار بينهما، القرآن يقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

QaradawiBooks.com

الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، يُكمِّلها وتُكمِّله، لا يستغني عنها، ولا تستغني عنه، فالتكامل بينهما في الأدوار هو المطلوب، وليس الصراع، كما تعرضه الحضارة الغربية.

ليست عندنا مشكلة صراع مع المرأة، فالمرأة هي أمِّي، هي زوجتي، هي ابنتي، هي أختي، هي عمَّتي، هي خالتي، هي قريبتي، ليس هناك صراع، ولكن هناك تكامل، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، هذه هي الفلسفة التي ينبغي أن نحتذيَها، ونضعها نُصب أعيننا، ونحن نخطِّط لإستراتيجيَّة وطنيَّة عربيَّة إسلاميَّة، في ديارنا، وفي مجتمعاتنا.

أعتقد أنَّنا إذا راعينا ذلك نصل إلى شاطئ الأمان، ونستمسك بالعروة الوثقى، ونهتدي سواء السبيل، وإلا ضعنا وفرَّطنا، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة ـ وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

### ترشح المرأة للانتخابات، وتولِّيها القضاء:

**السؤال الأول:** هل يجوز للمرأة الترشح للانتخابات، مع أنَّه لا خير في قوم تقودهم امرأة، وجزاكم الله خيرًا؟

**الجواب:** يجوز للمرأة أنْ تترشَّح في الانتخابات إذا كانت كُفْؤًا لذلك، عندها الأهليَّة، ودليلنا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. والقرآن قال هذه الآية في مقابلة والمنافقون والمنافقات، قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]. فإذا كان هناك منافقات يقمن بدور في إفساد المجتمع، فعلى المؤمنات أنْ يقمن بدور في إصلاح المجتمع، فلا مانع من ترشح المرأة وَفْق ضوابط شرعيَّة، فلا يجوز أنْ أنتخب لمجلس الشعب امرأةً متبرجةً لا تحترم شريعة الله، وإنَّما تُنتخب المرأة الصالحة القادرة، ذات الكفاية العلميَّة والخبرة، خصوصًا إذا تعلَّق الأمر بقوانين الأسرة، فإنَّنا نحتاج إلى نساء، وقد ولَّى سيدنا عمر على السوق امرأةً من بني عدي، اسمها الشفاء بنت عبد الله العدوي، محتسبة على السوق[1]، أي إنَّها محتسبة حتى على الرجال، تقول لأحدهم: مكيالك غير سليم، والصواب كذا، ونعرف أنَّ السيدة عائشة قادت معارضة سياسيَّة وصلت إلى حدِّ الحرب.

---

(١) ذكره ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٧٨٦/٢)، ترجمة (٣٤٠٥)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، نشر الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

لهذا لا أرى مانعًا من ترشح وانتخاب المرأة، وعندي فتوى مُطوَّلة في الجزء الثاني من كتابي «من فقه الدولة في الإسلام»، بعنوان: ترشيح المرأة للمجالس النيابيَّة بين الإجازة والمنع[1]. وليس هناك ما يمنع من ذلك إذا وجدت المرأة الصَّالحة القادرة، وكان المجتمع قابلًا من الناحيَّة الاجتماعية، فينبغي أنْ يكون عنده درجة من التطور بحيث يقبل هذا الأمر.

وأذكر أنَّني في برنامج «الشريعة والحياة» عملت حلقة عن «المرأة والقضاء»، وذكرت أنَّ الإمام أبا حنيفة يجيز أنْ تكون المرأة قاضية في غير الأمور الجنائيَّة، والإمام الطبري أجاز لها أنْ تكون قاضيَة في كل الأمور، والإمام ابن حزم، والظاهريَّة، ولكنِّي قلت: أنَّ هذا له شروطه وضوابطه. فليس معقولًا أنْ آتي بامرأة عمرها عشرون أو ثلاثون عامًا، ثم لا تلبث أنْ تكون حاملًا، فتأخذ إجازة وضع، ثم إجازة رضاعة، وتتعطَّل بذلك قضايا الناس، لكن يمكن أنْ تكون قاضيةً عندما يكون عمرها خمسًا وأربعين، أو خمسين سنة، فتكون ـ علاوة على تفرُّغها ـ قد نضجت فكريًّا، واجتماعيًّا، وكبر أولادها، إذا كانت فِعلًا أهلًا لهذا المنصب، وإذا كان المجتمع بلغ درجة من التطور والنضج بحيث يقبل ويستوعب ذلك منها، لكن إذا كان المجتمع يمنعها من قيادة السيارة فهل سيسمح لها أنْ تعمل قاضية؟ فلا بدَّ أنْ يُراعى هذا كله، ولا بدَّ من رفع مستوى الوعي الاجتماعي.

(١) انظر كتابنا: من فقه الدولة في الإسلام صـ١٦١ ـ ١٧٦، فتوى: ترشيح المرأة للمجالس النيابية، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

## تولِّي المرأة رئاسة الدولة:

**السؤال الثاني**: كثر الكلام عن المرأة في هذه الأيام، وأصبحت حقوق المرأة ومساواتها بالرجل هي الشغل الشاغل، ألا يحق للرجل أنْ يَغار من ذلك، أين حقوق الرجل، علمًا بأنَّ السائلة امرأة؟ وماذا عمَّن يقول بحق المرأة في تولِّي القضاء والمُلْك؟

**الجواب**: أمَّا القضاء فذكرته، وأمَّا المُلْك، أو رئاسة الدولة، فهذا هو الذي نتوقف عنده، فالمرأة يمكن أنْ تكون قاضيةً، أو عضوًا في مجلس النوَّاب، أو مديرة، أو حتى وزيرة، أمَّا رئاسة الدولة فهي التي جاء فيها الحديث: «**لن يُفلِح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةً**»[1]. أمرهم أي: أمر الرئاسة العُليا، وابن حزم أجاز للمرأة أنْ تتولَّى أي منصب ما عدا الرئاسة العليا للدولة.

وأمَّا عن غَيْرةِ الرجال والمطالبة لهم بحقوقهم كما ذكرت الأخت السائلة، فهذا فعلًا يحدث أحيانًا، من ذلك أنَّهم في مصر لما جعلوا السكن من حقِّ المرأة إذا كان عندها ولد أو بنت؛ قيل: وأين يذهب الرجال إذنْ؟ يعيشون في الشارع؟ فأحيانًا بعض الرجال يطلبون أنْ يتساووا بالنساء.

## تشدُّد الأهل مع المرأة:

**السؤال الثالث**: للعُرف الاجتماعي شوكة قويَّة على الرجال والنساء هنا في قطر والخليج، فالمرأة وهي مُحجَّبة، ومحتشمة تدرس في الجامعات الغربية وتقود سيارتها بنفسها، بينما يعارض وليُّ أمرها ذلك، فما قولكم؟

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

**الجواب:** نحن قلنا: إنَّ قضيَّة المرأة تضيع بين الإفراط والتفريط، نجد بعض الآباء يتشدَّدون مع بناتهم، وبعض الإخوة يتشدَّدون مع أخواتهم، وهذا لا ينبغي حقيقةً، فالأمر إذا أجازته الشريعة يجب أنْ يخضع له الجميع، فلا داعي للتشديد في أمر تحتاج إليه المرأة، وما دامت المرأة منضبطة بضوابط الشَّرع، فلا حرج في ذلك.

## ميراث المرأة وقوامة الرجل:

**السؤال الرابع:** هل من إيضاح لفلسفة الإسلام في إعطاء المرأة نصف نصيب الرجل في الميراث؟ ثم إنَّ الله تعالى جعل قوامة الرجل على المرأة تكليفًا، فهل تُنقِص هذه القوامة من قيمة المرأة؟ وهل من تحيَّةٍ للمرأة المسلمة في فلسطين؟

**الجواب:** كلنا نحيِّي المرأة في فلسطين، ونُجِلُّ ما صنعته المرأة الفلسطينية، نحيِّي الأمَّهات اللائي يستقبلن أولادهنَّ المستشهدين بالزغاريد، والفتيات اللائي يقدمن أرواحهنَّ فداءً للمسجد الأقصى، ولأرض الإسراء والمعراج، آيات الأخرس، والابنة التي ضحت بنفسها بالأمس، هؤلاء بطلات حقيقةً، وينبغي أن نُحيِّيهن.

أمَّا قضية ميراث المرأة، فهي مبنيَّة على التكاليف الماليَّة لكلٍّ من الرجل والمرأة، فعلى الرجل تكاليف ليست على المرأة، وأضرب لكم مثلًا: لو مات رجلٌ، وخلَّف وراءه ابنًا وبنتًا، وترك لهما ثلاثمائة ألف، وكانا أعزبين لم يتزوَّجا، حينها سيرث الابن مائتي ألف، وسترث البنت مائة ألف، فإذا أراد الابن أنْ يتزوَّج، أعطى امرأته مهرًا خمسين ألفًا، فصار لديه مائة وخمسون ألفًا، وإذا تزوَّجت البنت هي الأخرى أعطاها زوجها خمسين ألفًا، فصار لديها مائة وخمسون ألفًا، وقد يتكلَّف الزوج

QaradawiBooks.com

فوق المهر تكاليف الأثاث والمنزل والنفقة على البيت، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [النساء: ٣٤]. فالرجل ينفق من ماله على المهر، وينفق من ماله على البيت، أمَّا المرأة فليست مُطالَبَة شرعًا بأنْ تنفق على البيت، ولو كانت من أغنى الأغنياء، إلا من باب مكارم الأخلاق، فهذا من أسرار التفاوت بينهما في الميراث، كونه مبنيًّا في الإسلام على تفاوت التكاليف الماليَّة الشرعيَّة بين الرجل والمرأة.

ثم إنَّه لا ينقص من قدر المرأة اختلاف بعض التكاليف بينها وبين الرجل، وقد سبق أن ذكرنا الآيات: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٤]، ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. فهذا للرجل والمرأة على السواء، فيمكن للمرأة أنْ تهاجر، وتُؤْذَى في سبيل الله، وتُقاتِل وتُقتل، وفي صحيح البخاري: باب غزو النساء وقتالهن. فلا ينقص من قدر المرأة اختلافُ بعض التكاليف.

### عمل المرأة وضوابطه:

**السؤال الخامس**: ألا يعتبر خروج المرأة للعمل إذا كان عندها ما يكفيها مزاحمةً للرجال، وتفويتًا لفرصهم في الحصول على العمل؟

**الجواب**: من حقِّ المرأة أنْ تعمل، فالعمل ليس فقط للحصول على المال، قد تكون للمرأة قدرة وطاقة على العمل، ولديها شهادة علميَّة،

QaradawiBooks.com

وتريد أنْ تُثبت وجودها، فعمل المرأة جائز لها شرعًا، ما لم يترتَّب عليه ضرر، فهو حقٌّ لها بشروطه وضوابطه أيضًا.

فيشترط في عمل المرأة أنْ يكون مشروعًا، فلا تعمل مثلًا «سكرتارية» لمدير، وهو تقليد غربي صار الآن منتشرًا، فهذا العمل يقتضي منها أحيانًا أنْ تختلي بالمدير، وتوقَد اللمبةُ الحمراء لئلَّا يدخل أحد، وهذه الخلوة برجل أجنبي لا تجوز.

كذلك يشترط في العمل أنْ يكون آمنًا، فعمل المرأة مضيفة في الطائرات، تسافر بلادًا كثيرة وبعيدة، وقد تكون بلادًا أجنبيَّة، لا يُؤمَن فيه على عرضها ونفسها.

فلا بدَّ أنْ يكون العمل مشروعًا، ثم عليها أنْ تلتزم في العمل بالآداب الشرعية، مثل أدب غض البصر، وأدب الملبس، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وآداب المشي، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وآداب الكلام، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فمن حقِّها أنْ تعمل إذا راعت ذلك كله، وأنا أرى أنَّه أولى للمرأة الثريَّة بدلًا من أنْ تُزاحم الرجال في العمل أنْ تتَّجه إلى العمل في المجال الاجتماعي، وخاصَّةً المرأة ذات القدرة العقليَّة والثقافيَّة، التي لديها مزيج من الوعي والنشاط والهمة، فهذا أمر مطلوب.

## تحرير الإسلام للمرأة:

**السؤال السادس:** معركة تحرير المرأة ليست جديدة، رأيناها في أكثر من دولة، مثل: تونس ومصر والأردن ولبنان، واشترك فيها بعض العلماء

QaradawiBooks.com

بحسن نيَّة، وانتهت جميع هذه المعارك ـ للأسف ـ بهدم الأخلاق، وشيوع الفساد، وانتشار الاختلاط بجميع درجاته في كل مكان، حتى أصبح الحياء والغيرة على النساء بضاعة نادرة، فما هو الواجب للحيلولة دون ذلك؟

**الجواب:** تحرير المرأة منذ قاسم أمين هو تحليل المرأة ـ وليس تحريرها ـ من عروة الإسلام الوثقى، تحرير المرأة الحقيقي هو الذي قام به محمَّد ﷺ، وقد ألَّف أخونا عبد الحليم أبو شقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا، عمل في تأليفه نحو عشرين سنة، سمَّاه «تحرير المرأة في عصر الرسالة» في ستة أجزاء، أنصحُ كل مثقف ـ رجلًا كان أو امرأة ـ أنْ يقرأه، فليس قاسم أمين هو الذي حرَّر المرأة، الذي حرَّرها هو رسول الله ﷺ، حرَّرها الإسلام، فمن أراد أنْ يُحرِّر المرأة فليحرِّرها بمنهج الإسلام، بعيدا عن المُفْرِطين والمُفَرِّطين، أو المتشدِّدين والمتسيِّبين، بالمنهج الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٣

# المرأة المسلمة والعمل الإسلامي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامَنا وزعيمنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكنَّ به، أخواتي وبناتي العزيزات، بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكن وأخواتكن في المشرق العربي ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيدٌ أنْ ألتقي ببنات الجزائر، كما التقيتُ بأبناء الجزائر، وكما التقيتُ بهما معًا أوَّل من أمس في مسجد أبي عبيدة بن الجرَّاح.

وإنِّي أحمدُ الله تعالى أنِّي كلَّما زُرتُ الجزائر، ازددتُ إيمانًا ويقينًا بأنَّ هذا الشعب هو الَّذي سيقود النهضة الإسلاميَّة في المغرب العربيِّ

(١) ألقيت بالجزائر، بتاريخ ٢ مارس ١٩٩٠م.

نسخة تجريبية

كلِّه إن شاء الله، فالصحوة الإسلاميَّة في الجزائر تمتد طولًا وعرضًا وعُمقًا، تمتدُّ في كلِّ مجال من مجالات الحياة.

غير مرخصة للطباعة

## مسيرة مليونيَّة نسائيَّة:

وأنا أعود هذه المرَّة إلى الجزائر بعد حدثٍ كبير في مجال المرأة المسلمة في الجزائر، ولعلَّ بعضكنَّ يذكر محاضرتي في أحد الأحياء الجامعيَّة، حينما كنت هنا في المرَّة الماضية، منذ حوالي شهرين، أو أكثر قليلًا، وقد سألتني إحدى أخواتكنَّ عن أولئك اللاتي ذهبن يطالبن بإلغاء الشريعة الإسلاميَّة، وقوانينها، أولئك النساء اللاتي فقدْن هُويتهنَّ، وانسلخن من جلدهنَّ، ومَشَيْن وراء الغرب، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، يطالبن بإلغاء الشريعة الإسلاميَّة، بإلغاء تعدُّد الزوجات، أو إباحة تعدُّد الأزواج، أولئك اللاتي يردن أنْ يلغين أحكام الله القاطعة، في الزواج، والطلاق، والميراث، وسائر أحكام الشرع.

كان أولئك النسوة بضع مئات، قيل لي: إنَّهن نحو خمسمائة. فقلت لأخواتكن: إذا ذهب من هؤلاء خمسمائة يطالبن بإلغاء الشريعة، فلماذا لا يخرج منكنَّ خمسمائة ألف يطالبنَ بأحكام الشريعة؟

وبعد أنْ سافرت بقليل إلى أمريكا جاءني خبر المسيرة المليونيَّة، وكان معظمها من النساء، والبنات، والفتيات، اللاتي خرجنَ يطالبن بأحكام الشريعة الإسلاميَّة، فهذا حدث ينبغي أنْ يُسجَّل للمرأة المسلمة الجزائريَّة، أنَّها لم تقبع في بيتها، تنتظر أنْ يفعل الرجال كلَّ شيء، كما كان يقول بعضهم للأسف، ولكنها رفعت صوتها تنادي بأنْ يكون الإسلام هو حاكم الحياة، وقائد المجتمع، أنْ يكون الإسلام مصدر التشريع والتقنين، ومصدر التربية والتوجيه، ومصدر الإلهام والإلزام، فهذا حدث ينبغي أن نسجِّله للمرأة المسلمة الجزائرية.

QaradawiBooks.com

## مبادرة المرأة للقيام بدورها:

وأنا سعيد أيضًا أن أحضر بدعوة من «ملتقى المرأة المسلمة»، سعيد أنْ دعاني الأخوَات قبل أنْ يدعوني الإخوة الرجال، وأنا أحب من المرأة المسلمة أنْ تأخذ زمام المبادرة، ألا تنتظر من الرجل أنْ يفعل كلَّ شيء.

وقد قلت دائمًا: إنَّ أوَّل صوت ارتفع بتأييد دعوة رسول الله ﷺ لم يكن صوت رجل، وإنَّما كان صوت امرأة، الصوت الأوَّل الَّذي قال: «واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا»[١]. كان صوتَ خديجة بنت خويلد، قبل أبي بكر، وقبل عليٍّ، وقبل زيدٍ، وقبل بلال، كان صوت امرأة، وأوَّل شهيد في سبيل الإسلام لم يكن رجلًا، ولكنَّه كان امرأة، هي سُميَّة، زوج ياسر، وأم عمَّار[٢]، رضي الله عنهم جميعًا.

## رفع الوصاية عن المرأة:

ولهذا أريد من المرأة المسلمة ألَّا تترك كلَّ شيءٍ للرجال، وتنتظر منهم أنْ يفعلوا كل شيء، وإنَّما أريد من المسلمة أنْ تكون هي نفسها الَّتي تتقدَّم إلى الأمام، وتمارس حقَّها في النشاط الإسلاميِّ، والدعوة الإسلاميَّة، والصحوة الإسلاميَّة.

إنَّني أعيب على بعض الأخوَات الاستسلام لأنْ يفعل الرجل كل شيء، وحينما كنت هنا، منذ سنة تقريبًا، وفي حيِّ «ابن عكنون» كما تسمُّونه، لأحاضر الأخوات في صبيحة من الأصباح، تقدَّم بناتي وأخواتي إليَّ بالأسئلة، فإذا بي أجد بعض الشباب هم الَّذين يتلقَّون الأسئلة، وهم الَّذين يُفرزونها، وهم الَّذين يقبلون منها ما يقبلون،

(١) سبق تخريجه صـ ٢٨٨.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨٩.

QaradawiBooks.com

ويرفضون منها ما يرفضون، ثم يتلونها على مسامعي، فعجبتُ لذلك، وقلت: لِمَ هذا؟ ارفعوا هذه الوصاية عن الأخوات، كفُّوا أيديكم، ودعوهنَّ يتصرفن بأنفسهن، يستقبلن الأسئلة، ويأخذن منها ما يأخذن.

نريد أنْ تتدرَّب المسلمة على القيادة، لا يجوز أنْ يفرض الرجال وصايتهم حتَّى على العمل النِّسائيِّ نفسه، نريد للمسلمة أن تتقدَّم، كما تقدَّمت الحاجَّة زينب الغزالي، وأنشأت قديمًا، «جمعية السيِّدات المسلمات»، وكانت لها مجلَّتُها، وكانت لها أنشطتُها، لم تنتظر حتَّى يقوم الرجال بهذا الأمر، فنحن نريد للأخت المسلمة أنْ تقوم هي بدورها، وأنا في الحقيقة لا أريد للمسلمة أنْ تظلَّ حبيسة بيتها، أو قبيعةَ دارها، تنتظر من الرجال أن يفعلوا كلَّ شيء، وقد قلت: إنَّ العمل الإسلامي ليس عملًا ذكوريًّا، ليس عملًا رجاليًّا، بل هو عمل الرجال والنساء جميعا، ولكنَّ كثيرًا من الأخوات يتركن الأمر للرجال.

حينما كنت في بريطانيا ـ وفي أمريكا كذلك ـ في مؤتمر الشباب المسلم في «مانشستر»، ذهبت إلى الأخوات في محاضرة لهن، وجاء أحد الشباب أيضًا ليقدمني، فقلت له: وجودك يا أخي هنا غير طبيعي، وجودي هنا وجود الضرورة؛ لأنِّي المُحاضر، لكن ما وجه تواجدك هنا بين النساء؟ فضحك الأخ، وقال: ليس لي ذنب، فأنا مُكلَّف بهذا. ولذلك فقد سررت الآن لأن الَّذي قدَّمتني إليكنَّ امرأة.

أريد أنْ أقول: لا بدَّ للأخت المسلمة الملتزمة، الداعية، أنْ تقتحم الميدان، وأنْ تقوم بدورها في ترشيد الصحوة الإسلاميَّة، ومدَّ أشعتها في كل مكان، وتعميق جذورها، ولا تنتظر أنْ يقوم الرجل مقامَها في كلِّ شيء.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## تأثير المرأة في المجتمع:

يقولون عن المرأة دائمًا: إنَّها نصف المجتمع. وأنا أقول: إنَّها نصف المجتمع من حيث الكم والعدد. فمن دلائل حكمة الله تعالى وتدبيره في الكون أنَّ هناك توازنًا بين عدد الرجال وعدد النساء، يزيد عن النصف قليلًا، أو ينقص قليلًا، ولكن هناك توازن، ولهذا نقول: المرأة نصف المجتمع. هذا من حيث العدد.

ولكن المرأة من حيث التأثير أكثر من النصف؛ لأنَّها تؤثِّر في بنيها وبناتها، وتؤثر في زوجها، إيجابًا أو سلبًا، فكلمة من الزوجة إلى زوجها يمكن أنْ تثبِّطه، وكلمة منها يمكن أنْ تدفعه إلى الأمام خُطوات وخُطوات، كلمة من الأم يمكن أنْ تصنع من ابنها رجلًا، وكلمة منها يمكن أنْ تجعل ناره رمادًا.

## لا يضرُّ الشاةَ سلخُها بعد ذبحها:

حينما قالت الأُمُّ أسماء بنت أبي بكر ـ ذات النطاقين ـ لابنها عبد الله بن الزُّبَيْر، الَّذي بُويع بالخلافة، ونُودي بإمارة المسلمين عدَّة سنوات، ثم حاصره الحجَّاج في مكة، فجاء يقول لأُمِّه: إنَّ الأمر بلغ كذا وكذا. فقالت له: يا بني، أنت على حقٍّ، أم على باطل؟ قال: على حقٍّ. قالت: فلا تدع غلمان بني أميَّة يلعبون برأسك. فقال لها: أنا لا أخشى القتل، ولكنِّي أخشى أنْ يُمثِّلوا بي بعد موتي. فقالت له تلك الكلمة التاريخيَّة: إنَّ الشَّاة لا يضرُّها سلخُها بعد ذبْحِها[1]. فكلمة من الأمِّ تصنع الرجال الأبطال.

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤٠١/٣)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

## باعدت بينهم الهمم:

وحين كانت جيوش المسلمين تقاتل في وقت واحد، جاء خبر استشهاد أربعة أبناء لإحدى الأمهات المسلمات في أماكن متفرقة، فقالت: لقد باعدت بينهم الهِمَم[١].

لو كانت هناك أم غيرها، قليلة الوعي، لتحسَّرت أنْ لم تجد قبرًا تزوره، لكن هذه الأم قالت: لقد باعدت الهِمَم. لو كانت هِممُهم منحطَّةً لماتوا حيث وُلِدوا، ولكن هذه الهمم جعلت هذا يُشرِّق، وذاك يُغرِّب.

## إيَّاكَ وكسبَ الحرام:

من هنا نقول: إنَّ المرأة المسلمة قادرة على أنْ تؤثِّر في أكثر من نصف المجتمع. تؤثر في أبنائها، وبناتها، وزوجها، وقد كانت المرأة من نساء السلف تقول لزوجها إذا خرج للكسب، وطلب العيش، والضرب في الأرض: يا أبا فلان، إيَّاك وكسبَ الحرام، فإنَّا نصبر على الجوع والطَّوَى، ولا نصبر على حرِّ النار وغضب الجبَّار[٢].

كلمة كهذه تجعله قبل أنْ يقبل الحرام أو يفكر فيه يتأمَّل في كلمة امرأته، بينما قد توجد امرأة أخرى تُحرِّضُ زوجها على اقتحام الحرام، ولا يبالي أكان ما أخذه من حلال أم من سحت؟ فكلمة من امرأة لزوجها تحرِّضه على الحرام، وكلمة لامرأة أخرى تجعله يتحرَّى، ويبتعد عن الحرام، بل عن الشبهات، فيدع بعض الحلال خشية الوقوع فيما يُكره، فالمرأةُ نصف المجتمع من حيث الكمّ والعَدد، ولكنَّها من حيث الكيف والتأثير أكثر من نصف المجتمع.

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٤٠١/٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

QaradawiBooks.com

## عرفته أكَّالًا ولم أعرفه رزاقًا:

المرأة الصَّالحة هي الَّتي تقف وراء رجلها، تُثبِّته إذا تزعزع، وتُقوِّيه إذا ضعف، وتُشجِّعه إذا تردَّد، وتنفخ في روحه بكلماتها المؤمنة.

كان الرجل من رجال السلف حين يريد الذهاب إلى الجهاد، يذهب بعض المثبطين إلى امرأته ـ وهؤلاء موجودون في كل مكان ـ فيقولون: يا أمَّ فلان، كيف تركك زوجك فلان، وكيف تعيشين من بعده؟ فتقول لهم: إنَّني منذ تزوجته عرفته أكَّالًا، ولم أعرفه رزاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزَّاق[1].

لهذا نرى أنَّ المرأة المسلمة قادرة على أنْ تفعل الكثير، على شرط أنْ تأخذ زمام المبادرة، ولهذا سرَّني ـ كل السرور ـ أنْ أرى هذا الملتقى، وما قام به من أنشطة، وقد زرت بالأمس المعرض الَّذي أقامته الأخوات، ورأيت فيه أشياء جميلة ولطيفة ورائعة، من أشغال يدويَّة وتحف ولوحات، هذا كله من صنع المرأة المسلمة، وهذه مبادرات أحبها، وأحب أنْ أنوِّه بها؛ لأنَّها من عمل المرأة المسلمة، الَّتي لا ينبغي أنْ تقف مكتوفة اليدين، ولا يجوز لها ذلك.

## نضال المرأة في عصرنا:

وإذا كانت المرأة اليهوديَّة تعمل من أجل يهوديتها، وتعتبر مُجنَّدة في جيش إسرائيل، والمرأة النصرانيَّة تعمل من أجل نصرانيَّتها، وتوجد جيوش من المبشرات أو المُنَصِّرات يَنْسَبْنَ في العالم هنا وهناك، من أجل التبشير بالمسيحية، تلك الديانة الَّتي يقول عنها ابن حزم: لا توجد مقولة أشد بطلانًا

(١) إحياء علوم الدين (٢/٥٨).

QaradawiBooks.com

من مقولة هؤلاء: إنَّ الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة[1]. ومع ذلك تجد من ينشرها في العالم، من الرجال ومن النساء، عشرات الآلاف من المُبَشِّرات، وكذلك الشيوعيَّة وجدت من النساء ـ حتَّى ممَّن يدَّعين الإسلام من بنات المسلمين أنفسهم ـ من يدخل السجون من أجلها، ألا يجد الإسلام من بناته من تعمل له، وتبذل من أجله، وتُجنِّد نفْسَها ووقتَها وفِكْرَها وحياتها من أجل نُصرته؟ بلى، لقد وجد الإسلام من بناته الكثيرات، وسيجد أكثر وأكثر.

## صحوة الرجال والنساء:

إنَّ الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة ـ والحمد لله ـ ليست مقصورة على الرجال أو الذكور وحدهم، بل هي في كلِّ مكان صحوة الرجل والمرأة، والفتى والفتاة، والشبَّان والشابَّات، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وهي لا تكون صحوة إلا بهذا، فاقتصار الصحوة على الرجال إضاعة لنصف الأمة، كما قالت الأخت الحاجة زينب: إننا نستطيع بالمرأة أن نفعل الكثير للإسلام. فالمرأة تستطيع ذلك، مع أخواتها، ومع بناتها، ومع الرجال أنفسهم.

لهذا كنتُ مسرورًا كلَّ السرور حين دُعِيتُ إلى هذه الملتقى، لألتقي بكنَّ، وأتحدَّث إليكنَّ حديثا أبويًّا أخويًّا، ليست محاضرة رسميَّة في الحقيقة، وإنَّما هي خواطر حول المرأة المسلمة والعمل الإسلامي.

## إقبال المرأة على الدِّين:

يجب أنْ تعمل المرأة المسلمة بكل ما تستطيع للإسلام، وميدان العمل للإسلام بالنسبة لها ميدان فسيح، ولقد وجدت ـ بحكم

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١).

QaradawiBooks.com

تجربتي ـ أنَّ المرأة أكثر إقبالًا على الدين من الرجل، فأنا أستاذ في الجامعة، درَّستُ للطالبات، كما درَّستُ للطلاب، وأنا عميد كُلِّيَّةٍ، فيها طالبات وطلاب، والأكثريَّة منهما طالبات، حوالي ثلاثة أرباع من الطالبات، والربع من الطلاب، ولكل منهما مبنًى خاصٌّ، منفصلان عن بعضهما.

وأنا أُسأل وأُفتِي، ومعظم الأسئلة الَّتي تأتيني ـ سواء من خلال الرسائل، أو من خلال الهواتف ـ تكون من النساء، حتَّى من الجزائر تأتيني رسائل مستمرة، معظمها أيضًا من بناتي وأخواتي، وهذا يدلُّ على أنَّ المرأة بسؤالها أحرص على دينها من الرجل، فبحكم تدريسي، وإفتائي، ولقاءاتي المختلفة، وجدت في المرأة هذا الحرص، وهذا من شأنه أنْ يسهِّل مهمة العمل في ميدان المرأة.

**العاطفة عند المرأة:**

لقد جهَّز الله تعالى المرأة وجدانيًّا وعاطفيًّا أكثر من الرجل؛ لأنَّه أعدَّها لوظيفة عظيمة، هي وظيفة الأمومة، وتنشئة الأجيال وتربيتهم، فلا بدَّ أنْ يكون قلبها ينبوعًا يتدفَّق حنانًا وعاطفةً، ولا يوجد عند الرجل مثل هذا، فهذه الناحية الوجدانيَّة العاطفيَّة لدى المرأة تجعلها تتأثَّر أكثر من الرجل، وتجعل العمل الإسلامي سهلًا قريبًا في ميدان المرأة.

وقد رأيت هذه العاطفة عند كثيرٍ من أخوَاتنا، حتَّى بعض من جعلتهن ظروفهن في وضعٍ لا تضع فيه الخِمار على رأسها أو نحو ذلك، فلا تظنُّنَّ أنَّ مثل هذه الأخت خالية تمامًا من الدين، أو بعيدة عن الإيمان، لا، إنَّها تحيط بها ضغوط اجتماعية معينة، وستنتصر عليها بإذن الله، كما انتصر الجميع على ظروفهم.

QaradawiBooks.com

انظروا إلى الجزائر من عدَّة سنوات، هل كان هذا الحجاب منتشرًا بها؟ لم يكن كذلك، والآن يمشي الإنسان في الطرقات فلا يكاد يرى إلا محجَّبة، ومن يدخل المدارس والجامعات يجد حجاب المرأة هو الأصل، ويجد غيره هو الطارئ، فهذا يدل على أننا نتقدَّم يومًا بعد يوم.

## تأثير عزل النساء عن الرجال:

نريد ـ أيَّتها البنات العزيزات ـ أن نقول: إنَّ العمل الإسلامي بالنسبة للمرأة شيء مهمٌّ، وأنا لا أريد في الحقيقة أنْ أتحدَّث في هذه المحاضرة عن موضوع من المواضيع التقليديَّة، الَّتي يتحدَّث فيها الناس كلَّما التقوا بالمرأة، أو بمجتمع نسائي، يتحدثون عن حقوق المرأة في الإسلام، أو مكانة المرأة في الإسلام، أو نحو ذلك.

وكثيرًا ما شكا الأخوَات في مؤتمرات شتى من الفصل فيها بين الإخوة والأخوات، وتكون النتيجة أنْ تتوفر للإخوة الطلاب ـ مثلًا ـ أحاديث في المجتمع الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي، والسياسة الإسلاميَّة، والفكر الإسلامي، بينما الأخوات معزولات في مكانٍ آخر، وكلُّ من يذهب إليهنَّ يتحدَّث عن المرأة في الإسلام، وحقوق المرأة في الإسلام، وواجبات المرأة في الإسلام، وكلُّ من يذهب إليهنَّ لاحقًا يُعيد مجدَّدًا نفْسَ الموضوعات، فكثيرًا ما شكا الأخوات من هذا الأمر المعاد ومللْنَ منه، ولذلك كنتُ أقول للإخوة الَّذين يُنَظِّمون مثل هذه المؤتمرات: لماذا لا يوجد الأخوات مع الإخوة في مكانٍ واحدٍ؟

كُنَّا في أمريكا هذه السنة، وتوجد في المدينة الَّتي يقام فيها مؤتمر «رابطة الشباب المسلم العربي» قاعة تستوعب حوالي خمسة عشر ألفًا، ورغم ذلك يتحيَّز الإخوة في مكان، وتتحيَّز الأخوات في مكانٍ منفصل.

QaradawiBooks.com

قلت لهم: لماذا لا تحضر الأخوات مع الإخوة فيسمعن ما نقول؟ لماذا علينا أن نذهب إليهنَّ فنعيد على أسماعهنَّ ما قلناه للإخوة؟ لماذا لا يحضرْنَ معهم؟

إنَّ الإسلام لا يعرف مسجدًا للنساء، ليس فيه مسجد للرجال ومسجد للنساء، إنَّما المسجد للرجال والنساء جميعًا، كل ما في الأمر أنَّ الرجال في الصفوف الأماميَّة، والنساء في الصفوف الخلفيَّة، وليس ذلك لأنَّ المرأة إنسان من الدرجة الثانية، لا، ولكن لأنَّ الإمام من الرجال، ووضع المرأة في الركوع والسجود يقتضي أنْ تكون وراء الرجل لا أمامه، فهي عملية تنظيمية لا أكثر.

لكن المشكلة في الحقيقة أنْ يُفصل بين الرجال والنساء، فتكون النتيجة أنْ تكون المحاضرات للرجال في الفكر، والمجتمع، والتربية، والسياسة، وغيرها، وتكون المحاضرات للنساء مقصورة على جانب معيَّن، وهذا لا ينبغي.

نحن نريد توعية المرأة المسلمة، فلا بدَّ أنْ تعي بالأخطار الَّتي تتهدَّد هذه الأُمَّة من القوى المعادية لها، في الداخل والخارج، وبعض الناس يركِّزون على القوى الخارجيَّة وحدها، على اليهوديَّة العالميَّة، والصليبيَّة الغربيَّة، والشيوعيَّة الدوليَّة، وينسوا القوى الداخليَّة، العِلمانيَّة، اللادينيَّة، الإباحيَّة، أولئك المنافقون الَّذين يعيشون بين المسلمين بأسماء المسلمين، وليس لهم عقول المسلمين، ولا قلوبهم، ولا سلوكهم، ولا قيمهم، وهم أخطر من القوى الخارجيَّة، بل إنَّ القوى الخارجيَّة لا تستطيع أنْ تعمل شيئًا إلا بوساطة هؤلاء، فهم سواعدها الَّتي تقوم لها بالتنفيذ، ولا بدَّ أنْ تعي المرأة المسلمة هذه الأخطار جميعًا.

QaradawiBooks.com

## صحوة عالميَّة تتهددها الأخطار:

نحن الآن في دور صحوة والحمد لله، وهي صحوة عالميَّة، وليست صحوة إقليمية، إنَّها داخل العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي، وقد شهدنا هذه الصحوة في كل مكان، رأيناها في أوربا، وأمريكا الشماليَّة والجنوبيَّة، وأستراليا، والشرق الأقصى، فحيث ما وُجِد من أبناء المسلمين مَنْ يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، يسري تيار الصحوة كما يسري تيار الكهرباء.

وهذا ما جعل أعداء الإسلام يزدادون مكرًا به وبأهله، ويزدادون كيدًا له، كلَّما وجدوا هذه الصحوة، وهذه القوَّة تمتد هنا وهناك؛ جُنَّ جنونهم، وطار صوابهم.

لقد ظنُّوا في وقت من الأوقات أنَّ بساط الإسلام قد طُوِي، وأن شمس الإسلام قد غربت، وأن جذوة الإسلام قد خمدت؛ نتيجة الضربات الوحشية المتلاحقة، الَّتي نزلت على المسلمين والمسلمات، من قوى الشرِّ داخل البلاد الإسلاميَّة، الطغيان الَّذي صنع صنيعه: تقتيلًا، وتشريدًا، وتعذيبًا، وتجويعًا، في دعاة الإسلام.

كان يُظنُّ بعد ذلك أنَّ هذه الشعلة ستنطفئ، وينتهي أمر الدعوة الإسلاميَّة، ولكنَّ الله تعالى خيَّب ظنَّهم، ردَّ كَيْدهم في نحورهم، وأعاد سهامَهم المسمومة إلى صدورهم، وظهرت الأجيال الجديدة، الَّتي نشأت في ظِلِّ ما كانوا يُسمُّونه الثورات، ويقولون عن الجيل الَّذي نشأ في ظلِّ الاشتراكيَّة الثوريَّة: هذا جيل الثورة. هذا الجيل نفسه تمرَّد على تلك ثوراتهم المخادعة، وأصبح جيل الإسلام، وصحوة الإسلام.

QaradawiBooks.com

إنَّ أمر هذه الصحوة الإسلاميَّة عجيب، إنَّها زرْعٌ ربَّانيّ، زرعه الله تبارك وتعالى من حيث لا يحتسب هؤلاء، إنَّ الله تعالى الَّذي أخرج من بين الفرْثِ والدم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، أخرج من بين هذه الأنظمة الَّتي حكمت الناس بالحديد والنار، وسحقت العظام، ونهشت اللحوم بالسياط، وفعلت ما فعلت ـ هذا الجيلَ الجديدَ من المؤمنين والمؤمنات.

لقد ظهرت الصحوة الإسلاميَّة بعد أن ظنَّ الناس في وقت من الأوقات، بعد هذه الضربات الجبَّارة أنَّه لن تقوم للإسلام قائمة، ولعلَّ بعضكنَّ قرأ كتاب الأخت الحاجة زينب الغزالي «أيام من حياتي»، وماذا لقيت من هذه الضربات، وهي نموذج من النماذج.

كان يُظنُّ أنَّ بعد هذه الضربات الوحشيَّة، الَّتي أريد بها التخويف والإرهاب ألَّا يجرؤ أحد على أنْ يعلن عن إسلامه بعد ذلك، ولكنَّ هذه الضربات كانت وقودًا للصحوة الإسلاميَّة، كانت دماءً تسري في عروقها لتغذيها من جديد، كانت الأمَّة في حاجة إلى هذه البطولات الرائعة، إنَّ الَّذين استُشهِدوا، والذين عُذِّبوا، من قضى نحبه، ومن ينتظر، كانوا هم النور والشعاع الَّذي اتَّصل بأبناء الصحوة الجديدة.

إنَّ هذه الصحوة الإسلاميَّة نعمة من الله تبارك وتعالى، جاءت بعد عصر المحن والكوارث الَّتي نزلت بالدعوة الإسلاميَّة، ولكنْ كم منحة في طيِّ محنة، ورُبَّ ضارَّة نافعة، كانت تلك المحن تمييزًا وتصفيةً، وتمحيصًا وتربيةً، وكانت تجميعًا وتقويةً، كان وراءها الخير الكثير، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

QaradawiBooks.com

## متطلبات عصر الصحوة:

نحن الآن في عصر الصحوة، وعصر الصحوة يتطلَّبُ منا وعيًا، ويتطلب منا عملًا، ويتطلب منا دعوة.

### (١) واجب الوعي:

يتطلب منا عصر الصحوة وعيًا بالمرحلة الَّتي نعيشها، علينا أن نعي هذه المرحلة، وأن نعرف ما يصنعه أعداؤنا، وما يفكرون فيه، إنهم يكيدون لنا كيدًا، ويكيد الله كيدًا، لا بدَّ أن نعرف كيدَهم، وهم يغيِّرون وسائلهم بين الحين والحين.

كان الغربيون يقولون من قبل: احذروا المسلمين الأصوليين المُتشدِّدين المتطرِّفين. ونحن قد وقفنا ضد التطرف، أدَنَّاهُ وأنكرناه، وكتبنا ضدَّه، حتَّى انتصرت لغة الاعتدال، ومنهج الاعتدال والوسطيَّة، لكنهم غيَّروا النغمة الآن، وصاروا يقولون: احذروا الإسلام المعتدل، احذروا المسلمين المعتدلين؛ فإنَّ الإسلام يبدأ معتدلًا ثم يتطرَّف، المتطرفون قصار العمر، لا يدومون كثيرًا، أمَّا المعتدلون فهم يستمرون ويثبتون، فالمعتدلون أشد خطرًا.

ونحن في الحقيقة لا يمكن أن نرضيهم، سواء تطرفنا أم اعتدلنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. لن نتَّبع ملَّتهم، ولن نبيع ملَّتنا بملك المشرق والمغرب، ولا بملء الأرض ذهبًا، ولو وضعت الشمس في يميننا، والقمر في يسارنا، لن نتخلَّى عن ديننا، حتَّى يظهره الله، أو نهلك دونه،

QaradawiBooks.com

كما قال النبي ﷺ لعمِّه أبي طالب[١]. فهؤلاء يكيدون لنا، ولهم في كل وقت طريقة ووسيلة مُعيَّنة، ونحن مُصِرُّون على التَّمسُّك بالإسلام، ومقاومة الأخطار الَّتي تُحاك ضدَّه.

## الحاجة إلى فقه الأولويَّات:

لذلك لا بدَّ أن نفهم الإسلام فهمًا دقيقًا، من كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، فهمًا يقوم على معرفة مقاصد الإسلام، ولا يقوم على الحرفيَّة كما يفعل بعض الناس، فهمًا يقوم ترتيب الأولويَّات، بعضها مع بعض، وهو ما أسميته «فقه الأولويَّات»، فهناك أمر يُعتبر رقما واحدًا، وآخر يُعتبر رقم عشرة، وآخر يُعتبر رقم سبعين، كما جاء في الحديث، أنَّ النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون** ـ أو بضع وستُّون ـ **شُعْبة، فأفضلها قول: لا إله إلَّا الله. وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[٢]. فلا يجوز أنْ تَقلِبَ الأمور، فتجعل الأدنى أعلى، والأعلى أدنى.

هناك أناس يُقيمون معارك من أجل أمور، لا هي من الأركان، ولا هي من الفرائض، ولا هي من الواجبات، ولا هي من المحرَّمات، وإنَّما هي أمور اختلف فيها العلماء، فلا ينبغي أن نشغل الناس بالمختلف فيه عن المتَّفق عليه.

لا بدَّ أن يكون عندنا من الفقه ما نعرف به الأولويَّات، بعضها من بعض، لا يجوز أن نشغل الناس بصغائر الأمور، وهم قد ضيَّعوا كبائر الأمور، لا يجوز أن نشغل الناس بجزئيات الأمور، وهم قد أهدروا كليات الأمور.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣٢٦/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٩٠٩)، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كان سيدنا عبد الله بن عمر يَحُجُّ يومًا، فجاءه سائل يسأله عن حكم قتل المُحْرِم للبعوض؟ فصعَّد فيه النظر وصوَّبه، وقال له: من أيِّ البلاد أنت؟ قال: من العراق. فقال لأصحابه: انظروا إلى هذا؛ يسألني عن دم البعوض، وقومه قد سفكوا دم ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله بأذني هاتين يقول: «**هما رَيْحَانَتَاي من الدُّنْيا**»[١]. أي: الحسن والحسين، رضي الله عنهما، فاستنكر عبد الله بن عمر أنْ يأتي مَنْ يسأل في مسألة صغيرة، والأمور الكبير مُضيَّعة، هذا سوء فهم، وسوء فقه.

## الفرائض قبل النوافل:

لهذا كنا في حاجة إلى فقه الأولويَّات، فقه مراتب الأعمال، فلا يجوز أنْ يهتم الإنسان بالنافلة وقد ضيَّع الفريضة، فالقاعدة الشرعيَّة تقول: إنَّ الله لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة[٢]. ويقول السلف: مَنْ شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[٣].

فمثلًا: لا يجوز للمسلم أنْ يكرِّر الحَجَّ، أو يعتمر كلَّ سنة، وهو مدين للناس، ولذلك يقول جميع الفقهاء عمَّن أراد أنْ يحُجَّ، حتَّى لو كانت الحَجَّة الأولى: لا يحُجُّ من كان مدينًا إلا بشرطين: استئذان الدائن، والثقة بالقدرة على أداء الدَّين.

كما لا يجوز لمسلم أن يذهب إلى الحج للمرة العاشرة، وهو يأكل حقوقًا لأُناسٍ يعملون عنده؛ فإعطاء الحقوق مُقدَّم على حَجِّه، فلا بدَّ من الفقه.

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٥٧٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١١٤)، عن أبي بكر.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٤٣/١١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

جاء رجل إلى بشر بن الحارث الحافي، وقد كان من الزُّهَّاد الورعين المشهورين في عصر الإمام أحمد بن حنبل، في القرن الثالث الهجري، فقال لِبِشْر: عندي مال، وأريد أنْ أحج. قال له: هل حَجَجْت حجَّة الإسلام؟ قال: نعم. قال: ألا أدلك على خيرٍ من هذه الحجَّة؟ قال: بلى. قال: أنْ تأخذ هذا المال فتذهب وتطعم جائعًا، وتكسو عاريًا، وتداوي مريضًا، وتُعين أرملةً، وتساعد يتيمًا، وتفعل كذا، وكذا، فترطب هذه الأكباد الجائعة، وتسدُّ هذه الحاجات كلها، فذلك خير لك من حجتك هذه. فنظر إليه الرجل، وقال: هذا صحيح، ولكن نفسي تميل إلى الحِجّ. قال: إذنْ أنت تعمل لهوى نفسك[1]. يعنى لمتعتها الشخصيَّة.

وقد قلت لمجموعة من الناس أعرف أنَّهم يحجون من حوالي أربعين سنة: أنتم تحُجُّون بما يساوي ربع مليون جنيه، فما رأيكم لو وفَّرتم هذا المبلغ في هذه السَّنة، ودفعتموه إلى مشروع خيريٍّ إسلاميٍّ، فتنهضون به من عثرته؟ فكان جوابهم أيضًا بمثل ما أجيب به بشر الحافي: إنَّ أرواحنا ترفرف حينما تأتي أيام الحِجّ، ونريد أن نحُجَّ.

والمسألة ليست في هذه النشوة، فإنَّها أحيانًا تكون خادعة، لا بدَّ من الموازنة، فلا يجوز للإنسان أنْ يحج، وهناك مسلمون يئنُّون من الجوع أنين الملسوع، هناك أكباد جائعة في آسيا وأفريقيا، يستغل جوعها وفقرها دعاة التَّنصير، ودعاة الشيوعيَّة، لم يدخل النصرانيَّة أحدٌ اقتناعًا بها، ولكنها مع ذلك تنتشر انتشارًا كبيرًا، عن طريق استغلال الجوع والفقر والمرض، وكذلك تفعل الشيوعيَّة، كما جاء بعض السلف أنَّه قال: إذا ذهب الفقر إلى بلدٍ قال له الكفر: خذني معك. الكفر هنا هو الشيوعيَّة.

(١) إحياء علوم الدين (٤٠٩/٣).

QaradawiBooks.com

## المُتَّفق عليه قبل المختلف فيه:

إذن نحن في حاجة إلى فقه الأولويَّات، فقه مراتب الأعمال، حتَّى لا نُقدِّم ما حقُّه التأخير، ولا نؤخِّر ما حقُّه التقديم، هناك أناسٌ يصنعون معارك من أجل أمور مختلف فيها، وهي أمور سيظل الناس يختلفون فيها، لا يمكن أن نجمع الناس على أمرٍ واحد في الأمور الخلافيَّة.

لنفرض أنَّ الناس في الجزائر، والمغرب، والسودان ينتشر بينهم المذهب المالكي، والناس في باكستان، وأفغانستان، والهند، وبنجلاديش، وتركيا ينتشر بينهم المذهب الحنفي، والناس في إندونيسيا، وماليزيا، والصومال ينتشر بينهم المذهب الشافعي، والناس في السعودية وبعض البلاد ينتشر بينهم المذهب الحنبلي، الإنسان المُقلِّد ـ الَّذي ليس أهلًا للاجتهاد ـ مذهبه مذهب من يفتيه، إذا نشأ في بلد، فوجد فيه هذا المذهب أو ذاك فهو يعمل به، فإذا وصل إلى مرحلة من العلم واستطاع أنْ يرجِّح رأيًا على آخر فليفعل، وإلا فالعاميُّ لا مذهب له، والإصرار على جمع الناس بالقوة على مذهبٍ واحدٍ لا يزيدهم إلا فرقة، فمن يفعل ذلك يضيف مذهبًا جديدًا إلى المذاهب، ومن هنا ينبغي أن نُركِّز على الدعوة إلى الإسلام العام، وفي الأمور الخلافيَّة نعرض الأمر بدليله، ويأخذ المسلم ما يطمئنُّ إليه، وما يجد أنَّه أقوى في نفسه.

أمَّا أن نجعل من أمور الخلاف البسيطة، والبسيطة جدًّا، ميدانًا لشَّغْل الناس وإضاعة الوقت عمَّا هو أهم وأعظم، فلا يجوز بحال.

من ذلك مسألة وضع اليد في الصلاة، عند الصدر، أم فوق السُّرَّة، أم تحت السُّرَّة، أم على الجانبَيْن؟ مسائل لا تستحقُّ أنْ تؤلَّف فيها رسائل،

QaradawiBooks.com

كما فعل بعضهم، فألَّف رسالة بعنوان «نهي الصُّحبة عن النزول على الرُّكْبة»، يعني عند السجود في الصلاة، وآخر ألَّف رسالة بعنوان «الواحة في جلسة الاستراحة»، وقال آخر: أنا عملتُ تسع محاضرات في موضوع اللحية. ثمَّ سجَّلها في شرائط.

وأنا أتمنَّى أنْ يلتحي كلُّ الشباب المسلم، فاللحية من سُنن الفطرة، لكن هل تستحقُّ هذه القضيَّة أنْ أشغل الشباب بها الآن، أم أشغلهم بإقامة الصَّلاة، وترك الشهوات المُحَرَّمة؟

## رعاية الأولويَّات في مجال الدعوة:

أنا أعتبر أنَّ المسلم الَّذي يؤدِّي الفرائض ويجتنب الكبائر هو من الصف الإسلامي، فإذا انتشلتُ شابًّا من الجاهليَّة، وجعلته يُصلِّي للهِ ﷻ، ويبتعد عن الزنى، وشرب الخمر والمخدرات، فقد صار على الطريق القويم، فإذا وضع بين صُحبة صالحة سيرتقي بطبيعة الحال؛ لأنَّ الإنسان المؤمن لا يرضى بالدُّون، ولا بالهون، بل يحاول كما يقول بعض السَّلف: أنْ يكون يومه خيرًا من أمسه، وأنْ يكون غده خيرًا من يومه. وقد قالوا: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون[1]. والمؤمن لا يريد أنْ يكون من المغبونين، ولا من الملعونين، فهو يريد أنْ يَترقَّى.

ولكن حين أدعو هذا الشاب، أدعوه قبل أي شيء إلى الفرائض، فالنبي ﷺ حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «**إنَّكَ تأتي قومًا أهلَ كتاب، فليكُنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ**

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب صـ٣٠٠، نشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

**مُحَمَّدًا رسولُ الله، فإن هم استجابوا لك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة»**[1].

بعض الناس لا يقول لمن يدعوه: عليك خمس صلوات. والظهر منها مثلًا: أربع ركعات. بل يقول: عليك ثماني ركعات في الظهر: ركعتان قبله، وأربع فرض، واثنتان بعده. ولو كان على مذهب الأحناف يقول له: عليك اثنتا عشرة ركعة في الظهر: أربع قبله، وأربع فرضًا، وأربع بعده. هل يعقل أو يقبل حين تدعو مسلمًا جديدًا إلى الإسلام، أو إنسانًا حديث عهد بالتوبة، أنْ تدخله في هذه التفصيلات؟ بحسبك أنْ تدعوه إلى الفرائض أولًا، فهذا كلُّه يرجع إلى ما أسميته «فقه الأولويَّات».

نحن في حاجة إذنْ إلى أن نعرف فقه الأولويَّات، ما هو الشيء الأوْلى من غيره، الَّذي يسبقه، ويتقدَّم عليه؟ وأهم ما ينبغي أن نهتمَّ به هو تصحيح العقيدة بعيدًا عن الشِّركيَّات، وإقامة العبادة بعيدًا عن الابتداع، وتقويم الخلق بعيدًا عن الانحراف والسلبية، نريد تكوين الشخصيَّة المسلمة المتكاملة، عقلًا وروحًا ووجدانًا وفكرًا، فليكن تركيزنا على هذا الأمر، ثم يأتي بعد ذلك الترقِّي يومًا بعد يوم، يجب أنْ تُركِّز الصحوة الإسلاميَّة على هذا الفهم الَّذي يقوم على فقه الأولويَّات.

### الحاجة إلى أنواع أخرى من الفقه:

وقد ذكرت في بعض محاضراتي ستة أنواع من الفقه نحتاج إليها في عصرنا هذا، لا يتَّسع المقام لذكرها، لكن أذكر لكم عناوينها.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٥٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

نحن في حاجة إلى «فقه مقاصد الإسلام»؛ لأنَّ هناك بعض الناس يقفون عند الظواهر الحرفيَّة، ولا يفهمون المقاصد، هناك مقاصد في فقه الأحكام نحن بحاجة إليها، ماذا يقصد الإسلام من وراء هذا وذاك؟

نحن في حاجة إلى «فقه الأولويَّات»، وقد أشرنا إليه.

وفي حاجة إلى «فقه الموازنات» بين المصالح والمفاسد.

وفي حاجة إلى «فقه الواقع»، سواء كان واقعنا، أو واقع القوى المعادية لنا.

وهناك فقه آخر نحن في حاجة إليه أيضًا، هو «فقه الاختلاف»، كيف نختلف ولا نتفرَّق، ولا نصبح فِرقًا يعادي بعضنا بعضًا؟

**فقه السنن:**

ونحن ـ أيضًا ـ في حاجة إلى «فقه السنن»، أي إلى فقه القوانين الكونيَّة، والاجتماعيَّة، والإنسانيَّة الَّتي أقام الله عليها هذا الوجود، فهذا الوجود لا يقوم اعتباطًا، بل ربطه الله تعالى بشبكة من الأسباب والمسبَّبات، هذا سبب في هذا، كالمعادلات الرياضية، من جدَّ وجد، ومن زرع حصد، من سار على الدرب وصل، ومن نصر الله نصره الله، ومن غيَّر ما بنفسه غيَّر الله ما به، قوانين وضعها الله تعالى، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. هذه السنن أو القوانين لا تتخلف، ولا تتبدل، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

هذه الأُمَّة لا تتغيَّر بالكلام، ولا بالخطب، ولا بالتَّصريحات، ولا بالأوامر العسكرية، ولا بمجرَّد تشريع القوانين، هذا كلُّه لا يكفي وحده، إنَّما التغيير يبدأ من هنا، من النفس الإنسانية، فالإنسان يُقاد من

QaradawiBooks.com

باطنه لا من ظاهره، كان الإمام الشهيد حسن البنا يشبِّهها بعصا التَّحويل، وهي وسيلة تغيير الحركة أو الاتجاه في بعض الآلات، وكان المستشار حسن الهضيبي يقول: أقيموا دولةَ الإسلام في صدوركم تقُم على أرضكم.

إنَّ فلسفة التغيير في الإسلام تقوم على أساس تغيير الداخل، التغيير النفسي، وعند الشيوعيِّين فلسفة تقول: غيِّر الاقتصاد، أو الإنتاج، أو علاقاته؛ يتغيَّر التاريخ كله. وتقوم الفلسفة الجدليَّة المادِّيَّة عندهم على هذا الأساس.

والإسلام لا يقول بذلك، والتاريخ أيضًا يثبت عكسه؛ فالذي غيَّر العرب من الجاهليَّة الجهْلاء، والضلالة العمياء إلى الإسلام، والذي غيَّر عُمر والخنساء بطباعهما إلى الإسلام ـ ليست أوضاعًا اقتصاديَّة، ولا علاقات إنتاج، إنَّما تغيَّرت الأنفس، أو تغيَّر ما بالأنفس، على حدِّ تعبير القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. فغيِّر ما بنفسك يتغيَّر ما بالتاريخ، فينبغي أن نعرف هذه السنن والقوانين الكونيَّة، والاجتماعيَّة، والإنسانيَّة الَّتي أقام الله عليها هذا الكون، هذا فقه السنن.

## شمول الفقه بالمعنى القرآني:

وكلمة «فقه» تعبير قرآني، وقد أصبحت الكلمة مصطلحًا على معرفة الأحكام الجزئية من أدلتها التفصيلية، مثل أحكام الوضوء، والصلاة، وغيرها، هذا الفقه الاصطلاحي، لكنَّ الفقه القرآني أشمل كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. وكما قال الله في المشركين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]. هل لأنَّهم لا يعرفون الأحكام؟ لا؛ بل لأنَّهم ليس عندهم العقل الَّذي يتجاوز القشور إلى اللباب، وينزل من السطوح إلى الأعماق، ويعرف آيات الله وسننه، نحن في حاجة إلى هذا الفقه.

QaradawiBooks.com

**(٢) واجب العمل:**

ولكن أقول أيضًا لبناتي وأخواتي: إنَّ الفهم وحده، والفقه وحده، والوعي وحده لا يكفي؛ فلم يجئ الإسلام ليخاطب العقل فقط، أو الجانب الفكري فقط، صحيح هو يريد من الإنسان أن يكون ذا عقل وفكر، وهو غير المسيحية الَّتي تقوم على إبطال العقل، اعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك ثم اتبعني، إنَّما يقول القرآن: ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٠١]. ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦]. ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]. ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

**العلم للعمل:**

ولكن مع هذا ليس العقل والفكر والعلم كل شيء، إنَّما يُراد العلم للعمل، لا بدَّ من الالتزام السلوك العمليّ، وإلا كان العلم حُجَّة على صاحبه، وقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عملٍ لا يُرفع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[(١)]. العلم الَّذي لا ينفع حجَّةٌ على صاحبه.

وكان عمر بن الخطاب يقول: استعيذوا بالله من المنافق العليم. قالوا: يا أمير المؤمنين، كيف يكون منافقًا وعليمًا؟ قال: عالم اللسان، جاهل القلب[(٢)]. لم ينفذ علمُه إلى أعماقه، لم يكن من الراسخين، ولذلك لا بدَّ أنْ يتحوَّل علمنا إلى عمل، إلى سلوك.

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣).

QaradawiBooks.com

والصحابة لم يكونوا أناسًا يحفظون القرآن فحَسْب، ولكنَّهم كانوا نماذج حيَّة لهداياته ومثُله، وقد وصفت السيِّدة عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ بأبلغ عبارة، فقالت: كان خُلقُه القرآن[1]. افتح المصحف، واقرأ ما فيه من أخلاق وآداب وقيم وفضائل، تجدها مُجَسَّدةً في رسول الله ﷺ، فينبغي أنْ تكون المرأة المسلمة قرآنًا حيًّا، مصحفًا مُفسَّرًا، في خُلُقها، في سلوكها، في تعاملها مع الله، وفي تعاملها مع الناس، مع أسرتها، مع الأحباب والأعداء، مع الناس جميعًا.

**(٣) واجب الدعوة:**

المسلم الحقُّ هو الَّذي يفهم الإسلام، ويعمل به، ثم بعد ذلك يدعو إليه، كما قال السلف رضوان الله عليهم: الربَّانيُّ هو الَّذي يَعْلَم، ويعمل، ويُعلِّم، فذلك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء[2]. فلا يجعل ما علمه حكرًا على نفسه، بل ينشر نور العلم إلى غيره، ففي هذا فلاح الإنسان ونجاته، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢، ٣].

لا يكفي أنْ يكون الإنسان مؤمنًا صالحًا في نفسه، ويدع العالم من حوله ويقول: لا شأن لي به. لا، بل هو مسؤول عن إرشاد الضَّالين، وتعليم الجاهلين، وردِّ الشاردين، مسؤول عن هذا كله؛ لأنَّه صاحب دعوة، ولذلك كانت هذه الكلمة من شعار الإمام الشهيد حسن البنا: أصلح نفسَك، وادعُ غيرَك.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٢.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١٠/١) قال: وقال عيسى عليه السلام.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا بدَّ من صلاح نفسه أولًا، فلا ينبغي أنْ يدعو الإنسان غيره وهو عاطل، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه، ولكن لا يكتفي بصلاح نفسه حتَّى يعمل على إصلاح غيره، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

وانظروا إلى كلمة ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾، إنَّها تفاعُل من الجانبين، كما نقول في اللغة العربية. أي أنَّه يوصي غيره بالحقِّ، ويقبل من غيره أنْ يوصيه بالحقِّ، فليس هناك أحدٌ أصغر من أنْ يُوصِي، ولا أحدٌ أكبر من أنْ يُوصَى، كلُّ إنسان يوصِي ويوصَى، ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر: أيها الناس، رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي، من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني[1]. هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

وقد قرن الله بين الحقِّ والصَّبر، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ لأنَّه لا بدَّ للحق من صبر، فالحقُّ مُرٌّ لا يتجرَّعه إلا حُرٌّ، ومن وطَّن نفسَه على دعوة الحقِّ لا بدَّ أنْ يؤذى، والأذى يحتاج إلى صبر، كما وصَّى لقمان ابنه فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

إنَّ المعركة تحتاج إلى صبرٍ طويل، وهي معركة ممتدة في الداخل والخارج، كما جاء في بعض الآثار: المؤمن بين خمس شدائد: مسلم يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).

(٢) رواه أبو بكر بن الخلَّال في مكارم الأخلاق، بسند ضعيف، كما قال العراقي في تخريج الإحياء صـ٩٤٨. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٢٤) موقوفًا على أبي أمامة، =

QaradawiBooks.com

معركة في الداخل والخارج، فلا بدَّ أنْ يتسلَّح لينتصر في هذه المعركة، وإنَّما يتسلح باليقين والصبر، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

أقول، أيَّتها الأخوات والبنات الفضليات: على الإنسان المؤمن ـ سواء كان رجلًا أو امرأةً ـ بعد أن يفقه الإسلام هذا الفقه الَّذي تحدثنا عنه، ويلتزم خُلقًا وسلوكًا، عبادةً ومعاملةً، أنْ يدعو غيره.

وهذه الدعوة ليست من شأن الرجال وحدهم، فعلى الأخوات عبء كعبء الرجال، عليكن واجب الدعوة لأخواتكن، لا تزال هناك كثيرات بعيدات عن الإسلام الحقيقي، فلا بدَّ أنْ تَبلُغَهُنَّ كلمة الله ﷻ، لا بدَّ أنْ نقف في وجه المادية، والعِلمانيَّة اللادينيَّة، وكلُّ القوى المعادية لهذه الأُمَّة، هذا واجبنا، واجب الدعوة، ونحمد الله ﷻ أنْ شرح الصدور لتستجيب لدعوتنا، وفي كلِّ يوم نكسب أرضًا جديدة، وهذا ما يطمئننا، ويبشرنا بأنَّ الغد ـ إن شاء الله ـ لنا.

إنَّني أحمد الله تعالى أنِّي لقيت بناتي العزيزات في هذا الملتقى، وينشرح صدري وتُسرُّ نفسي كلَّما لقيت هذه الوجوه المؤمنة، المستمسكة بعروة الإسلام، الصامدة المُصرَّة على أنْ تجعل ـ إنْ شاء الله ـ الإسلام مصدر التشريع والتوجيه لهذه الأُمَّة، وعلى أنْ يكون هو القائد لمسيرتها، ولا قائد غيره، ولن يصلح آخر هذه الأُمَّة إلا بما صلح به أولها.

---

= بلفظ: المؤمن في الدنيا بين أربعة: بين مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان قد توكل به. وإسناده حسن.

QaradawiBooks.com

ونحن مُستَبْشــرون إنْ شــاء الله أنَّ الغــد لنا، وأنَّ المســتقبل لهذا الإســلام، وإنَّ مع اليوم غدًا، وإنَّ غدًا لناظــره قريب، ويوم ترتفع كلمة الإسلام، وتقوم دولته إنْ شاء الله، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا ـ أيَّتها الأخوات والبنات العزيزات ـ وأستغفر الله لي ولكنَّ، والسلام عليكنَّ ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٤

# دور المرأة المسلمة في الصحوة الإسلامية المعاصرة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أشكر لكنَّ، وأشكر لابنتنا وزميلتنا الأخت أمينة على ما قدمتني به، أسأل الله تعالى أن يجعلني عند حسن الظن، وأن يغفر لي ما لا تعلم ولا تعلمون.

حديثي في هذا اللقاء عن «دور المرأة المسلمة في الصحوة الإسلامية المعاصرة»، دور المرأة بصفة عامة، ودور الفتاة المسلمة بصفة خاصة، والفتاة الجامعية على وجه أخص، هل هناك صحوة إسلامية؟ وإذا كانت هناك صحوة حقًّا فما دور المرأة فيها؟ هل لها دور؟ وإذا كان لها دور فما هو؟ وما معالمه؟

## حقيقة الصحوة الإسلامية:

أمَّا أنَّ هناك صحوة إسلامية فهذا حق، نحن نعيش الآن في فترة من فترات الصحوة الإسلامية الحديثة، لا شكَّ أنَّ المسلمين قد أتى عليهم

(١) ألقيت في أحد المواسم الثقافية لجامعة قطر.

نسخة دعوية

حينٌ من الدهر غفوا فيه غفوة طويلة، وناموا نومة أهل الكهف، ودخل عليهم الأعداء من كل جانب، دخلت عليهم القوى المعادية من الشرق ومن الغرب، ومن الشمال ومن الجنوب، غزتهم هذه القوى، وانتزعتهم من إسلامهم الصحيح، وفرضت عليهم تشريعاتٍ غير إسلامية، وأنظمةً اجتماعية وسياسية واقتصادية غير إسلامية، وتقاليد وآدابًا غير إسلامية، حدث هذا كله في فترة من الفترات.

ثم شاء الله ﷻ ـ بعمل المجددين والدعاة والمربين وأهل الفكر الإسلامي، وقيام دعوات وحركات إسلامية في كل مكان ـ أن تنقشع هذه الظلمة، وأن يبرز النور من جديد، وأن تظهر صحوة إسلامية.

## أُمَّة الإسلام لا تموت:

وظهور هذه الصحوة أمر يتفق مع طبيعة الإسلام، ومع طبيعة الأُمَّة الإسلامية، فالأُمَّة الإسلامية لا يمكن أن تموت، والإسلام لا يقبل أبدًا أن يظل أهله نيامًا؛ لأنَّ من طبيعة هذا الدين أن ينفخ الروح في أهله، وأن يبعث الله ما بين الحين والحين من يُجدِّد لهذه الأُمَّة أمر دينها[١]، وأنَّه لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة قائمة على الحقِّ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك[٢]، هذا أمر طبيعي، ولذلك انطلقت الصيحات تعمل على الإيقاظ والتحريك والتجديد؛ حتى كانت هذه الصحوة الإسلامية، فالصحوة الإسلامية موجودة وحقيقة.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه. ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٦٣.

QaradawiBooks.com

**صحوة شاملة:**

وهذه الصحوة لهـا خصائص، ومن خصائصها أنَّها صحوة شـاملة، بعض الناس حسبوها في أول الأمر أنَّها صحوة عاطفية: مشاعر إسلامية، حماس للإسـلام، ولكن الواقع أنَّها صحوة عاطفية لأنَّها فعلًا تجسـد مشاعر الولاء للإسلام، والحب لهذا الدين، والتعلق بأهدافه ومثله، هذه المشاعر أمر لا بدَّ منه، فالإنسان ليس مجرد عقل جاف، وإنَّما هو عقل وعاطفة، ففيه الجانب العاطفي، تحولت مشاعر الولاء، بعد أن كانت في وقت من الأوقات للوطنية فحسـب، أو للقومية فقط، أو للاشتراكية، أو لليبرالية، أو لغيرها من النزعات.. أصبحت هناك مشاعر الحماس والولاء لهذا الدين، فهي صحوة عاطفة.

ثم هي صحوة عقل وفكر، الفكر الإسـلامي الـذي كان نائمًا أو كان معزولًا عن فهم الإسـلام، غشـته غـواشٍ بحيث لا يفهم الإسـلام فهمًا صحيحًا، هـذا الفكر صحا، وبدأ يعرف الإسـلام على حقيقته؛ بشـموله وتوازنه وعمقه، لم يعد هناك تمزيق للإسلام كما كان من قبل، أنَّ الإسلام في المسـجد فقط، أو الإسلام عبادات فقط، أو الإسـلام عقيدة فقط، لا، الإسلام عقيدة وعبادة، وخُلق وسلوك، ومعاملة وتشريع، وهو رسالة تمضي مع الإنسان منذ يولد إلى أنْ يموت، بل تنظم له حياته قبل أنْ يولد، وتهتم به بعد أنْ يموت، فهناك أحكام تتعلق بالجنين في بطن أمه، وأحكام تتعلق بالميت: أحكام الجنائز. والإسـلام رسـالة للفرد وللأسـرة، وللمجتمع وللإنسانية كلها، هكذا بدأ الإسلام يُفهم من جديد، فهي صحوة عقل.

وأصبح الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول في سوق التوزيع الآن، حينما يقوم معـرض كتاب في أي بلد؛ يكـون أول كتاب يضرب الرقم

QaradawiBooks.com

القياسي في التوزيع والانتشار هو الكتاب الإسلامي، ومن يقرأ؟ هم الشباب المثقف والشابات المثقفات، فهي صحوة عقل.

**صحوة العقل الإسلامي:**

العقل الإسلامي قد صحا، وبدأ ينتقل من مرحلة إلى مرحلة. في وقت من الأوقات كان همُّ العقل الإسلامي هو التبعية، وأقصد بهذا العقل عقل المسلمين، نادى بعض الناس بأنه لا سبيل إلى نهضتنا إلا إذا أخذنا الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب!

وفي وقت آخر كانت مهمة العقل الإسلامي التبرير، أي: البحث عن سندات شرعية للحضارة الغربية وما صنعته من واقع في أرضنا، أي: نحاول أن نلبس هذا الخواجة الغربي عباءة إسلامية، أو جبَّة إسلامية، أو عمامة إسلامية! فنحاول تفريخ الفتاوي لتبرير الواقع، حتى حاولوا أن يحللوا الربا ويحللوا ما حرم الله؛ إرضاءً للخواجة الغربي.

انتهت هذه المرحلة، وجاءت بعدها مرحلة الاعتذار عن الإسلام، أي أنَّ المسلمين تصوروا الإسلام متهمًا في قفص الاتهام، وعلينا أن ندافع عنه، كل ما لا يوافق الغرب يجب أن نعتذر عنه، ونقف موقف المحامي: مثل الطلاق، وتعدد الزوجات، والجهاد، والربا وهذه الأشياء؛ لأننا نخالف فيها فلسفة الغرب، فكأنه مطلوب منا أن نعتذر عن الإسلام: لماذا لم يأتِ كما يريد الغرب؟! لماذا شرع الطلاق؟ ولماذا شرع التعدد؟ ولماذا شرع الجهاد؟ ولماذا حرَّم الربا؟ كانت هذه مرحلة الاعتذار، الأسلوب الاعتذاري في الدعوة إلى الإسلام.

QaradawiBooks.com

انتهت أيضًا هذه المرحلة، وأصبح العقل الإسلامي في مرحلة المواجهة مع الفكر الغربي، ومع الفلسفة الغربية، ومع الحضارة الغربية، نحاول أن نهاجم بدل أن كنا ندافع، وأن نبين عوار هذه الحضارة وتهافتها، وأنَّها لم تسعد أهلها، صحيح أنَّهم استطاعوا أن يصلوا إلى القمر، ولكن هل استطاعوا أن يسعدوا الإنسان على ظهر الأرض؟ لم يستطيعوا، لم يهيئوا للإنسان سكينة النفس وإنْ هيَّؤوا له متعة البدن، اعتنوا بالوسائل ولم يعتنوا بالغايات، بمقاصد الحياة، لماذا يعيش الإنسان؟ لم تُجِب هذه الحضارة على الأسئلة الخالدة: من أين وإلى أين ولِمَ؟ من أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ولِمَ أعيش؟ ما رسالتي؟ هذه الحضارة بدأ يظهر تهافتها، وبدأ الفكر الإسلامي يبين ضعفها وتناقضها وعجزها عن أن تسعد الإنسان، فهذه من مظاهر الصحوة، هي صحوة عاطفة وصحوة عقل.

**صحوة إرادة وتصميم:**

وهي كذلك صحوة إرادة، صحوة تصميم على العودة بالإسلام إلى الحياة، الإسلام عُزل عن الحياة وعن قيادة المجتمع، حينما دخل الاستعمار الغربي وحكم بلاد الإسلام؛ عزل الإسلام، لم يعد للإسلام الهيمنة على التشريع، والتوجيه والتعليم والإعلام والثقافة، والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالصحوة الإسلامية الآن تتمثل في إرادة المسلمين أن يعودوا مسلمين: أن تعود الشريعة الإسلامية إلى التطبيق، ويعود الإسلام حاكمًا للحياة؛ باجتماعها واقتصادها وسياستها، وأخلاقها وعباداتها.

ولذلك نرى من مظاهر هذه الإرادة التنادي في العالم الإسلامي كله بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، والعودة إلى الحياة الإسلامية

QaradawiBooks.com

الحقيقية، الحياة التي توجهها عقيدة الإسلام، وتحكمها شريعة الإسلام، وتضبطها أخلاق الإسلام، وتسودها قيم الإسلام وآداب الإسلام، فهي صحوة عقل، وصحوة عاطفة، وصحوة إرادة.

**صحوة سلوك وعمل:**

وهي كذلك صحوة سلوك، ليست مجرد عقل ولا عاطفة، ولا مجرد تصميم على كذا، ولكنها صحوة تتمثل في عمل، في سلوك. نرى آثار هذا في هذه العودة الإسلامية التي نراها في المساجد، في وقت من الأوقات لم يكن الإنسان يجد في المساجد إلا الناس الذين أكل الدهر عليهم وشرب، الآن نجد عشرات من الشباب في كل مسجد يعمرونه.

وفي العمرة نجد عشرات الآلاف يذهبون باستمرار إلى العمرة، ونجد موسم الحج يزدحم بالملايين؛ حتى وجدنا بعض البلاد الإسلامية تضع بعض العراقيل والقيود في سبيل الحجاج، لتحد من كثرتهم، فيعملون قرعة وكذا وكذا، والمملكة السعودية أيضًا من داخلها تحاول أن تقلل الأعداد لكثرة من يقف في موقف الحجيج؛ بحيث لا يقتل الناس بعضهم بعضًا في الزحام!

كما أنَّ التزام المرأة الحجاب الإسلامي كان شيئًا شاذًّا في وقت من الأوقات، أنا كنت أسير في بعض العواصم العربية في فترة من الزمن، وأنظر عن يمين وشمال؛ فلا أكاد أجد امرأة محجبة، كان الحجاب شيئًا نادرًا أو شاذًّا، حتى المرأة العجوز التي أكل الدهر عليها وشرب: تلبس ما يسمى «الجابونيز أو الميني أو الميكرو»، وهكذا، ففي وقت من الأوقات لم يكن هذا الحجاب الذي نراه الآن موجودًا.

QaradawiBooks.com

هذا كله دلالة على أنَّ الصحوة الإسلامية تتجلَّى آثارها في سلوك إسلامي، فهذا كله من خصائص الصحوة الإسلامية، أنَّها صحوة شاملة، فهي شاملة من ناحية العمق.

**صحوة عالمية واسعة:**

وهي كذلك شاملة من ناحية العرض، من ناحية أفقها، فهي ليست فقط صحوة في بلاد الخليج، أو صحوة في بلاد العرب، أو صحوة في بلاد المسلمين، بل هي صحوة حتى في خارج بلاد المسلمين، زرت أوروبا وأمريكا، وبلاد الشرق الأقصى: كوريا، واليابان، وسنغافورة، وهونج كونج. ورأيت آثار هذه الصحوة، ولمستها بنفسي، في كل مكان وجدنا آثار هذه الصحوة المباركة، الإقبال على الإسلام، والعودة إليه بقوة وصدق وحماس، فهذه العالمية من خصائص هذه الصحوة الجديدة.

**صحوة شباب الجامعة والمثقفين:**

ومن خصائص هذه الصحوة أيضًا أنَّها صحوة شباب، العمود الفقري فيها هو الشباب، لم يعد التديُّن مقصورًا على العجائز، لا، الآن نلاحظ أنَّ الشبان والشابات هم أكثر حرصًا على الدين، وأكثر إقبالًا عليه، وحماسًا له! هذا ما نشاهده، نجد بعض الصراع بين الجيل الجديد والجيل القديم، البنت تناقش أبويها وأهلها، والولد يناقش أبويه وأهله، لأنَّ هؤلاء الأبناء أصبح عندهم فهم جديد، ووعي جديد، وحماس جديد للإسلام، فهذه الصحوة يجري فيها العنصر الشاب، وبخاصة العنصر المثقف، لم يعد التدين مقصورًا على أهل الريف والقرى، والبدو والفلاحين، لا، الصحوة الإسلامية الحديثة صحوة الشباب المثقف، صحوة الشباب الجامعي، صحوة الفتى الجامعي والفتاة الجامعية، هذه هي الحقيقة.

QaradawiBooks.com

في السنوات الماضية في مصر قبل أن يحدث ما حدث أخيرًا كانت هناك جماعات إسلامية في كل الجامعات، وكل الكليات النظرية والعملية والعلمية، وفي الكليات العملية والعلمية أكثر من الكليات الأدبية والدينية، ففي الأزهر كان أكثر الجماعات الإسلامية في كليات الطب والهندسة ونحوها، لا في كليات أصول الدين والدعوة والشريعة، كان هناك جماعات إسلامية بعشرات الآلاف ومئات الآلاف.

كانت هذه الجماعات تنظم صلاة العيد في ميادين مصر، ميدان الجمهورية أو ميدان عابدين، وكنت أخطب فيه العيد، وفي آخر خطبة فيه خطبت فيما يقرب من حوالي نصف مليون من الشباب والشابات الملتزمين بالإسلام حقًّا وصدقًا.

هذه هي مظاهر وخصائص هذه الصحوة الإسلامية الجديدة، فالسؤال: هل هناك صحوة أم لا؟ نعم هناك صحوة لها هذه الخصائص ولها هذه الآثار.

## دور المرأة المسلمة في هذه الصحوة:

**والسؤال الثاني**: هل للمرأة المسلمة والفتاة المسلمة والجامعية على الأخص دور أو مكان أو مهمة في هذه الصحوة؟ أم هي صحوة مقصورة على الرجال؟

الجواب بالتأكيد: إنَّها صحوة للرجال والنساء، بل لعلَّ من خصائص هذه الصحوة أنَّها لم تغفل المرأة، وأنَّ للمرأة مكانًا بارزًا فيها، فهي صحوة للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، هي صحوة للجنسين جميعًا، فللمرأة دور بارز فيها، ولا يمكن أن يكون الأمر إلا كذلك إذا كانت صحوة

QaradawiBooks.com

حقيقية؛ لأنَّ المرأة نصف المجتمع أو أكثر، ولا يمكن إغفال دور المرأة وأهميتها في مثل هذه الصحوة.

## مكانة المرأة في القرآن الكريم:

الذي يقرأ القرآن يجد أنَّ المرأة على مدار التاريخ كان لها مكانها في رسالات الأنبياء وفي حياتهم، منذ الإنسان الأول، الأب الأول للبشرية: آدم عليه السلام؛ كان هناك دور للمرأة، منذ خلق الله آدم خلق له زوجه ليسكن إليها، وقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فكان لا بدَّ لآدم من حواء، وأن يسكنا معًا الجنة، وأن يصدر إليهما الأمر والتكليف بصيغة واحدة، ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فالمرأة من أول يوم مكلَّفة كالرجل، ولما نزل آدم إلى الأرض كانت معه حواء، استُخلف هو وحواء في الأرض، وكان منهما هذه الذرية.

وإذا نظرنا إلى قصص القرآن نجد نبيًّا عظيمًا مثل موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليمًا، واصطفاه برسالاته وبكلامه؛ نجد دور المرأة في حياته من أول يوم، هل تعرفون شيئًا عن والد موسى؟ كل ما نعرفه أنَّ اسمه موسى بن عمران، ما دور عمران هذا؟ لا نعرف عنه شيئًا!

إنَّما نعرف دور أمِّ موسى، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

ونعرف دور امرأة فرعون حينما حجزت فرعون عن التفكير في قتله، ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [القصص: ٩].

QaradawiBooks.com

ونعرف موقف أخت موسى حيث ظلت تقص أثره، وتتبع خبره؛ حتى عرفت أنه نزل في بيت فرعون، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

ونعرف قصة الفتاتين في مَدْيَن ابنتي الشيخ الكبير اللتين سقا لهما موسى، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، واقترحت على أبيها في ثقة وشجاعة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وإذا نظرنا إلى قصة سليمان في القرآن نجد موقف هذه الحاكمة الحكيمة العادلة: بلقيس ملكة سبأ، التي حكمت قومها بحكمة، وساستْهم بذكاء وعدل، وكانت امرأة شورية أو ديمقراطية، كما يقولون في عصرنا، فلما جاءها كتاب سليمان: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]. عرضت عليهم الأمر: ماذا نفعل أمام هذا الكتاب المختصر؟ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢].

ولخَّصت لهم ماذا يفعل الفتح الاستعماري بجملتين قصيرتين، ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، لخصت ماذا يفعل الاستعمار في البلاد! إفساد البلاد وإذلال العباد، ثم بينت سياستها مع هذا الإنسان الجديد؛ هل هو ملك؟ هل هو نبي؟ وأرادت أن تختبره، وكان ما كان.

وإذا نظرنا إلى قصة عيسى في القرآن نجد أم عيسى مريم البتول، التي اصطفاها الله وطهَّرها، واصطفاها على نساء العالمين، وأم مريم التي

QaradawiBooks.com

نذرتها وهي في بطنها لله لخدمة المعبد، ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦]. وهكذا حدَّثنا القرآن عن دور المرأة في مواقف تاريخية عديدة.

وفي الإسلام نحن نعرف موقف المرأة في حياة النبي ﷺ، أول من تولى رعايته أمُّه؛ لأنَّ الله أراد أن يُتوفى أبوه وهو في بطن أمه، فأصبحت أمه هي الكفيلة به، الراعية له، ثم نعرف حليمة السعدية مرضعته، نعرف أم أيمن حاضنته بركة الحبشية التي قال عنها النبي ﷺ: «**كانت أمي بعد أمي**»[1]. نعرف خديجة بنت خويلد، ونعرف أمهات المؤمنين.

## ميادين مشاركة المرأة في الصحوة الإسلامية:

إذنْ لا يمكن أن نتصوَّر المرأة خارج الصحوة الإسلامية، لا بدَّ أن يكون للمرأة مكان في الصحوة الإسلامية المعاصرة، وأن تكون لها مهمة ودور بارز.

ما معالم هذا الدور؟ ما هي المجالات والميادين التي تعمل فيها المرأة المسلمة والفتاة المسلمة في هذا العصر؟ إنَّها تعمل في عدة مجالات وعدة ميادين:

### تصحيح عقيدتها وتصوراتها وعباداتها:

المجال الأول عملها مع نفسها، المرأة المسلمة والفتاة المسلمة عليها أن تبلور شخصيتها؛ بما يتفق مع الإسلام: من ناحية العقيدة، ومن

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/٨)، عن سليمان بن أبي شيخ معضلًا.

QaradawiBooks.com

ناحية الفكر، ومن ناحية الخُلق، ومن ناحية السلوك، لا بدَّ أن تصحح عقيدتها، فتطارد الأوهام والخرافات التي سادت في وقت ما في المجتمعات الإسلامية: خرافات السحر والشعوذة، والجن والعفاريت، والذين يضربون الرمل ويفتحون الكتاب، والتمائم وهذه الأشياء التي توارثها الناس، ينبغي أن تصحح المسلمة عقيدتها، وينبغي أنْ تصحح عبادتها وتخلصها لله: الصلاة والصيام، وهذه العبادات، يجب أن توثق صلتها بالله ﷻ.

وينبغي أنْ تصحح فكرها عن الإسلام، وتطارد رواسب الغزو الفكري، الذي غزا المسلمين والمسلمات في غفلة من الزمن، والأباطيل التي تشاع عن الإسلام، بأنه جار على المرأة وحاف عليها! يجب أن تفهم حقيقة موقف الإسلام من المرأة، تعرف لماذا جعل الإسلام للذكر مثل حظ الأنثيين؟ ولماذا جعل شهادة المرأة في بعض الأوقات نصف شهادة الرجل؟ ولماذا كذا؟ لا بدَّ أن تفهم هذا، لا بدَّ أن تصحح فكرها وتعرف الإسلام من ينابيعه الصافية، نقيًّا من الفضول والشوائب، والزوائد والبدع، التي كدَّرت صفاء الإسلام.

**تقويم خُلُقها وسلوكها:**

ثم من ناحية أخرى لا بدَّ أن تقوِّم خُلُقها بما يتفق مع الإسلام، وأن تقوم سلوكها بما يتفق مع آداب الإسلام، لا ينبغي للمسلمة أن تظل أسيرة تقليد المرأة الغربية، المرأة الغربية شيء، والمرأة المسلمة شيء آخر، لكل منهما أهدافه ومُثُله وآدابه وتقاليده، المرأة الغربية لا تتقيد بفكرة حلال وحرام، العلاقات الجنسية عندهم مباحة، كلأ مباح، هل نحن مثل هؤلاء؟ لا، عندنا شيء اسمه الحلال والحرام، وهذا يرضي

QaradawiBooks.com

الله، وهذا يسخط الله، تلك تستطيع أن تلبس ما تشاء، لكن لا يمكن للمسلمة أن تلبس ما تشاء؛ إذا أرادت أن تتقيد بتعاليم الإسلام، الإسلام يقول لها: البسي كذا، ولا تلبسي كذا، إياك وما يشف وما يصف، وهكذا.

## تحرر المرأة المسلمة من التقليد الأعمى:

لا بدَّ إذنْ للمرأة المسلمة أن تتحرر من هذا التقليد الأعمى، مثل هؤلاء اللاتي يقلدن الموضات: موضة الشتاء، وموضة الخريف، وموضة الربيع، وكل فصل له موضة، وكل سنة لها موضة، مرة قصير، ومرة طويل، ومرة بين بين، وهذا ما حذَّر منه النبي ﷺ بقوله: «**لتتبعن سَنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحْر ضب لسلكتموه**»[1].

وجُحر الضب يُضرب به المثل في الالتواء والظُّلمة، وسوء الرائحة، ولكن إذا دخل هؤلاء جحر الضب يصبح دخوله موضة، وتظهر موضة اسمها «موضة جُحر الضب»، وهكذا، ألم تروا مثلًا موضة تطويل الأظافر، أنا والله أتعجب كيف يطيل الإنسان أظافره، مع أنَّ من السُّنَّة تقليم الأظافر، وحتى لا يشبه الإنسان السباع ونحوها، كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يقلد هؤلاء، لكن للأسف ما داموا فعلوا هذا؛ فعلينا أن نقلد، فقدنا شخصيتنا الإسلامية!

## تميُّز شخصية المرأة المسلمة:

على المسلمة أن تكون متميزة في شخصيتها، «**لا يكن أحدكم إمَّعة يقول: أنا مع الناس: إنْ أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت!**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

**ولكن وطنوا أنفسوا إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا**»[١]. المسلم ليس ذنبًا وليس ذيلًا، والمسلمة أيضًا ليست ذنبًا للمرأة الغربية تتبعها شبرًا بشبر، إنَّما المسلمة مستقلة الشخصية متميزة، والإسلام أرادنا أن نكون متميزين في مخبرنا وفي مظهرنا، حتى المظهر إذا رأى أحد إنسانًا يعرف أنَّه مسلم أو مسلمة، المرأة المسلمة تُعرف بهيئتها الإسلامية، بحجابها الإسلامي.

كنا في مؤتمر من المؤتمرات، فقامت إحدى الأخوات تعترض على بعض الفتيات المسلمات الجامعيات الحاضرات، وقالت: لماذا التشديد في مسألة الحجاب؟ وهل الصحوة الإسلامية صحوة حجاب أم صحوة لُباب؟ وكان الرد عليها أنَّها صحوة حجاب ولُباب معًا، ومن قال: إنَّ الحجاب ليس من اللباب؟! من الذي زعم أنَّ الحجاب يقع في مرتبة القشر، وليس في مرتبة اللب؟!

الحجاب أمر فرضه الله في كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، إلى آخره، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وجاءت أحاديث النبي ﷺ تحذر أشد التحذير من الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، وجعلهن من أهل النار، وأنَّهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها[٢].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة، والمبادئ الكلية في الإسلام.

(٢) سبق تخريجه صـ٨١.

QaradawiBooks.com

الحجاب إذنْ لا يمكن أن يكون في مرتبة القشر، وإنَّما في مرتبة اللباب؛ لأنَّه من أوامر الله الحاسمة الصريحة، فلم يقتصر على المجيء في السُّنَّة، بل جاء في القرآن ذاته، فالحجاب يتعلق بشخصية المرأة المسلمة والفتاة المسلمة، لأنَّها تعمل على أنْ يكون سلوكها إسلاميًّا، وأن يكون هواها تبعًا لما جاء به محمد ﷺ، تصبح مشاعرها إسلامية، وميولها إسلامية؛ كما جاء في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[1].

هذا هو المجال الأول لعمل المرأة في الصحوة الإسلامية المعاصرة، عملها مع نفسها، ابدأ بنفسك، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، قبل أن تقي الناس النار؛ قِ نفسك.

## دور المرأة مع أسرتها:

ثم بعد ذلك يبدأ العمل في المجال الثاني، وهو مجال الأسرة، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وكما أنَّ الرجل مخاطب أن يقي أهله النار؛ المرأة أيضًا مخاطبة أن تقي أهلها النار؛ لأنَّ الأصل أنَّ الخطاب في القرآن للرجال والنساء جميعًا، والتكاليف الشرعية للجميع؛ إلا ما كان مخصوصًا بأحد الجنسين بأدلة معينة، لكن الأصل في الأوامر والنواهي أنَّها للرجال وللنساء، فلا بدَّ أن تعمل المرأة لهداية أسرتها.

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٥)، وابن بطة في الإبانة (٢٧٩)، والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى (٢٠٩)، وصحَّح إسناده النووي في آخر الأربعين النووية، وقال الحافظ في فتح الباري (٢٨٩/١٣): رجاله ثقات. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

**دور المرأة ابنة:**

إن كانت المرأة ابنة فينبغي أن تدعو أبويها إلى ما هداها الله إليه، وطبعًا الأبوان لهما خصوصية، لا ينبغي أن يرفع الإنسان صوته عليهما، هناك أدب للبنوة مع الأبوة، وللتلمذة مع الأستاذية، فلا بدَّ أن نراعي هذا! والإمام الغزالي جعل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة مراتب: هناك مرتبة البيان والتعريف، ومرتبة الوعظ والتخويف، ومرتبة السب والتعنيف، ومرتبة التغيير باليد، ومرتبة القتال والمحاربة، هذه مراتب، لكن لا يمكن ولا يرضى الإسلام: أن يذهب أحدهم إلى أبويه ويغير المنكر بيده، فإذا وجده يلبس حرير شق ثوبه، هذا لا يجوز!

يمكن أن يفعل الأب هذا مع ابنه، لكن لا يمكن أن يفعل الابن هذا مع أبيه، حتى مرتبة السب والتعنيف لا تجوز مع الأبوين، لكن يناسبهما مرتبة البيان والتعريف، هذا حلال، وهذا حرام، وهذا فرض، وهذا واجب، ومرتبة الوعظ والتخويف، يذكرهما الله والدار الآخرة، فإذا كانت الفتاة المسلمة ابنة، فينبغي أن تدعو أبويها بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تجادلهما بالتي هي أحسن، وإذا كانت أختًا أيضًا تدعو إخوانها وأخواتها إلى ما وفقها الله إليه.

**دور المرأة زوجة:**

وإذا كانت زوجة وكان زوجها من أهل الدعوة والجهاد، فينبغي أن تكون عونًا له، لا ينبغي أن تكون مثبطًا له كما تفعل بعض النساء، لا، لتكن كما كان نساء السلف الصالح، كانت المرأة تقوي زوجها على الجهاد في سبيل الله، وحينما يذهب إليها المثبطون يقولون لها: يا أم

QaradawiBooks.com

فلان، كيف تركك أبو فلان وذهب إلى الجهاد، ومن أين تعيشين وتأكلين؟ فتقول لهم في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: إنَّ أبا فلان ـ تعني زوجها ـ منذ تزوجته عرفته أكَّالًا، وما عرفته رزَّاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزَّاق[١].

هكذا ينبغي أن تكون المرأة عونًا لزوجها على طاعة الله، تحثه على التزام الحلال وتحريه، والبعد عن الحرام وعن الشبهات، كما كانت الزوجة من نساء السلف الصالح تقول لزوجها عندما يخرج للضرب في الأرض والبحث عن الرزق: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإنَّا نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حر النار وغضب الجبار[٢]. لا تقول له: يا لخيبتك، فلان كسب كذا مليون، وأنت عامل لي شيخ. كلمة مثل هذه تجعله يرتكب الموبقات، أمَّا إذا قالت له: إيَّاك وكسب الحرام! فإنَّ هذه الكلمة من زوجته سيكون لها تأثير إيجابي كبير جدًّا، فالمرأة يجب أن تكون عونًا لزوجها إن كان من أهل الدعوة والجهاد.

وإن كان زوجها ليس من أهل الطاعة والصلاح؛ فينبغي أيضًا أن تدعوه، تدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة أيضًا، تراعي حق الزوجية وحق القوامة، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، عليها أن تدعوه إلى الخير، وتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر بالرفق، «**وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه**»[٣].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٥٨/٢).
(٢) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).
(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

**دور المرأة أمًّا:**

وإذا كانت المرأة أُمًّا فعليها أيضًا أن تكون عونًا لأبنائها وبناتها على طاعة الله، إن كانوا من أهل الطاعة تشجعهم على طاعة الله، والدعوة إلى الله، وعلى البذل في سبيل الله كما كانت الأمهات الصالحات.

رأينا امرأة مثل الخنساء حينما ذهب أولادها إلى الجهاد، بنوها الأربعة اشتركوا في معركة القادسية؛ فجلست إليهم قبل المعركة، ونصحت لهم، وحثتهم على الجهاد، وحذَّرتهم من النكوص أو التردد، ورغَّبتهم في الشهادة في سبيل الله، ولهذا حينما كانوا في المعركة وتردد بعضهم أو فتر ورآه أخوه؛ فقال له: أنسيت وصية العجوز البارحة؟! وما زالوا يقاتلون مُقدمين غير مُحْجمين ولا هيابين؛ حتى رزقهم الله الشهادة، استشهد الأربعة في معركة واحدة، وجاءها الخبر، ونعاهم إليها الناعي؛ فلم تلطم خدًّا، ولم تشق جيبًا، ولم تدعُ بدعوة الجاهلية، وقالت: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم، وجعلهم شفعاء لي يوم القيامة[1]. هذه هي التي ملأت الدنيا بكاءً وعويلًا على أخيها صخر، وكان أخاها من أبيها قبل الإسلام، لكنها هنا لم تفعل شيئًا إلا أنَّها حمدت الله على أنَّه شرفها بشهادتهم في سبيله، وأنَّهم سيكونون شفعاء لها يوم القيامة، هذا هو موقف الأم المسلمة، ينبغي أن تكون معوانًا لأبنائها وبناتها على طاعة الله.

حينما قيل لأم الفضل: إنَّ بنيك تفرقوا في الأرض، ودفنوا في بلاد شتى. هذا دُفن في البلد الفلاني، وهذا دُفن في البلد الفلاني؛ فرَّقتهم معارك الجهاد، فقالت: باعدت بينهم الهِمَم. لو كانوا من ذوي الهمم

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٢٩/٤).

QaradawiBooks.com

المنحطة لماتوا كلهم بجوارها، لكن الهمم باعدت بينهم، جعلت كل منهم يجوب أرضًا غير أرض أخيه.

وأسماء ذات النطاقين حينما استشارها ابنها عبد الله بن الزبير في قتال بني أمية، نصحته ألا يسلم لهم، وأن يقاتل حتى آخر رمق، قال لها: إنِّي أخاف أن يمثلوا بي. قالت له: يا بني، إنَّ الشاة لا يضرها سلخُها بعد ذبحها[1]. كلمات تاريخية معروفة، إذنْ هناك دور للفتاة المسلمة في مجال الأسرة.

## دور الفتاة مع بنات جنسها:

ثم هناك دور ثالث للفتاة المسلمة: هو دورها مع بنات جنسها بصفة عامة، وهذا في الحقيقة من أخطر الأدوار وأهمها، نحن نعلم أنَّ المرأة المسلمة قد غزاها الاستعمار الثقافي: أفسد عقلها، وأفسد نفسيتها، وأخرجها عن أدبها الإسلامي، وعن حشمتها الإسلامية، فعششت في فكرها مفاهيم غريبة دخيلة عن الحياة الإسلامية، فكان لا بدَّ أن نعمل على استخراج هذه الأفكار الغازية الدخيلة، أن نطهر هذه الأمخاخ من هذه المفاهيم الغربية التي دخلت على المرأة المسلمة، سنين طويلة وهي تتلقى عن طريق المدرسة حينًا، وعن طريق الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات، وعن طريق الصحف والمجلات المصورة وغير المصورة، وعن طريق الشارع وما ترى فيه من مظاهر خارجة عن الإسلام، وعن طريق.. وعن طريق! حتى بعدت الفتاة المسلمة عن الإسلام.

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤٠١/٣).

QaradawiBooks.com

للأسف ما يسمونه النهضات النسائية في بلاد العرب نشأت كلها بعيدة عن الإسلام، قادتها نساء لا يعرفن عن الإسلام شيئًا، من المتفرنجات المتحررات كما يقولون، والأولى أن يُقال: المتحللات من عُرَى الدين الوثقى. النهضات النسائية، والاتحادات النسائية، والجمعيات النسائية التي قامت منذ أوائل هذا القرن في البلاد العربية قامت بعيدة عن الإسلام.

ولذلك كان ميدان المرأة من الميادين التي غُزينا فيها من الحضارة الغربية، وهُزمنا فيها في وقت من الأوقات، هناك ميدان الاقتصاد، وميدان المرأة، وميدان الفن والإعلام.

نحن في ميدان الاقتصاد والحمد لله بدأنا نقيم بنوكًا إسلامية، ومصارف إسلامية، ومؤسسات استثمارية إسلامية، ومؤسسات للزكاة، وفي ميدان المرأة بدأت المرأة تعود إلى الإسلام وتصحو مع أخيها الرجل، فعلينا أن نقدِّر هذا، وتعمل المرأة المسلمة التي هداها الله للإسلام مع بنات جنسها تدعوهن إلى الإسلام الصحيح: تصحح عقيدتها، وتصحح عبادتها، وتصحح فكرها، وتصحح خُلُقها، وتصحح سلوكها، لا بدَّ أن تسعى لهذا، هذا عمل طويل ممتد.

### أسباب هزيمتنا في ميدان المرأة:

ونحن ينبغي ألا ننكر أن من أسباب انتصار الغزو الثقافي في ميدان المرأة: أنَّ المجتمعات الإسلامية للأسف ظلمت المرأة في بعض العصور ظلمًا كبيرًا، خرجت على تعاليم الإسلام، لم تُعطِ المرأة الحقوق التي أعطاها إيَّاها الإسلام، فكانت الفتاة تُزوَّج رغمًا عنها، وتُزوَّج من لم تره قط، وتفاجأ به ليلة زفافها، يجبرها أبوها على الزواج من إنسان

QaradawiBooks.com

لا تعرفه، ومن الأشياء التي كانوا يقولونها: المرأة الصالحة لا تخرج من بيتها إلا مرتين، مرة إلى بيت زوجها ومرة إلى قبرها! من قال هذا؟! وقد كان نساء المسلمين يخرجن لحوائجهن؟

جرنا على المرأة، وأشعنا أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، مثل حديث: «شاوروهن وخالفوهن»[(١)]! ما قال هذا رسول الله ﷺ، كيف وقد شاور أم سلمة في أمر عامٍّ يهم المسلمين في صلح الحديبية، وأشارت عليه بالرأي الصواب، وعمل برأيها؟ وفي القرآن الكريم: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقد ردت امرأة على عمر قوله وهو يخطب على المنبر، فرجع عن رأيه إلى رأيها وقال: أصابت المرأة وأخطأ عمر[(٢)]. فنحن في الحقيقة ظلمنا المرأة، وكان هذا من أسباب انتصار الغزو الثقافي في وقت من الأوقات.

ولهذا كان عمل الفتاة المسلمة مع بنات جنسها عملًا مهمًّا حتى تعود بها إلى الإسلام الصحيح، ومن أولى الناس بهذا العمل إلا المسلمة الملتزمة؟! أن تعمل باستمرار مع بنات جنسها؛ حتى تعود بهن إلى الصراط المستقيم، إلى الإسلام الصحيح، الإسلام الملتزم، هذا ميدان.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٠.

(٢) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى في الكبير؛ وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف. وقد ذكرها ابن كثير (٢١٣/٢). في تفسير سورة النساء، وقال: إسنادها جيد.

QaradawiBooks.com

**ميدان العمل للإسلام العام:**

وميدان رابع وأخير هو ميدان العمل العام للإسلام، العمل لعودة الإسلام إلى الحياة، العمل لتحكم شريعة الإسلام، العمل لأنْ يسود الإسلام في الأرض، وأن تكون كلمته هي العُلْيا كما كانت من قبل، هذا العمل ليس مقصورًا على الرجال، ينبغي أن يساهم فيه الرجال والنساء.

وقد كان للمرأة المسلمة في العصر الأول دورها، فأول صوت سُمع في تأييد دعوة محمد ﷺ كان صوت امرأة: صوت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر[1].

وأول شهيد سقط في ميدان الدعوة إلى الإسلام كان امرأة: هي سمية أم عمار، لقيت العذاب وصبرت وصابرت، وكان يمكنها أن تقول كلمة الكفر مطاوعة لهؤلاء الفجرة الذين عذبوها، ولكنها أبت هي وزوجها ياسر، وماتا تحت العذاب، ومرَّ عليهم النبي ﷺ وهم يُعذَّبون فقال: «**صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة**»[2].

المرأة كان لها دورها: أمهات المؤمنين، نساء الصحابة، نسيبة بنت كعب، أم سليم، وغير هؤلاء لهن دورهن في الغزوات وفي الجهاد وفي الدعوة، فلذلك ينبغي أن يكون للمسلمة دور في الدعوة إلى الإسلام في هذا العصر.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٨.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

حرام أن نجد اليهودية تقاتل من أجل يهوديتها، تقاتل العرب، فجيش إسرائيل ليس من الرجال فقط، هو من الرجال والنساء، ويوم هُزمنا في سنة (١٩٦٧م) كان على رأس إسرائيل امرأة هي «جولدا مائير». هُزمنا في تلك الأيام من امرأتين: واحدة في إسرائيل، والأخرى في الهند، هي أنديرا غاندي.

ووجدنا النصرانيات المبشرات، يأتين من أوروبا وأمريكا إلى أدغال آسيا وأفريقيا، إلى الغابات، من البلاد الباردة إلى البلاد الحارة ـ لا يبالين ـ من أجل نشر النصرانية. ووجدنا من الشيوعيين نساءً يدخلن السجون من أجل نشر الشيوعية!

الإسلام وحده هو الذي لا يجد الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة، التي تجاهد من أجله، وتصبر وتصابر وتبذل وتضحي في سبيله، هذا لا يجوز، لا بدَّ أن يكون للمرأة مكانها في الصحوة الإسلامية، وفي نشر الدعوة الإسلامية، وأن تقف بجوار الرجل، الإسلام ليس ملك الرجال وحدهم، إنَّه ملك المسلمين والمسلمات جميعًا، فهذا أيضًا من المجالات الأساسية لعمل المرأة المسلمة في الصحوة الإسلامية.

أيَّتها البنات العزيزات، أيتها الأخوات، هذه هي المجالات الرئيسية أوجزتها باختصار؛ لأنَّ الوقت لا يتسع لدور الفتاة المسلمة في هذه الصحوة المعاصرة، إنَّ لها دورًا مع نفسها، وإنَّ لها دورًا مع أسرتها، وإنَّ لها دورًا مع بنت جنسها.

وإنَّ لها دورًا في العمل الإسلامي العام: تنبيه المجتمعات الإسلامية من غفلتها، ومطاردة التقاليد الفاسدة التي تقف حجر عثرة في سبيل قيام الإسلام الصحيح: تقاليد الزواج، وتقاليد الأفكار التي لا تمت إلى

QaradawiBooks.com

الإســـلام بصلة! ينبغي أن نقاوم هذه الأفكار، ونقـــاوم التقاليد، ونقاوم التشـــريعات التي لا تمـــتُّ إلى الإســـلام بصلة؛ حتى يقـــوم المجتمع الإســـلامي الصحيح، وحتى تتحد كلمة المسلمين على الإسلام، وحتى يصبح الإسلام هو حاكم هذه الأرض، ونحن ننتظر هذا اليوم، ومع ذلك على الله بعزيز، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولَكُنَّ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

# دور المرأة الجامعية في المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدِيَ لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله عن أهله وأصحابه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

وأحييكن أيَّتها الأخوات والبنات العزيزات، بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فإنَّها لفرصة طيبة، أنْ ألتقي بكن في هذه الظهيرة، وهذه القاعة؛ لنتحدَّث معًا عن شؤون المرأة المسلمة بصفة عامة، والجامعية بصفة خاصة كما طلب إليَّ الأخوات، وكذلك الأخت نادية المشرفة على النشاط، أن يكون حديثي عن دور المرأة الجامعية في المجتمع، بصفتكن جامعيات.

QaradawiBooks.com

## المرأة نصف المجتمع:

ولا شك أنَّ المرأة نصف المجتمع، وهي في الحقيقة نصف المجتمع من الناحية العددية، وأحيانًا تكون أكثر من النصف، بحسب التعداد، ففي كثير من البلاد تزيد المرأة على النصف، ولكن إذا نظرنا إلى المرأة من ناحية التأثير فهي أكثر من النصف؛ لأنَّ المرأة تؤثر في زوجها، وتؤثر في أبنائها وبناتها، فتأثيرها قد يزيد على النصف.

## لا يجوز إهمال أمر المرأة:

لهذا لم يكن من الدين ولا من العقل أن يهمل أمر المرأة، مضى زمان على المسلمين للأسف أهملوا شأن المرأة، وتركوها قابعة في البيت، وكان القول السائد: إنَّ المرأة الصالحة هي التي تخرج من بيتها مرتين: مرة إلى بيت زوجها، ومرة إلى قبرها! فحُبست المرأة في البيت، مع أنّ الحبس في نظر القرآن عقوبة للمرأة التي ترتكب الفاحشة، كان هو عقوبتها قبل تشريع الحدود المعروفة، فقد جاء في سورة النساء: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥].

كان الحبس عقوبة لمن ترتكب الفاحشة؛ فكيف قبل المسلمون أن تُحبس المرأة في بيتها، ولا تخرج حتى للتعلم؟! لا تخرج لتتلقى درسًا، أو لسماع موعظة، أو لأداء صلاة، حتى الصلاة حرمت من الذهاب إلى المسجد! مع أنّ المعروف في عصر النبي ﷺ أنهن كنَّ يصلين الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ. وذكرت إحداهن: كن يرجعن من صلاة الفجر، لا يعرفهن أحد من الغَلَس[1] (ما زالت الدنيا مظلمة).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٧٨)، ومسلم في المساجد (٦٤٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وكن يذهبن في العشاء وفي الفجر[١]، وكان الرجال والنساء يدخلون ويخرجون من باب واحد، فقال ﷺ: «**لو تركنا هذا الباب للنساء**»[٢]! لأنَّهم كانوا يدخلون فيتزاحمون، قال ابن عمر: فلم أستخدمه بعد ذلك، لا داخلًا ولا خارجًا. وسُمِّي باب النساء، ومن ذهب منكن إلى المسجد النبوي القديم طبعًا، يجد هناك بابًا اسمه إلى الآن «باب النساء»، خصص للنساء، فكانت المرأة تصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ، وتحضر مع النساء وتسأل.

**طموح المرأة المسلمة:**

ولكن لطموح المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ تقول يا رسول الله: اجعل لنا يومًا من نفسك، لقد غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا نجلس فيه إليك[٣]. يوم خاص بهن، هن يشتركن مع الرجال، ولكن في بعض الأحيان قد يسألن عن أشياء خاصة بهن، يستحين من ذكرها.

وكثيرًا ما سألن عن أمور أسرية، وأمور زوجية، وأمور اجتماعية، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقَّهن في الدين[٤]. ولكن مع هذا أردن أن يكون لهن يوم خاص، يعني يتبحبحون فيه مع النبي ﷺ، ويسألونه ما شاء لهن؛ فجعل النبي ﷺ لهن يومًا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤٦.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٠١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٣)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

## واقع المرأة في بعض العصور:

فكانت المرأة في حياة النبي ﷺ تصلي في المسجد، وتحضر المواعظ، وتستقل بالدرس مع النبي ﷺ، وقد ظلَّ هذا حتى قالت السيدة عائشة، وقد رأت النساء يخرجن إلى المساجد متبرجات ومتعطرات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدث النساء؛ لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل[١].

فكانت هذه الكلمة تكأة للفقهاء في منعها؛ وقالوا: المرأة لا تذهب إلى المسجد؛ إلا العجوز، أمَّا الشابة فلا تذهب، ثم جاء عصر بعد ذلك قالوا: لا تخرج حتى العجوز. لماذا؟ قال قائلهم:

**لكلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سوقُ**[٢]

فحتى العجوز قالوا: قد تجد لها (شيبة) مثلها، فمنعوا المرأة من المسجد، وقالوا: إنَّ على أبيها أنْ يُعلِّمها، وعلى زوجها أنْ يفقهها، ولكن الواقع يقول: الأب لم يُعَلِّم، والزوج لم يُفَقِّه؛ لأنَّ الأب والزوج في هذه العصور كان كلٌّ منهما يحتاج إلى من يعلمه ويفقهه، فكيف يفقه غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه؟! وقد ضل من كانت العميان تهديه!

وبذلك حُرمت المرأة من الفقه والعلم، ومرت عليها عصور وهي في غاية من الجهالة، أُمِّيَّة دينية بجوار الأمية الأخرى، وأنا أعرف في بلاد الريف وغيرها، أمهات وجدات ونساء، عشن ومتن ولم يعرفن الصلاة، لأنهن لم يجدن أحدًا يعلمهن!

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٦٩.

(٢) سبق عزوه صـ٢٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا بلا شك لا يعبر عن روح الإسلام، ولا يجوز للمرأة المسلمة وحدها هي التي تُحرم ـ دون غيرها ـ من التعبد بالعبادات الجماعية، والذهاب إلى المسجد؛ فالمرأة النصرانية تذهب إلى الكنيسة، واليهودية تذهب إلى البيعة، والوثنية تذهب إلى المعبد، والمسلمة لا تذهب إلى المسجد!

**المسجد ليس للصلاة فقط:**

والمسجد ليس مكانًا للصلاة فقط، هو مكان للتعرُّف على المؤمنات الصالحات، والتعاون معهن على البر والتقوى، ومكان لسماع الدروس والمواعظ الطيبة؛ فلا مانع للمرأة أن تذهب لصلاة الجمعة، وسماع خطبة الجمعة، وكذلك تذهب لحضور درس، ومن هنا نجد في بعض البلاد أنَّها نظمت دروسًا للنساء كانت من أنجح الدروس، كان الحضور فيها حضورًا كثيفًا؛ لأنَّ المرأة في الواقع أحرص على الدين من الرجل!

أنا بحكم خبرتي وممارستي: باعتباري أستاذًا درّست للطالبات، وباعتباري داعية أدعو الناس، وباعتباري مفتيًا أُفتي الناس، وجدت المرأة المسلمة أشد تدينًا من الرجل، كثيرًا ما تأتيني أسئلة في البرنامج التليفزيوني: «هدي الإسلام»، وقبله في البرنامج الإذاعي «نور وهداية»، أعظمها من النساء، فالمرأة حريصة على دينها أكثر من الرجل! وكثير من الرسائل تشكو من الرجال، الزوجة تشكو من زوجها الذي يشرب الخمر، أو الذي لا يصلي، أو الذي لا يرى أبناؤه منه إلا القدوة السيئة، يأتي بأصحاب السوء في بيته، وهكذا.

QaradawiBooks.com

## دور المرأة الجامعية في المجتمع:

من هنا كان من المهم جدًّا أن يكون للمرأة دور في المجتمع، وبخاصة المرأة الجامعية؛ لأنَّه ما معنى المرأة الجامعية؟ المرأة الجامعية تعني أنَّها تعلمت، وهيَّأ الله لها من العلم والثقافة ما لم يُهيأ لغيرها، وكل نعمة يقابلها شكر، كل نعمة يقابلها زكاة، كل شيء له زكاة، فكما أنَّ المال عليه زكاة، كذلك العلم أيضًا عليه زكاة؛ فالجامعية التي تعلمت في أي كلية كانت، أنا لا أقصد خريجة الشريعة فقط: خريجة الشريعة، وخريجة الإنسانيات، وخريجة التربية، وخريجة العلوم، وخريجة الاقتصاد، أي كلية كان منها التخرج.

فأيُّ جامعية تخرجت من أي كلية، وتعلمت واستنار عقلها، وأصبح عندها قدر من العلم والثقافة، أصبح عليها واجب، وأصبح عليها دور، فعليها أن تزكي ما عندها من علم، وأن تخرج زكاة هذا العلم.

## زكاة العلم أن يُعمل به ويُعلَّم:

وزكاة العلم أنْ يُعلَّم، في الإسلام عندنا العلم لا يُطلب للعلم فقط، صحيح أنَّ لطلب العلم لذة من أعظم اللذات؛ لأنَّها لذة عقلية وروحية، وكما قيل لأحد علماء السلف: فيمَ لذتك؟ قال: في حجة تتبختر اتِّضاحًا، وشبهة تتضاءل افتضاحًا[1]! حينما أجد الحجة أمامي واضحة بينة، أتلذذ وأنتعش، وأشعر بسعادة غامرة. وحينما أجد الشبهات تفتضح أمامي، تقومها الحجج القاهرة، فلا تقف أمامها، أسعد بهذا.

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (٣٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

QaradawiBooks.com

ولكن ليس هذا هو مقصود العلم وغايته، الأصل في العلم أن يكون للعمل، الإنسان يعلم ليعمل، وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، أو كسحاب بلا مطر.

العلم إنَّما قيمته في أن يُعمل به؛ ولذلك قال بعض علماء السلف: العلم بغير عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون، العمل لا بدَّ أن يكون عن علم، والعلم لا بدَّ أن يُثمر عملا، وإلا كان جنونًا؛ ولذلك قال الله سبحانه لبني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. انظروا: أفلا تعقلون، كأنَّ الذي يأمر الغير بالبر والخير وينسى نفسه: مجنون غير عاقل، أفلا تعقلون: يعني لا عقل لكم، لأنَّه كان من الأولى أن تعملوا بما تأمرون غيركم به، فالأصل في العلم أن يكون للعمل.

## مكانة من يعلم ولا يعمل:

والقرآن الكريم ضرب أسوأ مثلين، لمن يُؤتى العلم ولا يعمل به: مثل الحمار، ومثل الكلب والعياذ بالله.

فقال في مثل الحمار: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥]. حمار يحمل مصادر علمية وكتب قيمة، ولكنَّه حمار، لا يعلم قيمتها، يحملها كما يحمل الملح، كما يحمل السماد، أو أي شيء آخر!

وقال في مثل الكلب: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ المفروض أن

QaradawiBooks.com

يرتفع الإنسان بما آتاه الله من العلم، من آيات الله، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾، بدل أن يرتفع هبط! ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ﴾.

## طبيعة الإنسان المزدوجة:

والعلم هو الذي يرتفع بقيمة الإنسان، الإنسان خلقه الله تعالى مزدوج الطبيعة، ما معنى طبيعة مزدوجة؟ يعني لم يخلقه روحًا خالصًا كالملائكة، فالملائكة روح خالص وعقل خالص. ولم يخلقه شهوة خالصة كالبهائم، وإنَّما خلقه على طبيعة فيها قبضة الطين، ونفخة الروح، كما نرى في خلق آدم عليه السلام، طين صلصال من حمأ مسنون، ثمَّ سوَّاه ونفخ فيه من روحه، وهذه النفخة الروحية الربانية هي التي جعلت الإنسان إنسانًا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢]. هذه هي التي جعلته أهلًا لأن تكرمه الملائكة بالسجود!

الإنسان إذا التفت للجانب الطيني فيه فقط: جانب الغرائز والشهوات، وأغفل الجانب الروحي والجانب الرباني، عاش للجانب الأرضي ونسي الجانب السماوي، سيهبط إلى الأرض، ويخلد إلى الأرض؛ فإما أن يصبح الإنسان أسفل وأحط من البهائم والأنعام، وإما أن يعلو فيصبح أعلى من الملائكة؛ ولذلك قال الله تعالى في شأن قوم: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

عطَّلوا الأجهزة التي أعطاهم الله إياها، والتي يطلون منها على

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الكون، ويستطيعون أن يعرفوا بها كل ما حولهم، عطَّلوها، فلا الآذن يسمعون بها، ولا الأعين يبصرون بها، ولا القلوب يفقهون بها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. لماذا كانوا أضل من الأنعام؟ لأنَّ الأنعام لم تُؤْتَ ما أوتوا، الله لم يعطِ الأنعام العقل الذي أعطاه للإنسان، فالإنسان أُعطي العقل، وأُعطي الإرادة، وأُعطي الأدوات التي ينفِّذ بها، ثم هيَّأ الله له وسائل أخرى، أرسل له الرسل، وأنزل عليه الكتب. أمَّا الأنعام لم يكن لها ذلك، ومع هذا لم تبلُغ الأنعام في الشرِّ والغيِّ ما بلغ الإنسان، فالأنعام معذورة!

ثمَّ من ناحية أخرى الأنعام تؤدي رسالتها، تؤدي مهامها في الأرض. هل رأيت بقرة تمردت على أن تُحلب، أو حمارًا تمرَّد على أنْ يُركب؟! الأنعام تؤدي وظيفتها، البقرة تحرث الأرض، وتعطي اللبن، والمطايا الأخرى تحمل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، تحمل الناس وتحمل أثقالهم؛ فالأنعام تؤدي مهمتها.

**أهداف خلق الإنسان:**

ولكن الإنسان مهمته أن يعرف الله تعالى ويعبده، ويقوم بخلافته في الأرض، ويقوم أيضًا بعمارة الأرض، فالإنسان له أهداف خلقه الله من أجلها.

**الهدف الأول: العبادة:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**الهدف الثاني الخلافة:** ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

**الهدف الثالث العمارة:** ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

فإذا لم يقم الإنسان بهذا، أصبح أضل من الأنعام سبيلًا.

QaradawiBooks.com

## المرأة في كل الرسالات:

من هنا كانت مهمة الإنسان في الأرض مهمة كبيرة، وعلى الإنسان ذكرًا أو أنثى أن يقوم بهذه المهمة. المرأة عليها دور كما أنَّ الرجل عليه دور، ولذلك نجد المرأة في الرسالات كل الرسالات تقف بجانب الرجل، في قصة آدم يقول الله له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. التكليف صدر لآدم وحواء معًا، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأيضًا نجد في القصص الأخرى، نجد في قصة إبراهيم وزوجه سارة، وزوجه الأخرى هاجر التي جاء بها إلى مكة وتركها وهو يدعو الله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. تركها وحدها فقالت له: أين تذهب؟ ثم قالت: آلله أمرك بهذا؟ أمرك أن تتركنا هنا؟ قال: نعم. قالت: هو إذنْ لا يضيعنا[1]. وموقفها في سعيها بالهرولة والذهاب من هنا وهناك، حتى فجَّر الله الأرض بماء زمزم تحت أقدام رضيعها إسماعيل عليه السلام.

وكذلك المرأة في قصة موسى نجد المرأة حاضرة أيضًا ولها دور، أم موسى من يوم ما ولد: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. وأخته تعمل وترصده من بعيد ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]. وذهبت إلى بيت فرعون وقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وامرأة فرعون قالت: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. وبنت الشيخ الكبير الذي هاجر إليه في مدين ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وقد قال العلماء: إنَّ هذه الكلمة ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ هي أساس اختيار الرجال للأعمال، الإنسان يجب أن يُختار للعمل على أساس القوة فيه، والأمانة فيه، القوي الأمين أساس اختيار الرجال للأعمال: أن يكون قويًّا أمينًا، هذه هي الكلمات التي قالتها هذه الفتاة التي قال بعض الناس إنَّها ابنة شعيب، وليس هناك دليل على أنَّه شعيب.

وفي قصة سيدنا عيسى عليه السلام نجد للمرأة أيضًا دورًا، أمه مريم ابنة عمران لها الدور الكبير في قصته، وأمها أيضًا لها دور، وفي القرآن سورة آل عمران، أسرة عمران، وفيها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦]. وكانت تظن أنَّ ما في بطنها ذكرًا، فإذا هو أنثى، وظهر أنَّ هذه الأنثى أفضل من كثير من الرجال. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

## المرأة في عهد النبي ﷺ:

وفي عهد النبي ﷺ كان للمرأة دور كبير في الدعوة الإسلامية، فأول صوت ارتفع بتأييد النبي ﷺ وتعضيده والوقوف بجواره، كان صوت مَنْ؟ صوت خديجة رضي الله عنها، من أول يوم رجع إليها من غار حراء، يرجف

QaradawiBooks.com

فؤاده، ويرتعش جسمه ويقول: «**زمّلوني زمّلوني**»[١] لا يدري ما هذا الشيء الذي جاءه، ما كان يرجو نبوّة، وما كان يرجو أن يُلقى إليه شيء من الله، فكان يخاف من هذا الشيء، فتقول له: كلا والله ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقِّ[٢].

وهي التي كانت سنده دائمًا في كل محنة وأزمة، تقف بجواره، وتشد على يديه، وتربت على كتفه، وتملأ بيته بالسكينة والأمل؛ فكان عمه أبو طالب في الخارج، وخديجة رضي الله عنها في الداخل، ولذلك لمّا مات الاثنين في عام واحد، سمَّاه النبي ﷺ بعام الحزن[٣].

وأول شهيد أريق دمه في سبيل الإسلام لم يكن رجلًا، إنَّما كان امرأة كما تعلمون، سمية أم عمار بن ياسر، المرأة وزوجها استُشهدا في سبيل الله في التعذيب، تحت نيران التعذيب، ومرَّ عليهم النبي ﷺ وهم يعذبون: ياسر، وسمية، وعمار! فماذا قال لهم النبي ﷺ؟ قال: «**صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[٤]، كان هذا في عهد الاستضعاف، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]. أول شهيد في الإسلام هو امرأة.

ومن موقف المسلمات في نصر الرسول ﷺ: موقف أسماء رضي الله عنها في الهجرة، حين شقَّتْ نطاقها نصفين، فسميت «ذات النطاقين»، وكانت تذهب للنبي ﷺ بالطعام، تزوده بالطعام وبالأنباء وأخبار أهل مكة، ماذا يقولون،

(١) سبق تخريجه صـ٢٨٨.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) انظر: ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي صـ٦٤٤، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٤) سبق تخريجه صـ٣٩٥.

QaradawiBooks.com

وكيف يخططون؟! وأين تذهب؟ تذهب وتصعد إلى غار ثور، وغار ثور كثير من الشباب والرجال الأشداء يتعبون في الوصول إليه وارتقائه؛ لأنَّه طريق صعب جدًّا ومتعب، وبعض الرجال يقول: لا أستطيع أنْ أصعد! أسماء كانت تصعد إليه وهي فتاة، وهكذا كان للمرأة دور في الإسلام.

أمهات المؤمنين، وأم سلمة، وأم سليم، ونسيبة بنت كعب، كل هؤلاء معروف موقفهم، حتى إنهن اشتركن في الغزوات مع النبي ﷺ، والإمام البخاري بوَّب في صحيحه «باب غزو النساء وقتالهن»[1]، فقد كانت المرأة المسلمة تطمح لأنْ يكون لها دور كبير، حتى إنّ النبي ﷺ كما روى أنس، قال عند أم حرام بنت ملحان خالته يومًا، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأسرَّة، أو مثل الملوك على الأسرة**»، ـ وصفهم بالشموخ والعظمة والعزة، كأنهم ملوك على عروشهم ـ قالت: فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم. لو أن هذا في عصرنا لقيل لها: وما دخلك أنت بهذا، تريدين أن تغزي؟ وفي البحر أيضًا! ولكن كيف كان موقف النبي ﷺ؟ دعا لها. فركبت أمُّ حرام البحر في زمن عثمان، مع زوجها عبادة بن الصامت إلى قبرص، فصرعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودفنت هناك[2].

## دور المرأة في الحضارة الإسلامية:

فالمرأة المسلمة كان لها دور في حياة النبي ﷺ وبعد ذلك، وموقف الخنساء وغيرها معروف، وفي التاريخ الإسلامي كان المرأة لها دور

(١) صحيح البخاري (٣٣/٤).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٨)، ومسلم في الإمارة (١٩١٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

كبيـــر، كان منهن العالمة والفقيهة والمحدثـــة، وبعض المحدثين الكبار يقول: حدثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلان، والحافظ ابن حجر العسقلاني من النســـخ المعتمدة عنده في صحيح البخاري، نسخة معروفة بنســـخة كريمة بنت أحمد المروزية، من مرو في إيران، في هذه المنطقة، وكثير من النســـاء من يقرأ كتب الحديث يجد أن هناك نســـاء مترجم لهن، بعد أن يتكلموا عن الرجال، يتكلمون عن النساء، فقد كان للمرأة دور في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

## دور المرأة المسلمة في العصر الحديث:

والمفروض أن يكون لها دور في عصرنـــا هذا، في مجتمعها وحتى في غير مجتمعها، المفروض أنَّها تحمل رسالة الإسلام إلى العالم، متى تهيَّأت لها الظروف لذلـــك، نحن الآن نُغزى من جيش من المبشـــرين والمبشرات، يعملون على تنصير المسلمين في العالم، الجيش عدده ربع مليون تقريبًا، فيه عشرات الآلاف من النساء!

أمَّا المرأة المســـلمة فهي تريد أن تعيش لغير ذلـــك، تعيش للطبخ والكنس وما شـــابه ذلك، بـــل الآن لا يوجد منهن مـــن يطبخ ويكنس؛ وبخاصة في بـــلاد الخليج، كل امـــرأة عندها من يخدمهـــا، لم تكتفِ بالآلات، فالواجب أن تشغل نفســـها بشيء ينفع المجتمع، تشغل نفسها بعمل الخير، ومن هنا كان لا بدَّ للمســـلمة؛ وبخاصة المسلمة الجامعية المثقفة، أن يكون لها دور في نفع المجتمع، فخير الناس أنفعهم للناس.

## المجتمع بحاجة لمحاربة الجهل والخرافات:

لا زال كثير من النســـاء جاهلات بالإســـلام وبحقائق الحياة، فعلى الجامعية المؤمنة المســـتنيرة أن تنـــوِّر هؤلاء، لا زالـــت الخرافات في

QaradawiBooks.com

المجتمع سائدة، كثير من الخرافات مثل التمائم، والتعاويذ، والاعتقاد المبالغ فيه في الجن والعفاريت، وكثرة الكلام عن الحسد والعين، نحن لا ننكر أنَّ بعض هذه الأشياء حقائق موجودة، ولكن الحقائق إذا بُولغ فيها فسدت، وجود الجن أمر نؤمن به، ولكن أن يوجد لكل شيء عفريت مبالغة لا نصدقها، نربط كل شيء بالحسد والعين أيضًا هذا من المبالغة التي تجعل الإنسان لا ينظر للأسباب والأخذ بها.

أحيانًا الناس من عجزهم يحيلوا الأسباب إلى الأمور الغيبية، امرأة فسدت العلاقة بينها وبين زوجها، فتربط هذا بالأعمال السحرية، وتقول: زوجي معمول له عمل. وقد يكون السبب سوء العشرة بينهما، ولذلك نجب أن نعمل على تغيير المفاهيم والتقاليد والاعتقادات الخاطئة في عقول الأُمَّة.

فالمرأة التي تذهب إلى العراف أو الكاهن، أو المنجم أو من يفتح الكتاب، أو من يخط الرمل ويقرأ الكف، أو غير ذلك، لا بدَّ أن نعلمها أنَّ هذه الاعتقادات باطلة، ولا يقوم عليها دليل من عقل أو نقل، لا الدين يقول هذا، ولا العقل يقره، ولكن الناس وللأسف خاصة النساء يصدقن كل شيء، وكثير من الناس الأذكياء يستغلون هذه النقطة عند النساء، ويضحكون عليهن ويأخذون أموالهن.

إذا كانت فتاة تريد أن تتزوج تذهب إليه، وتستعين به على جلب العريس، وبذكائه يستطيع أن يخدعها حتى تصدق أنَّ العريس يقف على الباب، وإذا كانت امرأة تريد أن تنجب فعلت مثل ذلك، وإذا كانت مريضة وتريد أن تشفى فعلت مثل ذلك، وهن في كل ذلك يتركن الأسباب الحقيقية والسنن الكونية، التي جعل الله تعالى فيها العلاج لهذه الأمور كلها!

QaradawiBooks.com

فالخرافات في المجتمع وبخاصة مجتمع النساء كثيرة، والنبي ﷺ يقول: «**من أتى كاهنًا أو عرَّافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد**»[(١)]. وما أنزل على محمد: أنَّه لا يعلم الغيب إلا الله، فمن هؤلاء الذين يدَّعون معرفة الغيوب؟! وكيف كشفوا أستار الغيب، وعلموا ما خبَّأه الله بشأن عباده، وقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فنحن في حاجة إلى أن نطارد هذه الخرافات، التي تعشش في كثير من العقول، ولا يجوز أن يبقى هذا إلى الآن في عصرنا هذا، وأعتقد أنَّ المرأة الجامعية واجب عليها هذا الأمر.

## دور الجامعية المستنيرة:

المشكلة الآن أنَّ هناك من الجامعيات من يصدقن هذه الخرافات، يكون عندها نقطة ضعف فتصدق بها، وإذا كانت تصدق هذا وتعتقده؛ فلا يجب أن نكلفها بهذا؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

إنَّما الجامعية المستنيرة المثقفة ثقافة صحيحة، أو درست على الأقل الثقافة الإسلامية، درست في الابتدائي والإعدادي، والثانوي علوم شرعية، ودرست ثقافة إسلامية مقررين منها في المرحلة الجامعية، ودرست مواد أيضًا اختيارية من المواد الإسلامية، والمفروض أنَّها تقرأ، فالجامعية الحقيقية هي التي تستمر في التعلم.

---

(١) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الطب (٣٩٠٤)، بلفظ: «فقد برئ ممَّا أنزل»، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، كلاهما في الطهارة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٨٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## من أخطاء طالبات الجامعة:

ومن أخطاء الجامعيين والجامعيات أنَّهم يظنون أنَّ هذه الشهادة هي نهاية المطاف، وإذا أخذ الإنسان الشهادة العالية؛ فقد سقط عنه التكليف، فلا يطلب علمًا، ولا يستزيد منه!

ونحن نقول: الحصول على الشهادة الجامعية بداية وليست نهاية، الجامعة تعطيك مفاتيح العلم، أمَّا العلم نفسه ففي المكتبة، وأنت أصبح عندك مفاتيح تستطيع بها أن تفهم وتعي، فالإنسان يقرأ، ويبدأ بتثقيف نفسه ثقافة اختيارية، والثقافة الاختيارية هذه هي في الأغلب الثقافة الأنفع والدائمة؛ لأنَّ الثقافة التي يجبر الإنسان عليها، ويكون هدفها الامتحان، قلَّما تثبت، فبعد نهاية الامتحان يتبخر العلم، وقد يُسأل الإنسان عن بعض المسائل بعد الاختبار فلا يتذكَّر شيئًا، لماذا؟ لأنَّه يذاكر ويراجع من أجل الامتحان، الامتحان هذا غول، يغتال العملية التعليمية ويفسدها، إذا كان هم الإنسان هو التحصيل فقط من أجل الاختبار.

إنَّما العلم الحقيقي هو العلم الذي يقبل الإنسان عليه مختارًا له، راغبًا فيه، متشوقًا إليه، فهذا الذي يظل محفورًا في ذاكرة الإنسان وعقله، يستطيع أن يستحضره وقتما يشاء.

## يجب أن يستمر التعلُّم بعد الجامعة:

ولذلك نقول: يجب أن يبدأ هذا بعد الجامعة ويستمر، فالعلم بحر لا ساحل له، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال لرسوله ﷺ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. وفي الحديث:

QaradawiBooks.com

«**منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا**»[١]. طالب المال لا يمكن أن يشبع! ولو حصَّل مليونًا، يريد اثنين أو ثلاثة بل وأكثر، وقد قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال؛ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»[٢]. كذلك طالب العلم، مهما حصَّل من العلم يشعر أنَّه ينقصه الكثير؛ ولذلك قال الإمام الشافعي:

**كلَّما أدَّبني الدهرُ أراني نقصَ عقلِي**
**أو أراني ازددتُ علمًا زادني علمًا بجهلِي**[٣]

كلَّما ازددت علمًا عرفت أنَّني أجهل الكثير؛ ولذلك قالوا: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنَّه علم فقد جهل. هو عالم ما دام يطلب العلم، يطلب العلم من المهد إلى اللحد، أمَّا إذا جاء في وقت فقال: أنا استغنيت، أنا اكتفيت، لم أعد في حاجة إلى زيادة. نقول له: هذا دليل على جهلك، نعم، إذا ظن أنَّه عالم فقد جهل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

## الرباني من يَعْلم ويَعْمل ويُعلِّم:

لا يوجد أحد يصل إلى نهاية العلم، والأئمة الكبار ظلوا إلى نهاية أعمارهم يطلبون العلم، حتى بعضهم يكون على فراش الموت ويقول لتلميذه: اقرأ لي كذا! يطلب العلم من المهد إلى اللحد، إلى آخر لحظة في حياته، ولذلك الجامعية يجب عليها أن تظل طالبة للعلم والازدياد

(١) رواه الحاكم في العلم (٩١/١)، وقال: صحيح على شرطهما، ولم أجد له علة. ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧٩٨)، عن أنس

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٤٨)، عن ابن عباس.

(٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٧/٤).

QaradawiBooks.com

منه حتى تتثقف وتستنير، ثمَّ تفيض على من حولها، تفيض على من حولها بما أوتيته من علم، تنوِّر وتعلِّم؛ لأنَّ من زكاة العلم أن تعمل به، وتعلمه لغيرك، فمن علِم وعمِل وعلَّم، فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء[1]. ولذلك قال السلف: الرباني هو الذي يعلم ويعمل ويعلّم، ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. يعلم ويعمل ويُعلِّم، هذا هو الإنسان الرباني، منسوب إلى الرب، فلازم للإنسان إذا تعلَّم، أن يُعلِّم غيره، ولو علمًا قليلًا.

فكل إنسان يُعَلِّم على قدر العلم الذي أوتيه، هناك من يُعَلّم بتأليف كتاب، أو يلقي محاضرة أو خطبة، أو يلقي درسًا، وهناك تعليم بالكلمة الطيبة، بمجرد كلمة: بالنصيحة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بكلمة حق يقولها، يدفع بها إنسانًا إلى خير، أو يدله على هدى، أو يرده عن ردى، كل هذا من أنواع التعليم، ليس التعليم فقط أن يجلس الإنسان يدرِّس للناس، لا، إذا رأى خطأ، حاول أن يصححه، وإذا رأى عوجًا حاول أن يقوِّمه، وإذا رأى معروفًا ضُيع، أمر به، إذا رأى منكرًا فشا، حاول أن ينهى عنه، يقدم من العلم بقدر ما عنده، ويقدمه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالجدال بالتي هي أحسن.

وهذا ليس مقصورًا على الرجال، لا، المرأة لها دور في هذا، المرأة تُعلِّم، تبدأ أولًا بأسرتها ثم ببنات جنسها، بنصف المجتمع، ويمكن للمرأة أن يكون لها دور حتى مع الرجال، لنفرض أنَّها أديبة، وهبها الله موهبة الأدب، أو مفكرة، وهبها الله موهبة العلم والفكر، فتؤلف وتكتب

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٣/٦)، عن ثور بن يزيد الحمصي، قال: كان من كلام المسيح.

QaradawiBooks.com

في ذلك، فهذا علمها ليس مقصورًا على النساء؛ بل يشمل الرجال أيضًا، بعض النساء ممكن أن تحاضر في مجتمعات الرجال، أنا أعرف الأخت الحاجة زينب الغزالي، تُدعى أحيانًا إلى مؤتمرات في الرجال والنساء، تحاضر ويسمعها الجميع.

وطبعًا هذا قائم على أنَّ صوت المرأة ليس بعورة ـ كما يقول بعض الناس ـ فصوت المرأة يكون عورة إذا خضعت بالقول، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. أمَّا إذا تكلمت كلام جدٍّ بعيد عن الخضوع والميوعة والتكسر، فليس في صوتها شيء، يسمعها الرجال وتسمع من الرجال، وقد كان النساء يسألن النبي ﷺ ويسمعهن الرجال، حتى أمهات المؤمنين، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

## محاربة العادات السيئة والتقاليد الضارة:

فالمرأة عليها بعد أن تعمل تُعلِّم، بخاصة المسلمة الجامعية بالذات، تُعلِّم وتُنوِّر وتُثقِّف من حولها، وتشارك في محو الأُمِّية: الأمية العامة، والأمية الدينية، وتحارب العادات السيئة، والتقاليد الضارة في المجتمع.

هناك الكثير من التقاليد في المجتمع، تقاليد ضارة، لا تتفق مع الدين ولا مع الأخلاق، ولا مع المصلحة، مثل تقاليد الإسراف في الاستهلاك، فهذه عادة موروثة لا معنى لها، ما معنى أنْ يستضيف الإنسان عدة أشخاص ويذبح لهم ذبيحة، لا يأكلون منها إلا قليلًا، ثم يُرمى الباقي في سلة القمامة؟! هذا حرام لا يجوز، النبي ﷺ مرَّ على سعد وهو يتوضأ، فقال له: «**لا تسرف في الماء**». فقال: وهل في الماء من

QaradawiBooks.com

إسراف؟ قال: «**نعم، وإن كنت على نهر جار**»[١]. حتى لو توضأت من نهر تجري مياهه، ولا يضر النهر إن أخذت منه أو زدت، ولكن ليكن هذا خُلُقًا لك، سمة من سمات شخصيتك.

بل أمر ﷺ بلعق الصَّحفة ـ أو وعاء الطعام ـ وعدم ترك فضلات فيها. واللعق ليس مقصودًا لذاته، إنَّما المقصود أكل كل ما في الإناء، حتى لا تبقى بقية في الطعام ترمى ولا تُأكل، فهو نوع من ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف.

وبعض الناس اعتادوا على عادة سيئة أخرى فيها إسراف وتبذير، عند تناول الطعام يضع في طبقه كميات كبيرة، يأكل بعضها، ويبقى أكثرها لسلة القمامة، المفروض أن يأخذ الإنسان من الطعام ما يكفيه، وإذا لم يكفه أخذه منه مرة ثانية؛ حفاظًا عليه حتى يستطيع غيره أن ينتفع به، وبذلك نمنع مثل هذه العادات السيئة.

نحن نفعل هذا في بلادنا، وهناك في بلاد أخرى ـ ومعظمهم من المسلمين للأسف ـ يموتون من الجوع، فمن الكفر بنعمة الله أن ترمى مثل هذه الكميات الهائلة من الطعام، وهناك في بلاد المسلمين من هم في أمس الحاجة إلى اللقمة.

بل إنَّ النبي ﷺ أمر بالتقاط اللقمة إذا سقطت على الأرض من الإنسان، وإماطة الأذى عنها، ثم أكلها، فالأرض ليست كلها ميكروبات! والقصد من ذلك: أن نقدِّر النعمة حق قدرها، ولا نستهين بها ولو صغرت، بعض الناس قد يبالغ في النظافة؛ فيمتنع عن فعل هذا. وأنا

(١) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسنه في الصحيحة (٣٢٩٢).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أقول: إنَّ المبالغة في النظافة ليس شيئًا حسنًا، حتى الأطباء أنفسهم يقولون هذا؛ لأنَّ الإنسان الذي يبالغ في النظافة عرضة لأي مرض، هل تصدقون أنَّ أولاد الفقراء أكثر مناعة من أولاد الأغنياء والمترفين؟!

ولذلك الإسراف في الاستهلاك في المطعم والمشرب، والملبس والمركب، لمَ هذا كله، لماذا تشتري إنسانة فستانًا بالشيء الفلاني؟ في الغالب لا يكون السبب حرصًا على الجودة والجمال، وإنَّما الحرص على التباهي والتفاخر والمخيلة.

سألتني مرة إحدى السيدات عن زكاة الحلي، فقلت لها: إنَّ كان في حدود المعقول، فالمذهب الذي أراه وأختاره، أنَّه لا زكاة فيه. فقالت: هو يساوي مليونين من الريالات. فقلت لها: لِمَ كل هذا، وغالبًا مثل هذه الكميات توضع في الصندوق ولا تستعمل، يعني مال معطل لا يستثمر.

فهناك عادات الإسراف في التزين، وهناك عادات الإسراف في المأكل والمشرب، هذا ما ينبغي علينا أن نحاربه في مجتمعاتنا.

**محاربة تقاليد التبرج المستوردة:**

الجامعية عليها دور في محاربة التقاليد الضارة، تقاليد التبرج المستوردة، هناك تقاليد موروثة، وهناك تقاليد وافدة، ليس كل الموروث صالحًا، هناك مبالغات في الأشياء الموروثة، مورثة من رواسب عهود التخلف والتراجع في الحضارة الإنسانية، عهود التراجع والانحطاط، وأشياء وافدة ليست نابعة من بيئتنا وتقاليدنا الأساسية، إنَّها أتت من الغرب، فنحن في هذه الحالة علينا أن نحارب هذه التقاليد الوافدة، ومنها التبرج.

QaradawiBooks.com

والتبرج ليس من أخلاق هذه الأُمَّة، ولا من عاداتها، ولا من تقاليدها، ولا مما يوافق عليه الدين، ولا يوافق عليه العُرف، أن تخرج المرأة متبرجة بزينتها، تلبس هذه الأشياء الكاشفة الفاضحة: «الجبونيز، والميني جب، والمكروجب، والزفت جب»، وهذه الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا لا يليق بالمرأة المسلمة، خاصة في مثل بلاد الخليج هذه، المفروض أنَّ جميع أهلها مسلمون، فيجب أن نحمل على هذه العادات الضارة، ونقيم بدلًا منها العادات الصالحة مقامها، نعمل إحلال للتقاليد الصالحة محل التقاليد الفاسدة أو الضارة.

### خطر الاعتماد على الخدم في كل شيء:

ومن العادات الضارة الوافدة علينا الاعتماد على الخدم في كل شيء، أن تنفض المرأة يدها من البيت فلا تصنع فيه شيئًا، حتى تربية الأبناء تتركها للخادمة الهندية والفلبينية، ومعظمهن للأسف غير مسلمات، وهؤلاء الخادمات يقمن بعملية غزو لهذه البلاد، لماذا هذا كله؟ لماذا تجلس المرأة ولا عمل لها حتى تترهل؟! وهذا ضار بصحتها، وضار بأعصابها، وضار بحياتها، وضار بأولادها.

لا بدَّ أن نفكر تفكيرًا أعمق من التفكير السطحي الذي يقوم على «الفخفخة» والتعالي، أنا عندي كذا وعندي كذا، لماذا لم نحفظ على الأُمَّة أموالها؟ معظم هذه الأموال تذهب لغير المسلمين، في الهند يذبحون المسلمين، وكذلك في الفلبين يعادون المسلمين، فآن لنا أن نراجع أنفسنا في الإسراف في هذه الأشياء، وأن تعمل المرأة المسلمة بقدر الإمكان.

QaradawiBooks.com

ممكن أن تستعين بخادمة إن كان لا بدَّ من خادمة! وحتى ولو كان عندها خادمة، فالمفروض في بعض الأحيان أن تقوم فتصنع طعامًا لزوجها وأولادها، فما أحلى أن يأكل الإنسان من يد زوجته، أو يأكل من يد أمه، ولكن للأسف الهندية والفلبينية هي التي تفعل كل شيء!

فلا بدَّ من أن نقلل من هذه العادات التي ما أنزل الله بها من سلطان قدر الإمكان، وهي عادات دخلت علينا في السنوات الأخيرة.

إذا كان عندنا فائض مال فيجب أن ندَّخره لنفع أهل الحاجة من المسلمين، وما أحوج المسلمين في أماكن كثيرة، يعانون الفقر والجوع والأمراض، هناك أناس يهلكون من الجوع بالفعل، كنا نقول قديمًا: لا يوجد من يموت من الجوع، لا، الآن يوجد من يموت من الجوع.

هناك أناس محتاجون إلى مدرسة يتعلمون فيها، وإلى مكتب تحفيظ للقرآن يتعلمون فيه كتاب الله ﷻ، وإلى مستوصف يُعالجون فيه العلاجات الأولية، في أفريقيا وآسيا؛ فلماذا لا يكون لنا دور في ذلك؟!

المرأة المسلمة يجب أن يكون لها دور، خاصة أنَّ حاسة الخير وحبه وبذله، في قلوب المرأة المسلمة عميقة جدًّا، وأنا أعرف كثيرًا من النساء في الحقيقة يقمن بهذه الأدوار الطيبة، من يومين فقط اتصلت بي إحدى الأخوات وقالت: إنَّ عندي مبلغ كبير، وأريد أن أجعله لكفالة اليتامى، ولترجمة كتب إسلامية في إفريقيا وغيرها. هذا ما ينبغي أن نفكر فيه لأنفسنا، ودعوة الآخرين إليه، يعني إشاعة هذا الوعي عند النساء المسلمات.

QaradawiBooks.com

الحديث في هذا الموضوع ذو شجون، والمهم أنَّنا فتحنا الباب في هذا الموضوع، أنَّ الجامعية المسلمة لا ينبغي أن تعيش في عزلة في دائرة نفسها، ولا ينبغي أن يكون أكبر همها ومبلغ علمها، البحث عن وظيفة لتملك المال، أو تلبس أحدث لبس وأحسنه، أو تركب سيارة آخر موديل، لا، ليس بهذا يتفاضل الناس، إنَّما يتفاضل الناس بالعلم والإيمان والأخلاق، والنفع وتقديم الخير للناس.

أسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، ويحسنَ عاقبتنا في الأمور كلها، ويُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## إجابات الأسئلة

**السؤال الأول:**

**ما هي الأسباب التي أدَّت بنا إلى هذا التخلُّف وما هو العلاج؟**

**الجواب:**

ما وصلنا إليه من تخلف لا شكَّ أنَّه أمر مؤسف، نحن العرب والمسلمين كلنا موضوعون في دائرة التخلُّف، يسموننا الدول النامية، وهذا تعبير مهذب حتى لا يقولوا البلاد المتخلفة، وربما القصد أن يوهمونا أنَّنا ننمو ولسنا في الحقيقة كذلك! وإذا كان هناك نمو، فهو نمو بطيء جدًّا، نحن نستخدم أدوات الحضارة ولكن لا نصنعها، أنا أستخدم هذا الميكروفون، ولكن هل نحن الذين صنعناه؟ للأسف قد تجدوا هذه الأشياء التي أمامنا الآن ليست من صناعة أيدينا، لا هذا المكتب، ولا هذا الكرسي، ولا هذه الكهرباء، ولا هذه المسجلات التي تسجلون بها.. ليست من صناعتنا، ممكن نستخدم أفخم الأدوات الصناعية، وأحسن سيارة مرسيدس، ممكن إنسان يطلب من الشركة صناعتها له ويحدد لها المواصفات التي يريدها، ولكن هل نحن فعلنا شيئًا منه؟ لا، للأسف.

في بعض بلاد الخليج حدث مرة عطل في محطة الكهرباء، مكثوا عدة أيام، كذا فريق، وكذا حي بدون كهرباء، والسبب أنَّه لا يوجد من يعالج هذا الخلل، حتى جاء رجل من المصنع الذي صنع المحطة فأصلحه! قمة التخلف للأسف!

ولكن ما السبب الحقيقي في هذا التخلف؟ بعض الناس قد يقول. إنَّ الدين هو السبب، بالعكس، ولو كان الدين والإسلام هو سبب

QaradawiBooks.com

التخلف، ما بلغ المسلمون الأوائل قمة الحضارة في كل شيء! بالعكس، الإسلام هو الذي يعطينا أفضل الدوافع للحضارة والعلم، وإنَّما السبب في الواقع سوء فهمنا للإسلام، وسوء تطبيقنا له، هذا الذي جعلنا نتخلف.

إلى الآن نحن مشغلون بقضايا جزئية فرعية، ونترك القضايا الكبرى التي تنهض بها الأمة من دائرة التخلف، الناس الآن صنعوا الكومبيوتر وأحسنوا استخدامه، ونحن مختلفون في تسميته، حتى إنهم يقولون: إنَّ الكومبيوتر هذا أجيال، فيه الأول، وفيه الثاني، ونحن الآن في الجيل السادس أو السابع.

الكومبيوتر في بدايته كان يملأ غرفة مثل هذه، وكانت إمكانيته قليلة، الآن ممكن وضع الكومبيوتر في الجيب، أمَّا نحن فما زلنا مختلفين في تسميته، ماذا نسميه؟ هل نسميه الحافظ الآلي، هل نسميه العقل الإلكتروني، الدماغ الإلكتروني، الحسَّابة، المحساب، الحاسوب؟ حتى التسمية لم نتفق عليها.

ففي الحقيقة نحن في حاجة إلى يقظة، في حاجة إلى أن تجند الأُمَّة طاقاتها حتى تستطيع أن تعوض ما فاتها، وتجنيد الطاقات لا يكون إلا بواسطة الإيمان، فالإيمان هو الذي يفجر طاقات الأُمَّة، التي تستطيع أن تعوض بها ما فاتها!

الناس في عصر الحضارة الثاني، وفي عصر الصناعة الثاني، ونحن العصر الأول لم نصل إليه، العالم العربي كله لم يستطع صناعة موتور ولو لموتوسيكل! الصناعات عندنا صناعات تجميعية، نجمع ٤٠ أو ٥٠٪ فقط.

فضروري للأمة أن يوجد عندها ما يفجر طاقاتها، ولا شيء غير الإيمان.

QaradawiBooks.com

وليس السبب في التخلف الخلافة العثمانية كما يدعي البعض، وماذا فعلنا بعد سقوط الخلافة وقد مرَّ على ذلك سبعون سنة، وهي فترة كافية لأن نفعل شيئًا، ولكن لم نفعل أي شيء، فهذه دعوى باطلة، تبعدنا عن الحقيقة والواقع.

لا بدَّ من شيء جديد، لا بدَّ من وعي، الأمة في حاجة إلى الوعي برسالتها، وبقدرتها على الفعل، لا مجرد رد الفعل، وإيمان يفجر طاقاتها، ففي هذه الحالة نصل إلى الكثير إن شاء الله.

أمَّا عمن هو المسؤول: الحكام، أم العلماء، أم الشعوب؟ كلنا مسؤولون، النبي صلى الله عليه وسلَّم يقول: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**». فالحكام مسؤوليتهم أكبر من العلماء، والعلماء مسؤوليتهم أكبر من الأميين، والمثقف مسؤوليته أكبر من الجاهل، فكل إنسان مسؤول على قدر ما آتاه الله.

**السؤال الثاني:**

**إذا كان صوت المرأة عورة، فما حكم قراءة المرأة للقرآن بصوت مرتفع في حضور الرجال؟**

**الجواب:**

نحن قلنا: إنَّ المنهي عنه في صوت المرأة هو الخضوع بالقول، وقراءة المرأة للقرآن ليس فيها خضوع بالقول، خاصة إذا قرأته بترتيل أو كذا، وبالنسبة لحضور الرجال، فلماذا تمنع من قراءته في حضرتهم وهي قد تلقي كلمة، أو تقدم حفلًا وغير ذلك، فلا مانع.

QaradawiBooks.com

**السؤال الثالث:**

**ما حكم التبرج؟ وهل إذا لبست المرأة اللباس الملون هل يعتبر هذا إثمًا؟ وأين دور أساتذة الشريعة في ذلك؟**

**الجواب:**

التبرج ليس معناه لبس الملون، لم يرد في الشرع وصف للون الثياب إطلاقًا، كل ما طلب في الثياب في حالة معينة، في حالة الحداد، فالمرأة إذا كانت حادة على زوجها المتوفى، يطلب منها أن تلبس ملابس داكنة: سوداء، كحلي، بني، من هذا النوع؛ لأنَّها في حالة حداد، فلا تتزين، ولا تتعطر، ولا تلبس الحلي.

إنَّما في الحالة العادية يمكن تلبس أي شيء، بشرط ألا تكون فيه إثارة وبهرجة زائدة، بحيث يلفت الأنظار، ويثير انتباه الرجال، وهذا على فكرة يختلف من مجتمع إلى آخر ويتغير، يعني في مجموع ما أراه أمامي هنا هذه أشياء عادية مناسبة للمجتمع هنا، ولكن هناك ملابس نقول عليها «زاعقة»، كأن من تلبسها ذاهبة إلى سهرة، أو إلى عرس، وهذا قد يقبل في المجتمع النسائي الخالص، أمَّا امرأة تذهب إلى السوق أو إلى الجامعة، لا بدَّ أن تلتزم في ثيابها.

وأنا أنصح المسلمة كلما كانت الثياب بقدر الإمكان أقرب إلى الهدوء، تكون أفضل، وكلما كانت بعيدة عن الملابس الغربية التي تبرز مفاتن الجسم، تكون أفضل وأفضل.

وليس من الضروري أن يكون الخمار أو الطرحة سوداء، ممكن أن تكون سوداء أو بيضاء أو أي لون، ما يضرها هذا.

QaradawiBooks.com

فتاة سألتني ذات مرة في معسكر من المعسكرات من طالبات جامعة الأزهر قالت: لنا زميلة إذا لبست الحجاب ازدادت جمالًا، فماذا تفعل؟ فقلت لها: وماذا أفعل أنا وقد خلقها الله جميلة؟ وليس المقصود من لبس الحجاب تقبيح المرأة، المقصود من الحجاب إظهار المرأة بصورة الجدية، إنَّها امرأة جادة وقورة، كما يقول القرآن: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

المرأة العربية قديمًا كانت تلبس ما يسمى بالخلخال، فتمشي بين الناس، فلا يشعر بها أحد، فإذا ضربت برجلها التفت إليها الناس؛ ولذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. والآن بعضهن يلبسن الكعب العالي والألمونيوم ١٠سم، أو ١٥سم وتضرب به في الأرض فيسمعها من حولها، هذا هو المنهي عنه في الزينة واللباس.

فليس مقصود الحجاب أن يقبح المرأة، إنَّما المقصود كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. الفتاة المحجبة المحتشمة لا يمكن أن يسير أحد وراءها: يصفر لها، أو يتحرش بها.

**السؤال الرابع: ما حكم صلاة غير المحجبة في ملابس ضيقة؟**

**الجواب:**

صحيحة إن شاء الله، ولكن إذا كانت شديدة الضيق فهي مكروهة، بل قالوا هذا أيضًا بالنسبة للرجال، قال بهذا علماؤنا الأقدمون.

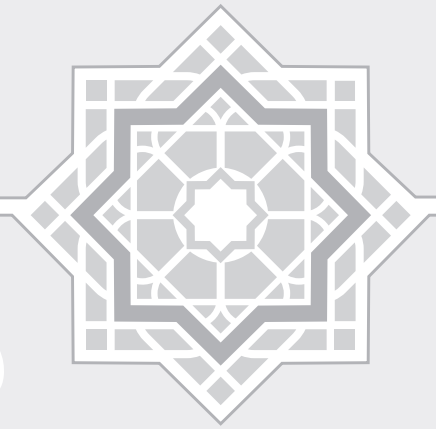
* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



# الشـبـاب



غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

# من الدستور الإلهي للبشرية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظُه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمِكَ، وصحَّتَكَ قبل سُقْمِكَ، وغِنَاءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**». رواه الحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين.

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تزولُ قَدَمُ ابنِ آدم يومَ القيامةِ من عند ربِّه حتَّى يُسأل عن خمسٍ، عن عُمُره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**». رواه الترمذي.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٦

# واجب الشباب المسلم اليوم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

اللهمَّ يا مُعَلِّم آدم وإبراهيم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعْنا بما علَّمتنا، وزِدنا علمًا، نحمدُك الله على كلِّ حال، ونعوذ بك من حال أهل النّار.

حديثنا عن واجب الشباب المسلم اليوم ما هو؟

هناك شباب، وشبابٌ مسلم، وواجبٌ عليه، وواجبٌ موقوتٌ بزمنٍ معين هو زمننا هذا، عصرنا هذا.

## من المسلم؟

المسلمُ هو إنسانُ عينِ الوجود، هو صاحبُ الرسالة الخالدة، وارثُ النبوَّات الَّتي آلت إليه، وتركات الأنبياء الَّتي تمثلت في الإسلام دينًا ومنهج حياة؛ فكل ما في الأديان كلِّها قد رُكِّز ولُخِّص في هذا الدين الَّذي امتنَّ الله بإتمامه على عباده حينما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

QaradawiBooks.com

المسلمُ هو الَّذي يحمل هذه الرسالة، رسالةَ محمدٍ ﷺ، رسالةَ القرآن، رسالةَ الخلود.

غير مرخصة للطباعة

## الشبابُ مرحلةُ القوَّة:

الشبابُ يُمَثِّل مرحلةَ القوَّة والحيويَّة الدافئة؛ لأنَّه وسط العمر، ووسط كلِّ شيء خيارُه؛ فحينما تكون الشمس في كبد السماء في رابعة النهار، تكون أقوى وأحرَّ ما تكون.

الشبابُ ـ إذنْ ـ مرحلة الفُتوَّة والحيويَّة في عمر الإنسان وفي حياته، ومن هنا كانت أهميَّة هذه المرحلة.

مرحلةُ العطاءِ والبذلِ والقدرةِ على تحمُّل الأعباء، ولذلك كان حمَلة الدعوات وحماةُ الرسالات شبابًا.

## الشباب حمَلة الرسالات:

حدَّثنا الله ﷻ عن أصحاب موسى عليه السلام فقال: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣].

وحدَّثنا القرآن عن أهل الكهف فقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

حدَّثنا عن إبراهيم الَّذي حطَّم الأصنام، وجعلها جُذاذًا إلَّا كبيرًا لهم لعلَّهم إليه يرجعون، فقال على لسان عُبَّاد هذه الأصنام: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]. أي: إنَّه كان في سنِّ الفُتوّة والشباب.

## نماذجُ رائعةٌ للشباب:

وحدَّثنا القرآن عن كثيرٍ من الشباب ضربوا أمثلةً شتَّى في الفضائل:

QaradawiBooks.com

## إسماعيل الذَّبِيح:

حدَّثنا عن إسماعيل الَّذي ضحَّى بنفسه، وقدَّم عنقه لله طائعًا مختارًا، بعد أنْ بلغ مع أبيه السعي، وعرض عليه أبوه الذبح: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢]. لم يقل: افعلْ بي ما تؤمر، بل قال: افعلْ ما تؤمر، أي: إنَّه لم يذكر نفسه، بل فَنِيَ عن نَفْسه، وفَنِيَ عن ذاته، كأنَّه يقول لأبيه: نفِّذْ الأوامر الَّتي عندك ولا تسألني! ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

## يوسف الصديق:

حدَّثنا القرآن عن شابٍّ آخر، هو يوسف عليه السلام.

عُرِضت عليه الشهوة، المتعةُ الجنسيَّة سعت إليه ولم يسعَ هو إليها! وكانت كلُّ العوامل تجعله يقبل مثل هذا، لو كان ضعيفَ الإيمان.

فهو شابٌّ عنده فتوَّة الشباب وجمالُه وعُنفوانُه، وهو شابٌّ غريبٌ عن وطنه ليس هناك من يعرفه، وليس هناك من يلومه، وهو عَزَب، ليس عنده زوجة تُعِفُّه، ويستغني بها.

والَّتي تدعوه ليست امرأة من عُرض الطريق، إنَّما هي امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال، فهي امرأةُ العزيز، وهي سيِّدته وهو مملوكها، وهو في بيتها.

ولم تكن فتنةً عارضةً ولا لحظةً طارئة، ولكنَّها فتنة تُراوحُه وتُغاديه، وتُصابحه وتُماسيه.

وهي الَّتي دعته إلى نفسها، ولم تكتفِ بالتلميح حتَّى دخلت في باب التصريح، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، ولكن يوسف عليه السلام رفض ذلك كلَّه بإباءٍ وشَمَمٍ، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

QaradawiBooks.com

ولمّا لم يُجْدِ مع يوسف الإغراء، لجأت إلى التهديد وقالت أمام النسوة ما قالت متوعِّدة مُهَدَّدة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٢، ٣٣].

كان يوسف عليه السلام مُخَيَّرًا بين محنتين: محنةٍ في دينه، ومحنةٍ في دُنياه.

محنة في دِينِه: أنْ يزني ويكون من الفاسقين.

ومحنة في دنياه: أنْ يسجن ويكون من الصاغرين.

فآثر محنة الدُّنيا على محنة الدِّين، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾.

وقد علَّمنا النبيُّ ﷺ أن نقول: «**اللهمَّ لا تجعلْ مُصِيبَتَنا في دِيننا، ولا تجعلْ الدُّنْيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ عِلمنا**»[1].

فهؤلاءِ هم الشباب، وهذا هو حال الشباب.

الشباب دائمًا هم عنصر القوَّة، وهم دائمًا الذين يقومون بأعباء النهضات والرسالات.

وقد كان أصحاب النبيِّ ﷺ شبابًا، وأكبر صحابي من المعروفين هو أبو بكر، الذي كانت سِنُّه يوم إسلامه ثمانية وثلاثين عامًا، وكان عُمَرُ أصغرَ منه بعشر سنوات، وعليٌّ كان دون العاشرة يوم أسلم.

وغيرهم كثير كانوا في العَقد الثاني من عمرهم (١٢، ١٣، ١٤، ١٥) رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسَّنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ولذا كان على الشابِّ المسلم عبءٌ كبير، وعليه واجبٌ ضخم نحو نفسه، ونحو دِينه، ونحو أُمَّته، وخاصَّة في هذا العصر.

واجبه أنْ يكتشف ذاته، أنْ يعرِف نفسه، ويكتشف من هو؟ وما هو؟

## واجبات أربعة على الشباب المسلم:

هناك واجبات أربعة مُحدَّدة في عنق الشباب المسلم في هذا العصر، سيكون حديثنا في إطارها.

### ١ ـ واجب الفهم الصحيح للإسلام:

ما أوَّل واجب على الشباب المسلم من هذه الواجبات الأربع؟

إنَّ الواجب الأول عليه أنْ يفهم الإسلام؛ ذلك أنَّ العلم يسبق العمل.

فعلى الشباب المسلم أنْ يفهم الإسلام حقَّ الفهم، وأنْ يتفقَّه في دينه، فلا بدَّ من الفهم الصحيح للإسلام؛ لأنَّ النَّاس ظلموا الإسلام؛ فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأخرجوا منه ما هو من صُلب تعاليمه.

ففي عصرٍ من العصور كان النَّاس يُضيفون إلى الإسلام ما ليس منه، دخلت على الإسلام أمور غريبة وليست منه، فشوَّهت جماله، وكدَّرت صفاءه، وانتشرت البدع، وأصبح النَّاس يقبلون في الإسلام أمورًا ما أنزل الله بها من سلطانٍ بدعوى أنَّها من «البدعة الحسنة»، وتحت عنوان: زيادة الخير خيران!

والنبيُّ ﷺ حذَّر من أي زيادة على الدِّين؛ لأنَّ كل ما يَقبل الزيادة يَقبل النقص، والكامل لا يقبل زيادة ولا نقصًا، والله أكمل هذا الدِّين فلا يقبل زيادة من أحد، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

QaradawiBooks.com

والَّذي يريد أنْ يزيد في الدين كأنه يستدرك على الله ﷻ، ويزعم أنَّ الدين ناقص وهو يريد أنْ يكمله، ولذلك حذَّر النبيُّ ﷺ فقال: «**إيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**»[١]، و«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»[٢]؛ فالابتداع في الدِّين مرفوض، فالإسلام فرض الابتداع في أمور الدنيا، والاتِّباع في أمور الدين، والوقوف عند الحدود.

ولكن لمَّا ساءت أحوال المسلمين وجاءت عصور التخلُّف والانحطاط والاضطراب قلبوا الوضع، فبدلَ أنْ يخترعوا في أمور الدُّنيا اخترعوا في أمر الدِّين، وجمدوا في أمور الدنيا، وأصبحت حياتهم كالماء الراكد الآسِن!

وفي أمور الدِّين مُخترعَات ومُبتدَعات ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك نريد من الشباب المسلم أنْ يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا سليمًا يردُّه إلى فطرته وصفائه الأوَّل، إلى ينابيعه الأصليَّة.

فإذا كانوا في العصور السابقة يريدون أنْ يزيدوا على الإسلام في معتقداته، وفي معاملاته، وفي أشياء كثيرة منه.

ففي عصرنا هذا يريدون أنْ يُنتقص من الإسلام، وأنْ يخرج منه أشياء كثيرة هي من تعاليمه وأحكامه.

يريدونه إسلامًا بلا جهاد، إسلامًا بلا حدود؛ فلا داعي لرجم الزاني، أو جلد شارب الخمر، إلخ.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١/١٧٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يريدون إسلامًا بلا طلاق ولا تعدد زوجات، إسلامًا بلا دولة ولا حُكْم، الدولة شيء والدين شيء آخر، أي: ما يُسمَّى العلمانية ـ عزل الدين عن الدولة، أو الدولة عن الدين ـ حيث تكون دولة لا دين لها، أو دين لا دولة له.

هذه كلها من محاولات إخراج أشياء من تعاليم الإسلام أو من صلبه، ولكن نحن نرفض هذا كله لا زيادة ولا نقص.

نريد أنْ توضع الأمور في مواضعها، نقدِّم ما حقّه التقديم، ونؤخِّر ما حقّه التأخير؛ لأنَّ تعاليم الإسلام ليست في درجة واحدة، هناك العقائد، وهي أسس الإسلام، ثمَّ الفرائض الَّتي هي بمثابة أركان الإسلام: «**بُني الإسلام على خمسٍ...**»[1]، وهي ـ أيضًا ـ متفاوتة؛ فالصلاة عماد الدين، والزكاة قنطرة الإسلام.

ثمَّ الواجبات الأخرى، هناك واجباتٌ عينية، وواجباتٌ كِفائية، مثل: فرض العين، وفرض الكفاية.

فالمفروضات في الدين ليست في درجة واحدة.

ثمَّ تأتي السنن، ومنها سُننٌ مؤكَّدة ومُرغَّب فيها أشدّ الترغيب، وهناك مُستحبات يُثاب فاعلها ولا يعاقب من تركها.

وهناك الشرك، وينقسم إلى شِرك أكبر وشرك أصغر.

وهناك المحرمات منها: الكبائر والصغائر.

فمنزلة الكبائر غير منزلة الصغائر.

الصغائر تكفِّرها الصلوات الخمس، كما جاء في حديث الإمام مسلم:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

«**الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان مُكَفِّراتُ ما بينهنَّ إذا اجتَنبَ الكبائر**»[١].

أمَّا الكبائرُ، فلا تُكَفِّرها إلَّا التوبة، وردُّ المظالم إلى أهلها.

وهناك الشبهات مثل الأشياء المختلف في حِلِّها أو حُرمتها؛ حيث هناك من يُحلُّها، وهناك من يُحرِّمُها، وهي ليست كالحرام الصريح المُتَّفق عليه.

وهناك المكروهات:

المكروه التحريمي، والمكروه التنزيهي.

المكروه التحريمي: هو ما كان إلى الحرام أقرب.

والمكروه التنزيهي: هو ما كان إلى الحلال أقرب.

فينبغي أن نضعَ الأمـــور في مراتبها، نقدِّم ما حقُّـــه التقديم، ونؤخِّر ما حقّـــه التأخير، بحيث لا ننصـــب معركة على مكـــروه تنزيهي أو أمر مُشتبه في حرمته، أو مختلف فيه بين العلماء.

ولهذا يجب تقدير الأولويَّات والأشياء الأساسيَّة في الدِّين.

فتأسيس العقائد على التوحيد شيءٌ هامٌّ.

وإقامة الفرائض أمر لا تهاون فيه بحال.

والكبائر يجب مقاومتها بكلِّ ما نستطيع.

فنحن نريد حينما نتفقَّه في الإســـلام ونفهم الدِّين، أن نعرف مراتب التعاليم الإسلاميَّة لأنفسنا ولغيرنا.

لأنَّ صاحب الدعوة يجب أنْ يعرف هـــذه الدرجات وتفاوتها جيدًا، فلا يضيّع حياته في معركة جزئية.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ولأنَّ المعركة الآن أصبحت معركة الإيمان والإلحاد قبل كل شيء.

فما ينبغي أن نعلمه جيدًا في فهم الإسلام: أن نأخذَ الإسلامَ من ينابيعه الصافية، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، ونعود إلى فهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، خير القرون؛ فقد كان فهمهم للإسلام نقيًّا، فهمًا لروح الإسلام، وكان سلوكهم من أجل الإسلام أرقى وأوثق.

فينبغي أن نحرص على أن نأخذ من المدرسة الأولى قبل أنْ تدخل الشوائب على الإسلام وتكدّره وتعكِّر صفْوَه.

ولا شك أنَّ هناك أشياء شابت الثقافة الإسلاميَّة، إسرائيليَّات، روايات ضعيفة، أحاديث موضوعة، شطحات وغلواء وانحرافات في الفكر ـ جاءت نتيجة لاختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الملل والنحل وتأثرهم بهم بحكم الطبيعة البشريَّة.

فلا بدَّ أن نعرف هذا كلَّه، ونأخذ عن المُحَقِّقين من علماء الإسلام.

على أنَّه ينبغي أن نعلم ما قاله الإمام مالك[1]، وما قد رُوي مثلُه عن مجاهد[2] وابن عبَّاس رضي الله عنهما[3]: أنَّ كلَّ أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك؛ إلا المعصوم ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٣/٨)، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٠/٣)، والبيهقي في المدخل (٣٠).

(٣) رواه الطبراني (٣٣٩/١١) مرفوعًا. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٠): رجاله مُوَثَّقون.
عزاه البخاري لابن عباس موقوفًا من قوله، في القراءة خلف الإمام صـ١٤.
وقال السبكي: وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك واشتهرت عنه.
انظر: فتاوى السبكي (١٣٨/١)، نشر دار المعارف.

QaradawiBooks.com

فعلى الشابِّ المسلم أنْ يفقه إسلامه فقهًا جيدًا. ولكن ليس معنى هذا أنَّنا نريد من طالب الطب أو الهندسة، أنْ يترك الدراسة العلمية، ويتفرغ للقراءة في كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول.

ليس هذا مطلوبًا من كل إنسان، ولكن لا بدَّ من التخصص، وكلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهناك نوع من التفقُّه هو فرض كِفاية، وهو التبحُّر والتعمُّق، بحيث يُعلِّم الآخرين، ويصبح مَرجعًا يُفتي ويُفقِّه ويُعلِّم.

وهناك معرفة مطلوبة من كلِّ مسلم في أمور الدين لتوضح له الغاية، وتنير له الطريق.

وهنا ينبغي للإنسان قدر مُعَيَّن؛ ليفقه به دينه، يُحرِّر به عقيدته، ويُصحِّح به عبادته، وينظِّم به سلوكه، ويقف به عند حدود الله في حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وينظّم حياته ووقته، بحيث يكون عنده أرضيَّة سليمة صُلبة لفهم الإسلام من ينابيعه الصافية، بعيدًا عن غلو الغالين، وتقصير المُقَصِّرين، فما ضيَّعَنا شيءٌ مثل الإفراط والتفريط.

نحن نريد للشاب المسلم العامل للإسلام أنْ يتفوق في دراسته، وأنْ يكون نموذجًا متميزًا من المتفوقين؛ حتَّى يعرف الناسُ أنَّ التديّن ليس عائقًا عن الدراسة، وهذا أمر ينبغي أنْ يُقِيمَهُ بين الواجبات بعضها وبعض بحيث لا يطغي واجب على واجب.

فالدراسة واجب، والتفوُّق فيها لازم لصاحب الدعوة.

QaradawiBooks.com

كما يجب أن نتعلَّم من الدِّين ما يلزمنا من ضروريَّات الوقت والحياة.

فمثلًا: أحكام الصلاة والطهارة لا بدَّ للشـــاب من تعلُّمها؛ كي تصحَّ صلاته، وكذلك الأحكام الأساسيَّة للصيام.

وإذا أراد ـ مثـــلًا ـ أنْ يحُجَّ ينبغي أنْ يقرأ رســـالة في أحكام الحج؛ ليعرف بها الأركان والواجبات حتَّى تصحّ بها حَجته.

ولكن ليس مطلوبًا من كلّ إنســـان، ومن كلّ مســـلم أنْ يتفقّه في الحج ويتعمّق فيه، ولكن حينما يريد الشابُّ أنْ يحجَّ فليقرأ رسالة في أحكام الحج.

حينما تريد أنْ تعتمر اقرأ رسالة في أحكام العمرة.

حينما تكون صاحب مال اعرف ما يخصُّك من أحكام الزكاة.

إذا كنت تاجرًا فاعرف أحكام التجارة، وما يتعلق بأساسيات البيع والشراء والصرف والسَّـــلَم والربا ونحوها مما يحتاج إليه كل مشتغل بالتجارة.

فالأمور الَّتي تتعرض لها في حياتك اليوميَّـــة ينبغي أنْ تعرفها، ممَّا يُؤكل، ومما يُلبس، وممَّا يُسمع، ومما يُشرب، ومما يُشاهد، إلخ.

تعرف هذا حتَّى لا تقـــع في الحرام وأنت لا تـــدري، أو تُنكر على غيرك أشـــياء وتصرُّفات هي في دائرة الحلال وأنت لا تعرف، أو تعتقد المكروه حرامًا، أو الصغيرة كبيرة، أو العكس.

هذا الفهم لا بدَّ منه؛ لأنَّ الإسلام دينٌ يقوم على البصيرة، وليس فيه مثل ما في الأديان الأخرى: اعتقدْ وأنت أعمـــى! أو: أغمضْ عينَيْكَ ثمَّ اتْبَعْني! أو الجهالة أمُّ التقوى!

QaradawiBooks.com

ولكن الإسلام يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. فكل من اتبع رسول الله ﷺ فهو خليفة له، يدعو إلى الله على بصيرة، وعلى نور.

ويقول: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، و﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، و﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

نور الفطرة والعقل، ونور الوحي والنبوة: نورٌ على نور!

لا يقبل الإسلام أنْ يمشي الإنسان في الظلام، أو يفكر برأسِ غيره، أو يمشي وراء كاهنٍ أو رجلٍ مُشعوذ.

بل يريد المسلمَ الَّذي يعرف الإسلام عن بيّنة، ويتفقّه فيه على بصيرة، ومن حقّه أنْ يسأل عن الدليل في كل أمرٍ يرتاب فيه؛ حتَّى يطمئن قلبُه.

يعرف الحُكْم بدليله، والعلم هو معرفة الحق بالدليل.

يجب على الشاب المسلم أنْ يفهم ذلك، وبخاصة أنَّه قد مرت فترات على المسلمين جهلوا فيها الإسلام أو جُهِّلوا فيها بالإسلام.

كانت المدارس تُجهِّل النَّاس بالإسلام؛ لا تعطيهم إلا قشورًا، وقشورًا مشوَّهة. الشاب يدخل المدرسة ويخرج منها، فيعرف عن تاريخ أوربا أكثر مما يعرف عن تاريخ الإسلام، ويعرف عن نابليون أكثر مما يعرف عن محمد ﷺ، ويعرف عن الثورة الفرنسية أكثر مما يعرف عن الدعوة الإسلاميَّة.

لا يعرف عن السيرة النبويَّة إلا صفحات مبتورة، ولا يعرف عن الصحابة سوى الفتن وقتال بعضهم لبعض.

QaradawiBooks.com

ولكن لا يعرف ما هي الرسالة المحمدية؟ ما هي جوانب العظمة في الشخصية المحمدية؟ ماذا قدم الرسول ﷺ للعالم؟

وما خصائص هذا الجيل الَّذي ربَّاه وما هي سماته؟ وبماذا تميز عمن بعده من الأجيال؟

ما هي الحضارة الإسلاميَّة المتكاملة الربانية الإنسانية العالمية الأخلاقية الَّتي صنعها الإسلام، حين كان الغرب لا يرى الضوء إلَّا من سمِّ الخِيَاط؟ إلخ.

ومن هنا يجب أن نفهم الإسلام حتَّى نستطيع أن نردَّ عنه الشبهات. نفهمه أولًا لأنفسنا؛ حتَّى نسيرَ على بيّنة.

وثانيًا حتَّى نستطيع أن نُفْهِمه غيرنا، وأن نردَّ عنه شبهات الضالين الذين يلبِسون الحقّ بالباطل، وأكاذيب المفترين الذين يزوّرون على الإسلام ما ليس منه، وينسبون إلى رسول الإسلام ما ليس من سيرته، وإلى أُمَّة الإسلام ما ليس فيها.

نحن في حاجة إلى أنْ يكون لدينا هذه المعرفة الواعية الناضجة عن ديننا ورسولنا وقرآننا وشريعتنا وتاريخنا وأمتنا وتراثنا؛ حتَّى نستطيع أن نُحقّ الحقّ، ونبْطِل الباطلَ ولو كره المجرمون.

حيث لا ينبغي أن نقف موقف الدفاع فقط، بل ينبغي أن نعرف الإسلام؛ لنواجه به الخصوم، ونقف موقف المهاجم الواثق، المتسلح باليقين.

فما ينبغي لنا أن نظلَّ في موقف الدفاع لنرد على الشبهات والمفتريات والأباطيل الَّتي يروجها الأفّاكون والدجّالون من المستشرقين والمنصّرين والماركسيين والملحدين والمأجورين من هنا وهناك.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يجب أن نكشف نحن عُوار هؤلاء، ونبيّن ضلال ما عندهم، وهدايةَ ما عندنا، وتفاهةَ ما عندهم، وعظمةَ ما عندنا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠].

ولذلك ينبغي أن ندعوَ غيرنا إلى ديننا، والدعوة يجب أنْ تكون على فهم؛ لأنَّ الداعي يجب أنْ يدعوَ على بصيرة. ولهذا ينبغي لنا أن نقرأ؛ لأننا أُمَّة القراءة؛ فأول آية وأول كلمة نزلت: ﴿ٱقْرَأْ﴾ وكُرِّرت مرتين؛ قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

أمَّة القراءة كتابها اسمه القرآن، هذه الأُمَّة للأسف لا تقرأ.

كان المسلمون في الزمن الماضي يَقرؤون ويَقرؤون، حتَّى كان أحدهم يقرأ وهو على فراش الموت ويقول: «أخشى أنْ يمرّ عليَّ يومٌ لا أقرأ فيه».

كان الواحد منهم كبير السنِّ ويطلب العلم ويقال له: «إلى متى تطلب العلم»؟

فيقول: «إلى أنْ أموت».

ومن الكلمات المأثورة: «اطلب العلم من المهْد إلى اللحْد».

وقيل لبعضهم: أيَحسُن بالشيخ أنْ يتعلَّم؟

قال: إذا كان الخطأ يقبح منه فإنَّ التعلُّم يحسن به[1].

وللأسف ابتُلينا بعصورٍ لم تعدْ تعرف القراءة، ولا تعشق الكتاب،

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤٠٦/١، ٤٠٧).

QaradawiBooks.com

ولذلك ينبغي أن نقاوم نحن هذا الاتِّجاه، وأن نعود بالأُمَّة إلى الاتِّجاه الصحيح، بأنْ تقرأ، وأنْ تبذل جهدًا في القراءة، بدل أنْ تبذل الجهد والوقت في أشياءَ تافهةٍ قاتلة للوقت من غير فائدة.

فقد كان سلفنا يقولون: «إنَّ العلم لا يعطيك بعضه، حتَّى تُعطيه كلك»[1].

كلّ جهدِك، كلّ وقتِك، كلّ أنفاسِك؛ ليعطيك العلمُ بعضَ حقائقه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ولكن هل هذا وحده يكفي؟

أيكفي أن نفهم ونتفقَّه ونتعلَّم وقد انتهى كلُّ شيء؟

هل يريد الإسلام منَّا أن نصبح فلاسفة فقط، وأن تكون كل صلتنا به مجرد معرفة ذهنية؟

الجواب: لا.

## ٢ ـ واجب العلم بالإسلام:

أجل، لا يكتفي الإسلام من المسلم بمجرد المعرفة الذهنية، أنْ يقرأ ويتفقّه ويمتلئ رأسه علمًا، ثمَّ لاشيء بعد ذلك. لا؛ فالإسلام يريد العلم الَّذي يُثمر العمل، لا العلم الَّذي يُثمر الكلام والجدل.

يريد المعرفة الموصولة بالقلب الَّتي تحييه وتحركه، والإرادة الَّتي قال الله ﷻ في أصحابها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. المعرفة المورِّثة للخشية من الله ﷻ.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/٥٠).

QaradawiBooks.com

وقد استعاذ النبي ﷺ من العلم الَّذي لا ينفع صاحبه حين قال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عملٍ لا يُرفع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[(١)].

وكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يستعيذ بالله من المنافق العليم!

قيل له: يا أمير المؤمنين، أيكون منافقًا وعليمًا؟!

قال: نعم، عالم اللسانِ جاهل القلب[(٢)]!

وفي الأثر: «**العلمُ عِلمان: علمٌ على اللسان فذلك حُجَّةُ الله على ابن آدم، وعلمٌ في القلب، فذلك هو العلم النافع**»[(٣)].

إنَّ الله ضرب أسوأ مثلين في القرآن لمن لا يعمل بعلمه فجعله: مثل الحمار، ومثل الكلب.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٦٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٦٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٠٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٥٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٩): رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح.

QaradawiBooks.com

وهذا لمن لم ينتفع بعلمه.

الإنسانُ المسلِم يتعلّم الصلاة ويصلي، ويتعلّم الخشوع ويخشع، ويتعلّم الزكاة ويزكي، ويتفقه في الحلال والحرام فيبتعد عن الحرام، ويتحرَّى الحلال.

هذا هو العلم النافع.

وبعد أنْ يتفقه في دينه ويصبح نموذجًا لما تعلمه ينظر النَّاس إليه، فيقولون: «انظروا، ما أجملَ تعاليمَ الإسلام! ما أجملَ آدابَ الإسلام! ما أعظمَ أخلاقَ الإسلام»!

لقد رأوها مُجَسَّدة سيرةً وسلوكًا.

هكذا انتشر الإسلام في العالم. لم ينتشر بخطبٍ ومقالات إنَّما انتشر بالعمل والأخلاق والسلوك.

لم يكن للإسلام مُبَشِّرون محترفون، كما نرى في الأديان الأخرى.

إنَّ كثيرًا ممَّن نشروا الإسلام كانوا أناسًا عاديِّين جدًّا، تجَّارًا وصناعًا ومحترفين.

فقد دخل الإسلام إندونيسيا عن طريق التجار من حضرموت، وكذلك في كثير من البلاد.

وفي كوريا الجنوبيَّة دخل الإسلام ـ منذ عدَّة سنوات ـ عن طريق التأسِّي والتأثُّر؛ كان هناك جنود من الأتراك يحاربون أيام الحرب الكوريَّة، وكانوا يرونهم كلَّما دخل وقت مُعَيَّن ذهبوا وتنظَّفوا وتطهَّروا وغسلوا الوجوه والأيدي والأرجل ووقفوا صفًّا واحدًا بخشوعٍ وأدبٍ وانتظامٍ فتأثَّروا بهم، وقالوا لهم: من أنتم؟

QaradawiBooks.com

قالوا: نحن مسلمون.

قالوا: وما الإسلام؟

فعرَّفوهم بالإسلام على قدر ما يعرفون، فدخل آلاف منهم الإسلام عن طريق القدوة الحسنة.

إنَّ الإسلام إنَّما ينتصر وينتشر بالقدوة الصالحة، فيرى النَّاس صورة إسلاميَّة مجسدة في إنسان فيحبونه ويحبون الإسلام بحبه.

وهكذا انتشر الإسلام في الزمن الأول.

إنَّ أغلظ حجاب يحجز العالم عن الإسلام اليوم هم المسلمون أنفسهم!

إنَّ الإسلام جميل جدًّا إذا قُرئ في الكتب، ولكن حينما يرى النَّاس هذا الإسلام في أهله يقولون: لماذا لم ينفع أهله؟!

لماذا لا نرى ما دعا إليه الإسلام مؤثرًا في حياة أهله؟

الإسلام دعا إلى النظام، ولكن بلاد المسلمين يُضرب بها المثل في الفوضى وارتباك الحياة.

دعا إلى التعاون، وليس هناك فرديَّة ولا تخاذل أكثر مما في بلاد الإسلام.

دعا إلى القوَّة فما بال المسلمين ضعفاء؟

دعا إلى العلم والتقدُّم، ونجد بلاد الإسلام صورة للأُمِّيَّة والتخلُّف!

أسلم مرة أحد الغربيِّين عن طريق ما قرأ عن الإسلام في الكتب، وظلَّ في شوق لرؤية الإسلام في دياره، فعزم على أنْ يحجَّ بيتَ الله

QaradawiBooks.com

الحرام، وجاء فعلًا إلى موسم الحجِّ، ورأى ما رأى من الفوضى والتسيُّب وسوء الأخلاق، والعنف في المعاملة، وأشياء غريبة، مع أنَّ الله تعالى يقول في الحجِّ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فرأى غير ما عرف، فقال قولته المشهورة: «الحمد لله الَّذي عرَّفني الإسلام قبل أنْ أعرف المسلمين»!

ولهذا يجب أنْ نكون أمثلة عمليَّة للإسلام، أعضاءً حية في جسم الأُمَّة الإسلاميَّة، مصحفًا يمشي على قدمَيْن، مصحفًا مفصّلًا.

ولذلك نحن نركز على العمل والسلوك: العمل الصالح، والسلوك المستقيم.

الإسلام يريد منك أنْ تؤدِّيَ فرائض الله، وأنْ تجتنبَ محارمَ الله، وأنْ ترعى حقوق عبادِ الله، وأنْ ترعى حقوقَ نفسك أيضًا.

فإنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لزوارك عليك حقًّا، وإنَّ لمجتمعك عليك حقًّا، وإنَّ لربك عليك حقًّا، فأعطِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه[1].

فهناك توازن في الحياة، يجب أنْ يحرص عليه المسلم؛ لأنَّه من صلب الإسلام، وبهذا يستقيم سلوك المسلم، ويستقيم عمله.

فالسلوك المستقيم ثمرة الفقه المستقيم للإسلام.

والسلوك يختلف من إنسانٍ لآخر.

والسلوك يترقى ولا يقف عند درجةٍ واحدة، كما أنَّ الطالب يترقى من الإعداديَّة إلى الثانويَّة إلى الجامعة، إلى الدكتوراه.

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو المتَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام.

QaradawiBooks.com

أيضًا يترقَّى في مجال الخير، وحسن الصلة بالله تعالى.

قد يقنع المسلم في أوَّل الأمر أنْ يقتصرَ على الفرائض، ثمَّ بعد ذلك ينتقل إلى السُّنن وبعض النوافل، ثمَّ يترقى إلى صلاة الليل، فيقوم شيئًا من الليل وهكذا. ومثل هذا يقال في جانب المنهيَّات؛ فهو يدع المُحرَّمات أولًا، ثمَّ يترقى فيترك الشبهات، ثمَّ المكروهات، ثمَّ يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، شأن المتقين.

وينبغي أنْ يعزم على الخير، ويصدق مع الله تبارك وتعالى.

وإذا صدق العزم وضحَ السبيل.

### ٣ ـ واجب الدعوة إلى الإسلام:

هناك واجب ثالث هو واجب الدعوة إلى الله. لا يكفي أنْ يكون الفرد صالحًا في نفسه؛ فالإسلام لا يكتفي أنْ يكون الإنسان صالحًا في حد ذاته حتَّى يكلّفه أنْ يُصْلِح غيره، يحمل الدعوة لإصلاح الغير. ولهذا نجد سورة العصر تشترط لنجاة الإنسان من الخسران: أنْ يوصيَ غيره بالحق، وأنْ يقبل الوصيَّة منه:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة العصر].

لا يكتفي بالإيمان والعمل الصالح، بل لا بدَّ أنْ يوصِي بالحقِّ ويقبل الوصيَّة به. تفاعل بين الجانبَيْن، وهذا معنى «التواصي».

ولذلك يجب أن تُجنِّد نفسك للحقِّ، ولا بدَّ ـ بعد ذلك ـ أن تُوطِّن نفسك على الصبر، ولهذا قرَن بين التواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر.

QaradawiBooks.com

كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

لا بدَّ من الصبر؛ فالدعوة شاقة، وخاصَّة في عصرنا. الله ﷻ قال لرسوله في أوَّل عصر النبوة: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

فالدعوة قول ثقيل، وعبءٌ كبير، ونحن ورثة هذا العبء، وهذا القول الثقيل.

فإذا كنَّا في عصر مثل هذا العصر يزداد العبء ثِقْلًا؛ لإعراض النّاس عن الدين، ولقلة اليقين، ولإقبال النَّاس على الدنيا، وإدبارهم عن الآخرة، وكثرة المعوقات عن الخير، وكثرة المغريات بالشرّ.

ومن هنا يزداد العبء ضخامة على أهل الدعوة. ستجد المُعَوِّقات أمامك حتَّى في داخل بيتك، لعلَّك تجد أباك، لعلَّك تجد إخوتك، لعلَّك تجد أصدقاءك وأقرب النَّاس إليك يعوقونك ويثبّطونك ويقولون لك: ما لك ولهذا؟ أتريد أنْ تُسجن؟ أتريد أنْ تُعتقل؟ أتريد أنْ تُعذَّب؟ أتريد كذا وكذا؟

وإذا كانت فتاةً فإنَّها تلقى الاستهزاء والتهكم من اللباس الشرعي.

في العام الماضي عرفتُ فتاة كانت تلبس الخمار على رأسها وتغطي عنقها، وتلبس الثياب الطويلة.

وفي هذا العام عرفت أنَّها خلعت كل ذلك ولبست ملابس السفور، وأنَّها ظلت تعاني ضغطًا كبيرًا من أهلها وأقاربها ووالدتها وعمَّاتها وبنات عمَّاتها وخالاتها وبنات خالاتها؛ يستهزئون من اللباس الشرعي والحشمة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طبعًا المؤمنة الواثقة لا تبالي بهذا كلّه، بل تزداد إصرارًا على حقّ الله وحدوده، ولكنَّ الفتاة ضعُف إيمانها، فاستجابت لهذه النداءات المفسدة.

ولذلك نجد في عصرنا كثرة المغريات والصوارف والقواطع، ولذا ورد في الحديث أنَّ **القابضَ على دِينه كالقابض على الجمر**.

والعامل في مثل هذه الأيام ـ أيام الفتن ـ له أجر خمسين من صحابة النبيِّ ﷺ.

قيل: خمسين منَّا أو منهم؟

قال: «**بل منكم**»[(١)].

وفي بعض الروايات: «**تجدون على الخير أعوانًا، ولا يجدون على الخير أعوانًا**»[(٢)].

ومن هنا ينبغي أن نحرص على أن نتمسَّك بالإسلام وندعو غيرنا، رغم المقاومة، ورغم الضغط العائلي والاجتماعي والسياسي، من كلِّ الجوانب.

يجب أن نقاوم هذا كله، ونكون أقوى. ليس هناك دعوة لا تقاوم. كل دعوة لها مخاصِمون ولها مقاوِمون: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

أجل، إنَّ الَّذي خلق آدم خلق إبليس.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، والحاكم في الرِّقاق (٣٢٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن أبي ثعلبه الخشني.

(٢) ذكرها الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٠٨/٢).

QaradawiBooks.com

والَّذي خلق إبراهيم خلق نمرودًا.

والَّذي خلق موسى خلق فرعون.

والَّذي خلق محمدًا خلق أبا جهل.

وكلُّ زمانٍ يوجد فيه فرعون، وفيه نمروذ، وفيه أبو جهل، باختلاف الأسماء والعناوين، فما أكثرهم وإنْ تسمَّوْا بأسماء مختلفة!

وهذا العصر هو عصر «الأيديولوجيَّات» الجديدة، كما يقولون عنه، فإذا كانت الشيوعية لها أنصارها، واليهوديَّة لها أنصارها، والماسونيَّة لها دعاتها، والنصرانيَّة لها مُبَشِّروها وراهباتها ورهبانها، والبهائيَّة، والقاديانيَّة، وكلُّ مذهبٍ باطل له دعاة وأنصار ـ أفلا يكون لأهل الإسلام رجالُه وأنصارُه؟ وهو بطبيعته دين انتشاري، دين دعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ولهذا نقول: إنَّ واجب الشباب في هذا العصر أنْ يوطّن نفسه على أنْ يدعوَ إلى الله ﷻ.

وليس هناك أعظم من هذه الوظيفة؛ لأنَّها وظيفة النبيين. وهذا يجعله يستمسك بعُروة الحقّ، بالعُروة الوُثْقى؛ لأنَّه إذا دعا سوف يحاول أنْ يكون صورة طيبة لما يدعو إليه، ومن ثَمَّ يستمسك بالتعاليم الإسلاميَّة.

### ٤ ـ واجب الترابط على الإسلام:

إنَّ الشباب الذين وطَّنوا أنفسهم على أنْ يفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا، وعلى أنْ يؤمنوا به إيمانًا عميقًا، وعلى أنْ يتواصوا به ويدعوا إليه، ينبغي أنْ يتعاونوا فيما بينهم، وأنْ يترابطوا فيما بينهم.

QaradawiBooks.com

فالعمل للإسلام لا ينحصر في صوره الفرديَّة، ولا يمكن أنْ ينهض بها وحدها، العمل الفردي لا يكفي، ولا يُغني. لا بدَّ من عملٍ جماعي.

وأقصد بالعمل الجماعي أنْ يرتبط بعضُنا ببعضٍ برباط الأخوّة، ونتحابَّ في الله ونتزاور فيه، ونتجالس فيه، ونتباذل فيه، ونتفاهم في القضايا المشتركة، وإن اختلفت الجماعات الَّتي ننتمي إليها.

بدون هذا لا نستطيع أن نقيم عملًا؛ لأنَّ يدًا وحدها لا تصفق، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

هؤلاءِ يعاون بعضُهم بعضًا، ويوالي بعضُهم بعضًا، وينصرُ بعضُهم بعضًا.

فينبغي أنْ يتولى بعضُنا بعضًا، وأنْ يعاون بعضنا بعضًا، ويرتبط بعضُنا ببعض؛ حتَّى لا يكون هناك تكتل في جانب الباطل، وفرديَّة وفراغ في جانب الحقِّ.

وفي هذه الحالة تكون فتنة في الأرض، وفساد كبير.

**وأخيرًا:**

كانت تلك هي الواجبات الأربعة الَّتي يجب على الشباب أنْ يعيَها، وأنْ يفتشَ كلٌّ في نفسه: هل أدى حقّها؟ هل قام بأعبائها؟

يجب على الشاب المسلم أنْ يعرفَ واجبه في هذا العصر، وأنْ يستفيدَ من التاريخ القريب والبعيد، ويعرف كيف يمشى بمسيرة الإسلام، وبحركة الإسلام؛ حتَّى تقوم للإسلام قوةٌ، وتقوم للإسلام دولة.

QaradawiBooks.com

فعارٌ على المسلمين أنْ يكون لكلّ مذهب ولكلّ دين دولةٌ ودولٌ، إلا الإسلام، نريد أن تكون للإسلام دولةٌ تتبنى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا وحضارة ورابطة ونظام حياةٍ.

ولا بدَّ أنْ يأتي هذا اليوم: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٧

# واجب الشباب المسلم اليوم (٢)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عن كلِّ من دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأبناء ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر لإدارة مدرسة الدوحة الثانوية أنْ أتاحت لي هذه الفرصة؛ لألتقي بأبنائي الطلاب في هذا الصباح الكريم، هذا اللقاءَ الذي أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل من ورائه خيرًا لشبابنا، ولبلدنا، ولديننا، ولأُمَّتنا إنْ شاء الله.

(١) ألقيت في مدرسة الدوحة الثانويَّة، بدولة قطر، في نهاية الثمانينيات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وموضوع حديثنا في هذا اللقاء هو عن واجب الشباب المسلم اليوم، وهذا العنوان يتناول عناصر أربعة: عنصر الواجب، وعنصر الشباب، وعنصر الشباب بوصفه مسلمًا، وعنصر الزمن، فلنتحدث عن كل منها سريعًا قبل الحديث عن واجبات الشباب المسلم.

## (١) رعاية الواجبات:

قلَّما يتحدَّث الناس في عصرنا للأسف عن الواجبات، وإنَّما يتحدَّثون دائمًا عن الحقوق، ولذلك نرى أنَّ أكثر المؤتمرات التي تُعقد هي عن تقرير الحقوق عادةً: حقوق الإنسان، وحقوق العمال، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، إلى آخره، ولا بأس في ذلك؛ لأنَّ الناس في فترة من الفترات أضاعوا الحقوق وأكلوها، وطغى القويُّ على الضعيف، فأُكلت وضُيِّعت وديسَت حقوق الإنسان بصفة عامَّة، وحقوق الضعفاء بصفة خاصَّةٍ: مثل حقِّ المرأة، وحقِّ الطفل، وحقِّ العامل، وحقِّ الفلاح، وهكذا، فكان من اللازم أنْ تطلب الحقوق، ولكنهم أسرفوا في ذلك حتى نسيت الواجبات، فأصبح شعار الناس في عصرنا أنْ يقول كلٌّ منهم: ماذا لي من حقوق؟ وقَلَّ من النَّاس من يقول: ماذا عليَّ من واجبات؟

لكنْ قبل أنْ تطلب ما لك من حقوق، ينبغي أنْ تنظر: هل رعيتَ ما عليك من واجبات؟ هل عرفتها؟ هل أحسَسْت بها؟ هل أدَّيتها؟ ومن هنا كان همُّ الإسلام الأول أنْ يغرس في الناس معنى الواجب، فالشريعة الإسلامية شريعة تكاليف، أي ما كلَّف الله به عباده، فإذا أدَّى الناس هذه التكاليف ـ أو هذه الواجبات ـ رُعِيَت معها الحقوق ضمنًا؛ لأنك إذا أدَّيت واجبك نحو والديك، فمعنى هذا ضمنًا أنَّه قد رُعي حق

QaradawiBooks.com

الوالدين، وإذا أدَّى الوالد واجبه نحو أولاده، في الرعاية والقيام على مصالحهم الدنيويَّة والأخرويَّة، ووقاهم النَّار، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وأدَّبهم فأحسن تأديبهم؛ فمعنى ذلك أنَّه قد رُعِيت معها ضمنًا حقوق الأولاد.

وكذلك إذا أدَّى المعلم واجبه نحو تلاميذه، فأتقن درسَه، وعرف أنَّ الله تعالى محاسبه عليه قبل المدير، وقبل المفتش، ومنع الغش، وأدَّى لكل ذي حقٍّ حقَّه، معنى هذا أنَّه قد رُعِيَت حقوق الطلاب، وكذلك إذا أدَّى الطلاب واجبَهم نحو مُعلِّمِهم في الاحترام والتوقير، والسمع والطاعة، معنى هذا أنَّه قد رُعيت حقوق المعلم، ولذلك من المهم جدًّا أن نتفهم الواجبات، ما هو الواجب؟ ولذلك كان رأيي أنْ يكون موضوع المحاضرة «واجب الشباب المسلم»، حتى يعرف الشباب المسلم واجبه، فهذا هو العنصر الأول.

**(٢) مرحلة الشباب:**

مرحلة الشباب هي من أخصب مراحل العمر؛ لأنَّها مرحلة القوَّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾ [الروم: ٥٤]. فالضعف الأول هو ضعف الطفولة، التي لا تستطيع أنْ تقوم بذاتها، فلا بدَّ لها من سند، ولا بدَّ لها من مُعين، إلى أنْ يكتمل العود، ثم يأتي في النهاية ضعف الشيخوخة، وتأتي مرحلة الشباب بين الضعفين، ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾. هذه القوة التي في الوسط هي قوَّة الشباب، فمرحلة الشباب هي مرحلة القوَّة، وهي مرحلة التَّطلُّع، مرحلة الآمال والطموح.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الشباب ثروة:

ومن هنا كانت العناية بالشباب كبيرة، فإنَّ الشباب في كلِّ أمَّة عمادُ نهضتها، وسِرُّ قوتها، وهو الثروة البشـــريَّة الأعظم للأمَّة، إذا كان للأمم ثراوت في باطن الأرض مذخـــورة، أو على ظاهرها منشـــورة، ثروات معدنيَّة، أو ثروات زراعيَّة، أو نحو ذلك؛ فإنَّ الإنسان هو أعظم من هذه الثروات كلها، الثروة البشـــريَّة هي أعظم الثروات، فالإنسان هو الوسيلة وهو الغاية لكل تنمية وتقدُّم، ويمثل الشـــباب بالذَّات لبابَ هذه الثروة، إنَّه عماد الثروة البشريَّة، ومن هنا كانت عناية الأمم بالشباب، بتعليمهم، وتدريبهم، وتأهيلهم، وهذا هو ســـر اهتمام المحاضرة بواجب الشباب، ونحن في مدرسة ثانوية، والمدارس الثانوية هي مدارس الشباب، فلهذا كان من المهم أنْ يعرف الشباب واجبهم.

## الشباب حَمَلة الرسالات:

الشـــباب في كلِّ الأمم هم الذي حملوا الرسالات، هم الذين ساروا مع الأنبياء في كل رسالة، وأيَّدوها ونصروها وضحَّوا في سبيلها.

## ذريَّة من قوم موسى:

إنَّ الذين استجابوا لدعوة سيِّدنا موسى عليه السلام، ووقفوا أمام فرعون، وهامان، وقارون ـ كانوا شبابًا، كما أشـــار إلى ذلك القرآن في قوله: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]. ذريَّـــة من قومه، فئة من الشـــباب الذي لا يبالي أوَقَع على الموت، أم وقع الموتُ عليه، ففي الشباب شجاعة، وجُرأة، واقتحام، ولذلـــك لا يبالي أنْ يقف ضد التيَّـــارات التقليديَّة الجامدة القديمة.

QaradawiBooks.com

**إبراهيم عليه السلام:**

وكان إبراهيم عليه السلام فتًى من الفتيان حينما كسَّر أصنام قومه، حينما رفض تلك الوثنيَّة الجهلاء، لأناس ينحتون الأصنام بأيديهم، ثم يَخرُّون لها ساجدين، ويلتمسون منها الخيرات والبركات، فلم يعجب إبراهيم بهذا، وكان وهو صغير يأخذ الأصنام التي ينحتها عمُّه، ويَجرُّها في الطرقات، ويقول: يا من يشتري ما لا يضر، ولا ينفع!

ولما كبُر وصار فتًى قرَّر أنْ يمسك بالفأس، وحلف أنْ يكسر هذه الأصنام، أنْ يجعلها جُذاذًا، وفعلا حينما ذهب القوم في عيدٍ من أعيادهم أمسك إبراهيم الفأس، وذهب إلى هذه الأصنام، وأمامها الأطعمة التي لا يجدها كثير من الفقراء والمحرومين: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۞ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١ ـ ٩٣]. وكسَّرها، ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. كان إبراهيم شابًّا في ذلك الوقت كما قالوا، وحكى القرآن على لسانهم: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]. سمعنا فتًى يتوعَّدهم، هذا الفتى الذي كسَّر أصنامهم، هو إبراهيم عليه السلام.

**فتية الكهف:**

وكان أهل الكهف ـ الذين قصَّ الله تعالى علينا قصَّتهم ـ مجموعة من الشباب المؤمن، الذي تمرد على الوثنية، وتمرد على طغيان قومه، وقام يدعو إلى الله تعالى، متحديًا الجبروت، متحديًا الطغيان، ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ۞ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ۞ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم

QaradawiBooks.com

﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٣ ـ ١٥]. هلَّا أتوا ببرهان واضح على هذه الوثنيَّة الكاذبة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

وهكذا نرى أنَّ حملة الدعَوات في التاريخ الطويل هم من الشباب، هم الذين نصروا الرسل، ولم يبالوا بما يصيبهم في سبيل الله من أذًى وإعناتٍ، فمن هنا كانت العناية بالشباب.

### (٣) الشباب المسلم:

نحن في أرض إسلاميَّة، في بلد إسلاميَّة، ولذلك ينبغي أنْ يكون حديثنا مُوجَّهًا إلى الشباب المسلم، الذي رضي بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن منهاجًا وإمامًا.

### شباب الصحابة:

إنَّنا نتحدَّث إلى الشباب المسلم الذي كان أسلافه شبابًا حين حملوا راية الإسلام، وتحمَّلوا أعباءه من أوَّل يوم، فالصحابة الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ كانوا شبابًا، كان عُمْرُ أبي بكر الصديق ـ وهو أكبر أصحابه ـ ثمانيةً وثلاثين عامًا، وكان عمر بن الخطاب أصغر منه بعشر سنوات، وكان عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام صبيَّيْن، وهكذا كان أصحاب النَّبي ﷺ شبابًا، وبعضهم كانوا دون سنِّ الشباب حين آمنوا بهذا الدين.

هذا الشباب المسلم هو الذي نصر الإسلام، وحمل رايته من قديم، فالذين حفظوا القرآن، وكتبوه عن النبي ﷺ، وبلَّغوه إلى مَنْ بعدهم كانوا هم الشباب، والذين تلقَّوا السُّنَّة، وحفظوها، ولقَّنوها مَنْ بعدهم، وورثتها عنهم الأجيال، والذين حملوا علم النُّبوَّة، وأفتوا المسلمين كانوا هم الشباب، عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عُمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير،

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخُدْري، كل هؤلاء ـ وغيرهم ـ كانوا شبابًا في عهد النبي ﷺ، وهم الذين حملوا العلم إلى الأُمَّة فيما بعد، فالشباب المسلم هم الذين حملوا راية الإسلام، كان همُّهم هو هذا الدين.

لقد كانت عندهم رسالة يعيشون بها، ويعيشون في سبيلها، ويموتون عليها، عاشوا لهذا الدين، لم يعيشوا فارغين، لم يعيشوا على هامش الحياة، إنَّما كانت لهم رسالة، كانت لهم أهداف يعيشون من أجلها، ولذلك حُمِّلوا الأعباء منذ الصغر، فقد كان أسامة بن زيد ـ الحِبُّ بن الحِبِّ ـ شابًّا حين تولَّى قيادة جيشٍ فيه كثير من كبار الصحابة؛ ليحارب الروم، القوة الأولى في الأرض في ذلك الوقت، فهم كالأمريكان في عصرنا.

**محمد بن القاسم:**

وكان محمد بن القاسم بن محمد الثقفي شابًّا، حين بعثه الحجَّاج بن يوسف ليفتح بلاد السند، وهي في باكستان الآن، كان أول من ذهب إلى هذه الأرض ـ ووراءه جيش مسلم ـ ليعرف مجاهيلها، ويفتحها للإسلام، كان الشباب مشغولين بهذه الآمال الكبار، أن يفتحوا العالم، لا ليستعمروه، ولا ليُروِّجوا تجارة، ولا لإعلاء جنس على جنس، ولكن لتكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الله هي كلمةُ الحقِّ والعدل والخير والإحسان، كان هذا ما يشغلهم، يذهب محمد بن القاسم إلى هذه البلاد لأوَّل مرة، ولم يكن يعرفها من قبل، إنَّما دخلها باسم الإسلام، ولهذا يقول القائل:

**إنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ والنَّدى ... لمحمَّدِ بنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ**
**قاد الجُيُوشَ لسبعَ عَشْرَةَ حِجَّة ... يا قُرب ذلك سؤددًا من مَوْلِدِ**[1]

(١) ذكره من غير نسبة ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٣٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

سبع عشر حَجَّة: أي سبع عشرة سنة. فهذا هو الشباب المسلم، شُغل بهذه الأمور، انشغل بعضهم بالفتح، وبعضهم بالقرآن، وبعضهم بالسُّنَّة، وبعضهم بالعلم.

وقد انشغل الإمام الشافعي ـ وهو ابن بضع عشرة سنة ـ بالفقه والإفتاء، حتى أصبح ملءَ السمع والبصر، أُمَّة كل من فيها كان يعمل، لم تعش في فراغ، كانت تتعلق بمُثُلٍ عُليا، وتعيش لأهدافٍ كبيرة، حين شعرت بأهميتها.

**(٤) هذا العصر:**

هكذا ـ أيُّها الإخوة والأبناء ـ كان أسلاف أُمَّتنا من الشباب، أمَّا اليوم فمشكلة شباب أُمَّتنا ليست في فراغ الوقت فقط، بل الأخطر هو فراغ النفس من أهدافٍ تتعلق بها، فما هي الأهداف التي يعيش لها شبابنا؟

إنَّ كثيرًا من شبابنا لا يعرف أنَّ وراءه أهدافًا كبيرة ينبغي أنْ يتعلق بها، لقد جعلوا أكبر همِّه للأسف أنْ يتعلق بلعبة الكُرة، أو يتعلَّق بمشاهدة الأعمال الفنيَّة، ولا مانع أنْ يتذوَّق المسلم الفنون، التي تسمو بالوجدان، ويوظِّفها في رسالة نبيلة، ولا مانع أنْ يلعب الكرة، ويكون له نصيب من الرياضة، فالإسلام يريد الجسم القويَّ، «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيف**»[1].

وقد كان في الصحابة الأقوياء، كان فيهم العدَّاؤون، والفُرسان، وكان النبي ﷺ مثالًا للقوة، ليست القوة الإيمانيَّة فقط، بل حتى القوة الجسميَّة، وتعرفون قصته مع رُكانة، ذلك الرجل الذي قال له: أنا أصارعك يا محمد، فإنْ صرعتك فلستَ نبيًّا، وإنْ صرعتني فأنت على حقٍّ، وأؤمن بك، فأنا

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا أعرف إلا منطق القوَّة الجسديَّة. وصارع النبيَّ ﷺ، فصرعه النَّبيُّ ﷺ[1]. فقد كان النَّبيُّ قويًّا، فنحن لا نُنكر أهميَّة القوَّة والرياضة في الإسلام، ولكن أنْ تصبح لُعبة الكُرة ـ مثلًا ـ معبودًا، أنْ تلتهم الأوقات والأعصاب والأموال، وتطغى على كلِّ شيء؛ فهو خطأ كبير، وأثر من آثار فراغ النفس والحياة من أهداف حقيقيَّة تستحق أنْ ينشغل بها شباب أُمَّتنا، وأنْ تتصدر اهتماماتهم.

## تكامل الرعاية:

وأنا أعيب على مجالس رعاية الشباب في العالم العربي كله أنَّهم ظنّوا أنَّ رعاية الشباب هي رعاية الأجسام فقط؛ فالشباب ليس جسمًا فقط، بل هو أيضًا عقل، ونفس، وروح، هو شخصيَّة متكاملة، ولذلك يجب أنْ تشمل رعاية الشباب هذه الجوانب كلها، وأهم ما في الشباب مشكلاته الفكريَّة، والنفسيَّة، والاجتماعيَّة، فماذا صنعنا لعلاج هذه المشكلات؟ إنَّ هناك تقصيرًا فادحًا في هذه الميادين.

## واجب الشباب المسلم اليوم:

المهم ـ إذنْ ـ أنْ يعرف شبابنا أنَّ عليه اليومَ عبئًا كبيرًا، وواجبا عظيمًا، وكلمة «اليوم» تعني عصرنا هذا، هذا العصر الذي أُحيط به الإسلام من كل جانب، وتآمرت علينا فيه القوى المعادية للإسلام، يهوديَّةً، وصليبيَّةً، وشيوعيَّةً، ووثنيَّةً، وانحلاليَّة، كل هذه القوى تآمرت على الإسلام، وتألبت على أُمَّته، واستهدفت شبابه، وهذا يضاعف من واجباتنا اليوم، فما هي واجبات الشباب المسلم في هذا العصر؟

---

(١) عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة، عن أبيه، أنَّ ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ. رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤) وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقائم. كلاهما في اللباس، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨).

QaradawiBooks.com

### (١) الانتماء للإسلام، والاعتزاز به:

أوَّل ما ينبغي على الشباب أنْ يعرفه، ويعيه: أنْ يعرف هُويَّته، أنْ يعرف انتماءه، إلامَ ينتمي؟ وإلى مَنْ ينتمي؟ ينبغي أنْ يعرفَ أنَّه شاب مُسلم، هُويَّته هي الإسلام، وانتماؤه للإسلام، وأساسه هو الإسلام، ومحور حياته هو الإسلام.

ولذلك فالانتماء للإسلام، والاعتزاز بالإسلام هو واجب الشباب الأوَّل، أنْ يعرف أنَّه مسلم، وأنَّه بهذه النسبة يتشرَّف، ويسمو، ويعلو على العالمين، كما كان شعور المسلم في الزمن الأوَّل، يعرف أنَّ انتماءه إلى الإسلام جعله في موضع يُشرِف منه على البشريَّة كلِّها، موضع الأستاذيَّة للأمم جميعًا، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

### بين سلمان الفارسي وأبي لهب القرشي:

لمَّا سُئِل سلمان الفارسي رضي الله عنه : ابن مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن الإسلام[١]. لم ينسب نفسه إلى مدنيَّة فارس، ولا إلى كسرى أنوشروان، ولكن نَسَب نفسه إلى هذا الدين، فكل اعتزازه بالإسلام، قال: أنا ابنُ الإسلام. ولا غرو أنْ كافأه النبي ﷺ وقال كلمته المعروفه: «**سلمان منا أهل البيت**»[٢]. في الوقت الذي يبرأ فيه من عمِّه عبد العُزَّى بن عبد المطلب، المُكنَّى بأبي لهب، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]. فالذي قرَّب

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٤٤/١).

(٢) رواه الطبراني (٢١٢/٦)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٩٨/٣)، وسكت عنه، وقال الذهبي: سنده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٣٧): رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. عن عمرو بن عوف.

QaradawiBooks.com

سلمان وأبعد أبي لهب هو الإسلام، هذا كان مسلمًا واعتزَّ بالإسلام، فاعتزَّ به رسول الله، ونسبه إلى بيته، وقال: «**سلمان منا أهل البيت**». بينما الآخر كفر بالله ورسوله، فتبَّتْ يداه وتبَّ، وقال الشاعر في ذلك:

**لَعَمرُكَ ما الإِنسانُ إِلّا بِدينِهِ فَلا تَترُكِ التَّقوى اِتِّكالًا عَلى النَّسَبْ**
**فَقَد رَفَعَ الإِسلامُ سَلمانَ فارِسٍ وَقَد وَضَعَ الشِّركُ النَّسِيبَ أَبا لَهَبْ**[1]

فالاعتزاز إنَّما يكون بالإسلام، وقد كان المسلم قديما يقول:

**أبي الإِسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ إذا افْتَخروا بقيسٍ أَو تَميمِ**[2]

يفتخر بنسبته إلى هذا الدين، أنَّه عبدٌ لله، مؤمن برسول الله ﷺ، كما قال الرجل الصالح يناجي ربَّه:

**وممَّا زادني شرفًا وفخرًا وكدتُ بأخمصي أَطأُ الثريَّا**
**دُخُولِي تحتَ قَوْلِكَ: يا عبادي وأنْ أرسلتَ أحمدَ لي نَبِيَّا**[3]

يعتزُّ بعبوديَّته لله، يقول: أنا واحد من عبادك، حين تقول: يا عبادي. ثم إنَّني أحد الذين آمنوا برسولك محمد ﷺ، هذا هو الاعتزاز.

## كتاب خالد:

يجب أن نعتزَّ بالإسلام، بأنَّ الله تعالى أكرمنا بخير نبيٍّ أُرسل، وخصَّنا بخير كتاب أُنزل، خَصَّنا بالقرآن، فنحن المسلمين وحدنا الذين نملك

(١) عزاه إلى سيدنا علي بن أبي طالب الخطيبُ البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢٤٦/٢)، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

(٢) من شعر نهار بن توسعة اليشكري، انظر: الكامل في اللغة والأدب (١٣٣/٣)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) البيتان للقاضي عياض اليحصبي كما في حاشية القليوبي على شرح المحلي على المنهاج (٧/١) مطبوع مع حاشية عميرة، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الوثيقة السماويَّة الوحيدة، التي لم يعترها تحريف، ولا تبديل، فكل الكتب التي أنزلها الله تعالى حُرِّفت وبُدِّلتْ، وليس هناك وثيقة إلهيَّة واحدة تحمل كلمات الله تعالى للبشر، دون زيادة ولا نقصان، إلا قرآننا نحن المسلمين، فيجب أن نعتزَّ بهذا، بأنَّ كتاب الله العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، هو عندنا نحن، وليس عند غيرنا.

ويجب أن نعتزَّ بأنَّنا أُمَّة الخلود، الأُمَّة الباقية، ليس بعدها أُمَّة، وليس بعد محمَّد رسول، وليس بعد القرآن كتاب، ولا بعد الإسلام شريعة، ولا بعد المسلمين أُمَّة، يجب أن نعتزَّ بهذه الرسالة، فأول ما يجب علينا أن نعرف هُويَّتنا، أن نعرف مَنْ نحن؟ يمكن أن نقول: نحن قطريُّون، ونحن خليجيُّون، ونحن عربٌ. لا مانع من هذا كله، ولكن نحن قبل ذلك وبعده مسلمون، لا يغني عنا أن نكون قطريِّين، أو خليجيِّين، أو شرقيِّين أو عربًا، أو عجمًا، فنحن قبل ذلك كله مسلمون، شرَّفنا الله برسالة الإسلام، وأكرمنا بها، فيجب أن يكون اعتزازنا بهذه الرسالة قبل كل شيء، التي بعث الله بها محمدًا ﷺ رحمة للعالمين.

على الشباب المسلم أنْ يعرف نسبته إلى الإسلام، ويعتزَّ به قبلَ كلِّ شيء، ويرفع رأسه قائلًا: أنا مسلم. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. هذا هو الواجب الأول.

**(٢) فهم الإسلام:**

لا يكفي أن نعتز بالإسلام دون أن نفهمه، إنَّنا لا نريد الاعتزاز الأعمى، إنَّما نريد الاعتزاز البصير، نريد أن نفهم هذا الدين الذي نعتزُّ به، وأن نبذلَ جهدًا في فهمه، لنعرفه حقَّ المعرفه، ونفهمه حقَّ الفهم.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

**تيسير العلم:**

ومن حسن حظ هذا الجيل أنَّ الله تعالى يسَّر له فهم الإسلام، أصبح الإسلام ـ والحمد لله ـ يُدرَّس في مدارس ابتدائيَّة، وإعداديَّة، وثانوية، ويُدرَّس في الجامعة ثقافة إسلاميَّة، وأصبحت هناك مكتبة إسلاميَّة حافلة، تعرض الإسلام عقيدةً، وشريعةً، وأخلاقًا، وحضارة، وعبادات، ومعاملات، أصبح الإسلام غير مجهول كما كان من قبل، وأصبح يُعرض عرضًا حسنًا، وأصبح هناك دعاة في كل مكان، نستطيع أن نعرف منهم الإسلام، فلا عذر لأحد إذا جهل دينه.

**التزام المنهج الوسط:**

لا بدَّ أن نعرف ديننا، ونأخذه من أهله الثقات، بلا غُلوٍّ ولا تقصير، فكثيرٌ ممَّا ننكره الآن يأتي من هذه الزاوية، فهناك أناسٌ يغلون في الدين غُلوًّا شديدًا، يُفْرِطون فيه، وهناك آخرون مُفَرِّطون، يريدون أن ينسلخوا من الدين، ويحلوا كل حرام، ويسقطوا كل فريضة، ويجعلوا الدين مجرَّد انتساب، وعلينا أن نقف الموقف الوسط، فلا نكون مع الغلاة المُفْرِطين، ولا المُقصِّرين المُفَرِّطين، وإنَّما نلتزم النَّهج الوسط، الذي كان عليه أصحاب النَّبي ﷺ، ومن تبعهم بإحسانٍ.

**وسطيَّة الإسلام:**

وهذا يعني أن نفهم الإسلام بشموله، وتوازنه، وتكامُله، أنَّه دينٌ ودنيا، أنَّه علمٌ وإيمانٌ، أنَّه رُقِيٌّ ماديٌّ ورُقِيٌّ خُلقيٌّ، أنَّه يمزج بين الروح والمادة، أنَّه يربط الأرض بالسماء، أنَّه يصل الدنيا بالآخرة، أنَّه يجمع بين المثاليَّة والواقعيَّة، أنَّه يُوفِّق بين العقل والقلب، أنَّه يُوفِّق بين حقِّ الفرد ومصلحة المجتمع، دين التوازن، ودين الشمول، ودين العمق،

QaradawiBooks.com

ليس دينًا سطحيًّا، ولا دينًا ينحاز إلى طرف ضدَّ طرف، ولا يميل إلى فريق ضدَّ فريق؛ لأنَّه يمثِّل عدل الله ﷻ في الأرض، إنَّه ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]، فلا يُتصوَّر أنْ يكون فيه قصور أو نقص.

لا بدَّ أن نفهم الإسلام بهذا الشمول، وبهذا العمق، وبهذا التوازن، فرسالة الإسلام تصحب الإنسان منذ ولادته إلى وفاته، في رحلة الحياة كلها، من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع، يصحبه الإسلام منذ يصيح صيحة الميلاد إلى أن يُحتضَر.

بل يصحبه قبل الميلاد، وبعد الوفاة، فهناك أحكامٌ في الإسلام تتعلَّق بالجنين في بطن أمه، فإذا كان صيام الأم ـ أثناء حملها ـ يُتعبها، أو يُتعب جنينَها، فيجب عليها أنْ تُفطر، حمايةً لهذا الجنين، وبعد أن يولد ينبغي إحسان تسميته، ويُتصدَّق بوزن شعره فضة، ويؤذَّن في أذنه اليُمنى، ويَعقَّ عنه، تُذبح عنه ذبيحة في اليوم السابع، أحكام ضمَّنها الإمام ابن القيم في كتابه «تحفة المودود في أحكام المولود»، ونحن نقرأ في القرآن: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، إلى آخره، عناية بهذا الإنسان منذ يولد، مَنْ يُرضعه؟ ومَنْ ينفق على مرضعته؟ وإذا أبتْ الأم فمَنْ يكون البديل لها؟ إلى آخره.

ثم إذا بلغ الطفل السابعة والعاشرة يقال في أمر الصلاة: «**مُرُوهم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشر**»[1]. وهكذا يصحبه الإسلام في رحلة الحياة إلى الشيخوخة، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. إلى

(١) سبق تخريجه صـ٢٥.

QaradawiBooks.com

مرض الموت، ماذا يصنع بشأن الوصيَّة؟ إلى أن يُحتضَر فيُلقَّن: لا إلٰه إلا الله. إلى أنْ يموت فيجب له الغسل، والتكفين، والصلاة عليه، والدفن في المقبرة، وتوزيع تركته، ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء: ١١]، وإنفاذ ما له من عهد، إلى آخره، إذن فالإسلامُ يصحبُ الإنسان في رحلة الحياة كلِّها، في كلِّ أطوار الحياة.

كما يصحبه كذلك في كل جوانب الحياة، ليس في المسجد فقط، لا؛ بل يصحبه كذلك في البيت، والمدرسة، والسوق، والديوان، والمكتب، وهو معه إذا كان عاملًا، أو زارعًا، أو صانعًا، أو تاجرًا، أو مُوظَّفًا، أو حاكمًا، أو محكومًا، زوجًا، أو أبًا، أو ولدًا، أو والدًا، في كل هذه الجوانب يُشرِّع الإسلام للإنسان ويُوجِّهه، ويُنظِّمه.

وقد نزلت أطول آية من آيات القرآن الكريم لتنظيم شأن من شؤون الحياة، وهي المعروفة بآية المُدايَنة في سورة البقرة، لتنظيم كتابة الدَّيْن، إذا تداين الناس إلى أجل مسمَّى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا...﴾ [البقرة: ٢٨٢] إلى آخرها.

إذنْ جاء الإسلام بهذا الشمول، وهذا التوازن، فلا بدَّ أن نفهم الإسلام كما أنزله الله تعالى، لا كما حرَّفه المسلمون للأسف، نريد أن نعودَ إلى الإسلام الأوَّل، إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الصحابة والتابعين؛ لا إلى إسلام عصور التخلُّف والابتداع، نريد أن نفهم الإسلام كما أنزله الله، وكما دعا إليه رسوله، وكما فهمه أصحابه رضوان الله عليهم، بعيدًا عن الشوائب والزوائد والفضول، التي ألصقت به وليست منه.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت في بعض العصور محاولات للزيادة في الإسلام، فإن في عصرنا محاولات للانتقاص من أطرافه، فهم يريدونه عقيدةً بلا شريعة، سلامًا بلا جهاد، زواجًا بلا طلاق، دينًا بلا دولة، إلى آخره، يريدونه أن يصبحَ دينًا آخر غير الدين الـذي أنزله الله تعالى على محمَّد ﷺ، فنحن نرفض الزيادة في الإسلام، كما نرفض النقص منه.

ومن هنا ينبغي أن نفهم الإسـلام على حقيقته، أنَّـه دين حقٍّ وقوَّة وعدل، هناك للأسف بعض الناس فهموا هذا الدين فهمًا مقلوبًا، لبسوه كما يُلبس الثوب مقلوبًا. الأشياء التي أُدخلت على الإسلام حتى أصبح كأنه دين يدعو إلـى العجز، أو الكسـل، أو التـواكل، أو الضعف، أو السلبيَّة، أو إهمال شأن الحياة، أو شأن العلم، وهذا ليس من الإسلام في شيء، وإن أدخله فيه بعض المحرفين والمخرفين.

إنَّ الإسـلام ديـن القوة، والعـدل، والحريـة، والجهـاد، والعلم، والحضـارة، وقد قامـت في ظله حضـارة عظيمة، جمعـت بين العلم واليقيـن، التي ظلت عدة قرون وهي الحضارة السـائدة المسـيطرة في الأرض، وكانت جامعات المسـلمين هي التي يؤمُّها الطلاب من أنحاء العالـم، وكانت كتب المسـلمين هي المراجـع العالميَّـة، في الطب، والكيمياء، والأحياء، والفلك، وتقويم البلدان أو الجغرافيا، وغير ذلك، وكانت أسماء علماء المسـلمين أشهر الأسـماء في العالم كلِّه، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم في العالم، للأسـف الآن عجز المسلمون أنْ يدرسوا بها الطب، والهندسة، والعلوم، ويقولون: إنهم لا يستطيعون أن يدرسوا بها العلم. مع أنَّ المسـلمين من قبل كتبوا بها، وألَّفوا، ودرسوا عدة قرون، ولا تزال آثارها وبصماتهـا على اللغات الأوربية، فيجب أن

QaradawiBooks.com

نفهم الإسلام هذا الفهم، ونعيد إليه صفاءه، ونقاءه، وشموله، وتوازنه، كما كان من قبل، بعيدًا عن الغلوِّ والتقصير، أو الإفراط والتفريط، هذا هو الواجب الثاني.

غير مرخصة للطباعة

**(٣) العمل بالإسلام:**

ثم يجب علي الشباب المسلم ثالثًا: أن يُتبِع هذا الاعتزاز، وهذا الفهم، بالعمل بالإسلام، أنت شاب مسلم؛ إذن ينبغي أنْ تكون صورةً مشرفة للإسلام، أنْ يَتمَثَّل فيك الإسلام، عقيدةً، وعبادةً، وخلقًا، وآدابًا، ومعاملةً للناس، فما نشر المسلمون الإسلام في العالم لمجرَّد أنَّهم كانوا يقرؤون عليهم القرآن، أو يلقون فيهم خطبة أو محاضرة، إنَّما نشروا الإسلام بأخلاقهم وسلوكهم قبل كلِّ شيء، كان الناس ينظرون إليهم فيرون فيهم خلق الإسلام، كان كل واحدٍ فيهم مصحفًا مُسطَّرًا، قرآنًا يمشي على قدمين بين الناس، الذين نشروا الإسلام في الشرق الأقصى: ماليزيا، وإندونيسيا، والفلبين، والبلاد التي فيها مئات الملايين من المسلمين، لم يدخلها جيش مسلم، ولم يُسلَّ فيها سيف، وإنَّما نشر التُّجارُ المسلمون الإسلامَ فيها بحُسْن أخلاقهم، وكان معظمهم من الحضارمة، من جنوب الجزيرة هنا، كانوا يسألونهم عن هذا الدين فيشرحونه لهم، فالسلوك إذن هو الأساس، إذا كنت مسلمًا فيجب أنْ يتمثَّل فيك الإسلام.

نحن نريد الشاب المسلم الذي يعمل بهذا الدين، ويرفض المعاصي والشهوات، حتى لو عُرضت عليه وأُغرِي بها، يقول ما قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

كان يوسف شابًّا، في مقتبل الشباب وريعانه، وكان جميلًا، وكان غريبًا، وكان عبدًا مملوكًا لامرأة ذات منصب وجمال، هي امرأة العزيز،

QaradawiBooks.com

فراودته سيِّدته، ولم تكن هذه المراودة فلتةً عارضةً، ولكنها كانت تعايشه وتُصابِحه وتُماسيه، فتنة مُجسَّمة أمامه، وعرضت عليه نفسها، راودته بصريح العبارة، وهيَّأت الأسباب، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]. لم يكن يمنعه مانع، فالرقباء غير موجودين، ولا أحد يراه، ولا أحد يعرفه في هذا البلد، فربما يستحي الإنسان إذا كان في بلده، ولكن الغريب لا يُبالي بشيءٍ، والعبد لا يُبالي بما يبالي به الأحرار، والشباب شعلة من الجنون، كل العوامل والمغريات تقول بأنَّ يوسف يمكن أنْ يقع في هذا الأمر، ولكنَّه أبَى واستعصم، كما قالت امرأة العزيز نفسها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. هدَّدته المرأة: إما أنْ يستجيب لنزواتها، أو يدخل السجن، فماذا كان موقف هذا الشاب؟ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

خُيِّر بين محنتين: محنة في دينه: أنْ يزني ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه: أنْ يُسجَن ويكونَ من الصاغرين؛ فآثر محنةَ الدنيا على محنةِ الدين، آثر أنْ يدخل السجن، ولا يدخل دائرة الفحشاء، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٣ ـ ٣٥]. ودخل السجن.

هذا نموذج من الشباب الذي نريده، فالشابُّ المسلم هو الذي يُروِّض نفسه على طريق الله، ويُجاهدها في سبيل الله، ويُقاوم تيَّار المعصية، على ما فيه من إغراء، وما وراءه من شياطين، هذا هو الشباب الذي نريده، أنْ يعمل بالإسلام، أن يسلك سلوك الإسلام الذي يشرِّف المسلمين حقيقة، ويكون جديرًا بأنْ يقال: هذا مسلم.

QaradawiBooks.com

**(٤) العمل للإسلام:**

لا يكفي أنْ يعمل الشباب بالإسلام، حتى يقوم بواجب آخر، هو العمل للإسلام، أنْ يحمل همَّ الإسلام، يحملَ رسالة هذا الدِّين لأمَّته أوَّلًا، وللعالم كله بعد ذلك، فالإسلامُ ليس رسالةً محليَّة، بل هو رسالة عالميَّة، فلا بدَّ أنْ يحمل رسالة الإسلام إلى قومه حتى يصحِّح إسلامَهم، وحتى يردَّهم إلى الله ردًّا جميلًا، وحتى يعود الشاردون، ويهتدي الضَّالُّون، ويتوب العاصون، لا بدَّ أنْ يبذل جهدَه مع الباذلين، ويضع يده في يد العاملين، داعيًا إلى هذا الدين.

حرام أنْ يوجد لليهودية من يدعو إليها، ويوجد للنصرانية من يُبشِّر بها، حتى البوذية تنشر دينها الآن في العالم، في أمريكا وفي غيرها، وتجد الوثنيَّة لها أحزابًا تتعصَّب لها، وتقتل المسلمين بالآلاف، وقد سمعتم عن مأساة المسلمين في الهند وغيرها، كل دين في الدنيا الآن يجد له رجالًا، إلا الإسلام، ولهذا قال أحد الأجانب ـ بعد أنْ درس الإسلام، وأُعجب به وبمبادئه وتعاليمه ـ كلمة ينبغي أن نعيَها ونغرسَها في حبات قلوبنا، قال: يا له من دينٍ لو كان له رجال!

إنَّ عدد المسلمين في العالم حوالي ألف مليون مسلم، مليار من المسلمين منتشرون في أنحاء الأرض، ومع هذا قال الرجل ما قال؛ لأنَّ هؤلاء المليار منسوبون إلى الإسلام، ومحسوبون عليه، ولكنهم لا يعملون من أجله؛ انشغل كل واحد منهم بشيء: فالمشغول بشهواته، والمشغول بأمواله، والمشغول بالمرأة، والمشغول بالمنصب والجاه، إلخ، أين المشغول بالإسلام؟

QaradawiBooks.com

**اليهود يعملون:**

لقد وجدت اليهودية من يقيم لها دولة في قلب بلاد العرب والإسلام، وسمَّتها اسمًا دينيًّا تاريخيًّا يحمل دلالات معيَّنة، هو إسرائيل، وكان يمكنهم أنْ يذهبوا إلى أوغندا، أو غيرها من بلاد أفريقيا ـ كما عُرِضَ عليهم ـ ولكنهم أبوا إلا فلسطين أرض الميعاد، جلبتهم إلى هذه الأرض دوافع وأحلام دينيَّة، وأصرُّوا على أن يقيموا دولتَهم في مكان لم يعرفوه، لم يروه من قبل، ولم يراه آباؤهم ولا أجدادهم، وقالوا: ستُقام إسرائيل بعد خمسين سنة. وقامت بعد خمسين سنة، فكَّروا، وخَطَّطوا، ونَظَّموا، ونَفَّذوا؛ أين نحن الآن من خدمة ديننا؟ هُزِمَت جيوشنا أمام شبَّان وفتيات في الجيش الإسرائيلي، أين شبابنا؟ شبابنا مشغول بالألعاب الملهية، وبالفنون الهابطة، وبتقليد غيرهم فيما يبتكرونه من موضات، كما كان الشاعر محمود غنيم يقول في قصيدة يصف فيها الشباب:

**شبابَ العُرْبِ يا زَيْنَ الشَّبَابِ ... ويا أشبالَ آسادٍ غِضَابِ**
**أرى منكم فريقًا حينَ يَمْشِي ... يحكُّ بأنْفِه مَتْنَ السَّحَابِ**
**كلَيْثِ الغَابِ في صَلَفٍ وكِبْرٍ ... وليس لَدَى الكَرِيهَةِ لَيْثَ غَابِ**
**تفنَّنَ في مُحَاكَاةِ العَذَارَى ... وخالَفَهُنَّ في لُبْسِ النِّقَابِ**
**ولا يَخشى على شيءٍ ويَخْشَى ... إذا ثار الغُبَارُ على الثِّيَابِ**[1]

يعني أنَّ كلَّ ما يهمهم هو الأناقة وحسب، هذا أقصى ما يهتمون به، ويطمحون إليه، ويأملون فيه، مع الأسف.

(١) ديوان صرخة في واد لمحمود غنيم. انظر: الأعمال الكاملة صـ٩٠، نشر دار الغد العربي.

QaradawiBooks.com

كنت أمشي في بعض البلاد العربية مع صديق، فقال لي: يمشي أمامنا الآن اثنان، فهل تستطيع أن تقول لي: أيهما الفتى، وأيهما الفتاة؟ فنظرت فوجدت اثنين يلبس كل منهما «بلوزة مُشجَّرة»، وبنطلونًا، وحذاءً عالي الكعب، وشعرهما طويل؛ فقلت له: لا أدري، ما استطعت أنْ أُميِّز بينهما. استرجلت النساء، وتخنَّث الرجال، انقلبت الفِطَر البشريَّة، يقاتل الفتيان والفتيات في جيش إسرائيل، وهذا ما يهتم به شبابنا!

**النصارى يعملون:**

وكما وجدت اليهوديَّة من يعمل لها؛ وجدت النصرانيَّة أناسًا يعيشون لها، ويبشِّرون بها، ومن يذهب منكم إلى أدغال أفريقيا أو آسيا يجد المبشِّرين والمبشِّرات، رجالًا ونساءً، رهبانًا وراهبات، يعيشون في بلاد غير بلادهم، يأتون من البلاد الباردة ليعيشوا في الأجواء الحارَّة عند خطِّ الاستواء، وفي أدنى مستويات المعيشة، ويتنقلون بين القرى والغابات؛ ليبشِّروا ـ أو يبشِّرن ـ بالمسيحيَّة المُحرَّفة، التي تقول للناس: اعتقد وأنت أعمى، أغمض عينيك ثم اتَّبعني. التي تقول: الأب والابن والروح القدس. التي قال فيها ابن حزم: لو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، ونناقشهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذننا؛ ما صدقنا إنَّ في الوجود من يقول: إنَّ الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة[1].

ومع هذا وجدت المسيحيَّة أناسًا يعملون لها، وينشرونها في الأرض، ويخططون الآن لتنصير المسلمين في العالم، اجتمع جماعة من المبشرين البروتستانت في أمريكا سنة (١٩٧٩م)، حوالي مائة وخمسين شخصًا، وقدموا أربعين بحثًا عن الإسلام في أنحاء العالم، مقارنًا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١).

QaradawiBooks.com

بالأوضاع النصرانيَّة، وقرَّروا في هذا الاجتماع أنْ يُنصِّروا المسلمين في العالم، ورَصدوا لهذا الأمر ألف مليون دولار.

ماذا رصدنا نحن، ماذا صنعنا نحن، وعندنا الأموال بمئات الملايين؟! اتصل بي شاب من أيام وقال: إذا كان لي مائة مليون دولار في البنوك الأجنبيَّة، وتجمعت لي منها فوائد، هل يجوز أنْ أنتفع بها؟ ما يعني أنَّ عندنا أموالًا، فماذا رصدنا منها لديننا؟ لم نرصد أموالًا، ولا جهودًا، ولا أوقاتًا، ولا علَّقنا اهتمامنا بهذا الأمر، ثم نطمع أنْ يكون لنا مكاننا بين الأمم، وأن يكون لنا مكاننا تحت الشمس!

**الشباب أمل الأُمَّة:**

إنَّ الأمل مُعلقٌ بالشباب، فالجيلُ القديم تَربَّى على ما تَربَّى عليه، والأمل في الجيل الجديد، لمَّا أراد موسى عليه السلام أنْ يدخل الأرض المقدَّسة قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢١، ٢٢].

ولمَّا كرَّر موسى عليهم طلبه مرة بعد مرة قالوا بصريح العبارة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤ ـ ٢٦].

لماذا حُرِّمت عليهم أربعين سنة، وحُكِم عليهم بالتِّيه؟ حتى ينقرض هذا الجيل الجبان، الذي عاش في ظل الفرعونيَّة، وينشأ في الصحراء جيلٌ جديد يستطيع أنْ يدخلها، فالجيل الجديد هو الأمل، ونحن

QaradawiBooks.com

لا نطلب من الجيل القديم، وإنَّما نطلب من الجيل الجديد الذي أفاء الله عليه الكثير من النِّعم، أفاء عليه الثروة، والعلم، وأصبحت المدارس والجامعات مفتوحة له، نطلب من هذا الشباب أنْ يحملَ رسالة الإسلام من جديد.

وليس معنى هذا أنَّنا نطالبه أنْ يعتكف في المساجد، أو يقوم الليل ويصوم النهار وحسب، ولكن نريد أنْ يكون عنده هذا الشعور الدافق، هذه الجمرة المتَّقدة، التي يحسُّ بها مَنْ يعيش لرسالة، نريده أنْ يحسَّ بالإسلام ويشعر به، نريد المسلم الذي يَتَحرَّق على أحوال المسلمين، وتكوي قلبه هذه الأحداث التي يقرؤها عن المسلمين، ويسمع بها، ويراها، في فلسطين، والفلبين، وإريتريا، وأفغانستان، وفي كلِّ مكان، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

نحن لا ندعو الشباب إلى ترك العالم، بل العكس نريد منه أنْ يتسلَّح بمعارف هذا العصر وعلومه، ويتفوَّق فيها، نريدُ الإنسان الذي يملك أزِمَّة العلوم الكونيَّة، نريد أن نأخذ الزمام، وأنْ تعود لنا هذه العلوم، فالمنهج العلمي يعودُ في أصله إلينا، أسَّسه المسلمون، وليس «روجر بيكون»، ولا «فرنسيس بيكون»، فهما إنَّما أخذاه من الحضارة الإسلاميَّة، ونريد أن نستردَّ بضاعتنا إلينا.

نريد الشباب المسلم القويَّ في علمه، القويَّ في جسمه، القويَّ في عزمه، القويَّ في إيمانه، نريد من الشباب المسلم أنْ يحمل رسالة الإسلام في هذا الزمن، كما حملها أسلاف الأُمَّة من قبل.

وقد رأينا بوادر الصحوة وبشائرها، رأينا صحوة الشباب الإسلامي في كل مكان، في بلاد العرب، وفي غير بلاد العرب، في ماليزيا، وفي

QaradawiBooks.com

إندونيسيا، حتى في البلاد التي يعيش فيها المسلمون جاليات أو أقليات، في سنغافورة، وفي هونج كونج، وفي البلاد التي دخل بعضها في الإسلام حديثًا، في كوريا، وفي اليابان، رأيته في أوربا، وفي أمريكا، وفي كندا، رأيت الشباب المسلم، صُوَّام النَّهار، وقُوَّام الليل، المستغفرين بالأسحار، رأيتُ الشباب الذي يقرأ القرآن ويدرس الحديث، بجوار دراسته للهندسة النوويَّة، والعقول الإلكترونيَّة، يجمع بين الدين والدنيا، رأيت بشائر هذه الصحوة في كل مكان.

ولا بدَّ لشباب قَطَر، ولا بدَّ لشباب الخليج، أنْ يأخذ حظَّه من هذه الصحوة، لا بدَّ أن نستيقظ بعد نوم، وأن نفيق بعد سَكْرة، وأن نعيش لآمال كبار، لا لطموحات صِغار يعيش لها معظم شبابنا، نريد لهذا الشباب أنْ يستيقظ، ويعرف نفسَهُ، ويعرف ربَّه، ويعرف دينَه، ويعرف يومَه، ويعرف أُمَّتَه، نريد أن نعيشَ بهذا الدين، ولهذا الدين، وأن نعيشَ عصرنا غير غافلين عما يتطلبه منا، ولذلك كان الكلام عن واجب الشباب المسلم اليوم، في هذا العصر الذي غفل فيه المسلمون، وأُكلوا من كل جانب، وفي عصر الصحوة الإسلاميَّة أيضًا، وهي التي يُكاد لها من كلِّ مكان، اجتمع المجتمعون لها، مخابرات أجنبيَّة، وإرساليَّات، ومُبشِّرون، ويهود، وشيوعيُّون، يجتمعون في أكثر من بلد؛ ليدرسوا الصَّحوة الإسلاميَّة: ما أسبابها، وما الذي أظهرها، وكيف يمكن مقاومتها؟

وقد جاء رجل من أمريكا إلى الكويت من عدَّة أشهر وسأله أحد الصحفيين: لماذا جئت إلى هنا؟ قال: جئت لأدرس الصحوة الدينيَّة، صحوة الجماعات الإسلاميَّة في هذا العصر، ومهمتي محصورة في شيء واحد، وهو أن أدرس الخلافات بين تلك الجماعات. وهو طبعًا

QaradawiBooks.com

لا يدرس هـذا الخلاف لوجه الله، وإنَّما يدرسه ليُعمقه، ويرمي لناره بالوقود، إنهم يدرسون كلَّ شيء.

يا أيُّها الشباب، ويا أيُّها الأبناء، ويا أيُّها الإخوة، ينبغي أن نعرف واجبَنا اليوم، في هذه الفترة، واجبُنا أن نعتزَّ بانتمائنا للإسلام قبل كل شيء؛ وواجبنا أن نفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، شاملًا، متوازنًا، عميقًا؛ وواجبنا أن نعملَ بالإسلام، وأن يكون سلوكنا سلوكًا إسلاميًّا؛ وواجبُنا أن نعمل لهذا الدين، ونعيشَ له، ونحملَ رسالتَه إلى العالمين، هذا هو واجبُنا اليوم.

وهذا الواجب لا يجعلنا نُغْفِل روحَ العصر، ولا يجعلنا نُغْفِل واجباتنا اليوميَّة، نحو أنفسنا، ونحو دراستنا، ونحو أُسَرِنا وبيوتنا، فهذا كلُّه هو من واجب الشباب المسلم أيضًا.

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علَّمنا، وأنْ يجعل شباب اليوم امتدادًا لشباب الأمس، الصَّالحين المُصلحين، وأساله تعالى أنْ يُهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

## إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

### حكم ترك الصلاة:

**السؤال الأول:** ما حكم تارك الصلاة؟

**الجواب:** مَنْ تــرك الصلاة جاحدًا لها، أو مســتهزئًا بها، مســتَخِفًّا بحُرمتها، فهو كافر بإجماع المســلمين، مرتدٌّ والعياذ بــالله، وينبغي أنْ يُسْــتَتَاب، لِتُزال عنه الشــبهة، وتُقام عليه الحُجَّة، ويُعــرَّف حقيقة هذه الفريضة، فإن رجع فبها، وإلا اعتُبر مرتدًّا يستحقُّ العقاب، وقد كان من شأن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

أمَّا الذي يترك الصلاة متعمِّدًا كسلًا عن أدائها، لا إنكارًا لفرضيَّتها، يمكن أنْ يكون أبوه قد أهمل في تربيته عليها، فلم يأمره بها عند سنِّ السابعة، ولم يضربه عليها عند سن العاشرة، ولم يعش في بيئة تُشجِّعُه على الصلاة فتركها، لكنَّه لم يجحدها، ولم يســتهزئ بها، هذا الشــخص اختلف في أمره فقهاء المســلمين، فمنهم من يرى أنَّه كافــر، كما في مذهب الإمــام أحمد، وهو المذهب المعتمد في هذه البلاد، أنَّ من ترك الصلاة متعمدًا، وإن لم ينكرها يُعتبر كافرًا، ويُدعى إلى الصَّلاة فإنْ صلَّاها فبها، وإلا يُضرب عنقه.

أمَّا الإمامان مالك والشــافعي فقالا: هو ليس بكافر، ولكنَّه فاســق، ويجب أنْ يضرب عنقه أيضًا إذا لم يرجع عن هذا الفســق[1]. فليســت

(١) الذخيرة للقرافي (٤٨٢/٢)، نشــر دار الغرب الإســلامي، ط١، ١٩٩٤م. الحــاوي للماوردي (٥٢٥/٢)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الصَّلاة في الإسلام أمرًا شخصيًّا، كما يظنُّ بعض الناس أنَّها عبادة شخصيَّة، لا؛ فالدولة في الإسلام مُطالَبة برعاية هذه الفريضة، وكان عمر بن الخطاب يبعث إلى ولاته وعمَّاله على الأقاليم يقول لهم: إنَّ أهمَّ أمرِكم عندي الصَّلاة، فمن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع[1].

فالدولة في الإسلاميَّة كان لها دور مهم في إقامة هذه الفريضة، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. ولذلك قالوا: يجب دعوة تارك الصلاة إليها، فإن لم يستجب يُقتل حدًّا.

وأخف المذاهب في هذا الأمر هو مذهب الإمام أبو حنيفة، يقول: تارك الصلاة فاسق، ولا يُقتل، وإنَّما يُضرب ضربًا شديدًا حتى يسيل الدم منه، ويُحبَس حتى يُصلي[2].

ولا تظنُّوا أنَّ كلمة فاسق هيِّنة، فالله تعالى يقول: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]. ويُخشى أنْ يموت الفاسق على الكفر؛ لأنَّه إذا استمرَّ الإنسان على الفسق، يفعل الصغيرة، والصغيرة تَجُرُّه إلى الكبيرة، والكبيرةُ تجُرُّه إلى الكفر، والعياذ بالله، ومن هنا كان الخطر، فلهذا كان من المهم جدًّا دعوة تاركي الصلاة إلى الصلاة، والمسؤولية في ذلك تقع على الآباء، والمربين، والحكام، فلا بدَّ من إقامة الصلاة في كل مدرسة، وفي كل معهد، ويجب على الأساتذة أنْ يكونوا قدوات في إقامتها، فالصلاة هي عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

---

(١) رواه مالك في وقوت الصلاة (٩)، تحقيق الأعظمي.

(٢) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (٦٧/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## تجسيد الصحابة في الأعمال الفنية:

**السؤال الثاني**: ما حكم تجسيد شخصيَّات الصحابة مثل أبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، وغيرهما في المسلسلات الدينيَّة؟

**الجواب**: تؤدِّي المسلسلات الدينيَّة في الحقيقة دورًا جاهدًا في تجسيد التاريخ الإسلاميِّ، وتجسيد المواقف الإسلاميَّة، ولكن هناك اتِّجاه بأنَّ الرسول ﷺ والأنبياء جميعًا، يجب أنْ يبعدوا تمامًا عن الظهور على الشاشة، وكذلك أمَّهات المؤمنين، والخلفاء الراشدون، والعشرة المبشَّرون بالجنة؛ لأنَّ الصورة التي يرسمها المسلم لهؤلاء في مخيلته أكبر من أيِّ صورة تُعرض على الشاشة، ثم إنَّه حينما يشاهد ممثلًا في هذه الأعمال، ثم يسترجع ما يمثله في عمل آخر قد يكون هابطًا، تهتز الشخصية التاريخيَّة المرسومة في مخيلته أو في ذهنه، وإن كان البعض يتساهل فيما عدا الأنبياء، لكن أنا أرى أيضًا تجنيب عرض كبار الصحابة على الشاشة، وإبقاءهم في المخيلة أضخم ممَّا يراه المشاهد ماثلًا أمامه.

**السؤال الثالث**: هل يجوز للشاب أنْ يدرس في المدارس أو الجامعات المختلطة؟

**الجواب**: الأصل أنْ يكون هناك فصل في المؤسَّسات التعليميَّة بين الذكور والإناث، لكنَّ الأولى من ترك التعليم بسبب الاختلاط أنْ يُتجنَّب الاختلاط نفسه في هذه المؤسسات، فإذا ذهب الشباب إلى كليَّة الطب مثلًا وكانت مختلطة، يمكن أنْ يتفق الفتيان بعضهم مع بعض، والفتيات بعضهن مع بعض على أنْ يجلسوا متميِّزين، ذكورً وإناثًا، وهذا هو الذي حدث فعلًا لمَّا قويت الصحوة الإسلاميَّة، وفهم الشبان والشابات دينهم، وحرصوا على تطبيقه، فقد اتفقوا في بلد مثل مصر،

QaradawiBooks.com

على أنْ يجلس البنات في الخلف أو في اليمين، ويجلس الشبان في الأمام أو في اليسار، المهم أنْ يتجنَّبوا الاختلاط، كما يحدث في صلاة الجماعة، فيمكن لشباب الجامعة أنْ يفعلوا هذا، ويحرصوا مع ذلك أن يغضُّوا أبصارَهُم، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ومن فضل الله أنَّ دولة قَطَر لا تزال موفَّقة ـ والحمد لله ـ في الفصل بين البنين والبنات، فهناك حرص على أنْ تبقى مدارس البنات مُؤنَّثة تمامًا، ولا يزال في الجامعة مبنًى للأبناء، ومبنًى للبنات، وأبناء قطر هم حرَّاس هذا الأمر حقيقةً، وينبغي أن يظلَّ هذا الحِرص قائمًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٨

# رسالة إلى الشباب المسلم[١]

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمتــه تتمُّ الصالحات، وبفضلــه تتحقَّق المقاصد والغايات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لــولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتســليماته على الرحمة المُهداة والنعمة المســداة، البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا وإمامنا وأســوتنا وحبيبنا ومُعَلِّمنا وقائد ركبنــا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آلــه وصحبه، الذين آمنــوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعُوا النور الَّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ بالأصالة عن نفســي، وبالنيابة عن إخوانكم بالمشرق، تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### هذه الجموع الحاشدة ودلالتها:

وإنَّها لفرصة طيِّبةٌ مباركــةٌ: أنْ ألتقي بهذه الوجوه الَّتي أضاءت بنور الإيمان، وأشرقت بشمس الإسلام، وعزمت على أنْ تعيشَ بهذا الدين،

(١) ألقيت في قاعة قصر بلدية حمرية، ضمن فعاليــات الملتقى الوطني الخامس، الذي نظَّمته شبيبة العدالة والتنمية في مدينة مكناس بالمغرب، بتاريخ ٢٧ أغسطس ٢٠٠٦م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتعيش لهذا الدين، وتموت على هذا الدين، إنَّني سعيد أنْ ألتقي بهذه الوجوه، الَّتي تجمَّعت من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ، لا لعرض من أعراض الدنيا، ولا لغرض من أغراضها، فلا خيل عندي أهديها ولا مال، ولكنها اجتمعت لتسمع كلمة الله، ومعنى كلمة الله، أي: الكلمة المستمدَّة من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ.

وإنِّي لمسرور كل السرور، ومَزهوٌّ كلَّ الزَّهْوِ، بهذه الجموع الحاشدة، الَّتي أراها في كل مكان أصل إليه في أرض المغرب الحبيب، في «الدار البيضاء»، أو في «طنجة»، أو حتَّى هنا في «مكناس»، حيث مررت مرورًا عابرًا بهذا البلد الكريم.

وهذه الجموع كلُّها تدلُّني على أمورٍ في غاية الأهميَّة.

**(١) أُمَّة مؤمنة:**

**الدلالة الأولى**: أنَّ هذه الأُمَّة بخير، أنَّ هذه الأُمَّة حيَّة ما بقي الدهر، أنَّ هذه الأُمَّة مؤمنة بربها، وبقرآنها، وبمُحمَّدها، وأنَّ الذين يزعمون أنَّ هذه المجتمعات كافرة، ويريدون أن يعلموها الإسلام من جديد واهمون، فحياتها هذه الأُمَّة بالإسلام، وحياتها للإسلام، ولا يقودها شيء كما تقودها كلمة الإيمان، ولا يُحرِّكها شيء كما تُحرِّكها كلمة الإسلام، فهذه الجموع طمأنتني بحمد الله على أنَّ المغرب الحبيب بخير، فالمغرب بلدٌ مسلم، كله مسلم.

وليس المغرب وحده أيُّها الإخوة، بل كل بلد زرتها، وقد زرت الجزائر، وزرت مصر قبل أنْ آتي، دُعيت إلى محاضرة في نادي أعضاء هيئة التدريس بالقاهرة، فحضر من الشباب ما صعَّب عليَّ أنْ أدخل إلى مكان المحاضرة، لم أدخل إليه إلا بمشقَّة، وقال الذين حضروا هذا

QaradawiBooks.com

اللقاء: لقد حضره عشرة آلاف، أقل ما قيل فيه سبعة آلاف. كان معظمهم يجلسون على الأرض، فليس هناك كراسي، ولا مقاعد تسع هذه الآلاف، جلسوا على الأرض وهي مترية.

هذه الجموع هنا وهناك تدلُّ على أنَّ هـذه الأُمَّة لا تزال بخير، وأنَّ الذين يظنون أنَّ هذه الأُمَّة قد ماتت أو وهنت واهمون، لا، فهذه الأُمَّة لن تهن، ولن تموت أبدًا؛ ما دام الإسـلام هو أساسـها، وما دام المصحف أمامها يتلى ليل نهار، ومـا دام محمد ﷺ حيًّا فـي ضمائرها، هذه أيُّها الإخوة، هي الدلالة الأولى لهذه الجموع.

**(٢) أُمَّة بصيرة:**

**الدلالة الثانية لهذه الجموع**: أنَّ هذه الأُمَّة لا تزال على بصيرة، لم تنطمس عين بصيرتها، لم تصبها الغشـاوة، لا زالت تُميِّز بين الطيِّب والخبيث، وبيـن الصادق والزائف، لا زالت تحتـرم وتحب، العلماء الذين يؤتمنون على رسالات الله، ولا يبيعون دينهم بدنياهم، ناهيك أنْ يبيعـوه بدنيا غيرهـم، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وأرجو أنْ أكون في صفٍّ في مؤخرة هؤلاء العلماء.

**(٣) أُمَّة وسطيَّة:**

**الدلالة الثالثة**: أنَّ هذه الجموع الحاشـدة لا تُقدِّر يوسفَ القرضاوي لذاته، إنَّها لا تُحِبُّني لشخصي، وإنَّما احتشـدت من أجل المنهج الَّذي أدعو إليه، فأنا أدعو إلى منهـج عرفه الناس، وتميَّـز عندهم، وأحبوه، وساروا وراءه، وأصبحوا يلهجون بذكره، ويتحدَّثون عنه في كل مكان، ذلكم هو منهج الوسطيَّة والاعتدال.

QaradawiBooks.com

المنهج الَّذي يُقِّدم الإسلام للناس بَاسمَ الوجه، وليس عبوسًا قمطريرًا، الَّذي يُقِّدم الإسلام في صورة الحب لا البغض، في صورة التَّسامح لا التعصُّب، في صورة التعارف لا التناكر، في صورة الأُخوَّة والتعاون لا التشاحن والتدابر، في صورة التعاون على البرِّ والتقوى، لا التعاون على الإثم والعدوان، في صورة الحوار البنَّاء، لا في صورة المغاضبة للآخرين.

المنهج الَّذي يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يُفرِّق، ويُحيي ولا يُميت، ويُشدِّد في الأصول وييسِّر في الفروع، يجمع بين ثوابت الشرع ومُتغيِّرات العصر، يتبنَّى المرونة في الوسائل والآليَّات، والثبات في الأهداف والغايات.

هذا هو المنهج الَّذي أؤمن به وأدعو إليه، والذي أصبح مَعْلمًا متميِّزا، لهذا أعتقد أنَّ هذه الجماهير لم تجئ لتُحييني لشخصي، إنَّما جاءت لتُحيي هذا المنهج، وتعلن إيمانها به، وسيرها خلفه، وهذا بحمد الله نعمة من نِعم الله الكبرى، أنَّ هذه الأُمَّة لا زالت ملتزمة بما سمَّاه القرآن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، الَّذي لا يميل إلى اليمين، ولا يميل إلى اليسار، ولا يميل إلى الغلو، ولا يميل إلى التفريط، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كانت هذه خواطر أيُّها الإخوة، رأيت أنْ أبثكم إيَّاها قبل أن أتحدَّث عن موضوع هذه الليلة، وهو «رسالة إلى الشباب المسلم».

**من هم الشباب؟:**

يقولون: إنَّ الشباب ما كان من الخامسة عشر إلى الخامسة والأربعين. وقد يزيد بعضهم عن الخامسة والأربعين، ولكنِّي أرى في

QaradawiBooks.com

القاعة أناسًا فوق الخمسين، وفوق الستين، فهل يعني ذلك أنَّ هذه الرسالة ليست موجَّهة إليهم؟

هذا غير صحيح، لسببين:

**الأول**: أنَّ الشباب لا يقاس بالسنِّ فقط، فهناك أناس يشيخون وهم في العشرينات أو الثلاثينات من عمرهم، فهم شباب في السنِّ ولكنهم شيوخ في الهمَّة والعزيمة، وهناك أناس يبلغون الستين، أو السبعين، أو الثمانين، أو أكثر من ذلك، ولكنهم يظلُّون شبابًا، كما قال أحد الشعراء:

**جِسْمِي إلى التِّسْعِينِ يُدْلِفُ مُسرعًا والرُّوحُ ثابتةٌ على العِشْرينا**

إنَّه مصمم أنْ يبقى ابن العشرين، هذه واحدة.

**الثاني**: أنَّ الرسالة حديث عما نريده من الشباب، يُكمِّله حديث آخر عما يريده الشباب منَّا؟ نحن نريد من الشباب أمورًا، والشباب يريدون منا أمورًا، فالرسالة مُوجَّهةٌ إلى الشباب والشيوخ معًا.

## تميُّز مرحلة الشباب:

الشباب أيُّها الإخوة: مرحلة الوسط من العمر، والوسط في كلِّ شيء خياره، خيار الأمور أوساطها، وخيار العمر وسطه، الشباب هو مرحلة القوَّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما أشار لذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. فالشباب مرحلة القوَّة بين الضعف الأول والضعف الثاني، ولذلك كان على الشباب من الأعباء ما ليس على غيرهم، لأنَّهم يملكون من القوَّة ما لا يملك غيرهم، ودائمًا الأعباء والواجبات على قدر المُكْنة، والقوَّة، والنعمة، والسلطة، فما يجب على العالم أكثر ممَّا يجب على الجاهل، وما يجب على الغني

QaradawiBooks.com

أكثر ممَّا يجب على الفقير، وما يجب على الحاكم أكثر ممَّا يجب على المحكوم، وما يجب على القادر أكثر ممَّا يجب على العاجز، وما يجب علـى الصحيح أكثر ممَّا يجـب على المريض، وكذلـك ما يجب على الشاب الفتيِّ أكثر ممَّا يجب على الشيخ الكبير.

**الشباب هدف المصلحين:**

ومن هنا كان التوجه إلى الشـباب، كل المصلحين وكل الموجهين وجهوا رسائلهم إلى الشـباب، وجه إليهم الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة معروفة يعرفها شباب الإخوان المسلمين وشيوخهم، اسمها «رسالة إلى الشباب»، وقال: إنَّما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفَّر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسـة لها، ووجد الاستعداد الَّذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسـة، والعمل من خصائص الشـباب؛ لأنَّ أسـاس الإيمان القلب الذكي، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشُّـعور القوي، وأسـاس العمل العزم الفتي، وهـذه كلها لا تكون إلا للشباب، ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا في كلِّ أمَّة عماد نهضتها، وفي كلِّ نهضة سر قوتها، وفي كلِّ فكرة حامل رايتها[1].

**الفتيان والفتيات معًا:**

وأريد أنْ ألفتَ الانتباه إلى أنَّ الحديث إلى الشـباب هو حديث إلى الذكور والإنـاث معًا، بل نحن أحيانًا نريد من المـرأة أكثر ممَّا نريد من الرجل، وقد علقت على قولهم: المـرأة نصف المجتمع. وقلت: صحيح

(١) انظر: رسـالة إلى الشباب صـ٢٧٩ ضمن مجموعة رسائل الإمام الشـهيد، نشر دار التوزيع والنشر، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

أنَّها نصف المجتمع من ناحية العدد، ولكن ربما كانت أكثر من النصف، بتأثيرها في زوجها، وفي أولادهـا، فتأثير المرأة في حالة المرأة أكثر من النصف، فإذا قلت الشـباب فلا ينبغـي أنْ يعتبر الأخـوات هنا والبنات الصَّالحات أنني أوجه الشـباب إلى الذكور والرجال وليس إلى النساء، الأُمَّة برجالها ونسائها وشبانها وشاباتها فهما جناح الأُمَّة لا تطير إلا بهما.

## نماذج من الشباب في القرآن:

لقد عرض القرآن لنا نماذج من الشـباب؛ لكي ترنـو أعيننا إليهم، نتطلع إليهم كنماذج كمثل.

### إبراهيم عليه السلام:

عرض لنا القرآن نموذج الشاب الثائر على الباطل، الدَّاعي إلى الحقِّ، الَّـذي لا يبالـي في سـبيل الحق لومـة لائم، هذا الشـاب هو سـيدنا إبراهيم عليه السلام، الَّذي أبى إلا أنْ يُحطِّم الأصنام، وحلف على ذلك، ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧]. وفعلًا بعد أنْ ولَّوْا مدبرين ذهب بفأسه إلى هذه الأصنام الَّتي يعبدونها، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. فتَّتها تفتيتًـا، وحينما حطَّم إبراهيم الأصنام لم يكن شـيخًا، بل كان فتًى، ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبيـاء: ٥٩، ٦٠]. هذا الفتى هو الَّذي حَطَّم الأصنام في عهد الفتوة والشباب.

### إسماعيل عليه السلام:

كما ذكر لنا القرآن نموذجًا للشاب الَّذي يضحِّي بنفسه في طاعة الله، ويُقدِّم عنقه لله، ذلكم هو إسـماعيلُ بن إبراهيـم عليهما السلام، الَّذي ابتلى الله

QaradawiBooks.com

تعالى أباه حين أشار عليه بذبحه في الرؤيا، ورؤيا الأنبياء حق ووحي، وكان إبراهيم يتوق إلى ولد له، ورزقه الله تبارك وتعالى بهذا الولد وهو في الثمانين من عمره، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ولذلك حين وُلِدَ الولدُ تَعلَّق قلب أبيه به، وكلما كبُر نما حبُّه في قلب أبيه، ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصَّافات: ١٠٢]. أي: أصبح قادرًا على أنْ يساعد أباه، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. قال: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. نفِّذْ الأوامر التي عندك، لم يقل: افعل بي ما تؤمر. لم يذكر نفسه، كأنه فَنِيَ عن نفسه، أو عن ذاته، ولم يقل ذلك ادِّعاءً للبطولة، ولكن قال: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. وقدَّمَ بالفعل عُنَقه، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]. ثم فَدَاهُ الله تعالى بِذِبْحٍ عظيم، ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧]. لهذا كان إسماعيل نموذجًا للشاب، مثلما كان أبوه من قبل.

**يوسف** عليه السلام:

كما قدَّم القرآن لنا ـ أيضًا ـ نموذجًا آخر لشابٍّ ابْتُلي بمحن شتَّى فصبر، ابْتُليَ بأنْ يُلقى في الجب، وأنْ تتعرَّض له فتنة تسعى إليه راكضة، ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]. وهيَّأت الأسباب، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. هذا الشابُّ الَّذي صبر على الفتنة، وصبر على السجن الَّذي دخله ظلمًا، ولذلك قال في نهاية القصة، حينما كشف عن نفسه أمام إخوته: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

QaradawiBooks.com

## يحيى عليه السلام، وفتية الكهف:

وقد كرر القرآن قصة الشاب يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٢، ١٣]. وذكر لنا أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤]. كل هذا ليضع القرآن نماذجَ أمام الشاب المسلم، لِيهتَدي بها في حياته.

لهذا كان على الشاب المسلم أنْ يتبيَّن الغاية الَّتي من أجلها يعمل، والطريق الَّذي فيه يسلك، لأنَّه مسؤول عن عمره عامَّة، وعن شبابه خاصَّة، نحن نعلم من أحاديث النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسْأَلَ عن عُمرِه فيما أفناه، وعن عِلْمِه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه؟**»[1]. المهم يسأل عن العمر عامَّةً، وعن الشباب خاصَّةً، وهو مرحلة من العمر، ولكنَّه يسأل عنه خاصة.

## الشباب ثروة الأُمَّة:

من أجل هذا كان لا بدَّ أن نتحدَّث عن الشباب، ونتحدَّث إلى الشباب، ونوجِّه رسالتَنا إلى الشباب، وخصوصًا أنَّ أكثر أبناء الأُمَّة الإسلامية هم من الشباب، في بعض البلاد ـ أظن في الجزائر ـ قالوا لي: إنَّ الشباب يمثلون سبعين في المائة (٧٠٪) من تعداد السكان. أصبح الشباب بعد حرب الشهداء ـ مليون، أو مليون ونصف المليون شهيدًا ـ هم الأغلبيَّة، والشباب في كثير من بلدان الأُمَّة هم الأكثريَّة.

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

ولذلك كانت العناية بالشباب عناية بالثروة العظمى للأمَّة، إنَّ ثروة الأُمَّة الحقيقية ليست في الذهب الأسود (النفط)، ولا في الذهب الأبيض (القطن)، ولا في الذهب الأصفر المعروف، إنَّما في الذهب الحقيقي، في الشباب، فهم ثروة الأُمَّة.

**رسالة إلى الشباب المسلم:**

إذا أردت أنْ تعرف مستقبل أُمَّة، انظر إلى شبابها؛ إذا كان شبابها ضائعًا منحلًّا، ليس له غاية يعيش من أجلها، ليس له رسالة يحيى لها، فاعلم أنَّ هذه الأُمَّة لا مستقبل لها، أمَّة ضائعة، وإذا كان شبابها يحيا لرسالة، ويعيش لمهمة، ويجنِّد نفسه لتحيا أُمَّته، فاعلم أنَّ الأُمَّة بخير، ومستقبلها بخير، فأول ما يجب أن نهتم به هم الشباب، ومن هنا كانت رسالتي إلى الشباب.

**أولًا: الغاية من وجود الإنسان:**

أول ما نريده من الشباب: أن يعيش لغاية، ألا يحيا ضائعًا، هناك بعض الناس يعيشون ويموتون وليس لهم غاية، لا يعرفون لماذا يعيشون؟ يقولون: هي أيام نقضيها نأكل ونشرب فيها.

يأكلون من التراب، ويمشون على التراب، ويدفنون في النهاية في التراب، يعتقدون أنَّها مجرَّد أرحام تدفع، وأرض تبلَع، ولا شيء وراء ذلك، فهؤلاء ليس لهم قيمة، وهم ـ والعياذ بالله ـ حطب جهنَّم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. إنَّهم غافلون عن وجودهم، وغافلون عن مصيرهم، غافلون عن سرِّ حياتهم، فهم كالأنعام، بل هم أَضَلُّ من الأنعام.

QaradawiBooks.com

## لماذا كان بعض الناس أَضَلَّ من الأنعام؟

**أولًا**: لأنَّ الأنعام لم تُؤْت ما أوتي هؤلاء، لم تُركَّبْ فيها العقول الَّتي تفكِّر، ولم تؤتَ الإرادات الَّتي تُرجِّح، لم تؤْتَ المواهب والملكات الفكريَّة، والنفسيَّة، والروحيَّة، إلى آخره، ولكن هؤلاء الناس أُوتوا هذه العقول، وهذه الإرادات، وهذه الملَكات، ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

**ثانيًا**: لأنَّ للأنعام مهمَّة تؤديها، فقد خلقها الله تعالى وسخَّرها للإنسان، لينتفع بها، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥ ـ ٨]. وهي مع ذلك تسبح الله خالقها، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. هذه مهمة الأنعام، وهي لم تتمرَّد على مهمتها.

## غاية الإنسان المسلم:

لكن الإنسان خُلق لمهمة كبيرة، خُلق ليعرف الله تعالى، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. لنعرفَ الله، خلقنا الله لنعرفه، وهذه الآية تغنينا عن الحديث الَّذي يردده بعض الناس: «كنتُ كَنْزًا مخفيًّا فأردتُ أنْ أُعْرَفَ، فخلقتُ الخلقَ ليَعْرِفُوني»[1]. فهذا

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا ليس من كلام النبي ﷺ، ولا أعرف له إسنادًا صحيحًا ولا ضعيفًا. مجموع الفتاوى (١٢٢/١٨).

QaradawiBooks.com

حديث موضوع، والآية تدلُّ على الغاية من خلق الله الكون: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. خلقنا لنعرفه، وخلقنا لنؤدِّي إليه حقَّه في العبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وخلقنا لنخلفه في الأرض، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. وخلقنا لعمارة الأرض، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. هذه مهمة الإنسان، لكن الإنسان الَّذي لا يؤدِّي هذه المهمة بفروعها المختلفة يكون كالأنعام، بل أضل من الأنعام، ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ونحن لا نريد من الشاب المسلم أن يكون كالأنعام، بل لا بدَّ أن يكون إنسانًا، يعقل، ويفكر، ويعرف الغاية من حياته، لماذا يعيش؟

إنَّه يعيش لغاية كبرى، فيجب عليه أن يحدد غايته، هناك غايات قصيرة المدى، وغايات بعيدة المدى، نسمِّيها الغاية العليا، أو الغاية القصوى، حين أسأل الطالب:

- ما غايتك من المذاكرة؟
- غايتي أنْ أنجح في آخر العام.
- ولماذا تريد أنْ تنجح في آخر العام؟
- لأحصل في نهاية الدراسة على شهادة جامعيَّة.
- لماذا تريد أنْ تحصل على هذه الشهادة؟
- لأحصل بها على وظيفة.
- ولماذا تريد أنْ تحصل على الوظيفة؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ لأحصل بها على مال أعيش به.

ـ ولماذا تعيش؟

هنا نصل إلى السؤال الَّذي يحدد غاية الإنسان، فالعيش في نفسه ليس غاية؛ بل العيش وسيلة، فلماذا تعيش؟ هذا هو السؤال الَّذي ينبغي أنْ يسأله كلُّ إنسان لنفسه، ليعرف غايتَه من حياته، فوراء عيش الإنسان غاية لا بدَّ له أن يعرفها، حتَّى تكون لحياته معنى، ويكون لها مذاق.

ونحن نجد الناس الذين لا يعرفون الغاية من حياتهم يعيشون بؤساء تعساء، وكثيرًا ما يتخلَّصون من حياتهم بالانتحار، حين يشعرون بالضياع، بتفاهة الحياة، وأنَّها لا تستحق أنْ تُعاش، فينتهي الأمر بأحدهم بأنْ يرمي نفسه من فوق برج، أو يضرب نفسه بالرصاص، أو نحو ذلك، فالإنسان الضائع هو الَّذي لا يعرف الغاية من حياته، أمَّا المسلم فيعرف غايته منها، ويعيش لها.

هناك من الناس من يعيش لغايات تافهة، كما قال أبو نواس:

**إِنَّمَا الدُّنْيَا طَعَامْ وشَرَابٌ ومَنَامْ**
**فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامْ**[1]

يأكل، ويشرب، وينام، هل هذه حياة؟

وهناك من يعيش ليكون صاحب جاه أو منصب، فيعز ويذل، ويأمر وينهى، ما قيمة هذا؟ إنَّ هذا المنصب لا بدَّ يومًا أن تتركه أو يتركك، وتصبح كسائر الناس.

(١) انظر: الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء (٧٨٤/١، ٧٨٥)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ. مع تغيير وفحش في بعض ألفاظه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**الحياة في سبيل الله:**

إنَّ الغاية الَّتي تستحق أنْ يعيش لها الإنسان ينبغي أنْ تكون لله، أنْ يعيش المسلم للإسلام، فهذه هي أعظم الغايات، وأشرف الغايات، ألا تعيش لنفسك، ولكن تعيش لربِّك، وإذا عشت لربِّك فقد عشت لدينك، وعشت لأُمَّتك، وعشت لوطنك، وعشت للإنسانيَّة جمعاء، هذه هي الغاية الَّتي نريد من الشاب المسلم أنْ يحيى لها.

هذا أوَّل شيء، حدِّد غايتَك في حياتك، لا بدَّ أنْ تكون لك رسالة، لا بدَّ أن يكون لك هدف، فلا تعيش ضائعًا، بل قل: إنَّ لي رسالة، وقد عرفتها والحمد لله: أنا أعيش للإسلام، وأعيشُ بالإسلام، وأموتُ على الإسلام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾. يعني: عيشوا على الإسلام لتموتوا على الإسلام. لأنَّ الإنسان يموت على ما عاش عليه، فمن عاش على الباطل مات على الباطل، ومن عاش على الحق مات على الحق، ومن عاش على الإسلام مات على الإسلام، فأول ما نطلب من الشاب المسلم أنْ يكون له غاية يعيش لها وهي الإسلام.

**ثانيًا: حسن فهم الإسلام:**

وعلى الشابِّ المسلم بعد ذلك أنْ يُحسن فهمَ الإسلام، هناك أناس كثيرون يقولون: نحن مسلمون، ونعيش للإسلام، ونحيا للإسلام. ولكنَّه لم يُحسن فهم الإسلام، لم يحسن الفهم عن الله ورسوله، أساء فهم هذا الدين، وقلب الأوضاع فيه، فصغَّر الكبير، وكبَّر الصغير، وعظَّم الهين، وهوَّن الخطير، وأخَّر ما حقه التقديم، وقدَّم ما حقه التأخير، هذه هي البلوى.

QaradawiBooks.com

## رعاية فقه الأولويات:

وفي سبيل تصحيح هذا الخلل دعوت من قديم في كتابي «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرُّف» إلى ما أسميتَه «فقه مراتب الأعمال»، لا بدَّ أن نعرف مراتب الأعمال في الدين، نعرف العمل رقم واحد، والعمل رقم اثنان، والعمل رقم ثلاثة، والعمل رقم سبعين، ولا نذيب الحدود بين الأصول والفروع، بين الكليَّات والجزئيَّات، لا، فكل عمل في الإسلام تسعيرة، لكل عمل حجمه، فلا تُصغِّر الكبير، ولا تُكبِّر الصغير، والله تعالى يقول: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]. والنبي ﷺ يقول: «**الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون شُعْبَةً: أعلاها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق**»[1]. بضع سبعون شُعبة، فيها الأعلى، وفيها الأدنى، فلا يجوز أنْ تجعل الأدنى أعلى، أو الأعلى أدنى، كثير من الشباب المسلم لا يعرف هذا الفقه، وهو ما سميّتُه بعد ذلك «فقه الأولويَّات».

وفقه الأولويَّات أنْ تضع كل شيء في مرتبته، لا يجوز أنْ تهتم بالمكروهات بينما يقع الناس في المحرمات، لا يجوز أنْ تهتم بالصغائر بينما يقترف الناس الكبائر، لا يجوز أنْ تهتم بالسنن يضيِّع الناس الفرائض، هذا ما نراه للأسف، في كل مكان أذهب إليه أجد بعض الناس يشغلون الناس بالجدل الطويل، وبالمعارك الجانبيَّة، وبالحروب الَّتي لا ينتهي ولا ينطفئ أوارها، من أجل قضايا جزئيَّة، من أجل قضايا خلافيَّة، من أجل قضايا تعتبر من الشبهات، أو من المكروهات.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٦١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ينبغي أولًا أنْ أجمع الناس على الأساسيات، فالمهم للمسلم العادي أنْ يؤدي الفرائض الأساسيَّة ويجتنب الكبائر، إذا أدَّى المسلم الفرائض، فصلَّى، وزكَّى، وصام، وحج، واجْتنب الكبائر، فقد وضع قدمه على الصراط المستقيم.

وأحب أنْ أقول هنا: إنَّ بعض الناس يظن أنَّ الكبائر هي: الزنى، وشرب الخمر، والقتل، ونحو ذلك، هناك كبائر كثيرة يضيعها الناس ولا يلقون لها بالًا، فتزوير الانتخابات من أكبر الكبائر، وتقييد الحريات من غير مبرر من أكبر الكبائر، وكبت الشعوب بحيث لا تستطيع أنْ تقول: لا، بملء فِيها من أكبر الكبائر، والتخلف في هذه الأُمَّة من أكبر الكبائر، والأمية من أكبر الكبائر، هذه كلها كبائر ينبغي أن نضعها في اعتبارنا في مجال الدعوة، فلا ننشغل بما ينشغل به هؤلاء الذين ضيَّعوا الأوقات في الأمور الخلافيَّة، ومعروف ـ بإجماع العلماء من كل المذاهب والمدارس ـ أنَّه لا إنكار في المسائل الخلافيَّة، المسائل الَّتي اختلف فيها العلماء، وصار فيها أكثر من قول، ولم يحدث فيها إجماع يقيني، لا ينبغي أنَّ الإنكار فيها، ولكن هؤلاء ليس لهم انشغال إلا بهذه المسائل، فجدالهم كله حول الغناء والموسيقى، والتصوير، والنقاب للمرأة، ودخول السينما، ونحو ذلك.

لنفترض أنَّ شخصًا يتبع مذهبا من المذاهب في إحدى المسائل، وأنت تتبع مذهبًا آخر، لماذا تنكر عليه؟ فهذا مذهب في مقابل مذهب، مذهب الإمام مالك مثلًا في مقابل مذهب الإمام الشافعي، وهكذا، ولكن هؤلاء ينكرون المذاهب على الناس، ويريدون أنْ يجعلوا من أنفسهم المذهب الوحيد، يريد كلُّ واحد منهم أنْ يجعل نفسه إمام مذهب.

QaradawiBooks.com

كان شيخنا الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمة الدعاة في هذا العصر، وقد ضاق ذرعًا في سنواته الأخيرة بهؤلاء الذين يعيشون ولا همَّ لهم إلا الجزئيَّات والخلافات، سأله أحدهم ذات مرة: ما رأيك فيمن يصلي وهو مسبل يديه عن يمينه وعن شماله؟

قال له: يا أخي، المهم في المسلم أنْ يصلي، سواء وضع يديه على صدره، أو فوق سُرَّته، أو تحتها، أو على أرسل يديه عن اليمين والشمال، المهم إذا سمع الأذان أنْ يأتي إلى المسجد ويصلِّي.

لهذا نريد من الشاب المسلم أن يُحسن الفهم للإسلام، بأن يأخذ إسلامه عن العلماء الثقات، لا أقول له: خذ من يوسف القرضاوي وحده، أو من محمد الغزالي وحده، بل اقرأ للجميع، وحَكِّمْ عقلك، وكن مسلمًا مستنير البصيرة، المسلم إذا استنارت بصيرته، واستقامت طريقه، استطاع أن يُميِّز ـ بعون الله ـ بين الصواب والخطأ، وبين القول الضعيف والقول الراجح، وإذا اشتبه عليك الأمر اسأل العلماء غير المتعصبين، وغير المنغلقين، وغير المتسيبين أيضًا، كانت محاضرتي في «طنجة» عن الاجتهاد المعاصر بين الانغلاق والتسيُّب، وإنَّما ضعنا بين أهل الانغلاق، وأهل التسيُّب والانفراط، ونحن نريد أهل الوسطيَّة والانضباط، فاسأل العلماء الثقات حتَّى تحسن، واقرأ، ثم اقرأ، ثم اقرأ باستمرار، حتَّى تُكوِّن لنفسك ثقافة عميقة، لا تكتفي بالقراءة السطحيَّة، ولا تكتفي بقراءة كتاب أو اثنين أو ثلاثة، لا تكتفي بمجرَّد سماع الأشرطة، اقرأ الكتب العميقة، أتعب نفسك في تعلمها، حتَّى تتعلم الإسلام الحقيقي كما أنزله الله تعالى، وكما بعث به نبيَّه محمَّدًا ﷺ، وكما فهمه أصحابه، وطبَّقه السلف الصالحون الراشدون في هذه الأُمَّة.

QaradawiBooks.com

## ثالثًا: حسن العمل بالإسلام:

ثمَّ على الشابِّ المسلم بعد أنْ يعرف غايته، ويُحسن فهمَ إسلامه، أنْ يعمل بهذا الإسلام، أن يستقيم على هُداه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]. وكما قال النبي ﷺ: «**قلْ آمنتُ بالله، ثمَّ استَقِمْ**»[١]. الإسلام إيمان وعمل، فلا بدَّ أن تعمل بهذا الدين، أن تكون صورة لهذا الإسلام، تؤدِّي ما أمر الله به، وتبتعد عمَّا نهى الله تعالى عنه، وسوف ترتقي مع الأيام.

## الارتقاء إلى الأحسن:

لقد قلت: بحسبي من المسلم العادي أنْ يؤدي الفرائض، ويجتنب الكبائر. ولكن هذا في أول الطريق، فأنت حين تؤدي الفرائض ستجد أنَّك بعد مدة تقول: ولماذا لا أصلي ركعتين قبل الصبح، وركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وأربع ركعات قبل العصر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وأختم بالوتر؟ أنت نفسك ستجد نفسك مقصِّرًا، وتحاول أن ترقى بها، فالمسلم دائمًا يطلب الرقي، كان بعض السلف يقول: «من كان يومُه مثلَ أَمْسِه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون»[٢]. والعياذ بالله، فالمسلم يحاول دائمًا أن يضيف إلى رأس ماله، لا يكتفي بالفرائض، بل يحاول أن يصل إلى مرتبة القرب، كما في الحديث: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بأفضل ممَّا افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الَّذي يسمع به، وبَصَرَه الَّذي يُبْصِرُ به، ويدَه الَّتي يبطش بها...**»[٣]. إلخ،

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٢) انظر: لطائف المعارف لابن رجب صـ٣٠٠.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فالفرائض تصل بك إلى مرتبة القُرب، والنوافل تصل بك إلى مرتبة الحب، فلا ترضى بالدرجة الهينة، وحاول أنْ ترتقي من درجة إلى درجة.

ولذلك ممَّا أوصي به الشاب المسلم بعد ذلك أنْ يكون طامحًا إلى المعالي، يتطلع دائمًا إلى الأفق الأعلى، لا يرضى بالدون، ولا بالأمر الهون، لا، بل حاول أنْ ترتقي إلى الأعلى دائمًا، فالقرآن يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. وقد ذكر الله هذا المعنى في القرآن ثلاث مرات[(١)]، فالتنافس ليس بين السيئ والحسن، ولكن بين الحسن والأحسن، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، يتنافس الناس في الأحسنيَّة: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. ويدعو القرآن دائمًا إلى الأحسن في كل شيء: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]. ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

فالمسلم يبحث عن الأحسن دائمًا، وهذه وصيتي إلى الشباب: أنْ يتطلَّعوا إلى الأحسن، وإلى الأعلى دائمًا، كما دعانا القرآن الكريم، وكما علَّمنا النبيُّ ﷺ فقال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة وأعلى الجنَّة**»[(٢)]. لا تقل: يا ربِّ، أدخلني الجنَّة مع أصحاب اليمين، ولكن قلْ: يا ربِّ، أدخلني الجنَّة مع

(١) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السابقين المقرَّبين. اطلب الفردوس، اطلب أعلى درجة في الجنَّة، هكذا يُعَلِّمنا النبيُّ ﷺ.

وطلب المعالي يكون في أمر الدين وأمر الدنيا، فلا أريد من الشاب المسلم أن يقول: بحسبي أن أنجح في دراستي بدرجة مقبول. ولماذا يا أخي لا تنجح بدرجة جيد، أو درجة جيد جدًّا، بل بدرجة ممتاز، ما دامت لديك المؤهَّلات والمواهب والملَكات والقدرات، لماذا ترضى بالدون؟ حاول دائمًا أنْ تطمح إلى الأعلى، هذا ما أوصي به الشباب المسلم.

**رابعًا: التآخي والتعاون:**

كما أوصي الشباب المسلم أنْ يتآخوا في سبيل الله، ألَّا يعيش الشاب وحده، فمن عاش وحده ضاع، فعليك أن تعمل في وسط جماعة، فالجماعة قوَّة على الطاعة، وحماية من المعصية، والنبيُّ ﷺ يقول: «**يدُ الله مع الجماعة**»[1]. ويقول: «**إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاةَ القاصيةَ والناحيةَ**»[2]. لا يأتي الذئب إلى شاة في وسط القطيع ويحاول أنْ يأكلَها، إنَّما يبحث عن الشاة الشَّاردة وحدها، فيسارع إليها ويفترسها، فإذا كانت في وسط القطيع كانت محميَّة به، وكذلك عليك أن تحمي نفسك بالجماعة وصُن نفسَك بأنْ تكون مع الجماعة والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول: «**من أراد منكم بَحْبَحةَ الجنَّة فليلزم الجماعة،**

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٠.

(٢) رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني (١٦٤/٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٠٨): رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات إلا أنَّ العلاء بن زياد قيل: إنَّه لم يسمع من معاذ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**فإنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ**»[١]. وكلما كثُرت الجماعة بعد الشيطان عنها، فأوصي الشباب أنْ يعملوا في جماعة، وأنْ يتضامَّ بعضهم إلى بعض، وخصوصًا أنَّ المسلم لا يستطيع أنْ يحقق هدفًا كبيرًا بالعمل الفردي، الأعمال الكبيرة لا تتحقق إلا بتضافر جهود جماعيَّة هذا ما علَّمناه الإسلام، ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢]. و«**يَدُ اللهِ مع الجماعة**». وما علَّمنا إياه الواقع، حتَّى إنَّ الناس تقول: إيد على إيد تكيد، واليد وحدها لا تصفق. فلا بدَّ أنْ تتجمَّع الأيدي بعضها على بعض، لا بدَّ أنْ تتجمَّع الجهود، وقد اخترعوا في عصرنا نظامًا اقتصاديًّا يجمعون به الأموال الكثيرة من الأموال القليلة المتفرقة، بما يسمى «الشركات المساهمة»، هذه الشركات هي تجميع للأموال المتفرقة في أيدي الناس، يأخذون من هذا عشرة، ومن هذا مائة، ومن هذا ألفًا، ومن هذا، وهذا، حتَّى يجمعون المليارات، وبهذا تقوم المشروعات الكبرى، وما يقال في منطق الصناعة يقال في منطق الحياة كلها، لا نستطيع أن نحقِّق أهداف الإسلام الكبرى، وأهداف الأُمَّة الكبرى، لا نستطيع أن نحرر أُمَّتنا من الاستعمار القديم والجديد، لا نستطيع أن نحرِّر أمَّتنا من الصهيونية المتحكِّمة في ديارنا، لا نستطيع أن نوحِّد أمَّتنا من الفرقة، لا نستطيع أن نقوِّي أمَّتنا من ضعف، لا نستطيع أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة ـ إلا إذا عملنا مجتمعين لا متفرقين، متوحِّدين لا مختلفين، فالقوى المبعثَرة لا تصنع شيئًا، لهذا أوصي الشباب أنْ يجتمع بعضهم مع بعض.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٠.

QaradawiBooks.com

## الشباب أمل الأُمَّة:

أيُّها الإخوة: الكلام عما نريده من الشباب كثير، ولكن أعتقد أنَّ ما قلته هنا يكفي بالنسبة للشباب، على الشباب أنْ يحدِّد غايته، وليس للشباب غاية إلا الإسلام، إلا العمل لدين الله، أنْ يحيا لله، ويموت لله، ويكون شعاره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. لا بدَّ أنْ يحدِّد هذا الهدف ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، لا بدَّ أنْ يُحسن الفهم لهذا الدين، خاصَّة بعد أنْ أساء الكثيرون فهمه، وأساؤوا تطبيقه للأسف، لا بدَّ أنْ يعمل بهذا الدين، أنْ يستقيم على الطريق، الَّذي يدعو الله أنْ يهديه إليه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. لا بدَّ أنْ يطمح إلى المعالي، أنْ يضع يده في يد أخيه وبهذا ينفتح له الطريق، وتتفتح أمامه الأبواب، وتنفسح أمامه الآمال، ولن يقف شيء في طريقه أبدًا، فشباب هذه الأُمَّة قادر على أنْ يصنع المعجزات، وما يشبه المعجزات، كما صنع شبابنا الأوائل، فالذين فتحوا الفتوح كانوا شبابًا، كان هناك أربعة قادة يفتحون آفاق العالم: مسلمة بن عبد الملك على أبواب الصين، وقتيبة بن مسلم الباهلي على أسوار سمرقند، ومحمد بن القاسم بن محمد على أبواب الهند، وموسى بن نصير ومعه طارق بن زياد في الأندلس، قال المؤرِّخون: كان محمد بن القاسم قائد الجيوش الإسلامية في فتح الهند، ابن سبع عشرة سنة. كما قادها من قبل أسامة بن زيد زمن الصحابة رضي الله عنهم، وقال فيه الشاعر:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدى ... لمُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ
قَادَ الجُيُوشَ لسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يا قُرْبَ ذَلِكَ سُؤْدُدًا من مَوْلِدِ[1]

(١) عيون الأخبار (٣٣٢/١).

QaradawiBooks.com

نحن قادرون أيُّها الإخوة على أن نحقِّق أهداف هذه الأُمَّة، إذا كان الشباب في المقدمة، ولا بدَّ أنْ يكون الشباب في المقدمة.

وقد رأينا ما صنع إخواننا المجاهدون في لبنان بإسرائيل، الَّتي زعموا أنَّها القوة الَّتي لا تقهر، والشوكة الَّتي لا تكسر، والجيش الَّذي لا يُهزم، وقف الشباب المؤمن أمامها ولم يبالِ، أيقع على الموت أم يقع الموت عليه؟ وقفوا أمام إسرائيل ولم تستطع إسرائيل أنْ تحقِّق هدفًا، أو تنجز إنجازًا عسكريًّا، وعادت بالخيبة، مدحورة مذمومة، عليها لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

ومع هذا أيُّها الإخوة، لا ينبغي أنْ ينسينا انتصار لبنان ما صنع الإخوة ـ وما زالوا ـ يصنعون في فلسطين، فقد صنعوا البطولات، صنعوا الروائع، رجالًا ونساءً، فتيانًا وفتياتٍ، والأمهات والآباء الذين كانوا يستقبلون الشهداء بالزغاريد، ولا يقبلون في أولادهم العزاء، بل يقبلون التهنئة فيمن سقط منهم شهيدًا في سبيل الله، ولا زال هؤلاء الإخوة يُحاربون في أرزاقهم، بمنع إيصال الأموال إليهم، يحاولون أنْ يُركِّعوا وأنْ يُذِلُّوا هذا الشعب، ولكن هذا الشعب المؤمن البطل أبى أنْ يقبل الركوع وقال: الجوع ولا الركوع.

أيُّها الإخوة إنَّ شبابنا إذا عرف مهمته، وتقدَّم الصفوف، وترك الخنا، والميوعة، والخلاعة، وتقليد الشباب الغربي، الَّذي ليس له غاية، وليس له رسالة، هؤلاء لا يقلَّدون، الشاب الَّذي يحاول أنْ يكون مثل الشاب الغربي ضاع، ضيَّع نفسه، ضيَّع حياته، ضيَّع مصيره، بدل أنْ تقلِّد هؤلاء قلِّد أسامة بن زيد، أو محمد بن القاسم بن محمد، أو الشافعي الَّذي أفتى وهو ابن سبع عشرة عامًا، أو مالكًا الَّذي وقف للتعليم في المسجد قبل العشرين، قلِّد هؤلاء الأئمة العظام بدل أنْ تقلِّد هؤلاء الشباب الضائعين، نحن في غنى عن أن نقلد.

QaradawiBooks.com

## واجب الأسرة تجاه الشباب:

وعلينا نحن معشر الآباء، والشيوخ، والأمهات، أن نعين شبابنا على هذه الرسالة، وعلى هذه المهمة، وأنا آسف؛ إذ أقول: إنَّ بعض الأسر تقف عقبة في سبيل أبنائها إذا أرادوا أنْ يلتزموا بتعاليم دينهم، وفي سبيل بناتها إذا شئن أنْ يلتزمنَ بتعاليم دينهنَّ، وقد رأيت بعض الأمَّهات تقف ضد إرادة ابنتها الَّتي هداها الله، وعرفت طريقه، وتريد أنْ تلبس الخمار، وتهتدي بأمر الله ﷻ، تقول لها: يا ابنتي إذا لبست الخمار ستكسدين في سوق النساء، وتبورين، ولن تجدي من يتقدَّم لخطبتك. والحقيقة أنَّ البنت بعد أنْ تلتزم بدينها يكثر خاطبوها، حتَّى من الشباب الذين لا يلتزمون الصراط المستقيم، ولا يعلمون الكثير عن دينهم، يقول أحدهم: أنا أتزوج الملتزمة، ذات الخُلُق والدين، فأنا أضمنها وأطمئن إليها، ولا أتزوَّج المتبرجة، الكاسية العارية، لأني لا أطمئن إليها.

نقول: يجب أنْ تُعاوِنَ الأسرةُ أبناءها وبناتِها على طريق الاستقامة، وليعلموا أنَّ الابن المستقيم والبنت المستقيمة كنز عظيم، ينفع الآباء والأمهات في الدنيا، ويشفع لهم في الآخرة، ويأخذا بأيديهما إلى الجنَّة، ما داما مؤمنين بالله ﷻ، هذا ما نريده من الأسرة.

## واجب المجتمع تجاه الشباب:

نريد من المجتمع أيضًا أنْ يعين الشباب على الإسلام وعلى الاستقامة، كثيرًا ما يقع الشاب في محنة بين ضميره وواقعه، بين ما تأمره به عقيدته وبين ما يراه في المجتمع، خصوصًا أنَّ مجتمعاتنا ـ للأسف ـ تعيش حياة مزدوجة، نقول: المغرب مسلم والبلاد العربية مسلمة. ولكن نريد إسلامًا كاملًا، إسلامًا خالصًا، ليس فيه شراكة، أو

QaradawiBooks.com

ازدواجية، نريد مسلمًا تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله لا شريك له، نريد مسلمًا في المسجد، ومسلمًا في السوق، ومسلمًا في الوظيفة، ومسلمًا في المكتب، ومسلمًا في الجامعة، ومسلمًا في المزرعة، ومسلمًا في المصنع، ومسلمًا في المحكمة، لا هو في المسجد مسلم ولكن خارج المسجد شيء آخر.

حدثني بعض الإخوة ونحن في طنجة، أنَّ بعض العلماء دُعي إلى طنجة فاجتمع عليه عدد كبير من الناس يسمعون موعظته، فقال: الحمد لله، الناس بخير. ثم مرَّ على الشاطئ ووجد العُراة والعاريات ونصف العاريات، فقال: يظهر أنَّه بالمغرب ناس كثيرون من «الخواجات» أو الأجانب. فقال له بعض رفقائه: يا سيدنا الشيخ، إنَّ الذين على الشواطئ هم الذين كانوا عندك بالأمس في المسجد. يقولون: هذه نقره، وتلك نقره.

لذلك نقول: تحتاج مجتمعاتنا إلى أنْ تصحِّح إسلامَها، أنْ تجرِّد نفسها للإسلام الصحيح، يجب أن نعيش مسلمين حقًّا، أن ننتصر على شهوات أنفسنا، أن نعيش دائمًا مسلمين في كل مكان، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. «**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ**»[1]، سواء كنت في المسجد كنت، أو في البيت، أو في الطريق، في أيِّ مكان كنت ينبغي أنْ تكون تقوى الله تعالى شعارًا لك.

هذا ما نريده من مجتمعنا أنْ يعين شبابَنا على الإسلام، وأنْ يوجِّههم إلى الإسلام، وأنْ يشجِّعهم على الإسلام، وبذلك تنهض الأُمَّة برسالتها، وبذلك تؤدِّي الأُمَّة دورها، وبذلك تتبوَّأ الأُمَّة مكانتها تحت الشمس.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٦.

QaradawiBooks.com

## مقومات الأُمَّة للنهوض والشهود:

إنَّ أمَّتنا لا ينقصها شيء لكي تتقدَّم وتكون في رأس القافلة، كما كانت عبر عشرة قرون مضت، سيِّدة العالم، ومعلِّمة الدنيا، الأُمَّة لا ينقصها شيء، ولكن ينقصها الذين يؤمنون برسالتها، ويوجهونها إلى الخير.

إنَّ أمَّتنا قادرة على أن تتبوَّأ مكانتها تحت الشمس، لأنَّ لديها كل مقوِّمات القوَّة، لديها مقوِّمات البقاء، ومقوِّمات الريادة، ومقوِّمات السيادة، لديها الطاقة العددية، والطاقة الاقتصادية، والطاقة الحضارية، والطاقة الروحية، لا ينقصها شيء إذا أرادت تتبوأ مكانتها بين الأمم، مكانة الشهادة على الناس، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

لا يجوز أن ننزل على إرادة الآخرين، أو نستجيب لما يريده منا الآخرون، سمِّهم ما تسميهم: الغربيين، الأمريكان، الصليبين، الصهاينة، فهؤلاء لا يريدون للأُمَّة خيرًا، إنهم يريدون أنْ يذيبوا هُويَّتها، وأنْ يلغوا شخصيَّتها، وأنْ يلغوا تاريخَها وانتماءَها، لا يريدون حتَّى اسمها، لا يريدونها أمَّة عربية، ولا أمَّة مسلمة، يريدون أنْ يكون اسمها الشرق الأوسط، الشرق الأوسط الكبير، أو الشرق الأوسط الجديد، وينبغي أن نعلن مصمِّمين أنَّ هذه الأُمَّة لن تكون شرق أوسط، كبيرًا كان أو جديدًا، وإنَّما ستظل أمَّة العروبة والإسلام حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها.

## التنوع في إطار الوحدة:

هذا ما يريده أعداؤنا بأُمَّتنا، وعلينا أن نُفوِّت عليهم ما يريدونه بتمسكنا بهُويَّتنا، وتمسكنا بوحدتنا، فوحدة هذه الأُمَّة فريضة وضرورة،

QaradawiBooks.com

فريضة دينيَّة، وضرورة قوميَّة وبشـريَّة، وكل من يعمل ضدَّ الوحدة إنَّما هو خائنٌ للأمَّة، وخائنٌ لدينها، وخائنٌ لرسوله ولجماعة المسلمين.

والوحدة أيُّها الإخوة لا تنافـي التنوُّع، فالتنوُّع ظاهـرة كونيَّة أقرَّها الإسـلام، هناك وحدانيَّة الخالق والتعدديَّة في الخلق، فالخَلْق كله يقوم على التعدُّد، فنحن نؤمن بالتعدديَّة العرقيَّـة، والتعدديَّة اللغويَّة، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الـروم: ٢٢]. ونؤمـن بالتعددية الدينيـة، فقد شـاء الله تعالى أنْ يختلـف الناس في عقائدهم، كما اختلفوا في ألسنتهم وألوانهم، فهذا مسلم، وهذا نصراني، وهذا لا دين لـه، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هـود: ١١٨، ١١٩]. ومع الإيمـان بالتعدديَّة لا بدَّ من التجمُّع على الأهداف المشـتركة، والمصالح المشتركة، وقد قامت الحضارة الإسـلامية على أسـاس التَّنوُّع، الذين صنعوا الحضارة الإسلامية كان منهم مسـلمون، وكان منهم نصارى، وكان منهم عرب، وكان منهم هنود، وكان منهم أتراك، صنعوا الحضارة الإسلامية.

لا ينبغي أن نثير نعرة بين الناس، يريدون دائمًا أنْ يفرقوا هذه الأُمَّة، إما أنْ يفرقوها من الناحية الدينيَّة إلى مسـلم ومسيحي، أو من الناحية المذهبيَّة إلى سني وشيعي، أو من الناحية العرقيَّة إلى عربي وبربري أو عربي وكردي، أو يفرقوها من الناحية الأيدلوجيَّة إلى يمينيين ويساريين، أو رجعيين وراديكاليين، إلى آخر هذه التسميات، وينبغي أن نرفض هذا كلـه؛ لأن هذه الأُمَّـة أُمَّـةٌ واحـدة، ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. كأنَّما تشير الآيتان إلى أنَّه لا تتم العبادة، ولا تكمن التقوى إلا بوحدة هذه الأُمَّة، فينبغي أن نكـون حريصين كل الحرص،

QaradawiBooks.com

مُصرِّين كل الإصرار على أن تبقى هذه الأُمَّة أمَّةً واحدة، لأنَّ ربَّها واحد، وكتابَها واحد، ورسولَها واحد، وقبلتها واحدة، وغايتها واحدة، ومصالحها واحدة، ومصائبها واحدة، كل دواعي وحدة الأُمَّة موجود، وعلينا أن نتمسَّك به، ونحرص عليه، ونعضَّ عليه بالنَّواجذ، ولا نسمح لأحد أو لشيطان ـ من شياطين الإنس والجن ـ أن يفرِّق هذه الأُمَّة، الَّتي نحيا لها، ونعيش في سبيلها، ونؤمن برسالتها.

نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل يومها خيرًا من أمسها، وأنْ يجعل غدها خيرًا من يومها، وأنْ يجمع كلمة أبنائها جميعًا ـ حكامًا ومحكومين، أغنياء وفقراء، عربًا وأمازيغ، مسلمين ومسيحيين ـ على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، ونيَّاتِها على المحبة، ونفوسها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل، وأنْ يهيِّئ لها من أمرها رشدًا.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

١٩

# الشباب هم الأمل[١]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، مُعلِّمِ الناس الخيرَ، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق: سيِّدِنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون. ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهَد جهاده إلى اليوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيها الإخوة والأبناء الأعزة تحيةُ الإسلام، تحيةً من عند الله مباركة طيبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## رابطة الإسلام:

وبعد؛ فإنَّها لفرصة طيبة أنْ ألتقي بهذه الوجوه المُشْرِقة بنور الإيمان، لا على أنِّي ضيف كما قال الأبناء الأعزاء، فأنا لا أشعر في رحاب «ندوة العلماء» بأنِّي ضيف، وإنَّما أشعر بأنِّي واحد من أصحاب الدار، هذا

(١) أقيمت في ندوة العلماء بالهند.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شعوري منذ وطئت قدماي ـ وليست المرة الأولى ـ كُلَّما لقيتُ إخوتي وأبنائي وأحبتي في هذه الدار؛ أشعر أنِّي بين أهلي وإخواني وأبنائي، وفي داري وفي وطني.

ونحمد الله تبارك وتعالى أنَّنا تعلَّمنا من إسلامنا أنَّ المسلمين حيثما كانوا أُمَّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، وأنَّهم حيثما كانوا إخوة، تربطهم هذه الآصرة التي لا تنفصل، والعروة التي لا تنقطع، عروةُ الإسلام، فليس هناك رباط أقوى من رباط العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من عقيدة الإسلام، فنحن تجمعنا هذه الرابطة العظيمة رابطةُ هذا الدين الذي آخى بين الأخ وأخيه؛ وإن بَعُدت الدار، وشطَّ المزار.

ثم إنِّي أشعر بسعادة من ناحية أخرى: أنني ألتقي في هذا المكان بشباب النادي العربي، وشبابِ جمعية الإصلاح اتحاد الطلاب، أنْ ألتقي بالشباب فأحاول أنْ أستعيد ذكرياتي، وأنْ أستعيد شبابي قبل أنْ أحمل عصًا، وأشكو من وجع المفاصل ووجع الظهر وغيرها، أحاول أنْ أعود إلى الشباب مرة أخرى؛ لأعيش في هذه الذكريات الطيبة: ذكرياتِ الشباب، والشبابُ دائمًا هم الأمل، وهم معقد الرجاء، وهم الفجر الباسم، والغد المرتقب.

## أهمية مرحلة الشباب:

الشباب هو مرحلة القوة بين ضَعْفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم حينما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. القوة التي بين الضعفين هي قوة الشباب، مرحلة الشباب هي مرحلة القوة، ولذلك ينبغي للشباب أنْ يحسنوا الاستفادة من هذه القوة، ويوظفوها حيث يحب الله تعالى ويرضى، فإنَّ الله تعالى يسأل الناسَ يوم

QaradawiBooks.com

القيامة عن العمر عامة، وعن الشباب خاصة: «**لا تزولُ قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه؛ حتى يُسأل عن خمس: عن عُمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»[1]، ويُسأل الإنسانُ سؤالين عن الوقت: عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة. وإنَّما خُصَّ الشباب لأنَّه مرحلة الحَيَوِيَّة الدافقة.

## إبراهيم الخليل داعية التوحيد:

ولذلك نجد الأعمال العظيمة قام بها الشباب، سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام حينما حطَّم الأصنام، حينما أقسم لَيجعلَنَّها جُذاذًا، كان فتى، كما حكى القرآن عن القوم: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]. هذا الفتى المتوثِّب الذي رفض العبودية لهذه الأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، وقال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ ـ ٤٥]. كان إبراهيم شابًّا فتى في ذلك الوقت.

## إسماعيل الفتى الصابر المحتسب:

وكذلك وجدنا القرآن يحكي لنا قصصًا عن فتيان كان لهم دور في الحياة، يحكي لنا عن ذلك الفتى الذي قدَّم عنقَه لله صابرًا راضيًا: إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما السلام، الذي آتاه ربُّه هذا الابنَ على الكبر، وبعد

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٦) وقال: حديث غريب. والبزار (١٤٣٥) والطبراني في الكبير (٨/١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي (٢٤١٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

اشتياق وطلب من الله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]. جاء الولد، وجاء معه حبُّ هذا الولد، وكلما نما الولد: نما حبُّه في قلبه أبيه، ولكنَّ الله تعالى يغار على قلوب أوليائه وأخِلَّائه وأحبائه، فأراد أن يمتحن إبراهيم في ولده، وفلذة كبده، وقرة عينه، فكان الامتحان الرهيب المبين، ومتى؟ حين بلغ معه السعي، حين أصبح يُرجَى منه مساعدة أبيه، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. حتى لم يقل له: «افعل بي ما تُؤمر» كأنَّما فني عن ذاته، ونسي نفسه، قال له: نَفِّذ الأوامر التي عندك ولا تسألني، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] لم يقلها بطولة ولا دعوى شجاعة، ولكن وكَلَ الأمر إلى الله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. هذا الشاب مثال للطاعة: طاعةِ أمر الله تعالى؛ ولو كانت تتعلق برقبته وبدمه.

## يوسف الشاب التقي المتعفف:

هذا شاب، وهناك شاب آخر ذكره القرآن؛ ولكن ليس في مثل هذا الموقف، في موقف إباء المعصية؛ وقد جاءت المعصية تسعى إليه! إنَّه يوسف الصديق: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، المعرّق في النبوة وفي بيت الرسالة، ولكنَّه تأتيه الفتنة تسعى إليه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

إنَّه لم يسعَ إلى الفتنة؛ ولكن الفتنة سعت إليه! كانت كل العوامل تدعو يوسفَ أن يرتكب هذه الفاحشة، فهو شاب والشباب شعلة من الجنون، وهو عزب ليس له زوجة تعفه، وهو غريب، والإنسان يستحيي في بلده، والغريب لا يستحيي ما دام لا يعرفه أحد، وهو مملوك

QaradawiBooks.com

والمملوك يفعل ما لا يفعل الأحرار، وهو لم يبدأ المرأةَ ولكنَّها هي التي بدأت، هي التي هيَّأت الأسباب وغلَّقت الأبواب، وخرجت عن طبيعة المرأة وقالت: هيت لك!

ولكنَّه زجرها بهذه الزواجر: الزاجر الديني: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، والزاجر الخُلُقي: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾، هذا الرجل الذي أكرم مثواي أقابل ائتمانه بالخيانة؟ وإحسانه بالإساءة؟! وهذا الزاجر المصلحي: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، لو فعلتُ ذلك لم أُفلح.

بهذه الزواجر وقف هذا الموقف، ولذلك كان موقفه في غاية القوة والروعة والنصاعة، ليس كما تروي الإسرائيليات، وكذلك قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، ولقد اعترفت المرأة أمام النسوة بذلك حين قالت: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. لم ينجح معه سلاح الإغراء؛ فلتجرِّب سلاح التهديد: التهديدِ بالسجن والصغار، وهي امرأة تملك أن تقول وتفعل؛ إنَّها امرأة العزيز، ولها سلطان على زوجها كما يبدو من تسلسل الأحداث.

وكان هذا الشاب بين محنتين، كان يوسف الصديق بين محنتين: محنة في دِينه، ومحنة في دنياه، محنة في دِينه أن يفسق ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه: أن يُسجَن ويكون من الصاغرين، ولكنَّه آثر محنةَ الدنيا على محنة الدِّين وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

ودخل يوسف السجن، ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥]. وكان له في السجن مواقف مشرفة في الدعوة حدَّث

QaradawiBooks.com

عنها شيخنا أبو الحسن في بعض رسائله: موقف يوسف في السجن، ولكنَّه لم ينسَ الدعوة، وانتهز فرصة تعبير الرؤى ليتخذ منها ذريعة إلى الدعوة إلى توحيد الله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

ذكر القرآن نماذج من هؤلاء الشباب، وذكر لنا فتية أهل الكهف: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [الكهف: ١٣].

وذكر لنا يحيى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٢، ١٣].

**الشباب معقد الأمل وموطن الرجاء:**

هكذا ذكر لنا القرآن الكريم، فلا عجب أن نرى هذا الشباب يرتقي إلى هذه المعالي، ويتوق إلى هذه المكانة الرفيعة، وينشئ هذا النادي الذي يُخرِّج الخطباء والأدباء والشعراء أيضًا، وإن لم أسمع أن هناك من الشعراء، لا بدَّ أن يكون من الشباب شعراء كما فيهم من الخطباء والأدباء، ويؤلف هذه الجمعية ـ اتحاد الطلاب ـ للإصلاح أيضًا، هذا هو الشباب. الشباب هو دائمًا الأمل، وموطن الرجاء، ومعقد الثقة للمستقبل.

هذا ما نريده من شباب المسلمين عامة ومن شباب ندوة العلماء خاصة، هذه الندوة التي تبعث الروح، والتي تحيي الموات، وتوقظ من سبات، هذه الندوة جديرة بأن تحيي شبابها على الآمال الكبار، والطموحات العظيمة، لا يمكن أن تحيى أُمَّتُنا وتنهض بأعبائها، وتتبوَّأ مكانتَها تحت الشمس؛ إذا لم يكن هناك آمال كبيرة.

QaradawiBooks.com

الذين يعيشون في شعور الإحباط واليأس، والذين يعيشون على الأحلام الصغيرة والشهوات الصغيرة: لا يمكن أن ترقى بهم الأمم، فالأمم ترقى بالشباب ذوي الطموح.

**دور الشباب في مسيرة الإسلام:**

شبابُ الإسلام الذين نصروا الإسلام، ونصروا الرسول ﷺ كانوا شبابًا، أبو بكر حينما أسلم كان عمره (٣٧) سنة وبعض الأشهر، وكان أكبر الصحابة، وعمر أصغر منه بعشر سنوات، وعليّ كان دون العاشرة، والزبير بن العوام، هؤلاء هم الذين نصروا الإسلام.

وأسامة بن زيد هذا هو الذي قاد الجيوش وهو في الثامنة عشرة، وكذلك محمد بن القاسم بن محمد هو الذي قاد الجيوش الإسلامية لأول مرة في الهند الكبرى، ودخل هناك إلى بلاد السند، وكان عمره سبعة عشر عامًا، وما زال يلح على ابن عمه الحجاج بن يوسف حتى ولَّاه قيادة الجيوش، ودخل أرضًا لم يعرفها؛ يريد أن ينشر هذا الدين، وقال فيه الشاعر:

**إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدى لمحمدِ بن القاسمِ بنِ محمدِ**
**قادَ الجيوشَ لسبعَ عشْرةَ حِجَّةً يا قُربَ ذلك سؤددًا من مولدِ**[1]

سبع عشرة سنة، ويقود الجيوش، ويخوض أرضًا مجهولة، ويأتي إلى هذه الديار ليُدخِل نورَ الإسلام فيها.

هذا هو شبابنا، هذا ما نريده من شباب ندوة العلماء، نريد أن يتخرَّج في النادي العربي، وفي جمعية الإصلاح، وفي هذه الندوة عامة: الشبابُ الطموح، الذي يضع الآمال الكبار نصب عينيه. فإنما

(١) عيون الأخبار (٣٣٢/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضاعت أُمَّتنا؛ لأنَّها فرغت من المُثُل العُلْيا، ولأن شبابها رضوا بالدون والعيش الهون، وقبلوا أن يعيشوا وراء الأمم في ذيل القافلة، وقد كانوا في مأخذ الزمام من هذه القافلة.

لا، نريد شبابا جديدًا، نريد قلوبًا جديدة، وعزائم جديدة.

**الآمال الكبار والطموحات العظيمة:**

أقول لكم: حسن البنا في مصر قام بدعوته هذه التي هزَّت العالَم، وزلزلت أركانَ الطغيان في أنحاء الدنيا، وهو في الحادية والعشرين من عمره، أنشأ هذه الدعوة العالمية العظيمة وهو في الحادية والعشرين من عمره، وكتب هو طالب في كلية دار العلوم موضوع إنشاء ذكر فيه طموحاته، قبل أنْ ينشئ هذه الجماعة: إنَّه يريد أن يعيش للإسلام مُعلِّمًا وداعيًا، ولا يريد الوظائف الرسمية. هكذا كان الشباب.

وقد رأيت في مسيرة الحياة لشيخنا الجليل أبي الحسن الندوي كيف اهتمَّ بالأمور الكبار وهو في العشرينات من عمره، ألقى محاضرة عن «الدين والمدنيَّة» وهو لا يزال شابًّا، تعتبر دلالة من دلائل النبوغ المبكر، وذهب ليلقى ذلك الرجل الذي كان يبحث عن دين، ويبحث عن الخُلُق في الإسلام أو في غير الإسلام، ذهب إليه وقابله وهو في العشرينيات من عمره.

أريد لشبابنا أن يعيش بهذه الآمال الكبار، وهذه الطموحات العظيمة، دعونا من الصغائر، دعونا من الهنات، دعونا من الشباب الفارغ: الفارغِ من المُثُل، ومن الهِمَم، ومن الهموم، نريد شابًّا يحمل هموم أُمَّته، ويصبح ويمسي وهو يتحرق ويتحرك على هذه الأُمَّة، يغلي قلبه كما يغلي المرجل فوق النار، يذوب فؤاده كلَّما رأى منكرًا لا يستطيع أن

QaradawiBooks.com

يُغيِّره، كلما سمع بأُمَّة تُعَذَّب من أمم الإسلام ولا يستطيع أن يطير إليها، كلما سمع بخبر من مآسي المسلمين، وما أكثر الأخبار التي تنقل إلينا مآسي المسلمين! كلما سمع شيئًا من هذا: ذاب فؤاده كما يذوب الملح في الماء. نريد هذا الشباب.

إنِّي أحيِّي هذا الشباب الذي أقام هذا الحفل من النادي العربي، ولا عجب أن يكون في هذه الندوة نادٍ عربي، بلغة العرب، بلغة القرآن، بلغة الإسلام، بلغة الثقافة الإسلامية، بلغة العبادة الإسلامية، بلغة التفاهم المشترك بين المسلمين بعضهم وبعض، لا عجب أن يكون هناك نادٍ عربي وأن يكون فيه شباب متألق يُحسِن الكلام؛ كأنَّه وُلِد في أرض العرب، كما سمعت من أبنائي، وأن يكون هناك جمعية للطلاب تُعنَى بترقية الطلاب في كل شأن من الشؤون، هذا ما لا نستبعده من هذه الندوة المباركة النافعة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذه البذور الطيبة، وأن يُنبِت منها النبات الحسن النافع، الذي يُؤْتِي أُكُله كلَّ حين بإذن ربه. اللهم آمين.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، واجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والنيات على الجهاد في سبيله، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. اللهم آمين.

QaradawiBooks.com

وصَلِّ اللهمَّ على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

٢٠

# الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشـــهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُـــنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنَّها لليلة كريمة غـــراء؛ تلك التي نلتقي فيها مع هذه المناســـبات الطيبة المبشرة مناســـبة افتتاح هذا المبنى لهذه الجمعية، التي نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل يومها خيرًا من أمسها، وأنْ يجعل غدها خيرًا من يومها، وأنْ تسير دائمًا مسددة الخطى، واضحة الغاية، مباركة الثمرات، اللهم آمين.

(١) ألقيت في جمعية الإصلاح الاجتماعي بدولة البحرين بمناسبة احتفالها بإنشاء المبنى الجديد للجمعية في مايو ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

## ذكرى الإسراء والمعراج:

في هذه المناسبة التي التقت مع مناسبة كريمة أخرى هي مناسبة الإسراء والمعراج، هذه الذكرى التي نذكرها دائمًا في كلِّ عام، بل نذكرها في كلِّ وقت؛ لأنَّ الله تعالى جعل لنا من الإسراء والمعراج شعيرة دائمة معنا، هي شعيرة الصلاة اليومية؛ فهي من بقايا تلك الليلة الكريمة ليلة الإسراء والمعراج.

وإذا ذكرنا السابع والعشرين من رجب، فإنَّنا نذكر مناسبة كريمة أخرى نسأل الله أنْ يمنَّ على المسلمين بمثلها، وهي مناسبة استعادة المسجد الأقصى وبيت المقدس، بعد أنْ اغتصبه الصليبيون نحو تسعين عامًا، ظل في أيدي هؤلاء الكفرة الفجرة حتى منَّ الله على المسلمين برجل مسلم جمع الناس على الله، ونفخ فيهم من روح الإيمان فكانت معركة حطين، ثم كانت معركة فتح بيت المقدس واستعادة المسجد الأقصى! كان ذلك سنة (٥٨٣) من الهجرة، أي منذ نحو ثمانية قرون وعشرين سنة، كان ذلك على يد صلاح الدين الذي دخل المسجد الأقصى في يوم الجمعة، وخطب خطيبه الخطبة المشهودة المسطرة في التاريخ، فعسى الله أنْ يمن علينا بصلاح الدين من جديد، وأن نعيد ما اغتُصِب منا، كما أعاد صلاح الدين ثالث المساجد المقدسة في الإسلام.

## الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل:

أيُّها الإخوة: موضوعنا في هذه الليلة هو «الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل»، وهذا في الحقيقة أحد أهداف جمعية الإصلاح، الهدف الرابع من أهداف جمعية الإصلاح الإسلامي في هذا البلد: العناية بالشباب باعتبارهم عدة اليوم وأمل المستقبل، العناية بهذا الشباب

QaradawiBooks.com

وبتكوينه جسميًّا وروحيًّا وعقليًّا وخلقيًّا واجتماعيًّا، فأهم ما تعمل فيه هذه الجمعية هو الشباب، فلا عجب أن تكون محاضرتنا هذه الليلة عن الشباب.

والشباب بالنسبة للأُمَّة ليسوا شيئًا هينًا، من هو الشاب؟ ومن هو الشيخ؟ ومن هو الطفل؟ الشباب هو مرحلة القوة بين ضعفين كما أشار القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. الضعف الأول ضعف الطفولة، والضعف الثاني ضعف الشيخوخة، وما بين الضعفين مرحلة القوة وهي مرحلة الشباب.

يبدأ الشباب تقريبًا عند البلوغ أو ما يقارب البلوغ، من هم قبل ذلك يسميهم الله أطفالًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور: ٥٨]. فإذا بلغوا الحلم انتهوا إلى مرحلة الشباب، يبدأ الشباب من بلوغ الحلم أي من سن الخامسة عشرة تقريبًا، وإلى أي سن؟ أو من هو الشيخ؟ بعض الناس مهما يبلغ لا يشيخ، هناك أناس لا تشيخ بالسن، وكما يقول بعض الشعراء:

**عمري إلى السبعين يجري مسرعًا والروح ثابتة على العشرين**[1]

فهو بروحه الشابة يظل على العشرين لا يزيد عليها، فالمسألة إذا أخذناها بالعزائم وبالحماس فقد لا يشيخ بعض الناس، ولكن إذا كان لا بدَّ من السن فأعتقد أنَّ الشباب ينتهي إلى الخامسة والأربعين أو الخامسة والخمسين، إلا أنَّه عندما يقال عن الشباب دائمًا يُراد الشباب في مراحله الأولى، ريعان الشباب ومقتبل الشباب، فهذا هو الذي ينبغي

(١) البيت للشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

توجيه العناية إليه، أمَّا من بلغ الأربعين؛ فإنَّه حتى وإن كان شابًّا فقد أصبح في مرحلة أخرى، وأصبح كما قيل: من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه. ولذلك قالوا: إذا بلغ الرجل الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار. وقالوا: إذا بلغ الرجل أربعين ولم يتب أمسك إبليس بلحيته وقال: وأبي لن تفلح أبدًا.

**مرحلة الطموح والأمل والكفاح:**

نحن إذا تحدَّثنا عن الشباب إذنْ إنَّما نعني الشباب في مراحله الأولى، مرحلة الطموح والأمل والأحلام، وهذا من خصائص مرحلة الشباب، فكما أنَّ الشباب مرحلة القوة ـ سواء مرحلة القوة في البدن أو القوة في العاطفة أو القوة في الغريزة ـ هو أيضًا مرحلة الطموح ومرحلة الأمل؛ فالطفل لا ينظر إلا إلى حاضره، والشيخ لا يكاد ينظر إلا إلى ماضيه، دائمًا ينظر إلى ذكرياته، إلى ما فات من عمره، ويقول ما قال الشاعر:

**ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل المشيب**[1]

ولكن الشاب ينظر إلى المستقبل، يتطلع دائمًا إلى الغد، فهذه من خصائص هذه المرحلة، إنَّها مرحلة الطموح والأحلام والأماني.

وهي مرحلة الكفاح والعمل أيضًا، إنَّ الحيوية والقوة التي منحها الله للشباب تجعله قادرًا على أنْ يكافح وأنْ يعمل، هذه من خصائص الشباب، ولكن إذا تحولت هذه الأشياء إلى غير الطريق النافع فإنها يمكن أنْ تكون نقمة بدل أنْ تكون نعمة؛ كأي طاقة: الطاقة الكهربائية أو

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: التذكرة الحمدونية (٢٠/٦)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

النووية أو غيرها يمكن أن تكون سلاحًا مدمرًا، ويمكن أنْ تكون مصدر الخير والنفع للناس، فالشباب طاقة، يمكن أن يُعمِّر، ويمكن أن يخرِّب ويدمِّر، حسبما وجَّهناه يكون.

غير مرخصة للطباعة

## الشباب حَمَلة الرسالات:

انتفعت الرسالات السماوية بالشباب ووجهته إلى الخير؛ فكان دائمًا هو حامل الرسالات وناصرها ومؤيدها، الذين وقفوا مع موسى عليه السلام كانوا شبابًا كما أشار إلى ذلك كتاب الله: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس: ٨٣]. ذرية نابتة ناشئة، وكذلك كان أهل الكهف شبابًا كما ذكر الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا شبابًا، نجد منهم من كان في العقد الأول من عمره مثل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، ومنهم من كان في العقد الثاني، أكبر واحد في الصحابة يُعرف كان هو أبا بكر الصديق، وكان في الثامنة والثلاثين من عمره حينما آمن برسول الله ﷺ، فالصحابة كانوا شبابًا، وكانوا هم أنصار الله وأنصار رسوله ﷺ.

## توجيه طاقة الشباب نحو الخير:

ولهذا ينبغي أن يُوجَّه الشباب وجهة الحق والخير، وأن تكون طاقاته في خدمة الحق والخير، هو قوة يمكن أن تستخدم في الحق والخير، كما رأينا موسى عليه السلام أعطاه الله القوة البدنية فكان يستخدم قوته في نصرة المظلوم، وفي ردع الظالم، ولكنَّه لما ضرب رجلًا ظالمًا مرة وكزه فقضى عليه قال: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٥، ١٦]. ومع هذا

QaradawiBooks.com

أصر أنْ يقف دائمًا في جانب الحقِّ، ولا يكون أبدًا في جانب الباطل، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، لن أكون عونًا لمجرم، ولن أكون سلاحًا ولا سوطًا في يد طاغية أو ظالم، وهكذا ظلت قوته في خدمة الخير؛ حتى ذهب إلى مدين وسقى للفتاتين، وحمل غطاء البئر وحده، ولذلك قالت عنه الفتاة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. قوة الشباب يجب أن تستخدم في سبيل الحقِّ، وفي سبيل الخير.

## مشكلة الفراغ وغياب القدوة:

ومن هنا إذا أردنا أن يكون الشباب عدة ليومنا، وأملًا لغدنا، فلا بدَّ أن نحسن توجيهه، لا بدَّ أن نملأه بالآمال الكبار، أن نضع أمامه أهدافًا، أن نجعله يحيا لرسالة، هم يشكون الآن من الفراغ، ويقولون: مشكلة الشباب الفراغ. والمشكلة قبل أن تكون فراغ الوقت هي مشكلة فراغ النفس من المثل العليا، من الآمال الكبيرة، الشاب في معظم بلادنا ـ للأسف ـ لا يعرف له مثلًا أعلى يرتبط به! الأجهزة الإعلامية والتوجيهية مسخت أمامه المثل العليا، لم تجعل أمامه قدوة، فأصبح المغنون والمطربون والممثلون أبطالًا ونجومًا كما يسمونهم، فأصبح الشباب يقلد هؤلاء، وبعد أن كان الشاب يقلد عليَّ بن أبي طالب، أو يقلد أسامة بن زيد الذي قاد الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، أو يقلد محمد بن القاسم بن محمد الثقفي فاتح السند في السابعة عشرة، كما قال الشاعر:

**إنَّ السماحة والمروءة والندى ... لمحمد بن القاسم بن محمد**
**قاد الجيوش لسبع عشرة حِجة ... يا قرب ذلك سؤددًا من مولد**[1]

(١) عيون الأخبار (٣٣٢/١).

QaradawiBooks.com

بعد أن كان الشاب في مجتمعاتنا الإسلامية يرى هؤلاء، ويضعهم نصب عينيه، ويحاول أن يكون واحدًا منهم، أصبح الآن يقلد أبطال الأفلام والمسلسلات وغير ذلك، فاضطربت الموازين، واختلت المعايير، واهتزت الرؤى أمام عينيه، وهذه هي مصيبة شبابنا في هذا العصر.

## غياب التوجيه الرشيد والتربية الصالحة:

إنهم لم يجدوا التوجيه الصالح، ولم يجدوا القدوة أمامهم؛ تخلت الأسرة عن مسؤوليتها، لم يعد هناك الأب الذي يرعى أبناءه، «**الرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته**»[1]، ولم تعد هناك الأم التي ترعى أولادها من الصغر وتربيهم على تقوى الله، وعلى حب الجهاد في سبيل الله، حتى إذا تفرقت بهم الأرض، وقُتل من قُتل واستشهد من استشهد، وقيل لإحدى الأمهات: أين أولادك؟ هذا قبره في البلد الفلاني، وهذا قبره في المدينة الفلانية. فقالت: باعدت بينهم الهمم.

أين الأم التي تربي أولادها؟ وأين الأب الذي يرعى أولاده ويفهم قول الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]؟ إنَّه يطعم أولاده، ويكسوهم، ويذهب بهم إلى المدارس، ويهيئ لهم أحسن فرص التعليم، ولكن: هل وقاهم النار؟ ما قيمة أن يتعلم الابن أرقى أنواع التعليم، ويحصل على أعلى أنواع الشهادات، ويتسلم أعلى المناصب في الدولة، ولكن للأسف يكون مصيره إلى جهنم؟ هل تقر عين أب إذا رأى ابنه كذلك؟ أين الأسرة؟ معظم الأولاد يعيشون يتامى في حياة والديهم؛ كما قال أمير الشعراء شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

**ليس اليتيمُ من انتهى أبوَاهُ من ... هَمِّ الحياةِ.. وَخَلَّفاهُ ذليلا**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

**فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلا**
**إنَّ اليتيمَ هو الذي تَلْقَى له أمَّا تخلَّتْ أو أبًا مَشْغولا**[١]

شُغل الآباء عن أبنائهم، وشُغلت الأمهات عن أولادهم وبناتهم، شُغل الجميع، شُغلت الأسرة وهي المدرسة الأولى، فأين مسؤولية الأسرة في تربية الشباب؟

## مسؤولية الأجهزة والمؤسسات المختلفة:

وأين مسؤولية المدرسة والجامعة والأجهزة التعليمية والمؤسسات التربوية؟ أين المعلِّم الذي يُعتبر أبًا بدل الأب، بل كان بعضهم يعتبر المعلم أفضل من أبيه، يقول: إنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية[٢]. ويقول الشاعر:

**فذاك مربِّي الروحِ والروحُ جوهرٌ وذاك مربِّي الجسمِ والجسمُ كالصدف**[٣]

أين هذا المعلم الذي قال فيه شوقي أيضًا:

**قم للمعلم وَفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا**[٤]

أين هذا المعلم؟ وأين المدرسة التي تلقن العلم والعمل والخلق؟

أين الجامعة التي تصحح المفاهيم وتنقي الفكر؟ للأسف أصبحت مهمة كثير من الجامعات أنْ تلقن الطلب مفاهيم خبيثة، وأنْ تشوه

(١) انظر: الشوقيات (١٨٣/١).
(٢) انظر: شرح مقامات الحريري لأبي عباس الشُّريشي (٣٩٧/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
(٣) ذكره بلا نسبة الميهي الشيبيني على شرح الستين المسألة من الفروض الواجبة على مذهب الشافعي للرملي صـ٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٠/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

المفاهيم الإسلامية، وأنْ تحارب التقاليد الإسلامية، ويقول بعض الجامعيين: إنَّ مهمة الجامعات أن تغير المجتمع. وإذا كانت مجتمعاتنا في الأساس مجتمعات إسلامية فمعنى تغيير المجتمع أي تحويل هذا المجتمع إلى مجتمع آخر مهتز مضطرب متأرجح، لا هو شرقي ولا هو غربي! هل هذه هي الأستذة والأكاديمية الجامعية؟

أين المسؤولية عن الشباب؟ الشباب مضيع حينما لا يجد الأسرة الموجهة، وحينما لا يجد المدرسة المربية، وحينما لا يجد الجامعة التي كانت عندنا في الأصل جامعًا، ما كان هناك فرق بين الجامع والجامعة، نشأت الجامعات في ظل الجوامع وتحت سقوفها لأنَّ الدين عندنا علم والعلم عندنا دين، لم يقم عندنا صراع بين العلم والدين أبدًا، لأن أول آية عندنا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. وكتابنا كتاب علم، وديننا يعتبر التفكر عبادة، والتفكر فريضة، أين دور الجامعة؟

**الدور السلبي لبعض المؤسسات:**

من الذي يقوم بالمهمة؟ الأجهزة الإعلامية؟ الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح، هذه الأشياء الخطيرة التي أصبحت تؤثر على الناس الآن بوسائل هي غاية في التأثير، لأنَّها تجمع بين التشويق والإثارة، وتملك الصوت والصورة، أصبح هناك أشياء خطيرة جدًّا، وأصبحت هذه الأشياء تتسلل إلى الناس وتدخل إليهم مخادعهم، لم يعد الأب هو صاحب السلطان في تربية أولاده، أصبحت هناك أدوات للتوجيه والتأثير تشاركه رغم أنفه، فإذا لم تكن هذه الأدوات مأمونة على حسن توجيه الشباب فلا بدَّ أننا سنواجه خطرًا.

QaradawiBooks.com

أيضًا لا بدَّ أن نُوجد في كل مسجد إماما موجهًا حسن التوجيه، قادرًا على العطاء، عارفًا بدينه، عارفًا بعصره، على أن هذه المهمة لا ينفع أن يقوم المسجد بها وحده؛ فماذا يستطيع المسجد وحده أن يفعل؟! وكما قال الشاعر:

**متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم**[1]؟

من هنا كانت المحافظة على الشباب، وعلى توجيهه مسؤولية كبيرة، فحينما يواجه الشباب هذا كله، ويواجه مع هذا حياة مضطربة: آمالًا تُضيَّع، وأحلامًا تُحطَّم، وأمة تُداس كرامتها، ومسلمون لا يُعرف لهم رأس من ذيل، وأحداثًا في كل يوم تُقطِّع نياط الفؤاد، حينما يواجه الشباب هذا؛ ولا يجد الموجهين الصالحين فهو في خطر عظيم.

## مهمة الدعاة الصادقين:

ومن هنا كانت مهمة الجماعات الصالحة، مهمة جمعية مثل جمعية الإصلاح، مهمة الدعاة الصادقين، مهمة المربين الذين يربون بالكلمة والقدوة، مهمة العلماء العاملين، مهمة الأجهزة الصالحة النافعة، مهمة هؤلاء جميعًا أن يحافظوا على هذه الثروة: ثروة الأُمَّة، مستقبل الأمة، الثروة ليست الذهب الأسود، وليست ما هو مذخور في الأرض، أو منشور على ظاهرها، أعظم ثروة للأمة هي الإنسان، والشباب بالذات هم صرة هذه الثروة، هم قلب هذه الثروة، مرحلة القوة والطموح والأمل والكفاح والعمل، فينبغي أن نحافظ على الشباب وإلا ضاع الشباب، وهذا هو الخطر.

---

(١) البيان والتبيين (٢٥٨/٣).

QaradawiBooks.com

بعض الشباب عملت فيه هذه المؤثرات التي أشرنا إليها، فتاه، وغاص في بحر عميق لا يُعرف له قرار، غزت قلبه الشهوات، وغزت عقله الشبهات؛ فزاغ فكره، وانحرف سلوكه، عمل الغزو الفكري عمله في حياته!

ومن ناحية أخرى عملت المؤسسات المشبوهة التي يسرت له الحرام وأغرت به، فكثرت المغريات بالشر، وكثرت المعوقات عن الخير أيضًا فضاع الشباب، سماسرة الإباحية بجوار سماسرة الإلحاد، الاثنان يعملان معًا، الفريقان يتعاونان لإفساد العقيدة وإفساد السلوك، فوجدنا الكثيرين من الشباب قد ضاعوا، ولم يجدوا من ينقذهم وينتشلهم مما هم فيه.

## معنى رعاية الشباب:

قامت في كثير من البلاد وزارات للشباب، وأجهزة للشباب، ومجالس لرعاية الشباب، ولكنها للأسف لم تنقذ الشباب ولم تساعدهم، ظنوا أنَّ الشباب مجرد أجسام يجب أن تقوى بالرياضة، أو أن مرحلة الشباب مجرد مرحلة مرح ولهو، يجب أن يتاح اللهو للشباب، والشباب جسم وعقل وعاطفة وروح، فلا بدَّ أن يُغذَّى هذا الكيان كله.

من الذي قال: إنَّ رعاية الشباب تعني مجرد أن يتاح لهم أن يلعبوا الكرة أو نحو ذلك؟ لا مانع أن يلعب الناس الكرة، ولكن حينما تصبح الكرة هدفًا، حينما تصبح صنمًا، ويتحزب الناس من أجلها، وتُنفق عليها عشرات الملايين؛ في حين لا يُنفق مثلها ولا عُشرها على المراكز البحثية والمراكز الدينية فلا نكون قد فهمنا ما هو الشباب، وما معنى رعاية الشباب.

ضاع الشباب بين الكأس والمرأة والتحلل، فأصبح هؤلاء لا نفع منهم ولا رجاء فيهم لأمتهم ولا لأنفسهم، إنِّي لأسمع؛ من المكالمات

QaradawiBooks.com

التي تسألني دائمًا، وأقرأ في الرسائل التي تأتيني مدى الفساد الذي يدب في مجتمعاتنا: الزوجة التي تشكو من زوجها، والبنت التي تشكو من أبيها، والأم التي تشكو من ابنها؛ وقد غرقوا في الخمور والمسكرات والمخدرات؛ ما لا ينبغي أن يكون هذا في مجتمعنا.

ركبت الطائرة في يوم من أيام رمضان، وقامت الطائرة قبل المغرب بقليل وطلب مجموعة من الشباب الويسكي: للمسافر أن يفطر، ولكن ما للإفطار وما للويسكي؟ ونحن معلقون بين السماء والأرض! بين الموت والحياة.. لو أنَّ مسمارًا أو زرًّا اختل في هذه الطائرة ماذا يحدث لنا؟! ولكن هذا كله يحدث لشبابنا! هناك جملة كبيرة من الشباب ضاعت، وإذا ضاع هؤلاء الشباب فماذا بقي للأمة؟

**شباب الصحوة الإسلامية:**

ولكن بجوار هذا لا بدَّ أن نُكمِّل الصورة؛ حتى نكون منصفين لشبابنا، وحتى لا يغلب اليأس علينا، فبجوار هؤلاء الضائعين نجد طائفة أخرى من الشباب هداهم الله بالإسلام وللإسلام، فرأينا هذه الصحوة! صحوة الشباب الإسلامي في كل مكان من أقطار العالم الإسلامي، بل خارج العالم الإسلامي، في الجاليات المختلفة، في الشرق الأقصى، في أوروبا وفي أمريكا! رأينا هؤلاء الشباب المؤمنين الصادقين التوابين، صُوَّام الاثنين والخميس، وقُوَّام الليل، والمستغفرين بالأسحار، قرَّاء القرآن، دارسي الحديث، رأينا هذا الشباب المسلم الملتزم في كل مكان.

رأينا هذه الصحوة الإسلامية بعد ضربات متتالية، ومحن متتابعة على الحركات الإسلامية، وعلى طلائع الوعي الإسلامي! بعد هذه الضربات والمحن التي اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء، واستُشهد

QaradawiBooks.com

فيها من استُشهد، ظنَّ الناس أن لن تقوم للإسلام قائمة، أنَّ بساط الإسلام قد طُوِي، وأنَّ الحركة الإسلامية لن ترتفع لها أعلام بعد اليوم، ولكن شاء الله أن نرى هذه اليقظة الإسلامية العارمة تمتد طولًا وعرضًا وعمقًا، شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا! في كل مكان رأينا صحوة الشباب الإسلامي، رأينا هذا الشباب الذي أحيا من السنن والآداب ما مات، وعاد يقرأ الإسلام ويدرس الإسلام.

هذا الشباب هو الذي يطمئننا، والذي نرى فيه بشائر الغد، فلو بقينا على الجانب الأول من الصورة لغمرنا اليأس، ولكن الجانب الثاني من الصورة يبشرنا، ويرينا أنَّه يمكن أن نستنقذ شبابنا، وأن نستنقذ أمتنا؛ لو أحسنا توجيه الشباب.

### الإسلام هو طوق النجاة:

ولا يمكن أن نجد سفينة للإنقاذ، ولا طوقًا للنجاة إلا عن طريق الإسلام! إذا غرسنا في شبابنا الاعتزاز بهذا الدين، والشباب أيضًا من خصائصه الثقة والاعتزاز، فبدل أن يعتز بقوته، أو يعتز بنسبه، أو يعتز بشيء من الدنيا؛ لنجعله يعتز بالإسلام، وبالانتماء إلى الإسلام! لما سئل سلمان الفارسي: ابن من أنت؟ فماذا كان جوابه؟ لم يقل: أنا ابن فارس أو ابن كسرى أنوشيروان. ولكن قال: أنا ابن الإسلام[١]. ولذلك شرفه النبي ﷺ ونسبه إلى بيته وقال: «**سلمان منا أهل البيت**»[٢]. وكان الرجل المسلم يقول:

**أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم**[٣]

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١).

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٦٧.

(٣) هو نهار بن توسعة، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٨/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحينما خاض عمر بن الخطاب رضي الله عنه المخاضة التي قابلته في طريقه إلى بيت المقدس، شمر عن ساقيه، وخلع نعليه، وخاض في الطين والماء، فقال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين لو فعلت غير هذا؛ فإنَّ هؤلاء قوم يعرفون الأبهة ويكترثون بالمظاهر. فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نحن كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أذلَّنا الله[1].

## الإسلام هو الغاية وهو الطريق:

لو أنَّنا عرفنا هذا وغرسنا في أنفس شبابنا الاعتزاز بالإسلام لوجدنا أننا نسدي لأمتنا خيرًا كبيرًا، بل لا يمكن أن نخدم أمتنا بغير هذا الطريق، من أراد أن يرعى الشباب فليرعه بالإسلام، لا رعاية للشباب بغير الإسلام، الإسلام وحده هو الغاية، والإسلام وحده هو الطريق.

بالإسلام نستطيع أن نربي الشاب المسلم القوي، الذي يستطيع أن يقف في أحلك الساعات، ويصمد في أشد الأزمات، لا تنحني هامته، ولا تطأطأ رأسه أمام الأحداث، الشاب القوي الذي يعلم أن رزقه بيد الله، وأجله بيد الله، وأن خير ما يقدم فيه نفسه أن يكون في سبيل الله، لو أننا نشَّأنا الشباب على هذه النفسية لجعلنا منه شيئًا آخر، لجعلنا منه أسامة بن زيد من جديد، ومحمد بن القاسم من جديد، وصلاح الدين من جديد، لأوجدنا الشاب المسلم.

لا طريق لأنْ نرعى الشباب ونُكوِّن الشباب بغير هذا الإسلام! الإسلام وحده هو القادر على أن يصنع الشاب المسلم القوي، نستطيع أن نضع أمامه الأهداف الإسلامية، نستطيع أن نغرس فيه الاعتزاز

(١) سبق تخريجه صـ٧٥.

QaradawiBooks.com

بالإسلام، نستطيع أن نعلمه الإســلام الصحيح، الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ، وطبَّقه خلفاؤه الراشــدون من بعده، وعاشت به الأمة قرونًا مزدهرة هي خيــر القرون، ولم يزل هو الأرضية التــي تقف عليها الأمة طيلة ثلاثة عشــر قرنًا، ما عرفت الأمة غير الإسلام تشــريعًا أو توجيهًا؛ حتى جاء الاستعمار ودخل بلاد المسلمين.

يجب أن نربي شبابنا بالإسلام وعلى الإسلام، بهذا نستطيع أن ننشئ جيلًا جديدًا لأمتنا، وهذا أمر يسير؛ لأنَّ رصيد الإسلام في الفطرة موجود، أمتنا أُمَّة مســلمة رغم كل هذه المظاهر التي نراها، الأصل هو الإســلام، المعدن هو الإسلام، إذا أزلت الغبار أو الصدأ عنه وجدت الإسلام، ولذلك لا يمكن أن تحــرك الأمة بغير نغمــة من النغمات، ولا بأي أنشــودة من الأناشيد، لا باسم القومية، ولا باسم الاشتراكية، ولا بشيء آخر تستطيع أن تحرك جماهير هذه الأمة، فقط باسم الله، باسم الإسلام، باسم الإيمان، بأن تسير وراء محمد ﷺ، بأحلام الجنة، بهذا وحده تستطيع أن تنشئ أجيالًا تزول الجبال ولا تزول، هــذا هو الواجب علينا، على المســؤولين، على الجماعات، على كل من ولَّاه الله ســلطة أن يعمل على استنقاذ هذه الأمة؛ باستنقاذ شبابها، ولا يمكن أن يُستنقذ شبابها إلا بالإسلام.

### الإسلام المتكامل الصافي:

ولكن أي إســلام القادر على استنقاذ الشــباب؟ الإسلام الصحيح، الإســلام المتكامل، أن يؤخذ الإســلام كله، لا أن يُجزَّأ، الخطر الذي نواجهه الآن أن يُزاد على الإســلام ما ليس منه؛ بالبدع والشوائب التي تُلصق بالإسلام، وليســت منه، أو بالحذف من الإسلام، بأن نُخرج من الإســلام ما هو من صلبه، أن نجعل الإســلام عقيدة بلا شــريعة، دينًا

QaradawiBooks.com

بلا دولة، أو حقًّا بلا قوة، أو مصحفًا بلا سيف، أو سلامًا بلا جهاد، أو زواجًا بلا طلاق، إلى آخر ما يريد هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا منه نصرانية أخرى، أو يجعلوه إسلامًا مستأنسًا غير الإسلام الأول! نحن نريد الإسلام متكاملًا، لا نتنازل عن شيء منه، ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فلا بدَّ أن يؤخذ الإسلام جملة، ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في شرائع الإسلام كافة، ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض؛ كما كان بنو إسرائيل، فالإسلام الذي نريده ونريد أن نربي عليه الشباب هو الإسلام المتكامل.

## الإسلام المتوازن المعتدل:

وهو أيضًا الإسلام المتوازن، الذي يوازن بين العقل والقلب، بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، بين حق الفرد ومصلحة المجموع، بين المثالية والواقعية، دين التوازن، هو دين الوسط للأمة الوسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، هو الصراط المستقيم الذي نسأل الله أن يهدينا إليه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

نحن نريد الإسلام المتوازن، الإسلام المعتدل الذي لا غلو فيه ولا تفريط؛ فإنَّ الذي نخشاه أن نضيع بين المُفْرِطين والمُفَرِّطين، بين الغلاة والمقصرين، بين الذين يريدون أن يُحلِّوا للناس كل شيء، يريدون إسلامًا سائبًا لا زمام له ولا خطام، أو الذين يريدون أن يحرموا على الناس كل شيء، لا، نريد الإسلام المعتدل، هذا ما نريد أن نُفقه شبابنا عليه، أن نعلمه هذا الإسلام المعتدل المتوازن.

الخشية إذن أن نجد الذين يريدون إسلامًا على هواهم، يريدون إسلامًا شيوعيًّا أو رأسماليًّا، شرقيًّا أو غربيًّا، لا، نريد إسلام القرآن

QaradawiBooks.com

والسُّنَّة، إسلام الصحابة والتابعين، وهذا الإسلام لا يمكن أن يكون فيه غلو، ولا يمكن أن يكـون فيه تضييع، الخطر الـذي نخافه أن نجد من الناس من يريد أن يميع الإسلام، ويذيب فيها الحدود.

**مراعاة الفروق والمراتب:**

والخطر الآخر أن نجد أولئك المتشددين والمتزمتين الذين يريدون أن يفرضوا التشـدد على كل شـيء، حتى أذابوا الفـروق بين المراتب بعضها وبعض، فلا يكادون يفرقون بين سـنة وواجب، ولا بين واجب وفرض، ولا بين فرض عادي وفرض ركـن، ولا بين العقائد والأعمال، كذلك لا يفرقـون بيـن المكروهات والشـبهات، ولا بين الشـبهات والمحرمات، ولا بين الصغائر والكبائر، ولا بين الشرك وسائر الكبائر، هناك مراتب للأعمال مأمورات ومنهيات يجب أن تُحفظ.

وهناك مراتب للناس أيضًا، يجب أن يُعطى كل إنسان مرتبته، هناك الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات بإذن الله، لكل مرتبته، ولكل حكمه، لا ينبغـي أن نفتي القوي بما نفتي بـه الضعيف، ولا ينبغي أن نحمل الناس كلهم على حالة واحدة، ولذلك فـإنَّ الذين يحملون راية التشدد والغلو والإفراط خطرون أيضًا على مستقبل الصحوة الإسلامية.

**حماية شباب الصحوة:**

ومن هنا ينبغي أن نحمي صحوة الشباب الإسلامي من الصنفين معًا، من المُفَرِّطين المضيِّعين، ومن الغـلاة المُفْرِطين، فإن هناك جهات تريد أن تشغل الصحوة الإسـلامية بأشياء تحرفها عن مسـارها، بحيث تدع الصراط المستقيم، وتمشـي في بنيات الطريق! هناك من يريد أن يشغل

QaradawiBooks.com

الشباب المسلم بتوافه الأمور، بالقضايا الجانبية، بالمسائل الفرعية، بالمسائل الجزئية، ويجعل من ورائها معارك لا تنتهي، هذا ما رأيناه: جهات تلعب أصابعها في الخفاء في هذه الناحية.

منذ أشهر ذهب أمريكاني معروف بدراسة الحركات الإسلامية إلى بعض البلاد، وسأله سائل: ما الذي جاء بك هنا؟ قال له: جئت أدرس الخلاف بين الجماعات الدينية. ترى أيدرس هذه الخلافات لوجه الله؟ أم لتوضع تحت الدراسة وعلى مشرحة البحث أمام الأخصائيين ليعرفوا كيف ينفخون في نارها، وكيف يستطيعون أن يرموا لها بالوقود، وأن يجعلوا منها معارك كبيرة مستمرة بين هذه الجماعات؟ فالقوم إذنْ وراء هذه الأمور! أنا لست من الذين يحبون أن يفسروا كل شيء بأنَّ وراءه مخططًا أجنبيًّا، وأنَّ وراءه مؤامرة صهيونية أو استعمارية، ولكن الوقائع تشير إلى هذا.

وهؤلاء يستفيدون من وراء هذا فوائد كثيرة ومكاسب جمة، منها تنفير الناس من الداعين إلى الإسلام، حينما يرون هذا الصنف المشدد المتزمت الذي يقاتل الناس من أجل سنة، أو من أجل أدب من الآداب، فإذا نفرت جماهير الناس وجموع الشعب من هذا كان كسبًا كبيرًا لهم.

ومن ناحية ثانية يشغلون القوى الإسلامية المتحركة بعضها ببعض، فيضرب بعضها بعضًا، ويهم بعضها بعضًا، وهم يتفرجون، يخربون بيوتهم بأيديهم.

ومن ناحية ثالثة تُستغل طاقات الشباب وقدراتهم، التي يمكن أن تعطي وأن تبدع، وأن تنتج في هذه المعارك التافهة.

ثم من ناحية أخرى يُعطى مبرر للسلطات المتربصة بضرب الحركات الإسلامية؛ حينما يكونون في كل يوم في معركة بعضهم مع بعض.

QaradawiBooks.com

ثم تأتي النهاية.. تيئيس الناس من الدعوة إلى الإسلام، ومن دعاة الإسلام، وإشاعة أن نهاية الدعوة إلى زوال، ومصير الصحوة إلى نوم، والمد إلى جزر، لا بدَّ أن تُضرب من الخارج، أو تتآكل من الداخل.

ومن هنا ينبغي أن نكون يقظين لهذه المؤامرات التي تُحاك في الظلام، والمكايد التي تُبيَّت بالخفاء، لا بدَّ أن نحرص على صحوة الشباب المسلم، وأن نجنبها العثار، وأن نرشِّد خطاها بالإسلام الصحيح، لا نعتسف في تأويله، ولا نلوي أعناق نصوصه ليًّا، ولكن نستهدي بفقه الصحابة والتابعين، الذين هم أفقه الناس لروح الإسلام ومقاصد الإسلام، بهذا وحده نحمي شبابنا! بهذا وحده نستطيع أن نقدم لأمتنا خيرًا إذا قدَّمنا إليهم هذه الباقة من الشباب المسلم!

## فرد ذو همة يحيي أُمَّة:

إنَّ كل واحد من هؤلاء شباب فرد في نفسه، ولكنَّه بألف أو بأكثر من ألف، فرد ذو همة يحيي أُمَّة، هؤلاء الشباب المؤمنون هم معقد آمال هذه الأمة، هم ثروتها، هم حقيقة مستقبلها، فعلينا أن نعمل على حماية هؤلاء الشباب والمحافظة عليهم، وأن نحافظ عليهم بالإسلام، أن نجمعهم بالإسلام، وأن نربيهم بالإسلام، وأن نحافظ على صحوتهم ويقظتهم أيضًا بالإسلام، فالإسلام وحده ـ كما قلت ـ هو الغاية، وهو الطريق، وهو المقياس والميزان، ولا شيء غير الإسلام، بهذا وحده نستطيع أن نسير في الطريق على هدى وعلى بصيرة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

٢١

# الشباب المسلم وأولويَّات العمل الإسلامي(١)

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## نماذج من الشباب في القرآن:

حديثنا هو عن الشباب المسلم وأولويَّات العمل الإسلامي، وللشباب في الإسلام منزلة عظيمة، ولهذا عُني القرآن به، وضرب لنا نماذج من الشباب؛ لكي نتطلع إليهم ونقتدي بهم.

من هؤلاء نموذج الشاب الثائر على الباطل، الداعي إلى الحقِّ، الَّذي لا يبالي في سبيل الحقِّ لومة لائم، وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، الَّذي أبى

(١) ألقيت في العاصمة الموريتانية نواكشوط، بدعوة من مركز تكوين العلماء، في مايو ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

إلا أنْ يُحطِّم الأصنام، وحلف على ذلك، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]. وبعد أنْ وَلَّوْا مدبرين ذهب بفأسه إلى هذه الأصنام التي يعبدونها، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. فتَّتها تفتيتًا، وحينما حَطَّم سيدنا إبراهيم الأصنام لم يكن شيخا، بل كان فتًى، ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠]. هذا الفتى هو الَّذي حطَّم الأصنام في عهد الفتوة والشباب.

كما ذكر لنا القرآن نموذجًا للشاب الَّذي يضحي بنفسه في طاعة الله، ويُقدِّم عنقه لله، ذلكم هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، الَّذي ابتلى الله تعالى أباه حين أشار عليه بذبحه في الرؤيا، ورؤيا الأنبياء حقٌّ ووحيٌ، وكان إبراهيم يتوق إلى ولد له، ورزقه الله تبارك وتعالى بهذا الولد وهو في الثمانين من عمره، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ولذلك حين وُلِدَ الولدُ تعلَّق قلب أبيه به، وكلما كبُر نما حبُّه في قلب أبيه، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. أي: أصبح قادرًا على أنْ يساعد أباه، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. قال: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. نفِّذْ الأوامر التي عندك، لم يقل: افعل بي ما تؤمر. لم يذكر نفسه، كأنه فَنِيَ عن نفسه، أو عن ذاته، ولم يقل ذلك ادِّعاءً للبطولة، ولكن قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. وقدَّمَ بالفعل عُنقَه، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]. ثم

QaradawiBooks.com

فَدَاهُ الله تعالى بِذِبْحٍ عظيم، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]. لهذا كان إسماعيل نموذجًا للشباب، مثلما كان أبوه من قبل.

كما قدَّم لنا القرآن ـ أيضًا ـ نموذجًا آخر لشابٍ ابتُلي بمحن شتى فصبر، ابتلى بأنْ يلقى في الجب ظلمًا، وأنْ تتعرض له فتنة تسعى إليه راكضة، ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]. وهيَّأت الأسباب، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. فصبر هذا الشاب على الفتنة، وصبر على السجن الَّذي دخله ظلمًا، ولذلك قال في نهاية القصَّة، حينما كشف عن نفسه أمام إخوته: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وضربَ لنا القرآن نموذجًا آخر في الطاعة والبر والحنان هو يحيى عليه السلام، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٤]. وذكر لنا القرآن نموذج فتية الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤].

هذه النماذج القرآنيَّة تدلُّنا على أنَّ عند المسلمين مجالًا لتربية شباب مؤمنين، مضحِّين في سبيل الله، مستعدِّين أنْ يبذلوا النفس والنفيس، والغالي والرخيص، طاعةً لأمر ربهم، ونُصرةً لدينهم، وحُبًّا لكتاب ربِّهم وسُنَّة نبيِّهم، فهذا هو الشباب الَّذي نتحدث عنه اليوم، نلقاه في هذه القاعة، ونستمد منه القوَّة، حتَّى نحيي الشيخوخة بدم الشباب، وإن كان بعض الشعراء لا يعترف بالشيخوخة، ويقول بعضهم:

**جِسْمِي إلى التِّسْعِينَ يَزْحَفُ مُسْرِعًا والـرُّوحُ ثَابِتَـةٌ على العِشْـرِينَا**

QaradawiBooks.com

فلنحاول أن نكون من هؤلاء، ونقاوم الشيخوخة، مع أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، إلا الهَرَم**»[١]. إلا الشيخوخة، ولكن بالإيمان، والعزيمة، والروح القويَّة يستطيع الإنسان أنْ يكون شيخًا بسنِّه، وشابًّا بعزمه وتصميمه إنْ شاء الله.

## توضيح المصطلحات:

قلنا: إنَّ حديثنا عن الشباب المسلم وأولويَّات العمل الإسلامي بالنسبة للشباب بالذات، والعمل الإسلامي هو العمل لنصرة الإسلام، هناك مصطلحات نستخدمها، نقول أحيانًا: الدعوة الإسلاميَّة. وأحيانا: الصحوة الإسلاميَّة. وأحيانًا: الحركة الإسلاميَّة. هذه مصطلحات متقاربة، ولكنها ليست مترادفة.

## الصحوة الإسلاميَّة:

الصحوة الإسلاميَّة هي تلك اليقظة العامة، يقظة الإسلام التي فاجأت العالم، كان الناس يظنون أنَّ الإسلام قد طُوِي بساطه، وقد غربت شمسه، بحكم الضربات الوحشيَّة التي نزلت بدعاة الإسلام، وظنَّ الظانُّون أنَّها أثَّرت، وأنَّ الحركة الإسلاميَّة انتهت، ولكن الله خيَّب ظنون هؤلاء؛ فشمس الإسلام لا تنطفئ أبدًا ولا تغيب، إنَّها تغيب في أفق، وتطلُع في أفق آخر، هكذا عرَّفَنا التاريخ.

علَّمَنا التاريخ أنَّ الإسلام ضُرِب وخرج من أوربا في الأندلس، ليدخل أوربا مرَّة أخرى عن طريق البلقان، ليدخل محمد الفاتح إلى

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٥)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثتهم في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

QaradawiBooks.com

القسطنطينية ويفتحها، وتقوم الدولة العثمانية الفتيِّة، وكانت الدولة الإسلاميَّة في مطلع أمرها دولة إسلاميَّة، دولة فتح وجهاد والتزام، حتَّى إنَّ محمدًا الفاتح قرأ في مستدرك الحاكم وغيره حديث النبيِّ ﷺ: «**لتُفْتَحَنَّ القُسْطَنْطِينِيَّة، فلنعمَ الأميرُ أميرُها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيشُ**»[1]. فتاقت نفسه أنْ يكون هو الأمير الَّذي جاءت به البشارة النبويَّة، وأنْ يكون جيشه ذلك الجيش، وكان في التاسعة عشر من عمره، فخطَّط تخطيطًا معروفًا تاريخيًّا لفتح هذه المدينة التي كانت من أشد المدن مناعةً ومنعةً، ولكنَّه خطَّط ليدخلها بطريقة يجب أنْ تقرؤوها وتدرسوها أيُّها الشباب والشابات، لتعرفوا كيف يصمِّم الشباب، وكيف يصلون إلى ما يريدون؟

## العمل الإسلامي:

المقصود بالعمل الإسلامي العمل الشعبي الجماعي المُنظَّم المحتسب لخدمة الإسلام ونصرته، عقيدةً وشريعةً، ودعوةً ودولةً، وعبادةً ومعاملةً، وحقًّا وقوةً.

## عمل شعبي جماعي:

هذا العمل شعبي، ليس عملًا رسميًّا، محتسب لا يبغي أجرًا من أحد إلا من الله ﷻ، وهو عملٌ جماعي لأنَّ العمل الفردي لا يُغْني في نصرة الإسلام، وتحقيق أهداف أُمَّته الكبرى، فالَّذين يعملون فرادى جزاهم الله خيرًا، ولكن هناك أهداف الكبرى للأمة: أنْ تجمع الأُمَّة على الهدى، وقلوبها على التقى، وتحيي ما مات من عزائم المسلمين، وتعيد الشريعة

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

لتحكم الحياة، وتوحد الأُمَّة بعد تفرُّقها وتشـــرذُمها، أنْ تجعل من هذه الأُمَّة التي أصبحت في ذيل القافلة رأسًا فيها.

هذه الأهداف الكبيرة لا ينفع لتحقيقها أنْ تعبد ربك وحدك، وتعمل وحدك، لا بدَّ أنْ يكون العمل جماعيًّا، فيد الله مع الجماعة، ومَنْ شذَّ شذَّ في النـــار، فلا بدَّ مـــن التواصي بالحـــق والصبر، والتعـــاون على البر والتقوى، والاعتصام بحبل الله جميعًـــا، وعدم التفرُّق؛ فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشـــدُّ بعضه بعضًا، وإنَّما يـــأكل الذئب من الغنـــم القاصية أو الشاردة، كلُّ هذا يؤصِّل للعمل الجماعي.

**عمل مُنظَّم:**

ولا بدَّ أنْ يكون عملًا جماعيًّـــا منظمًا، به قيادة وقاعـــدة، حتَّى إنَّ النبـــي ﷺ يقـــول: «**إذا كنتم ثلاثةً في سَـــفَرٍ فأمِّـــروا أحدَكـــم**»[(١)]. حتَّى لا يختلفوا في الأمور الصغيرة ويضيعوا وقتهم، ويشـــتِّتوا جهودهم في قيل وقال، فهذا العمل الشـــعبي الجماعي المُنظَّم المحتســـب هو الَّذي نعنيه إذا قلنا: العمل الإسلامي، أو الحركة الإسلاميَّة.

إذا أردنا أن نجدِّد للإسلام شبابه، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سَنَة مَنْ يُجَدِّد لها دِينَها**»[(٢)]. فهذا التجديد لا يكون إلا بمثل هذا العمل، الَّذي يعمل فيه العاملون متضامنين مؤتلفين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفـــال: ٦٢، ٦٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧١.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٧٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالمرءُ قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته، هذا ما نقصده حينما نقول: العمل الإسلامي، أو الدعوة الإسلاميَّة، أو الحركة الإسلاميَّة.

غير مرخصة للطباعة

## أولويَّات العمل الإسلامي:

ولهذا العمل المنشود أولويَّات، فالعمل الإسلامي واسع الميادين، وقضايا الأُمَّة الإسلاميَّة التي تحتاج إلى خدمة، وإلى يقظة، وإلى إعداد، وإلى تهيئة، وإلى تكوين للرجال، هذه الأعمال كثيرة جدًّا، ولكن هناك أولويَّات.

## فقه الأولويَّات:

هناك فقه ناديت به وسمَّيته «فقه الأولويَّات»، وكنت سمَّيته في كتابي «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف» فقه مراتب الأعمال، فليست الأعمال في درجة واحدة، بل هي مراتب ودرجات، ولكلٍّ منها تسعيرة خاصة.

النبيُّ ﷺ يقول: «**الإيمانُ بضعٌ وستُّون** ـ أو بضعٌ وسبعون ـ **شُعْبَةً، أعلاها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شُعبةٌ من الإيمان**»[1]. فهناك أعلى، وهناك أدنى، وبين الأعلى والأدنى أوساط ومراتب عديدة، فيجب أنْ تظلَّ الأشياء محتفظة بمراتبها، فلا يجوز أنْ تقدم إماطة الأذى من الطريق على لا إلٰه إلا الله، ومن فقه الأولويَّات أنْ تضع كل شيء في مرتبته، تعطيه تسعيرته المقررة له.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## اختلال فقه الأولويَّات بين المسلمين:

عندما كان المسلمون مسلمين حقًّا أعطوا لكل شيء حقَّه ودرجته، فلما ساء فهمهم للإسلام، وساء تطبيقهم له قدَّموا ما حقُّه التأخير، وأخَّروا ما حقُّه التقديم، وصغَّروا الكبير، وكبَّروا الصغير، وعظَّموا الهين، وهوَّنوا العظيم، وهذا أمور لا تُقبل في ميزان الإسلام، يقول الإمام الغزالي: فقد الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور[١]. فلا يصح أنْ تُقدِّم النفل على الفرض، هذا عبث، ولذلك قالوا: مَنْ شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومَنْ شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[٢].

والأمة الإسلاميَّة أحيانًا تقدِّم النوافل على الفرائض، تجد الرجل يحج بدل الحجة الواحدة سبعة أو عشرة أو عشرين حجة، وأعرف أناسًا حجوا حوالي خمسين مرَّة، منذ شبابه يحج كل عام مع مجموعة من الناس ـ حوالي مائة شخص ـ يتكلف الواحد حوالي عشرين ألفًا أو ثلاثين.

قلت لهم ذات مرَّة: ما رأيكم أنْ تدعوا الحج هذا العام وتأخذوا نفقات الحج، وتعملوا بها مشروعًا إسلاميًّا، أو ساهمتم به في إنقاذ بلد مسلم من مجاعة، أو وقفتم به ضد التنصير، أو ضد الشيوعية؟ فقالوا: ما المانع أن نعمل الأمرين؟ فقلت لهم: لن يحصل، وإذا حصل هذا العام لن يحصل العام القادم. فقالوا: لو رأيتنا حين يهل علينا شهر ذي الحجة نجد أرواحَنا ترفرف حول الكعبة، تَوقًا إلى الطواف والسعي إلى آخره.

---

(١) رسالة أصناف المغرورين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي صـ٤٤٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٢) ذكره الحافظ في فتح الباري (٣٤٣/١١).

QaradawiBooks.com

فقلت لهم حينذاك: لو أحسنتم فقه الإسلام لرفرفت أرواحكم حول البوسنة والهرسك التي يحدث لأهلها ما يحدث، ولا يجدون مَنْ ينصرُهم، لشعرت أرواحكم بالسعادة حين تنقذ مسلمًا من الضياع، من سفك الدم، من الجوع، من كذا وكذا. فهذا من فقه الأولويَّات.

## حاجة الشباب إلى فقه الأولويَّات:

نحن إذنْ في حاجة إلى فقه الأولويَّات، وأحوج الناس إلى هذا الفقه هم الشباب، لأنَّهم يعملون به في أنفسهم، ويحملونه إلى أجيال الغد، أنْ تقدِّم الأمر الَّذي يجب أنْ يقدَّم، وتؤخِّر الأمر الَّذي يجب أنْ يُؤخَّر، فليس معقولًا أنْ ينشغل بعض الناس بالمكروهات والمستحبات، ولا ينشغلوا بالمحرمات والواجبات، أو ينشغل بصغائر المحرمات، ولا ينشغل بكبائرها، أو ينشغل بالأمور المختلَف فيها، ولا ينشغل بالأمور المتَّفق عليها، هذا كله ضد فقه الأولويَّات.

## أولويَّة الفكر على العمل:

ولذلك إذا أردنا أن ننصح الشباب في هذا الأمر فأنا أقول: هناك أشياء أولى من أشياء، فالأشياء المتعلقة بالعلم والفكر أهم من الأشياء المتعلقة بالعمل والسلوك، لأنَّ العلم والفكر يصحِّح تصورك للعقائد والقيم والمفاهيم، فالعبادة لا تصح إلا إذا سبقها العلم، ولذلك كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. والقراءة هي مفتاح العلم، ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧].

نزلت هذه الأمور التي تتصل بالعمل، والعلم يجب أنْ يتقدم عليها، ولذلك جاء عن الحسن البصري: أنَّ هناك أناسًا طلبوا العمل قبل العلم

QaradawiBooks.com

فضيَّعوا أنفسهم، وسفكوا دماء المسلمين، ولو طلبوا العلم أولًا ما فعلوا ذلك[١]. يُشير إلى الخوارج الذين لم يفقهوا القرآن؛ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، لم يدخل إلى أعماق رؤوسهم وعقولهم، فاستباحوا دماء المسلمين، حتَّى إنهم استباحوا دم فارس الإسلام وابنه البكر عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال شاعرهم يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليٍّ:

**يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أراد بها ... إلَّا ليبلغَ من ذي العَرْشِ رضوانَا**
**إنِّي لأذكره يومًا فأحسبه ... أوفى البريَّة عند الله ميزانَا**[٢]

سبب هذا الغلوِّ أنَّهم لم يفقهوا أولويَّات الإسلام، لم يعرفوا ماذا يجب عليهم أولًا؟

وهناك مَنْ يقع في عصرنا في هذا الغلو، فالَّذين أساؤوا فهم الإسلام في هذا العصر، وقتلوا من المسلمين ما قتلوا، وقتلوا من أقوامهم قبل أنْ يقتلوا من الكفار المعتدين، إنَّما فعلوا ذلك نتيجة أنَّهم لم يفقهوا أولويَّات الإسلام، لم يعرفوا مَن الَّذي يجب أنْ يُقاتَل، ومَنْ الَّذي يجب ألا يُقاتل؟

## أولويَّة عمل القلب على عمل البدن:

من هنا أدعو الشباب أنْ يعرف أنَّ العلم والفكر مُقدَّم على الأعمال، وأنَّ عمل القلب مُقدَّم على عمل البدن، الطاعات القلبيَّة مُقدَّمة على الطاعات البدنيَّة، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أجسامِكم ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم**»[٣]. وطاعات القلوب أضعاف طاعات الجوارح، ولا تُقبل

(١) جامع بيان العلم (٥٤٥/١).
(٢) انظر: الأغاني (٣٣١/١٨).
(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طاعات الجوارح إلا بطاعة لا بدَّ منها من طاعات القلوب، هي إخلاص النيَّة، «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فلا بدَّ أن نقدِّم ما حقُّه التقديم.

## أولويَّة جنس أعمال الجهاد:

والله سبحانه يقول: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]. ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج[٢].

## أولويَّة فرض الكفاية على النافلة:

ولذلك أوْلى بالذين يذهبون عشرات المرات ليحجوا، وعشرات المرات ليعتمروا أنْ يرصدوا هذه النفقات التي تؤدَّى في هذه النوافل للبلاد الإسلاميَّة التي يموت الإنسان فيها جوعًا، حقيقة لا مجازًا، يموت من سوء التغذية، أو لأنَّه لا يجد ما يكفيه ليعيش إنسانًا سويًّا سليمًا، هذا أمر مهم أيُّها الإخوة والأخوات.

ذكرت لكم أنَّ الإمام الغزالي قال: عدم الترتيب بين الصالحات والخيرات هو جزء من الشرور[٣]. من الشر ألا ترتب الخيرات، فهذا رقم واحد، وهذا رقم اثنين، وهذا رقم ثلاثة، إلى آخره.

كان الإمام عبد الله بن المبارك قد نوى في سنة من السنوات أنْ

(١) سبق تخريجه صـ٢١٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوي ابن تيمية (١١/٢٨).

(٣) انظر: رسالة أصناف المغرورين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي صـ٤٤٤.

QaradawiBooks.com

يذهب إلى الحج، وكانت عادته ـ إذا ذهب إلى الحج ـ أنْ يأخذ معه عددًا من طلاب العلم الفقراء ليحجُّوا معه على نفقته، وبعد أنْ مشوا عدَّة مراحل في الطريق قابلته امرأة وعرفته، فقالت: يا إمام؛ أنا امرأة أرملة، مات زوجي، وترك لي هؤلاء الأطفال، ولا دخل لي، ولا أحد يعينني. فنظر إليها، ونظر إلى مَنْ معها، وإلى المسؤول عن خزانة المال، وقال له: ماذا بقي معنا؟ فقال: ألف دينار، وكذا. فقال له: أبقِ لنا عشرين دينارًا تكفينا إلى مَرْو، وأعط الباقي هذه المرأة، فهذا حجنا لهذا العام[1]. انظروا إلى حسن الفهم، أعطى المرأة ما أعطاها ورجع إلى خراسان.

هذا هو عبد الله بن المبارك، كان إمامًا من أئمَّة المسلمين، كان مُحدِّثًا، فقيهًا، مؤرخًا، مفسرًا، سخيًّا، زاهدًا، عابدًا، مجاهدًا، كان قد أخذ نفسه بالرباط في سبيل الله، يذهب إلى البلاد المخوفة على حدود دولة الإسلام، فإذا اقتضى الأمر أنْ يخوض المعركة خاضها، كتب إلى صديقه الفضيل بن عياض ـ وكان قد حبس نفسه بين الحرمين؛ يتعبد فيهما ـ رسالة طويلة من شعره، يقول له فيها:

**يا عابدَ الحَرَمَيْنِ لو أبْصَرْتَنَا ... لعلمتَ أنَّك بالعِبَادَةِ تَلْعَبُ**
**مَنْ كان يَخْضِبُ خدَّه بدُمُوعِهِ ... فنُحُورُنَا بدمائِنَا تَتَخَضَّبُ**[2]

يقول: ما أنتم فيه من العبادة بالنسبة لما نحن فيه كأنه لعب، نحن نواجه الكفار. وكانوا يواجهون دولة الروم البيزنطية التي تهدِّد المسلمين باستمرار، فهو من العلماء هم الذين فقهوا الأولويَّات، ونحن في حاجة إلى هذا النوع من الفقه.

(١) البداية والنهاية (٦١١/١٣).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٩/٣٢، ٤٥٠).

QaradawiBooks.com

## تفاوت الأولويَّات بحسب الأمكنة والأزمنة:

وتتفاوت الأولويَّات ـ أيُّها الإخوة ـ من بلد إلى بلد، فقد تكون الأولويَّات في بلد أصابته مجاعة أن نطعم جائعيه، وقد تكون الأولويَّات في بلد أصابه وباء مُعْدٍ أن نعالج مرضاه، وقد تكون الأولويَّات في بلد ابتلي بعدوٍّ يُهدِّده أو يدخل أرضه أن نجاهد دفاعًا عنه، مثل فلسطين، والقدس المهدد الآن، فالأولويَّات تتفاوت وتختلف من بلد إلى بلد.

## أولويَّة الخروج من التخلُّف في عصرنا:

كما تتفاوت الأولويَّات ـ كذلك ـ من عصر إلى عصر، فأول ما يجب على الأمة الإسلاميَّة في عصرنا أنْ تخرج من سجن التخلف إلى باحة التقدم، نحن كنا الأمة الأولى، أو العالم الأول، ثم أصبحنا نُصنَّف في العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لصُنِّفت بعض بلادنا فيه، لقد كنا من قبل نأخذ بزمام القافلة، فأصبحنا الآن في ذيل القافلة، نستورد معظم ضرورياتنا من الخارج، أكثر بلاد أمتنا زراعية، ومع ذلك أكثر بلاد المسلمين تستورد نصف قوتها.

نحن أمَّة سورة الحديد، وفيها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. ففي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى الصناعات الحربيَّة، وفي قوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنيَّة، ونحن للأسف لم نحسن الصناعات الحربيَّة، ولا الصناعات المدنيَّة، نحن في بلاد العرب لم نصنع «موتورًا» أو محركًا إلى اليوم.

QaradawiBooks.com

حينما زرت الهند من ثلاثين سنة أو أكثر وجدت أنَّهم استطاعوا أنْ يصنعوا سيارة، وحرموا على الأغنياء والكبراء أنْ يشتروا سيارة إلا إذا كانت عندهم سيارة وطنيَّة، ونحن لم نستطع أن نصنع سيارة، كل ما نفعله هو تجميع سيارة، أمَّا الموتور فليس من عندنا، لماذا؟ هل نحن أُمَّة من الأغبياء؟

لا؛ بل كنَّا أُمَّة الحضارة قديمًا، ظللنا أكثر من ثمانية قرون نُعلِّم العالم، ونسود العالم، أوربا تعلَّمت منا، أخذوا منا المنهج التَّجريبي، كانوا قبل ذلك يسيرون على منهج اليونان، منهج أرسطو، والمنطق الأرسطي اسمه المنطق الصُّوري أو القياسي، لم يلق بالًا للاستقراء والتجربة، حتَّى أخذ الغربيون المنهج التجريبي من المسلمين، اعتبر المؤرخون الغربيون أنَّ روجر بيكون، فرنسيس بيكون كانوا رسلَ العلم العربي والإسلامي، فنحن أنهينا إليهم تجاربنا الحضاريَّة حينما التقوا بنا في الحروب الصليبية.

وحينما التقوا بنا في الأندلس كانوا يتعلمون من ابن رشد، وهو فقيه مالكي، كان قاضيًا شرعيًّا، ومؤلف كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، يُعتبر من أعظم ما كُتِب في الفقه المقارن، على تركيزه وإيجازه، فكان فقيهًا، وكان طبيبًا صاحب «الكليَّات» في الطب، وعدد من الرسائل الطبية، وكان يمارس الطب بالفعل، وهو في الوقت نفسه فيلسوف صاحب كتاب «الكشف عن مناهج الأدلة»، وكتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال»، وعدد من الرسائل الفلسفية، ويعتبر أعظم شارح لفلسفة أرسطو، سواءً في نظر الغربيين، أو في نظر من يسمونهم فلاسفة المسلمين أصحاب المدرسة المشَّائية، حيث كانوا يسمون أرسطو المعلم الأول، ليس معلمهم الأول محمد ﷺ،

QaradawiBooks.com

وإنَّما معلمهم الأول هو أرسطو! وقد كان منطق أرسطو منطقًا صوريًّا لا نتعلم منه شيئًا مجهولًا بطريق الملاحظة والتجربة، وإنَّما تأخذ معلومًا من معلوم.

## مُقَوِّمات النهوض:

نحن في حاجة إلى أن نخرج بالأُمَّة الإسلاميَّة من هذا التخلف، وهو يحتاج إلى جهد جهيد حتَّى نخرج منه، ونصل إلى مرحلة التقدُّم، ونكتفي اكتفاءً ذاتيًّا، وننمِّي اقتصادنا، وننمِّي حياتنا الاجتماعية.

## القوَّة العدديَّة:

ونحن عندنا قدرة على هذا الخروج من التَّخلُّف، فأُمَّتنا تملك مقوِّمات القوَّة، عندها القوَّة العدديَّة، في آخر إحصاء لها قالوا: إنَّ عددها ألف وخمسمائة وثمانون مليونًا، أو مليار وخمسمائة وثمانون مليونًا، وأنا أعتقد أنَّ هذا العدد ليس العدد الحقيقي، لأنَّهم يعدون المسلمين في الصين عشرين مليونًا، بينما مسلمو الصين يقولون: نحن لا نقل عن مائة وعشرين مليونًا. والأمير شكيب أرسلان من حوالي ثمانين سنة حينما علَّق على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» قال: إنَّ المسلمين في الصين حوالي خمسين مليونًا[1]. ومنذ ذلك الوقت تضاعفت أعداد العالم.

وقبل أنْ يبزغ القرن العشرين كتب أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ـ مستشار وزارة الخارجية ـ مقالة شهيرة هاجم فيها الإسلام، وردَّ عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ردًّا شهيرًا نشرته جريدة المؤيد، وقد نقل هذا الرجل عن بعض المستشرقين الآخرين كلامًا عن خطورة

(١) حاضر العالم الإسلامي (٢/٢٨٣)، نشر دار الفكر، ط٣، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام، وذكر أنَّ المسلمين في الصين يمثلون خطرًا كامنًا يجب أنْ يتنبه له العالم، فكيف يكونون الآن عشرين مليونًا؟

وأنا أقول: حتَّى لو سلمنا أنَّ عدد المسلمين مليار وخمسمائة وثمانون مليونًا، فهذه قوَّة عدديَّة كبيرة، وللقوة العددية قيمة جعلت الشاعر العربي يقول:

**وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمُ حَصًى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ**[1]

ويقول الآخر:

**ملأنا البرَّ حتَّى ضاقَ عنا ونحن البحرُ نملؤه سَفِينَا**[2]

والقرآن نفسه يقول في معرض الامتنان: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. فنحن عندنا القوَّة العددية.

## القوَّة الاقتصادية:

كما يمتلك العالم الإسلامي أيضًا القوَّة الاقتصاديَّة، سهولًا زراعيَّة، وشواطئ بحريَّة، وأنهارًا وبحيرات، ومعادن الحديد والفسفور وغيرها، ونملك النفط كذلك، معظم النفط في بلاد المسلمين، حتَّى إنَّ أخانا الأستاذ أنور إبراهيم الَّذي كان يشغل منصب نائب رئيس وزراء ماليزيا، ونائب رئيس الحزب يقول: وزير الخارجية التايلاندي قال له متعجبًا: هل جنسيَّة النفط إسلاميَّة، لا يستخرج معظمه إلا في بلاد المسلمين، لماذا يظهر في ماليزيا وإندونيسيا ولا يظهر في تايلاند؟ فالمسلمون عندهم

(١) القائل: الأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ صـ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١، من مُعلَّقته، تحقيق إيميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

QaradawiBooks.com

أشياء كثيرة تمثل قوَّة اقتصادية كبيرة، هذا غير موقعهم الجغرافي، أنَّهم في صُرَّة العالم، في ملتقى القارات، في ملتقى البحار والمحيطات.

**القوَّة الحضاريَّة والتاريخيَّة:**

كما يمتلك العالم الإسلامي أيضًا القوَّة الحضاريَّة التاريخيَّة، هناك تاريخ حافل بالحضارات الكبرى التي نشأت في بلاد المسلمين، الحضارة الفينيقية في سوريا ولبنان، والحضارة الأشورية والبابلية والكلدانية في العراق، والحضارة الفرعونية في مصر، والحضارة القرطاجية في المغرب، والحضارة الفارسية في إيران، والحضارة الهندية في الهند، كلُّ هذه البلاد أصبحت بلادًا إسلاميَّة، فالحضارات نشأت في بلادنا.

والنبوات والرسالات السماوية كذلك، هبط الوحي في أرض الإسلام، إذا كانت أوربا تقول: إنَّها مسيحية. فمَنْ الَّذي ذهب إليها بالمسيحية؟ لم يكن المسيح أوربيًّا، بل كان شرقيًّا، نشأت المسيحية في فلسطين، ثم بعثنا بها إليهم فأفسدوها وأدخلوا عليها الوثنيَّة الرومانيَّة، وكذلك اليهوديَّة لم تكن غربية، فموسى لم يكن غربيًّا وإنَّما كان من بلادنا، كنت في أمريكا في زيارة من الزيارات، فقالوا: تعال نلتقط لك صورًا في أحد المتاحف! قلت: وهل عندكم متاحف. قالوا: نعم. قلت: وما عمرها؟ قالوا: مائتي سنة. هذا بينما نحن عندنا الأهرام عمرها سبعة آلاف سنة. فنحن عندنا القوَّة الحضاريَّة التاريخيَّة الهائلة.

**القوَّة الرُّوحيَّة:**

ثم هناك قوَّة أخرى تمتلكها أمتنا هي القوَّة الروحية، فنحن وحدنا الذين نملك القوَّة الإيمانية الربَّانيَّة التي لا يملكها أحد غيرنا، نملك

QaradawiBooks.com

الوثيقة الإلهيَّة السماويَّة التي لم يعترها تغيير ولا تبديل، نحن نملك كلمات الله الأخيرة للبشريَّة، عندنا القرآن الكريم محفوظ من التَّغيير والتحريف، هات لي أعظم كاردينال؛ هل يحفظ الكتاب المقدس، أو نصفه، أو ربعه، أو عشره؟ بينما هناك عشرات ومئات الآلاف من صبيان المسلمين يحفظون القرآن.

كنت منذ عدة أشهر في ليبيا، وقالوا: عندنا مليون حافظ للقرآن. قلت: يا أخي لا تبالغ. قال: بل هم عندنا بأسمائهم. وبدؤوا في المليون الثاني، لأنَّ دولة ليبيا تعطي مكافآت مستمرة لحفظة القرآن الكريم، وانظر ماذا في مصر، وماذا في باكستان، وماذا في غيرهما؟

أذكر حينما ذهبت إلى قطر كنا نقوم بمسابقات سنوية للقرآن، كان الذين يحرزون قَصَب السَّبْق فيها هم الأعاجم، لم يكن أحد من القطريين في ذلك الوقت يحفظ القرآن، الآن والحمد لله العشرات والمئات يحفظون القرآن، لكن في ذلك الوقت لم يكن إلا الأعاجم، يأتي إخواننا المتسابقون من باكستان، والهند، وأفغانستان، وبنجلاديش، وكنت رئيس لجنة الامتحان، فأسأل الطالب منهم في الآية فيكملها ويسرد وراءها ربعًا أو نصف ربع كأنه مسجلًا؛ لا يقف ولا يخطئ، فإذا انتهى سألته: ما اسمك؟ فلا يجيب؛ لأنَّه لا يعرف العربية، يحفظ القرآن ولا يفهم منه كلمة واحدة، أرأيتم أعظم من هذا الإعجاز؛ كتاب يحفظه مَنْ لا يفهمه؟ وفي كل البلاد غير العربية هذا الأمر.

نحن عندنا إذن القوى الجديرة بأنْ تجعل أمَّتنا في مقدِّمة الصفوف، وتقتحم الميادين، عندها الحوافز الإيمانية، والحوافز المعرفية، والحوافز الأخلاقية لتكون شيئًا بين الناس، وتتبوَّأ مكانتها تحت الشمس، هذا

QaradawiBooks.com

ما يجعلنا أهلًا لأن نخرج من التخلف إلى التقدم، هذه واحدة من القضايا الكبرى، أننا لا زلنا نعاني التخلُّف، لا زلنا نقتبس من غيرنا، وكلما حاولنا أن نلحق بغيرنا سبقنا غيرنا، ركبنا الخيل والبغال والحمير فركبوا هم السيارة والقطار، فلما ركبنا السيارة والقطار ركبوا هم الطائرة، ولما ركبنا الطائرة ركبوا هم سفن الفضاء.

والحقيقة أنَّهم هم الذين أركبونا سياراتهم وطائراتهم، للأسف، ركبنا ما صنعوه لا ما صنعناه نحن، يستطيع أغنياؤنا أنْ يركبوا أغلى المركبات، معهم أموال يستطيعون بها شراء ما يريدون، لكن هل يستطيعون صناعته؟ وإذا أصابه عطب هل يستطيعون إصلاحه؟ في إحدى مدن الخليج توقفت محطة كهرباء عن العمل فتعطل ثلث المدينة حتَّى جاء الخواجة الَّذي قام بصناعتها وتركيبها فأصلح ما فيها من عطب.

نحن عندنا أموال من البترول والغاز وغيرهما، ولكن لم نصنع التكنولوجيا إلى اليوم، وإنَّما نستوردها، وصناعة التكنولوجيا شيء واستيرادها شيء آخر، يظل المُستورِد في حاجة إلى المُصَدِّر، إلى الصانع، إلى المُنشئ، فهناك فرق بين مَنْ ينشئ ومَنْ يستورد، بين مَنْ يستهلك ومَنْ يُنتِج، بين مَنْ يُرسل ومَنْ يستقبل، نحن نريد من أمَّتنا أنْ تخرج من التخلُّف إلى التقدُّم، ونريد من شبابنا أنْ يعي هذه الأشياء.

## أولويَّة الحرية والعدالة والأخلاق:

عندنا قضايا كثيرة، قضيَّة الحرية في مقابل الاستبداد، وقضية العدالة الاجتماعية في مقابل المظالم الاجتماعية، أنَّ الأغنياء يأكلون الفقراء،

QaradawiBooks.com

وأنَّ الأقوياء يدوسون الضعفاء، وهناك كذلك المشكلة الأخلاقية، نحن بحاجة إلى شيوع الأخلاق وسيادتها.

**إنَّمـــا الأمـــمُ الأخـــلاقُ ما بَقِيَتْ فإنْ هُمُو ذهبتْ أخلاقُهُمْ ذَهَبُوا**[١]

وكما قال شوقي أيضًا:

**إذا أصيـــبَ القومُ فـــي أخلاقهم فأقـــمْ عليهـــم مأتمًـــا وعويلا**[٢]

## أولويَّة الوحدة:

هناك كذلك مشروع الوحدة بين أمتنا، فالذي ضيَّع أمَّتنا هو تمزُّقها، فمشكلة العرب والمسلمين حتَّى الآن أنَّهم متشرذمون، حتَّى إنَّ العرب لم يقفوا موقفًا موحَّدًا في قضيتهم الأولى، قضيتهم المحورية والمركزية، قضية فلسطين، حتَّى هذه القضية لم يقفوا فيها موقفًا واحدًا.

ولهذا كان من قضايا الكبرى أيضًا قضية الصهيونية التي تسلَّلت إلى بلادنا في غفلة، وأخرجت الناس من أرضهم بالإرهاب والدم، والحديد والنار، مَزَّقوا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنَّة من بطون أمهاتها، وقتلوا الطفـــل أمام أمـــه وهم يتضاحكـــون، وهذا أمـــر يتعلق فـــي عنق الأمة الإسلاميَّة، فالمسؤول عما جرى لفلسطين هو أُمَّة العرب والمسلمين.

## الانشغال بالعمل وترك الجدل:

نحن علينا ـ أيُّها الإخوة ـ واجبات كثيرة، وأعباء كثيرة، وعلى شبابنا أنْ يعي هذا القضايـــا، فكلها في غاية الأهميـــة، فلا ينبغي أن نترك هذه

(١) من شعر أحمد شوقي، انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين (١٦٦/١)، المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة، القاهرة.

(٢) كما في أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١).

QaradawiBooks.com

القضايا الأساسية ونشتغل بخلافات فرعية، هناك من الناس لا همَّ له إلا المجادلة في الأمور الخلافية الفرعية، يهاجمون المذاهب ويجعلون من أنفسهم مذهبًا خامسًا، يحرمون التقليد الفقهي، وهم يقلدون بعض علماء العصر منهم، ليس لهم همٌّ إلا المجادَلة، وإذا غضب الله على قوم رزقهم الجدل، ومنعهم العمل، ففي الحديث الَّذي صحَّحه الترمذي أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل**»(١). وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

أيُّها الإخوة؛ نحن ندعو شبابنا إلى «فقه الأولويَّات»، كيف يقدمون ما حقُّه التقديم، ويؤخِّرون ما حقُّه التأخير؟ هذا فقه في غاية الأهمية، وهو من ألوان الفقه الَّذي أدعو إليها كلَّ شباب الدعوة الإسلاميَّة، والحركة الإسلاميَّة، والوعي الإسلامي، وهي: فقه الأولويَّات، وفقه الموازنات، وفقه المقاصد، وفقه الاختلاف، وفقه المآلات، وفقه السنن، سنن الله التي لا تتبدَّل، ولا تتحوَّل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ ينير قلوبنا بنور الإيمان، ونور العلم، وأنْ يسدِّد خطانا في طريق الحقِّ والخير، وأنْ يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بطرقه وشواهده. والترمذي في التفسير (٣٢٥٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٨)، والحاكم في التفسير (٤٤٧/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

٢٢

# الشباب المسلم والتيارات الفكرية المعاصرة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذه الفرصة لألتقي بكم في هذه الأمسية الكريمة في غرة شهر من أشهر الله الحُرم، شهر رجب، وفي هذا المكان الطيب من هذه الأرض الطيبة، المكان الذي يحمل اسم رجل كان من أعز الناس على نفسي، وأحبهم إلى قلبي، هذا الرجل العزيز عليَّ، الحبيب إليَّ، الأثير لديَّ هو الشيخ عبد الله ابن

(١) ألقيت في مكتبة الشيخ عبد الله بن علي المحمود، بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

علي المحمود رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين والعلم والدعوة خير ما يجزي به العلماء العاملين والدعاة الصادقين.

**الشيخ عبد الله بن علي المحمود:**

لقد عرفت الشيخ عبد الله بن علي المحمود عن قرب، وتلاقينا مرارًا وتكرارًا، وكنت قد أحببته قبل أنْ أراه؛ حينما حدَّثني عنه صهره وصديقه، الرجل الصالح الفاضل التقي النقي الشيخ مبارك بن سيف الناخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان معنا في قطر، فلما التقينا صدَّق الخُبر الخَبر، والأذن تعشق قبل العين أحيانًا، فكان الشيخ عبد الله بن علي المحمود من الرجال الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام: من رآه وعاشره أحبه؛ لما يلمس فيه من صدق العزيمة في خدمة الإسلام، وطيب السيرة، ونقاء السريرة، وصفاء النية، والغيرة على هذا الدين، والحماس لقضاياه، والاهتمام لمآسي هذه الأُمَّة وأمورها، والعمل على مساعدتها حيثما كانت! هكذا كان الشيخ عبد الله بن علي المحمود الذي نجتمع في ظلال هذه المكتبة المسماة باسمه، وكان المفروض أن تتم هذه المحاضرة من سنوات حقيقة، فإنَّ الحبيب بن الحبيب (الدكتور سالم) لم يقصر في دعوتي، ولكن التقصير كان مني؛ فكثرة مشاغلي ـ أسأل الله العون عليها ـ هي التي حالت دون الاستجابة، إلى أن أذن الله بها في هذه الليلة، ولكل شيء أجل مسمَّى.

حديثنا أيها الإخوة عن «الشباب المسلم والتيارات الفكرية المعاصرة»:

**الشباب أعظم الثروات:**

لا شكَّ أنَّ أعظم ثروات الأمم هي الإنسان، الإنسان ثروة أعظم من كل الثروات المذخورة في باطن الأرض أو المنشورة على ظاهرها، الإنسان أغلى من الذهب الأصفر، والذهب الأسود، والذهب

QaradawiBooks.com

الأبيض، ومن الجواهر الكريمة، والأحجار النفيسة، ومن كل ما يحرص الناس عليه.

من أجل الإنسان سخَّر الله ما في السماوات وما في الأرض من نعم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، أمَّا الإنسان نفسه فخُلق من أجل الرحمن: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والشباب هو مرحلة القوة في حياة الإنسان، مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ ﴾ [الروم: ٥٤]. فالشباب يمثل مرحلة القوة والحيوية الدافقة، والعزيمة الصادقة، والقدرة على الإنجاز والإنتاج، ولهذا كان الشباب في كل دعوات الرسل هو عماد الدعوة، هو الذي يحمل الراية، ويواجه القوى الطاغوتية.

لا عجب إذنْ أن يكون اهتمامنا بالشباب، وموقف الشباب من التيارات الفكرية المعاصرة، ونعني الشباب المسلم بالذات، وخصوصًا ـ كما أشار الأخ الدكتور سالم ـ أنَّ الشباب مستهدف، هناك مؤامرات يكيدها الكائدون لهذه الأُمَّة لتدمير شبابها، وإذا دُمِّر الشباب فقد دُمِّر كل شيء: دُمِّرت الثروة، ودُمِّر الاقتصاد، ودُمِّرت الجيوش، فالشباب هو عماد الأُمَّة.

من أجل هذا كان علينا أن نتحدث دائمًا عن الشباب، ولا نمل الحديث عن الشباب، وخصوصًا من الجانب الفكري، الشباب أمام التيارات الفكرية المختلفة، هناك تيارات ولا شكَّ أمام الشباب، ما هذه التيارات؟

QaradawiBooks.com

## بعض الشباب لا ينتمون لأي تيار فكري:

أولًا أريد أنْ أقول: هناك شباب ليس له أي تيار فكري، لا يعرف فكرًا، ولا يهتم بفكر، يعيش في فراغ مطلق: فراغ من الفكر، وفراغ من الإيمان، وفراغ من القيم، وفراغ من الهموم! لا يحمل هم أمته، ولا يعيش في قضاياها، يعيش لشهواته وملذاته فقط، يقول ما قال أبو نواس قديمًا:

**إنَّما الدنيا طعام وشراب ونِدام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام**[1]

هذا ما نراه في كثير من هذا الشباب الذي يعيش للكاس وللطاس، ويجري وراء المرأة، ويغازل الفتيات في الطريق، ويستأجر لهن الشقق الخاصة، ولا يعيش في أي هم من الهموم.

## شباب ضائع:

هذا الشباب الضائع لا يتبع أي تيار، لا نستطيع أن نحمله على أي تيار، سواء كان تيارًا مبطلًا أم تيارًا محقًّا؛ لأنَّه لا يفكر، وإنَّما يعيش لشهواته الخاصة فقط، وتعس مثل هذا! إنَّه عبد الشهوات، وعبد المظاهر، وعبد نفسه! هذا للأسف موجود في ديارنا، وكثيرًا ما نرى هؤلاء صرعى المسكرات، وأسرى المخدرات، وسجناء الشهوات، ولعلَّنا حين نرى المسلسلات والأفلام نرى هؤلاء الضحايا الذين يصيدهم الصائدون في شباكهم فيقتلونهم قتلًا، ليس قتلًا بالرصاص ولا بالسلاح الأبيض، وإنَّما هو قتل بالشهوات، ضاعوا، خسروا أنفسهم وخسرتهم مجتمعاتهم! هذا النوع من الشباب لا حديث لنا عنه؛ لأنَّه لا يتبع تيارًا فكريًّا، إنَّما يتبع

(١) ذكره بلفظ مقارب ابنُ عبد ربه في العقد الفريد (٢٤٦/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

تيار الضيـــاع، ليس له طموح ولا أمـــل ولا مثل أعلى يرنـــو إليه بصره وتشرئب إليه عنقه، لا!

## شباب الأُمَّة في زمن الفتوح:

كان شباب الأمة الإسلامية قديمًا ترنو نفســه إلى المعالي، شاب مثل أســامة ابن زيد يقود الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، وفي الجيش كبار الصحابة!

أو شاب مثل محمد بن القاســم بن محمد الثقفي الذي قاد جيوش المســلمين لفتح بلاد الســند والهند، أول ما ذهبت هذه الجيوش كان يقودها هذا الشاب ابن السابعة عشرة، وفيه قال الشاعر:

**إنَّ الســماحة والمــروءة والندى لمحمد بــن القاســم بن محمد**
**قاد الجيوش لســبع عشرة حِجة يا قُرب ذلك ســؤددًا من مولد**[1]

من ذهب إلى باكســتان وكراتشــي وركب القطار يجد هناك محطة اسمها «محطة محمد بن القاســم»، انظروا كيف جاء هذا الشاب الثقفي من الطائف بجزيرة العرب، يخوض الفيافي والقفار إلى أن يصل هناك؛ ليحمل النور إلى تلــك الأرض أرض الهند الكبــرى قديمًا، هكذا كان شباب الإسلام، أمَّا هذا الشباب الضائع فلا حديث لنا عنه الآن.

## تيار التغريب الفكري:

أمَّا التيارات الفكرية التي تواجه شباب اليوم فبعضها تيارات مستوردة من خارج أرضنــا، ومن قوم غير قومنــا، وتحمل عقائد غيــر عقائدنا، ومفاهيم غير مفاهيمنا، وقيمًا غير قيمنا، وتقاليد غير تقاليدنا!

(١) عيون الأخبار (٣٣٢/١).

QaradawiBooks.com

هناك تيار التغريب. والتغريب هو محاولة جعل هذه الأُمَّة غربية الفكر والتوجه والسلوك، أنْ تكون هذه الأمة قطعة من الغرب، تفقد ذاتيتها، وتُسلخ من جلدها لتصبح ذنَبًا لهذا الغرب، بعد أن كانت هي التي تُعلِّم الغرب، وكان الغرب يتتلمذ عليها، ويقتبس منها، ويأخذ عنها تصبح هي ذيلًا لهذا الغرب.

في وقت من الأوقات تتلمذ الغرب على الأمة الإسلامية وعلى حضارتها، كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى في العالم، التي يُكتب بها العلم، وكانت مراجع العلم العربية الإسلامية هي مصادر طلاب العلم في العالم كله، في أوروبا وغيرها، وكان علماء المسلمين هم أساتذة الدنيا، وكانت جامعات المسلمين هي الموئل الذي يفد إليه الطلاب من هنا وهناك.

الآن يُراد لهذه الأُمَّة أن تتغرب، أن يصبح الغرب إمامًا لها، بدل أن تكون قبلتها إلى مكة تكون إلى باريس أو لندن أو واشنطن أو موسكو أو إلى غيرها، وأقول: موسكو. لأني حينما أقول: الغرب أو التغريب. يستوي عندي الغرب الرأسمالي والغرب الشيوعي، الغرب اليميني والغرب اليساري، فكلاهما فرع لشجرة واحدة هي الشجرة الملعونة في القرآن والإنجيل والتوراة، شجرة المادية الخبيثة: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾ [الأعراف: ٥٨].

### تيار مادي نفعي إباحي:

تيار التغريب هذا يقوم على فكر غربي معروف أساسه المادية في الفكر، والنفعية في الأخلاق، والأنانية في التعامل، والميكافيلية في السياسة، والصليبية في معاملة المسلمين، والعلمانية في التشريع، هذه كلها مقومات وعناصر الفكر الغربي.

QaradawiBooks.com

ولذلك حينما ظهر تيار التغريب في وقت من الأوقات نقل هذه الأشياء إلى المجتمعات الإسلامية، نقل النزعة المادية في التفكير، والنزعة الأنانية في الأخلاق، والنفعية في السلوك، والإباحية في الجنس! ليس عندهم حلال وحرام الجنس كما عندنا، وكما هو شأن الأديان كلها، لأنَّ المسيحية كالإسلام في هذا، بل ربما كانت أشد، والإنجيل نفسه يقول: لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزنوا. والحقَّ أقول لكم: من نظر بعينه فقد زنى[1]. وهذا أيضًا مصداق ما جاء عن النبي ﷺ: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس، والرِجلان تزنيان وزناهما المشي**»[2]. إلى آخره، فالأديان كلها تحرم هذا، ولكن الغرب يُحل كل علاقة جنسية إباحية، وطبعًا فلسف لهم ذلك فلاسفتهم وعلماء النفس عندهم على أساس أنَّ الغريزة الجنسية هي الغريزة الوحيدة الموجهة للسلوك البشري، وأنَّه ينبغي أن نفك عقد الكبت ونسمح للجنسين بالاختلاط؛ ليرتوي أحدهما من الآخر فتنحل العقدة، وقد فعلوا ذلك ولكن العقدة لم تُحل إلى الآن، رغم إطلاق العنان للشهوات ولكل شيء، أصبحوا ـ كما يقال ـ كشارب ماء البحر كلما ازداد منه شربًا ازداد عطشًا، فما حلوا المشكلة.

والآن لم يعودوا يكتفون بالنساء فأصبح هناك الشذوذ، صلة الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، حتى إنهم أصبحوا يزوجون الرجال بالرجال، وأقرت ذلك قوانين بعض الدول عندهم، وللأسف بارك ذلك بعض الكنائس، بعض الكهنة ورجال الدين باركوا هذا الأمر: أنْ يتزوج الرجال

(١) إنجيل متَّى (٥/٢٨، ٢٩).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣) بنحوه، ومسلم في القدر (٢٦٥٧) (٢١)، كما رواه أحمد (٨٣٥٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الرجال، ويُحتفل بهم، وتقام الاحتفالات في كنائس معينة هناك، هذا هو المجتمع الغربي.

ولذلك أصابهم الله بما أصابهم من الأمراض، وأحدثها مرض الإيدز، ولا نعلم ما يأتي بـه الغد، وصدق بذلك الحديـث النبوي: «**ما ظهرت الفاحشـة في قوم حتى يعلنوا بها إلا سلط الله عليهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**»[1].

كنَّا في الأسـبوع الماضي في الكويت في نـدوة فقهية طبية عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية هناك، وكان موضوع الندوة حول مرض الإيدز ومشاكله وأخطاره، وكان مما قاله الدكتور حسان حتحوت، وهو من الإخوة الذين يعيشـون في أمريكا، وهو يحكـي كيف انحرف هذا المجتمع، ولم يعد يبالي بشـيء إطلاقًا، لم يعـد الرجل يكتفي بمجرد وقاع الرجل، لا، بل يلعق دبره وكذا، أشياء في غاية الفظاعة، فقدَ هؤلاء الناس كلَّ ذوق وكل إنسانية.

وعندما اكتُشف شأن الممثل المعروف بالإيدز، وتحدثت الدنيا عنه، ومات هذا الرجل بعد ذلك، كان له رفيق من الرجال، فرفع دعوى عليه وقال: كان هذا الرجـل مصابًا بالإيدز، وكان يواقعنـي دون أن يخبرني بهذا، فأنـا أطالب بتعويض عن هذا الأمر. فكشـف الأطبـاء على هذا الرجل مرة بعد مـرة، فوجدوا أنَّه لم يُصب، فقـال: يكفي الرعب الذي عشـت فيه من ذلك الوقت. وحكمت له المحكمة بثلاثة عشـر مليون دولار؛ تعويضًـا عما أصابه من هلع، مخافة أن يكـون قد أصابه، ولأنه

(١) رواه ابن ماجه في الفتـن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحـم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

غشه ولم يقل له: إنَّه مصاب بالإيدز. هذا المجتمع ليس فيه قيمة خلقية، وليس فيه حلال ولا حرام.

هذا هو المجتمع الغربي والفكر الغربي الذي يُراد لنا أن نقلده، الفكر الذي يدعو إليه الناس: أن ندع هذا الماضي، وهذا التراث الذي يتحدث عنه المشايخ والدعاة، وأن نقفز لنقتدي بهذا الغرب، ونتبع سننه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع كما حدثنا النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»[1]. وجحر الضب يُضرب به المثل في الضيق والالتواء والرائحة الكريهة، ولكن إذا دخل الغرب جحر الضب يدخله الناس، تظهر موضة اسمها «موضة جحر الضب»، وهكذا.

هذا هو الغرب المادي في الفكر، الأناني في السلوك، الإباحي في الجنس، الميكافيلي في السياسة: أنَّه ليست هناك أخلاق تحكم السياسة، ليس هناك صداقة دائمة ولا عداوة دائمة، هناك مصالح فقط، الغاية تبرر الوسيلة.

## العلمانية جزء من الفكر الغربي:

والعلمانية جزء لا يتجزأ من الفكر الغربي، ومعنى العلمانية عزل الدين عن الحياة وعن المجتمع، أن يكون مكان الدين ضمير الإنسان، أن يكون علاقة بينه وبين ربه، فإن كان ولا بدَّ أن يخرج من قفص الصدر فإلى المعبد، إلى الكنيسة أو إلى المسجد، أمَّا أن يكفل الحياة، ويوجهها بالتشريع أو بالتوجيه فلا، ليس من حق الدين أن يشرع ويقنن، ويصدر

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأحكام، ويحل الحلال، ويحرم الحرام، ويقول: هذا مفروض، وهذا متروك. لا، هذه هي العلمانية.

وطبعًا هذا الغرب له مبرراته الفلسفية من قديم، كان أرسطو من قديم يرى أنَّ الإلٰه لا يعرف شيئًا في العالم، لا يدبر أمرًا ولا يعلم قليلًا ولا كثيرًا في عالم الكون والفساد هذا، والإنجيل نفسه يقول: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله[1]. فقسم الحياة قسمين، قسمًا لقيصر هو قسم الدولة، وقسمًا لله، شؤون الحكم والسياسة والتشريع لقيصر، والدعاء والعبادة الخاصة لله بين المرء وربه.

ونحن في الإسلام ليس عندنا هذه القسمة، الإسلام لا يقبل شطر الحياة ولا قسمة الإنسان، فقيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد، ﴿لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٦]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣١].

## الإسلام يوجه الحياة كلَّها:

ولذلك نجد الإسلام عندنا يوجه الحياة كلها من قضاء الحاجة، كما قال أحدهم لسيدنا سلمان: علَّمكم نبيكم كل شيء؟ قال: نعم، علَّمَنا كلَّ شيء حتى قضاء الحاجة[2]. وذكر له ثلاثة عشر أدبًا من آداب قضاء الحاجة، لا تستقبلوا القبلة، ولا تكشفوا العورة أمام الناس، إلى آخره. فالإسلام يوجه الحياة من قضاء الحاجة إلى بناء الدولة.

كما أنَّ الإسلام يصحب الإنسان منذ يولد إلى أن يموت؛ بل قبل أن يولد وبعد أنْ يموت، لأن هناك أحكامًا تتعلق بالجنين في بطن أمه، وأحكامًا تتعلق بالإنسان بعد موته من تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه،

(١) إنجيل متَّى (٢١/٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والترمذي (١٦)، كلهم في الطهارة، عن سلمان الفارسي.

QaradawiBooks.com

وتشييعه، ودفنه، وتنفيذ وصاياه، وقضاء ديونه، وتوزيع تركته! فالعلمانية الغربية التي تفصل الدين عن الدولة غير مقبولة عندنا.

ثم إنَّ الكنيسة في الغرب كانت تحكم، فلما وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضد التحرك، ومع الظلم ضد العدل، ومع الإقطاع ضد الفلاحين والعمال، وحاربت كل إبداع فكري أو علمي، وقامت محاكم التفتيش تفعل أفاعيلها مما هو معروف، وانتفخت به بطون الكتب في التاريخ، لما حدث هذا قاوم الناس الكنيسة حتى انتصرت الحرية، وانتصر العلم، وانتصر الفكر، وانتصر التقدم عليها، وكان هذا نفحة من الشرق الإسلامي حقيقة، استفادها الناس في الغرب بعد احتكاكهم بالمسلمين في الحروب الصليبية، وفي الأندلس، وفي صقلية، وفي غيرها من القنوات، فكان مطلوبًا في الغرب أن تُفصل الكنيسة عن السياسة وعن الدولة، وإن كان من الناحية العملية لم تُفصل الكنيسة، فلا تزال أصابعها تحرك السياسة من وراء ستار كما نرى في قضية البوسنة وغيرها الآن.

### الفكر الغربي يحمل الروح الصليبية:

الفكر الغربي أيضًا يحمل روحًا صليبية، هي روح الحقد على الإسلام وأهله، يتوارثونه من أيام الحروب الصليبية إلى اليوم، يقولون: إنَّ اللنبي قائد جيوش الإنجليز حينما دخل القدس سنة (١٩١٧م) قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبية. لا، لم تنته، لا تزال الحروب الصليبية إلى اليوم، وأبرز دليل على ذلك البوسنة والهرسك، حرب صليبية واضحة، ومن قرأ رسالة رئيس الوزراء البريطاني «جون ميجور» إلى وزير خارجيته وجد ذلك بوضوح: أنَّه يجب أن نعمل

QaradawiBooks.com

بوضوح حتى لا تبقى دولة مسلمة في أوروبا، لا بدَّ من تدمير البوسنة والهرسك حتى لا تبقى للإسلام دولة في قلب أوروبا، والصرب أنفسهم قالوا: نحن فرسان الصليب، نحن ندفع عن أوروبا خطر الإسلام الزاحف، نحن نقوم اليوم بما قام به أجدادنا الصليبيون القدامى.

هذا الفكر الغربي نضح على من قلَّده وأخذه من أبناء المسلمين، تيار التغريب في البلاد الإسلامية يحمل روح العداء للإسلام، كما يتبنى العلمانية وفصل الدين عن الدولة، ورفض تحكيم الشريعة الإسلامية، وربط المجتمع بالغرب في تشريعه، وفي توجيهه، وفي ثقافته، وفي آدابه وتقاليده.

هذا ما ينادي به المستغربون الذين ينادون بتغريب هذه الأُمَّة، فلا يرتبط المجتمع بالتراث ولا بالأصول الإسلامية ولا بالعالم الإسلامي، بل يرتبط بالغرب!

لا وحدة بين المسلمين بعضهم وبعض كما ينادي الإسلام، أنَّ المسلمين أُمَّة واحدة، وأنَّ هناك دارًا اسمها «دار الإسلام»، فالمسلمون ـ وإن تعددت أوطانهم وأقاليمهم ـ يعيشون في دار واحدة يسميها الفقهاء «دار الإسلام»، مهما اتسعت فهي دار واحدة، والأصل أن يحكمها خليفة واحد، والتغريب طبعًا يسخر من هذا كله، ويقسم الأُمَّة تقسيمات عرقية وقومية وإقليمية ووطنية، وتقسيمات شتى؛ بحيث لا تقف صفًّا واحدًا وراء هذا الدين، خلف محمد رسول الله ﷺ.

### تيار له أشكال متعددة:

هذا هو التيار التغريبي الذي عمل عمله في هذه الأُمَّة: اتخذ أحيانًا شكلًا ليبراليًّا رأسماليًّا ديمقراطيًّا كما يقولون، واتخذ أحيانًا شكلًا

QaradawiBooks.com

اشتراكيًّا يساريًّا ثوريًّا، ولكن هذا هو ذاك، كلاهما يشترك في أساسيات التغريب؛ لأنَّ الغرب هو أستاذه، وهو مصدر فكره ومصدر إلهامه وإلزامه، هذا هو أحد التيارات المعروضة الآن في عالمنا العربي والإسلامي! ويقوم على ذلك أحزاب ومؤسسات وصحف ومجلات وتيارات مختلفة، وتمول ذلك جهات داخلية وخارجية من أجل فتنة الشباب المسلم ليعتنق فكر التغريب، وبهذا يكون غريبًا عن أرضه، وغريبًا عن أهله، وغريبًا عن أمته، ويعيش إنسانًا لا جذور له، لأنَّه مقطوع الصلة بسلفه وبماضيه، ولذلك يكون قريب القاع، رخو العود، هشًّا لا يصمد أمام الحوادث، ولا يستطيع أن يقاوم، هذا هو تيار التغريب.

### تيار دائم العداء مع التيار الإسلامي:

تيار التغريب لا يسمح للإسلام أن يكون له شأن، أن يوجه ويقود ويحرك، لا يسمح له بذلك، يمكن أن يسمح بنوع من التدين الخرافي التقليدي، وهذا تيار سنتحدث عنه أيضًا، فهم يسمحون بنوع من الإسلام المستأنس الذي يسير في الركاب، ويحرق البخور، أمَّا أن يصبح الإسلام قوة محركة، قوة موجهة، قوة تصنع البطولات، فهذا غير مسموح به، هذا يسمونه أسماء كثيرة منفرة، سموه أحيانًا «الرجعية»، وسموه أحيانًا «التطرف»، وسموه أحيانًا «الإرهاب»، وسموه أحيانًا «الأصولية»، مع أنَّ كلمة الأصولية كلمة محببة عندنا؛ لكن حتى هذه الكلمة ينبغي أن تُكره، كانوا قديمًا يقولون: هل حُرمنا الوصول إلا بتضييعنا الأصول؟ فهؤلاء لا يريدون أن يكون للإسلام المتحرك المحرك الإيجابي القوي وجود، يسمونه الآن «الإسلام السياسي»، الإسلام الذي ينادي بتحكيم الشريعة، وينادي بتحرير الأمة من كل

QaradawiBooks.com

سلطان طاغوتي، ويقاوم أعداء الأُمَّة الذين يريدون أن يسلخوها من جلدها يقولون عنه: هذا إسلام سياسي. إنكارًا على الإسلام أن يكون منشغلًا بالسياسة! وهل يمكن أن يكون الإسلام إلا سياسيًّا؟ ما دام الإسلام يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقاوم الباطل، ويدعو إلى الله، وينكر المظالم، ويحارب أعداء الأمة، ويجاهد في سبيل الله، فهو بهذا إسلام سياسي، ولا يمكن أن يكون إسلام بغير هذا؟ فالتيار التغريبي يحاول أن يشوِّه الإسلام بمثل هذه التسميات.

## تيار يملك الوسائل المتعددة:

وهو تيار مقتدر، يملك الكثير الكثير من وسائل الإعلام وأدوات التثقيف والتوجيه، يتغلغل في التليفزيونات، وفي الصحف، وفي الإذاعات، وفي الجامعات، وفي وزارات التثقيف والتوجيه، الإعلام والثقافة والتربية والتعليم، عنده قوة هائلة، لولا أصالة هذه الأمة والقوة الذاتية للإسلام ورصيد الفطرة المستكن في ضمائر هذه الأمة لكان هذا التيار قادرًا على اقتلاع الإسلام من جذوره، ولكن الحمد لله الإسلام قوي في هذه الأمة، أصيل، متمكن، غالب، ولذلك ـ رغم قوة هذا التيار ـ لم يستطع أن يصل إلى ما يريد، هذا هو تيار التغريب.

## تيارات إسلامية منحرفة:

وهناك تيارات موجودة نابتة في أرضنا، منها ـ كما قلت لكم ـ تيار التدين الفردي، الذي يقوم على أساس الخرافة في الاعتقاد، والابتداع في العبادة، والجمود في الفكر، والتقليد في الفقه، والسلبية في المجتمع، والتبعية والخنوع في السياسة، هذا تيار تدين خرافي تقليدي، تدين الموالد والأضرحة ومقامات الأولياء والمشايخ، والنذر لهم والذبح

QaradawiBooks.com

لهم، وهذه الأشـــياء، هذا تدين يهتم به تيار التغريب جـــدًّا ويروج له، ويحاول أنْ يجعله الدين الحقيقي.

هذا التيار للأسف موجود، يقوم على هذه العناصر التي أشرت إليها مجرد إشـــارة، وكل عنصر منها يحتاج إلى كلام، الشركيات والقبوريات والجبرية في مسائل العقيدة، وانتشـــار الخرافات بين الناس، والدجالين والعرافين والكهنة، هذا من ناحية، ومن ناحية انتشار البدع في العبادات بين الناس.

ثم من ناحية أخرى نجد هـــذا التيار جامدًا في فكره، ليس فيه إبداع ولا عمل في الفكر، وهو في الفقه قائم على تقليد المذاهب، والعصبية للمذاهب، لا يرى الخروج على المذهب، وأحيانًا يتعصب كلَّ صاحب مذهب لمذهبه ضد المذاهـــب الأخرى، وكل من يفتي بمســـألة خارج مذهبه أو خارج المذاهب الأربعة كأنَّما خرج من الإسلام.

ثم هو أمام المجتمع وما يجري فيه من مظالم أو من منكرات أو من فساد، يقول: نفسي نفســـي. ليس له علاقة بالمجتمع، يقول: دع الخلق للخالق، واترك الملك للمالك. وإذا حدثته عن ظلم أو انحراف أو فساد يقول لك: أقام العباد فيما أراد. وهكـــذا، فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكلمة الحق، وهذه الأشـــياء لا مكان لها عنـــده، لا يهتم لأمر المسلمين، ولا يعيش في قضاياهم، تديُّن فرديٌّ انعزالي فقط.

أيضًا في مسائل السياسة لا علاقة له بها، الدين عنده شيء والسياسة شيء، اليهود أكلوا فلسطين، الهندوس أكلوا كشمير، الصرب والكروات أكلوا البوسنة، جرى ما جرى في الصومال أو في جنوب السودان أو في الفلبين أو في غير ذلك لا يهتم بهذا الأمر.

QaradawiBooks.com

هذا طبعًا تيار من التيارات التي توجد في مجتمعاتنا، وبعض الناس يروِّجونه ويريدون أن يكون التدين كله من هذا النوع، لأنَّه ليس هناك أفضل من هذا النوع من التدين للاستعمار وأعوانه، وأعداء الإسلام، وكل ظالم وكل، طاغوت، فينام قرير العين، مستريح البال، مطمئن الفؤاد، ما دام المتدينون من هذا النوع، فهو لا يحل ولا يربط ولا يقاوم ولا يقول: لا، ولا لِمَ. مستسلم استسلامًا مطلقًا، فهذا تيار من التيارات.

## تيار الظاهرية الجدد:

هناك بعض التيارات أيضًا ترفض هذا التقليد، وترفض الشركيات في العقيدة، والابتداع في العبادة، والعصبية في الفقه، ولكن أيضًا يغلب عليها نوع من الحرفية في التفكير، ترفض المذهبية ولكن تقف عند ظواهر معينة، أنا أسميهم «الظاهرية الجدد»، لا ينظرون إلى مقاصد الشريعة ولا إلى أسرارها، ولا إلى كلياتها، يهتمون بالجزئيات أكثر من اهتمامهم بالكليات، وبالفروع أكثر من اهتمامهم بالأصول، وبالمختلف فيه أكثر من اهتمامهم بالمتَّفق عليه، حتى في أمور العقيدة نلاحظ أيضًا أنَّهم محل جدل، هذا أيضًا تيار موجود، وله أهله ورجاله.

## تيار الرفض والعنف:

هناك أيضًا تيار ثالث هو تيار الرفض، الذي يرفض ما عداه ومن عداه من المسلمين وغير المسلمين، لا يقبل إلا نفسه فقط، رأيه ليس كما قال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. بل رأيه الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، ورأي غيره هو الخطأ الذي لا يحتمل الصواب!

QaradawiBooks.com

وهو في مجال الدعوة لا يؤمن باللين ولا بالرفق ولا بالموعظة الحسنة، إنَّما يؤمن بالعنف سبيلًا، ولا يرضى بالحوار طريقًا من الطرق، يعادي الناس كل الناس، المسلمين وغير المسلمين، وهو سيئ الظن بالعالم كله، وسوء الظن يصل به إلى حد التكفير، فيُكفِّر ويستبيح الدم.

ومن سلبيات هذا التيار أيضًا أنَّه ضيق الأفق في فهم الدين، وفي فهم الحياة والواقع، وفي فهم السنن التي أقام الله عليها هذا الكون، ولذلك فهو لا يعرف ما يجري من حوله، ويغلب عليه الاستعجال، يريد أن يزرع اليوم ويحصد بعد أسبوع، أو يزرع اليوم ويحصد غدًا، وربما يزرع في الصباح ليحصد في المساء، مع أنَّ سنن الله غير ذلك، لا بدَّ من الصبر على البذرة حتى تنبت، وعلى النبتة حتى تورق، وعلى الورقة حتى تزهر، وعلى الزهرة حتى تثمر، وعلى الثمرة حتى تنضج، الجنين حسب سنن الله لا بدَّ أن يمر بمراحل، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]. لا بدَّ أن يمر بهذه المراحل، لكنهم أيضًا مستعجلون، فهذا التيار ـ تيار الرفض والعنف ـ موجود.

## تيار الوسطية والاعتدال:

وهناك تيار أُسمِّيه «تيار الوسطية الإسلامية»، وهو التيار الذي يقوم على أساس الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار بالتي هي أحسن، على أساس الفهم الشمولي للإسلام، والفقه لسنن الله، فقه السنن، وفقه المقاصد، لا يمكن أن يُفهم الإسلام إلا بفقه مقاصده، وفقه

QaradawiBooks.com

الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف، كيف نختلف ولا نتفرق؟ كيف تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا؟ هذه الأنواع من الفقه تحدثت عنها في عدد من كتبي، ولا يتسع المقام لشرحها.

ويؤمن هذا التيار بالتعايش مع الآخرين، أنَّ الحياة تتسع لنا ولغيرنا، لأنَّ هذه سنة من سنن الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فلا بدَّ أن يكون هناك المسلم وغير المسلم، والبر والفاجر، والصالح والطالح، فالتعايش مع الآخرين مما يؤمن به هذا التيار، فهو يؤمن بهذا الفقه الواسع.

يجمع تيار الوسطية الإسلامية هذا بين السلفية والتجديد، هو سلفي ومجدد، بل في رأيي أنَّ السلفية لا تكون إلا مجددة، وأنَّ التجديد لا يكون إلا سلفيًّا، والتجديد ليس معيبًا، بعض الناس قال: وهل في الدين تجديد؟! هل سنطبع نسخة منقحة من القرآن الكريم؟! القرآن هو القرآن، والسُّنَّة هي السُّنَّة! لكن التجديد ليس كما قال، التجديد هو تجديد الفهم للإسلام، وتجديد الإيمان به، وتجديد العمل من أجله.

إذا أردنا أن نجدد بناء قديمًا قصرًا قديمًا أو مسجدًا قديمًا أو بناء أثريًّا فماذا يعني تجديده؟ يعني أن نحاول أن نعيده إلى أقرب صورة كان عليه يوم نشأ، فليس معنى التجديد أن تزيله وتبني مكانه بناء على أحدث طراز، وإنَّما أن تُبقي عليه، تحافظ على جوهره، وترمم ما بلي منه، وتعمل له أشياء تصونه، لا أن تغير طبيعته، والنبي ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كُلِّ مائة سنة مَنْ يُجدِّد لها دينها**»[1]. فشرع لنا بهذا تجديد الدين.

(١) سبق تخريجه صـ٣٧٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يؤمن تيار الوسطية الإسلامية بالتجديد من ناحية، وبالسلفية من ناحية، ولذلك يدعو إلى الاجتهاد في فهم الدين حسب مشكلات العصر؛ لأنَّ لكل عصر مشكلاته، والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال كما قال علماؤنا، فلعل ما قاله فقهاؤنا قديمًا لا يصلح الآن، لأنَّهم لو كانوا معنا الآن لغيروا هم آراءهم، فلم يكونوا هم جامدين.

ولذلك قد نخالف الأئمة، وإذا خالفناهم لم نخرج على منهاجهم، أنا ذكرت رأيًا في بعض المسائل وقلت: هذا على منهج ابن تيمية. فقالوا: ولكن هذا مخالف لقول ابن تيمية. قلت: هو مخالف لقول ابن تيمية، ولكنَّه موافق لمنهجه؛ لأنَّ ابن تيمية لم يدعنا إلى التقليد، وإنَّما دعانا إلى التجديد والاجتهاد؛ فأنا إذا اجتهدت لعصري، كما اجتهد هو لعصره أعملت منهجه إذنْ؛ وإن خالفت قوله، لأنَّ قوله متأثر بزمانه ومكانه، وهكذا.

## نهج الحكمة والموعظة الحسنة:

تيار الوسطية الإسلامية في رأيي هو التيار الذي ينبغي أن يتمسك به الشباب المسلم في مواجهة التيارات الأخرى، يؤمن بالإسلام إلى أقصى حد، وفي الوقت نفسه يؤمن بالحوار مع الآخرين!

ومن لطائف التعبير القرآني أنَّه يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. في الموعظة قال: الموعظة الحسنة. وفي الجدال قال: بالتي هي أحسن. لماذا؟ لأنَّ الموعظة تكون مع الموافق فيكفي أن تكون موعظة حسنة، ولكن الجدال يكون مع المخالف، فلا يكفي أن يكون حسنًا، بل ينبغي أن يكون بالتي هي أحسن، فلو كانت هناك طريقتان للجدال والحوار طريقة حسنة وطريقة

QaradawiBooks.com

أحسن منها، فواجبنا أن نتبع الطريقة الأحسن، التي تأخذ بمجامع القلوب، وتقرب الناس بعضهم من بعض، وتحبب الإسلام إلى الناس.

ولهذا فالقرآن يعلم النبي ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]. طبعًا الرسول على الهدى من غير شك، وهم على الضلال المبين من غير شك، ولكن في مقام الجدال والحوار لا تجبه خصمك بأن تقول له: أنت ضال، وأنت مبطل، وأنت كذا.

ولذلك لم يخاطب القرآن الكفار في الدنيا بقوله: يأيها الكفار أو يأيها الكافرون. إنَّما يخاطبهم فيقول: يأيها الناس. وإذا كانوا من اليهود والنصارى يقول: يا أهل الكتاب. مرة واحدة فقط التي جاء القرآن فيها بهذا الخطاب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. وكانت لها مناسبة معينة، أنَّهم يريدون أن يتنازل عن دينه وعن توحيده، نعبد إلهك فترة من الزمن، وأنت تعبد إلهنا فترة من الزمن، فجاء القرآن بهذا القول الحاسم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. أمَّا ما عدا ذلك فيخاطب الكفار بقوله: يأيها الناس أو يا أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٤، ٢٥]. كان يمكن من باب المقابلة أن يقول: قل تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تجرمون. لكنَّه لم يرض أن ينسب إليهم الإجرام وهو يخاطبهم، فأي تلطف في الخطاب أعظم من هذا التلطف؟! هذا هو الذي نؤمن به.

QaradawiBooks.com

الله تعالى يقول في مجادلة أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. يعني ركزوا على مواطن الاتفاق، لا مواضع الاختلاف، نحن وإياكم نؤمن بالألوهية، وبيننا وبينكم قدر مشترك، ولذلك عاملكم الإسلام معاملة أهل كتاب، ولم يعاملكم معاملة الوثنيين، هذا هو المطلوب في الدعوة.

## الرفق في القول واللين في الدعوة:

وإذا كانت بعض التيارات تؤمن بالخشونة في الدعوة والغلظة في القول، فتيار الوسطية يؤمن بالرفق واللين، و«**ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما انتزع من شيء إلا شانه**»[1]، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. لأنَّ الناس لا تطيق الفظ ولا الغليظ؛ ولو كان هو رسول الله ﷺ، ولكنَّه كان رحيمًا بهم، ولذلك لا بدَّ أن يكون الإنسان محمديًّا؛ فيمتلئ قلبه بالرفق بالناس والحنو عليهم والمحبة لهم، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ونجد النبي عليه الصلاة والسلام حينما علم أنَّ أحد الصحابة ـ أبا بكرة رضي الله عنه ـ أراد أنْ يدرك الركوع مع النبي ﷺ وقد جاء متأخرًا فركع من عند باب المسجد، وظل راكعًا حتى وصل إلى الصف، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال له: «**زادك الله حرصًا ولا تَعد**»[2]. معنى «**لا تَعد**» أنك أخطأت،

(١) سبق تخريجه صـ٣٩٠.

(٢) رواه البخاري في الأذان (٧٨٣)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

و«**زادك الله حرصًا**» معناه تقدير لنبل الدافع؛ لأنَّه أراد ألا تضيع منه الركعة فركع من بعيد وظل يمشي راكعًا حتى وصل إلى الصف.

غير مرخصة للطباعة

## تبني تيار الوسطية:

نحن أيُّها الإخوة ندعو الشباب المسلم أنْ يتبنى تيار الوسطية الإسلامية، التيار الإيجابي الذي لا يستعلي على المجتمع كما استعلى تيار الرفض، وأساء الظن بالناس جميعًا إلى حد أن كفَّرهم أو فسَّقهم، وأساء التعامل حتى مع أقرب الناس إليه، أمه وأبيه وإخوانه وأخواته!

لا، تيار الوسطية يتعامل مع المجتمع ويعايشه، ويعيش في همومه ومشكلاته، ويتغلغل في عماقه، يشاركه في كل شيء، ينشئ الجمعيات الخيرية، وينشئ المدارس التربوية، والمستشفيات الصحية، ويعقد الحلقات القرآنية، ويعلِّم الجاهل، ويدِّرب العاطل، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويشارك في المجالس البلدية والبرلمانية والنقابية، لا يستعلي على المجتمع، ولا يعتزله، ولا ينفصل عنه؛ حتى وإن كان يرى أن في المجتمع فسادًا وانحرافًا، لأنَّه جزء من هذا المجتمع، كما قال المثل العربي قديمًا: أنفك منك وإن كان أجدع. فحينما يكون ابنك عاقًّا فهو ابنك، ولا بدَّ أن تحاول إصلاحه، كذلك الإنسان هو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، والمسلم لا ينفصل عن مجتمعه.

## فقه المقاصد وفقه الموازنات:

هذا هو الفقه لسنن الله تعالى وآياته في الأنفس والآفاق، وهذا الفقه لمقاصد الشرع! ومقاصده إنَّما جاءت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، لم يأت الشرع أبدًا بما يضاد مصالح الناس، كما يقول الإمام ابن القيم: أي مسألة في الشرع خرجت من العدل إلى الظلم، أو من

QaradawiBooks.com

الحكمة إلى العبث، أو من المصلحة إلى المفسدة، أو من الرحمة إلى ضدها فليست من الشريعة في شيء؛ وإن أُدخلت فيها بالتأويل[١]. الشريعة لم تأت إلا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة، هذه هي مقاصد الشريعة إذا أحسنا نحن فقه الشريعة.

كذلك من الأشياء التي يركز عليها هذا التيار: فقه الموازنات، لا بدَّ أن نوازن بين الأشياء بعضها وبعض، جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. هذا أعطانا قاعدة، أنك حينما توازن بين المنافع والمضار، فتكون المضار أكبر، هنا يحرم الشيء، وبالعكس إذا كانت هناك مضرة صغيرة ومنفعة كبيرة تُغتفر المضرة الصغيرة لجلب المنفعة الكبيرة، ولذلك قالوا: يُرتكب أخف الضررين، وتُفوت أدنى المصلحتين، ويُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، ويُتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، وهكذا. هذا فقه الموازنات.

**فقه الأولويات:**

ويترتب عليه فقه الأولويات، أي الأشياء ينبغي أن تُقدَّم؟ وأي الأشياء ينبغي أن تؤخَّر؟ لأنَّ من آفة المسلمين في عصرنا أنَّهم فقدوا فقه الأولويات، يُقدَّم ما حقه التأخير، ويُؤخَّر ما حقه التقديم، يُعظم الشيء الهين، ويهوَّن الشيء العظيم، لا، لا بدَّ أن نعطي كل شيء قدره، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

أوامر الإسلام ونواهيه ليست في مرتبة واحدة: هناك العقيدة أعلى

(١) إعلام الموقعين (١١/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

المراتب، كما جاء في الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[١]. فلا يجوز لنا أن نجعل الشعبة رقم (١) هي الشعبة رقم (٧٧)، ولا العكس، لكل شيء في الإسلام تسعيرة، فلا يجوز أن نقدم الأعمال على العقائد، ولا نقدم النوافل على الفرائض، ولا نقدم فرض الكفاية على فرض العين، ولا نقدم فرض العين الشخصي على فرض العين الاجتماعي.

حينما جاء أحد الصحابة إلى النبي ﷺ يريد أن يبايعه على الجهاد قال له: «**أأحد من أبويك حي؟**» قال: كلاهما حي. قال: «**ارجع ففيهما فجاهد**»[٢]. وأحدهما جاء يقول: جئت وتركت أبَوَيَّ يبكيان. فقال له: «**ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما**»[٣]. هذا لأنَّ الجهاد كان فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين.

ولكن حينما يكون الجهاد فرض عين، فلا طاعة للأبوين في هذه الحالة! حينما يغير العدو على بلد أجمع الفقهاء فيه على أنَّ النفير عام، يصبح فرض عين على الجميع، فيخرج الولد بغير إذن أبيه، والمرأة بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن سيده، والمرؤوس بغير إذن رئيسه، لماذا؟ لأنَّ هذا فرض عين يتعلق بالمجتمع كله، بحق الأُمَّة، فهو مقدم على الفروض العينية الفردية، هذا الفقه مطلوب جدًّا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٦١.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

هناك أناس يقدمون الفروع على الأصول، ويقدمون الجزئيات على الكليات، ويقدمون النوافل على الفرائض، ويقدمون المختلف فيه على المتَّفق عليه، ويقدمون الظنيات على القطعيات، ويقدمون المتشابهات على المحكمات، ويهتمون بالمكروهات أو بالأمور المشتبه فيها أو بصغائر المنهيات بينما يرتكب الناس الكبائر، ولذلك فمن المهم ألا أشغل الناس بقضايا فرعية أو بقضايا خلافية بينما ضيعت الأمة الفرائض، وعطلت الشريعة، وبينما يُهاجَم المسلمون من كل مكان، وبينما اليهودية العالمية والصليبية الغربية والوثنية الشرقية وكل القوى المعادية للإسلام تقتحم عليه حرماته، وتتسور عليه داره، وتنقص من أطرافه، فعلينا أن نشغل المسلمين بهذا، فقه الأولويات فقه مهم جدًّا.

وفي عصرنا فقدت أمتنا الأولويات في كل شيء! حين تطالع الصحف: انظر مثلًا ماذا للدين فيها؟ بعضها يجعل في يوم الجمعة صفحة دينية، حتى إنَّه لا يسميها «صفحة إسلامية»، لأن دينية شيء وإسلامية شيء آخر، وبعضها قد يضع عمودًا في بعض الأيام الأخرى، وانظر إلى الفن والفنانين والفنانات ـ كما يسمونهم ـ ماذا يأخذونه من الحجم؟ انظر إلى نصيب العلم والعلماء ونصيب الفن والفنانين؟ قد يكون بعض الناس من كبار العلماء ولكن لا يعرفهم الناس، ولكن اسأل الناس عن المطربة الفلانية والممثل الفلاني، وانظر إلى شهرتهم بينهم، أحيانًا يعملون مسابقات للطلاب، فيسألونهم عن اللحن الفلاني ومقدمة الأغنية الفلانية، يريدون أن يصبح الفن أهم شيء في الحياة، والفنانون هم نجوم المجتمع، هذه هي الثقافة التي يريدون أن يفرضوها على المجتمع.

QaradawiBooks.com

وإذا انتقلنا إلى لعبة كرة القدم نجد الأمر مماثلًا، لعلكم سمعتم في الصيف الماضي عن لاعب كرة في مصر يتنافس عليه ناديان فوصل اللاعب إلى سبعمائة وخمسين ألف جنيه في ذلك الوقت، فقال بعض الناس الذين يشتغلون بالعلم ساخرًا: ما الذي يجعلنا نشتغل بالعلم إذنْ؟ الأُمَّة إذنْ ليست في حاجة إلى عبقرية الفكر والقلم ولكنها في حاجة عبقرية القدم، انظر الصحف كم تأخذ الرياضة منها يوميًّا؟ هذا خلل في الأولويات.

## معنى رعاية الشباب:

كنت أتحدث لإخوانكم عن رعاية الشباب وأتساءل: ما معنى رعاية الشباب؟ في كثير من البلاد توجد وزارات لرعاية الشباب، ومجالس عليا لرعاية الشباب، وحصروا رعاية الشباب في الجانب البدني للإنسان، وهذا الجانب مجرد غلاف للإنسان، حقيقة الإنسان ليست في هذا الهيكل البدني؛ من العظام والأجهزة والخلايا واللحم والدم والأعصاب، فهي نفسها موجودة عند الحيوانات، بل تجد عند الثور جسمًا أقوى من جسم الإنسان، وعلى الأقل يؤكل لحمه، فهل الإنسان هو هذا الجسم؟ كما يقول الشاعر:

**يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران**
**أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان**[1]

هؤلاء اهتموا بالبدن، وليتهم اهتموا بالرياضات البدنية كلها! لا، بل اهتموا ببعض الرياضات دون بعض، أهم رياضة اهتموا بها هي رياضة كرة القدم، وهناك رياضات أنفع للناس لا يهتمون بها، قديمًا كنا نمارس

(١) ديوان أبي الفتح البُسْتي صـ١٨٣، تحقيق درية الخطاب ولطفي الصقال، نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

التمرينات السويدية، أمَّا هذه الكرة فيلعبها اثنان وعشرون شخصًا، وبقية الناس يتفرجون ويتقاتلون فيما بينهم، أهلاوي أم زملكاوي؟ النادي العربي أم نادي الهلال؟

رعاية الشباب هي رعاية بدنه وروحه وعقله ووجدانه، لكنْ هناك خلل في الأولويات، وكان من نتائج هذا الخلل أنَّه لما مات عبد الحليم حافظ انتحر بعض البنات، وحين مات واحد كالشيخ أبي زهرة لم يكد يسمع عنه أحد، هذا الإمام الجليل الذي ملأ الدنيا علمًا لم يكد يسمع أحد بموته، ربما تحدثت عنه صحيفة في سطر أو سطرين! فالأُمَّة فقدت فقه الأولويات.

ولذلك ينبغي على تيار الوسطية الإسلامية أن يعيد إلى الأمة فقه الأولويات، خاصة تيار الصحوة الإسلامية، صحوة الشباب الإسلامي بالذات ينبغي أن تعود إلى هذا الفقه، تعرف أولويات العلم، وأولويات العمل، وأولويات الحياة، وتقدم ما حقُّه أن يُقدم، وتؤخر ما حقه أن يؤخر.

هذا هو التيار الذي ندعو إليه أيها الإخوة، ونرجو أن يسود الشباب المسلم، لا قيام لهذه الأمة من وهدتها، ولا نجاة لها مما هي فيه، ولن يوحدها من فرقة، ولن يجمعها من شتات، ولن يحييها من موات، ولن يعزها من ذلة، ولن يؤمنها من خوف، ولن ينصرها من هزيمة ـ إلَّا أنْ تلتقي على الإسلام، الإسلام الصحيح في ضوء هذا الفقه بعناصره المختلفة المتنوعة، فقه الوسطية الإسلامية.

بهذا وحده نستطيع أن نجدد شباب أمتنا، وأن تتبوأ هذه الأُمَّة مكانتها تحت الشمس، وأن يكون لها دور في الوجود يحتاجه الناس جميعًا، يحتاج إليه العالم، ويحتاج إليه المسلمون أنفسهم، فقد جرب المسلمون الاستيراد من الشرق، والاستيراد من الغرب، جربوا اليمين

QaradawiBooks.com

وجربوا اليسار، فما نفعهم يمين ولا أصلحهم يسار، وبقيت الأمة ممزقة شر ممزق، وبقيت إلى الآن في دائرة ما يسمى «العالم الثالث»، أو «البلاد النامية»، وبعضهم يقول: بل البلاد النائمة. لأننا لا نزال نائمين إلى الآن، العالم صنع الكمبيوتر، ونحن لا نزال مختلفين في تسميته، الدماغ الإلكتروني أم الحاسب الآلي أم المحساب أم الحسابة أم الحاسوب؟ حتى لم نتفق على اسم له، أين نحن من العالم؟

**لا مكان لنا إلا بالإسلام:**

لا مكان لنا إلا بالإسلام، هو الذي يفجر طاقاتنا، هو الذي يصنع منا أُمَّة حية، هو الذي يجعل الفرد يعمل بعشرة أضعاف الفرد العادي، يعطيه طاقة مضاعفة كما قال الله تعالى في شأن القتال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. وهذا كما يقال في الجانب العسكري يقال في الجانب الحضاري، وفي الجانب الاقتصادي، وفي الجانب الإنتاجي.

كيف نستطيع أن نتغلب على التخلف، ونلحق بركب العالم المتقدم، ونعوض ما فاتنا؟ بدأت مصر نهضتها مع اليابان أو قبلها، انظروا أين مصر وأين اليابان؟ بل انظروا إلى كوريا التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ومنتجاتها تغزو أسواق العالم الآن، ونحن إلى الآن لم نصنع موتورًا أو محركًا في بلادنا العربية.

نشتري التكنولوجيا؛ لكنَّنا لم نصنعها، نستورد طيارات حديثة، ونستورد أفخم السيارات، يركبها أحدهم ويهز بها الأرض هزًّا وهو لم يصنع فيها مسمارًا، تعطلت محطة كهربائية في إحدى دول الخليج

QaradawiBooks.com

فأصبح ثلث المدينة ليس عنده ماء ولا كهرباء، ولا مروحة، ولا مكيف، ولا ثلاجة، ولا شيء من هذا، وبقوا أيامًا على هذا؛ حتى جاء الخواجة من الشركة التي صنعت المحطة فأصلحها.

لكي نعوض هذا تحتاج الأمة إلى طاقة روحية عالية حتى تلحق بهؤلاء، هذه الطاقة لا يمكن أن يفجرها ويمنحها إلا الإسلام، إلا الإيمان، إذا قدت هذه الأمة بلا إلٰه إلا الله، والله أكبر، إذا رفعنا أمامها المصحف، إذا قدناها بأحلام الجنة، إذا وضعنا أمامها بطولات سلفها الصالح؛ فإنَّ هذه الأمة يمكن أن تعطي الكثير، يمكن أن تسير وراء من يقودها باسم الله، وهذا ما يخشاه أعداء الإسلام!

ينبغي أن نعلم أنَّه لا نجاة لنا إلا بهذا الطريق، إلا أن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق، إلا أن نعود إلى الإسلام لنتخذه مصدرًا للتوجيه، ومصدرًا للإلهام، ومصدرًا للتشريع، ومصدرًا للفكر وللسلوك وللحياة كلها، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، رضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال: نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلَّنا الله[١].

نسأل الله ﷻ أن يعزنا بالإسلام، وأن يردنا إليه ردًّا جميلًا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) سبق تخريجه صـ٧٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

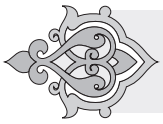
# الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



# فهرس الآيات القرآنية الكريمة




| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الفاتحة** | | |
| ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ | ٥ | ٥٧ |
| ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ | ٦ | ٥٧، ٤٩٠، ٥٠٨، ٥٤٠ |
| ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ | ٧ | ٥٠٨ |
| **سورة البقرة** | | |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ | ٢٦ | ٩١ |
| ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ | ٢٩ | ٢٠٧ |
| ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ | ٣٠ | ٢٦٤، ٢٦٥، ٤٠٦، ٤٩٨ |
| ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ | ٣١ ـ ٣٣ | ٢٦٥ |
| ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ | ٣٥ | ٢٥٥، ٣٨٢، ٤٠٧ |
| ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ | ٤٣ | ٢١١ |
| ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ | ٤٤ | ٤٠٤ |
| ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ | ٦٠ | ٩١ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ | ٧٣ | ٣٦٩ |
| ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ | ٨٥ | ١١٢ |
| ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ | ١١١ | ٧٠ |
| ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ | ١١٥ | ٧٦، ٥١١ |
| ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ | ١٢٠ | ٣٦٠ |
| ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ | ١٣٨ | ٢٥٨ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ | ١٤٣ | ٢٠٠، ٣٤٦، ٤٦٧، ٥١٢، ٥٤٠ |
| ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ | ١٤٨ | ١٤٢ |
| ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ | ١٧٣ | ١٨٤ |
| ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ | ١٧٧ | ١٩٤ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ | ١٧٨ | ٥٨ |
| ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ | ١٨٠ | ١٥٧ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ | ١٨٣ | ٥٨ |
| ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ | ١٨٥ | ١٧٢، ١٧٣ |
| ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ | ١٨٧ | ٢٨ |
| ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ | ١٩٧ | ٤٥١ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ | ٢٠٨ | ١١٢، ٥٤٠ |
| ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ﴾ | ٢١٤ | ٣٥٩ |
| ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ | ٢١٥ | ١٦٨ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ | ٢١٩ | ٢٢١، ٥٨٧ |
| ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ | ٢٢٠ | ١١٣ |
| ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ | ٢٢٨ | ٢٨، ٢٩، ٤٠ |
| ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ | ٢٢٩ | ١٤ |
| ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ ﴾ | ٢٣٠ | ١٤ |
| ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ | ٢٣١ | ١٧ |
| ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ | ٢٣٣ | ١٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٩٤، ٤٧١ |
| ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ | ٢٣٤ | ١٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ | ٢٥٤ | ٢٠٨ |
| ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ | ٢٦١ | ٢٠٦ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ | ٢٦٢ | ٢٠٦ |
| ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا ﴾ | ٢٦٩ | ١٣٠ |
| ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ | ٢٧٢ | ١٦٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ٢٧٨ | ٢١٥ |
| ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ | ٢٨٠ | ٢١٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ ﴾ | ٢٨٢ | ٥٨، ٤٧٢ |
| **سورة آل عمران** | | |
| ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ | ٨ | ٢١٧ |
| ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ | ٣٥ | ٣٨٤، ٤٠٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ | ٣٦ | ٣٨٤، ٤٠٨ |
| ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ | ٣٧ | ٤٠٨ |
| ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ | ٦٣ | ٥٦ |
| ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ | ٧٩ | ٤١٦ |
| ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ | ١٠١ | ٥٩٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ | ١٠٢ | ٥٠٠ |
| ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ | ١٠٣ | ٥٠٧ |
| ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ | ١٠٤ | ١٤٢، ١٤٣ |
| ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ | ١١٠ | ٢٠٠ |
| ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ | ١١٤ | ١٤٢ |
| ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ | ١٤٧ | ٥٢٤ |
| ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ | ١٥٩ | ١٢٦، ٥٨٥ |
| ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ | ١٨٠ | ٢٠٨ |
| ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ | ١٩٥ | ٢٨، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٦٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٤ |
| **سورة النساء** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ | ١ | ٦ |
| ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ | ٤ | ١٥ |
| ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ | ١١ | ٤٧٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ ﴾ | ١٥ | ٣٩٩ |
| ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ ﴾ | ١٩ | ٦، ١٧ |
| ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ | ٣٤ | ٢٤١، ٣٤٤، ٣٩٠ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ | ٤٣ | ٢٢١ |
| ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ | ١٢٤ | ٣٤٤ |
| ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا ﴾ | ١٤٠ | ١٢٤ |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ | ٢ | ٥٠٧ |
| ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ | ٣ | ٤٣٣، ٤٣٧ |
| ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ ﴾ | ٢١ | ٤٧٩ |
| ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾ | ٢٢ | ٤٧٩ |
| ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ | ٢٤ ـ ٢٦ | ٤٧٩ |
| ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ | ٣٨ | ٥٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ٢١٠ |
| ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ ﴾ | ٤٩ | ١١٩، ٥٤٠ |
| ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ | ٥٠ | ٢٥٨ |
| ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ | ٥٨ | ٤٨٣ |
| ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾ | ٧٨ ـ ٨١ | ١٢٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴾ | ٩٠ | ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ | ٥٠ | ٣٦٩ |
| ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ | ٧٢ | ٢١١ |
| ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ | ٨٩ | ١٦٣ |
| ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ | ٩٤ | ٢٠٨ |
| ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ | ٩٨ | ٣٦٨ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ | ١١٢ | ٤٥٤ |
| ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ | ١٤١ | ١٦٠، ٢٠٤ |
| ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ | ١٥٢ | ٥٠٥ |
| ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ | ١٥٣ | ٤٩٠ |
| ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | ١٦٢ | ٥٠٨ |
| ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ | ١٦٣ | ٥٠٨ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ | ٣١ | ١١١ |
| ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ | ٣٢ | ٦ |
| ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ | ٣٣ | ٦، ٢٢١ |
| ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ | ٥٨ | ٥٢٣، ٥٧٠ |
| ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ | ٨٣ | ٩٧ |
| ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ | ٨٦ | ٥٥٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ | ١٢٩ | ٤٩٨ |
| ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ | ١٥٨ | ١٥٠ |
| ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ | ١٧٥ | ٤٠٤، ٤٤٨ |
| ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ | ١٧٦ | ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٤٨ |
| ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ | ١٧٩ | ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٩٦ |
| ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ | ١٨١ | ١٦٣ |
| ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ | ١٨٥ | ٣٦٩ |
| ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ | ١٨٨ | ٤١٣ |
| ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ | ١٨٩ | ٢٥٥ |
| **سورة الأنفال** | | |
| ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ | ٢٦ | ٤٠٩ |
| ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ | ٤١ | ١٩٤ |
| ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ | ٦٠ | ٦٣ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ | ٦٢ | ٥٤٩ |
| ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ | ٦٣ | ٥٤٩ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ | ٦٥ | ٦٧، ٥٩٢ |
| ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ | ٦٦ | ٦٧ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ | ٧٣ | ٤٥٦ |
| ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ | ٧٥ | ١٢ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ | ٤ | ٢١٠ |
| ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ | ١٩ | ٥٠١، ٥٥٤ |
| ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ | ٣٢ | ٣٩٧ |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ | ٣٣ | ٣٩٧ |
| ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ | ٤١ | ٨٤ |
| ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ | ٦٧ | ٣٤٠ |
| ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ | ٧١ | ١١٩، ٢٠٩، ٣٣٦، ٣٤٠ |
| ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ | ١٠٣ | ١٩٠، ٢٠٨ |
| ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾ | ١٢٢ | ٤٤٢ |
| ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ | ١٢٨ | ٥٨٥ |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ | ٣٦ | ٧٠ |
| ﴿لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ | ٦٦ | ٥٧٤ |
| ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ | ٨٣ | ٤٣٤، ٤٦١، ٥٢٩ |
| ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ | ١٠١ | ٣٦٩ |
| **سورة هود** | | |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ | ٧ | ٥٠٥ |
| ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ | ٦١ | ٢٦٤، ٤٠٦، ٤٩٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ﴾ | ٨٤ ـ ٨٧ | ١٧٧ |
| ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ | ١١٨ | ٥١٣، ٥٨٢ |
| ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ | ١١٩ | ٥١٣، ٥٨٢ |
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ | ٢٣ | ١٠٧، ١٣١، ٤٣٥، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٤، ٥١٨، ٥١٩، ٥٤٦ |
| ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ | ٢٤ | ٥١٩ |
| ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ﴾ | ٣٢ | ٤٣٦، ٥١٩ |
| ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ | ٣٣ | ١٣١، ٤٧٥، ٥١٩ |
| ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ | ٣٤ | ٤٧٥ |
| ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ | ٣٥ | ٤٧٥، ٥١٩ |
| ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ | ٣٩ | ٥٢٠ |
| ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ | ٧٦ | ٤١٥ |
| ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ | ٩٠ | ٤٩٤، ٥٤٦ |
| ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ | ١٠٨ | ١٣٠، ٤٤٤، ٥٤٣ |
| **سورة الرعد** | | |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ | ١١ | ٩٩، ٣٦٧، ٣٦٨ |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ | ٣٧ | ٤٠٧ |
| ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ | ٣٩ | ٤٩٤، ٥٤٥ |

غير مرخص للطباعة

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة النحل** | | |
| ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ | ٥ ـ ٨ | ٤٩٧ |
| ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ | ٣٦ | ٢٢١ |
| ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ | ٥٣ | ٢٠٨ |
| ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ | ٥٨ | ٢٦٠ |
| ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ | ٧٢ | ١٢ |
| ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ | ٧٥ | ٢٠٧ |
| ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ | ٧٨ | ٤٩٧ |
| ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ | ١٢٥ | ١٢٥، ٥٠٥، ٥٨٣ |
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ | ٢٣ | ١٢٧، ٤٧١ |
| ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ | ٢٦ | ١٤٥ |
| ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ | ٤٤ | ٤٩٧ |
| ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ | ٧٠ | ٢٦٤ |
| ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ | ٨٥ | ٤١٤، ٤٤٧ |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ | ٧ | ٥٠٥ |
| ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ | ١٣ | ٩٨، ٤٣٤، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٤٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ | ١٤ | ٩٨، ٤٣٤، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٤٦ |
| ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ | ١٥ | ٩٨، ٤٣٤، ٤٦٢، ٤٦٣ ٥٢٠ |
| **سورة مريم** | | |
| ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ | ١٢ | ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٤٦ |
| ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ | ١٣ | ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٤٦ |
| ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ | ١٤ | ٥٤٦ |
| ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ | ٤١ ـ ٤٥ | ١٢٧، ٥١٧ |
| ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ | ٤٦ | ١٢٧ |
| ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ | ٤٧ | ١٢٧ |
| ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾ | ٤٨ | ١٢٧ |
| **سورة طه** | | |
| ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾ | ٢٥ ـ ٢٨ | ٤٣٣ |
| ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ | ٤٢ ـ ٤٤ | ١٢٥ |
| ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ | ٧١ ـ ٧٣ | ١٠١ |
| ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ | ١١٤ | ٤١٤ |
| ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ | ١٣٢ | ٤١ |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ | ٥٧ | ٤٩٣، ٥٤٥ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ | ٥٨ | ٤٦٢، ٤٩٣، ٥٤٥ |
| ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | ٥٩ | ٤٩٣، ٥٤٥ |
| ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ | ٦٠ | ٤٣٤، ٤٦٢، ٤٩٣، ٥٤٥، ٥١٧ |
| ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ | ٨٠ | ٦٥ |
| ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ | ٩٢ | ٢٠٠، ٥١٣ |
| ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ | ١٠٧ | ١٥٠، ١٥٥ |
| **سورة الحج** | | |
| ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ | ٣٠ | ٢٢١ |
| ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ | ٤٠ | ١١٩ |
| ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ | ٤١ | ١١٩، ٤٨٤ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ | ٧٧ | ١٤١ |
| ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ | ٧٨ | ١٤١ |
| **سورة المؤمنون** | | |
| ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ | ١٢ ـ ١٤ | ٥٨١ |
| ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ | ٥٢ | ٢٠٠، ٥١٣ |
| **سورة النور** | | |
| ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ | ٢ | ٥٨، ٢١٠ |
| ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾ | ٣٠ | ١٠٨، ٤٨٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ | ٣١ | ١٠٨، ١٣٧، ١٣٨، ٢٤٧، ٣٤٥، ٣٨٧، ٤٢٧، ٤٨٦ |
| ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ﴾ | ٣٢ | ١١، ١١٠ |
| ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ | ٣٣ | ١٨٠، ٢٠٨ |
| ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ | ٣٥ | ٤٤٤ |
| ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ | ٤٠ | ٣٣٩ |
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ ﴾ | ٥٨ | ٥٢٧ |
| **سورة الفرقان** | | |
| ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ | ١ | ١٥٠ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ | ٣١ | ٤٥٤ |
| ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ | ٤٣ | ٤٩٨ |
| ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ | ٤٤ | ٤٠٥، ٤٩٨ |
| **سورة الشعراء** | | |
| ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ | ٣٢ ـ ٥١ | ١٠٠ |
| ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ١٩٢ | ٤٧١ |
| **سورة النمل** | | |
| ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ | ٣١ | ٣٨٣ |
| ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ | ٣٢ | ٣٨٣ |
| ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ ﴾ | ٣٤ | ٣٨٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القصص** | | |
| ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ | ٧ | ٣٨٢، ٤٠٧ |
| ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ | ٨ | ٨٢ |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ | ٩ | ٣٨٢، ٤٠٨ |
| ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ | ١١ | ٤٠٧ |
| ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ | ١٢ | ٣٨٣، ٤٠٧ |
| ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ | ١٥ | ٥٢٩ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ | ١٦ | ٥٢٩ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ | ١٧ | ٥٣٠ |
| ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ | ٢٣ | ١٣٥، ١٣٦، ٣٨٣ |
| ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ | ٢٤ ـ ٢٦ | ١٣٦، ٣٨٣ |
| ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ | ٢٦ | ١٣٦، ٣٨٣، ٤٠٨، ٥٣٠ |
| ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ | ٥٦ | ١٢٨ |
| ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾ | ٧٦ | ١٧٦ |
| ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ | ٧٧ | ١٧٦ |
| ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ | ٧٨ | ١٧٧ |
| **سورة العنكبوت** | | |
| ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ | ٤٦ | ٥٨٥ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الروم** | | |
| ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ | ٤ ـ ٦ | ٣٧٣، ٤٥٧ |
| ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ | ٢١ | ١١، ٢٨ |
| ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ | ٢٢ | ٥١٣ |
| ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ | ٥٤ | ٤٣٠، ٤٦٠، ٤٩١، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٦٧ |
| **سورة لقمان** | | |
| ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ | ١٤ | ٤٣ |
| ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ | ١٥ | ١٢٧ |
| ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ﴾ | ١٧ | ٣٧١، ٤٥٣ |
| **سورة السجدة** | | |
| ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ | ١٨ | ٤٨٤ |
| ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ | ٢٤ | ٣٧٢ |
| **سورة الأحزاب** | | |
| ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ | ٣٢ | ١٣٧، ١٣٨، ٣٤٥، ٤١٧ |
| ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ | ٣٥ | ٢٣٤ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ | ٣٩ | ٤٨٩ |
| ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ | ٥٣ | ٤١٧ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ | ٥٩ | ٣٨٧، ٤٢٧ |


غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ | ٦٢ | ٣٦٧ |
| ﴿أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ | ٦٧ | ٧٠ |
| **سورة سبأ** | | |
| ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ | ١٠، ١١ | ٦٥ |
| ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ | ٢٤ | ٥٨٤ |
| ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ | ٢٥ | ٥٨٤ |
| ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ | ٣٩ | ١٢٠ |
| ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ | ٤٦ | ٣٦٩ |
| **سورة فاطر** | | |
| ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ | ١٩، ٢٠ | ٤٤٦ |
| ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ | ٢٨ | ٤٤٧ |
| ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ | ٤٣ | ٥٦٤ |
| **سورة يس** | | |
| ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ | ٥ | ٤٧١ |
| ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ | ٣٣ ـ ٣٥ | ١٧٩ |
| ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ | ٤٧ | ١٧٨ |
| ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ | ٧١ ـ ٧٣ | ١٨٠ |
| **سورة الصافات** | | |
| ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۞ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ | ٩١ ـ ٩٣ | ٤٦٢ |
| ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ | ٩٥، ٩٦ | ١٨ |

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ | ١٠٠، ١٠١ | ٥١٨ |
| ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾ | ١٠٢ | ٤٣٥، ٤٩٤، ٥٤٥، ٥١٨ |
| ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ | ١٠٣ | ٤٩٤، ٥٤٥ |
| ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ | ١٠٧ | ٤٩٤، ٥٤٦ |
| ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ | ١٨٠ ـ ١٨٢ | ٥٢٤ |
| **سورة ص** | | |
| ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ | ٢٦ | ٧١ |
| ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ | ٧٢ | ٤٠٥ |
| **سورة الزمر** | | |
| ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ | ١٧، ١٨ | ٥٠٥ |
| ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ | ٢٢ | ٤٤٤ |
| ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ | ٥٥ | ٥٠٥ |
| **سورة فصلت** | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ | ٣٠ | ٥٠٤ |
| ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ | ٣٣ | ١٦٤، ٤٥٥، ٤٦٩ |
| ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ | ٣٤ | ٥٠٥ |
| ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ | ٤٢ | ٤٦٩، ٤٧١ |
| **سورة الشورى** | | |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ | ٣٧ | ٢٢١ |
| ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ | ٤٩ | ٢٦٠ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الزخرف** | | |
| ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ | ٢٢ | ٧٠ |
| ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ | ٥٨ | ٥٦٤ |
| **سورة الجاثية** | | |
| ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ | ١٣ | ٥٦٧ |
| **سورة الأحقاف** | | |
| ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ | ١٥ | ٤٣ |
| **سورة محمد** | | |
| ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ | ١٤ | ٤٤٤ |
| **سورة الحجرات** | | |
| ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ | ٩ | ١٦٠، ١٨٩ |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ | ١٠ | ١٨٢، ٢٠٤ |
| ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ | ١١ | ٤٨٤ |
| **سورة الذاريات** | | |
| ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ | ٤٩ | ٢٥٤ |
| ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ | ٥٦ | ٢٦٤، ٤٠٦، ٤٩٨، ٥٦٧ |
| **سورة النجم** | | |
| ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ | ٢٣ | ٧١ |
| ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ | ٣١ | ٥٧٤ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القمر** | | |
| ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ | ٤٦ | ١٣٠ |
| **سورة الواقعة** | | |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ | ٦٣ ـ ٧٠ | ١٧٩ |
| **سورة الحديد** | | |
| ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ | ٢٥ | ٥٥٦ ،٦٣ |
| **سورة الحشر** | | |
| ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ | ٧ | ١٩٤ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾ | ١٠ | ٢٠٤ |
| ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ | ١٣ | ٣٦٨ |
| **سورة الممتحنة** | | |
| ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾ | ٨ | ١٥٤ |
| **سورة الجمعة** | | |
| ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ | ٢ | ٨٨ |
| ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ | ٥ | ٤٠٤، ٤٤٨ |
| **سورة التغابن** | | |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ ﴾ | ٢ | ٥٨٢ |
| **سورة الطلاق** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ ﴾ | ١ | ١٥ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ | ٣ | ٥٨٧ |
| ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ | ١٢ | ٤٩٧، ٤٩٨ |
| **سورة التحريم** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ | ٦ | ٢٤، ٤٢، ٣٨٨، ٤٦٠، ٥٣١ |
| **سورة الملك** | | |
| ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ | ٢ | ٥٠٥ |
| ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ | ١٤ | ١١٣ |
| **سورة الحاقة** | | |
| ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ | ٢٥ ـ ٢٧ | ١٤٤ |
| ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ | ٢٧ ـ ٢٩ | ١٤٤ |
| ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ | ٣٠ ـ ٣٢ | ١٤٤ |
| ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ | ٣٣، ٣٤ | ١٤٤ |
| **سورة المزمل** | | |
| ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ | ٥ | ٤٥٣ |
| **سورة المدثر** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ | ١ ـ ٧ | ٥٥٢ |
| ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ | ٣٨ ـ ٤٤ | ١٤٤، ١٩٥ |
| ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ | ٤٣، ٤٤ | ١٤٤ |
| **سورة المرسلات** | | |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ | ٤٨ | ٤٨٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة النازعات** | | |
| ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ | ٢٤ | ١٢٥ |
| **سورة الفجر** | | |
| ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ | ١٧ | ١٤٦، ١٩٧ |
| ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ | ١٨ | ١٤٦، ١٦٩، ١٩٧ |
| ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ | ١٩ | ١٤٦ |
| ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ | ٢٠ | ١٤٦ |
| **سورة الليل** | | |
| ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ | ١ ـ ٣ | ٢٥٤ |
| **سورة العلق** | | |
| ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ | ١ ـ ٥ | ٤٤٦، ٥٣٣، ٥٥٢ |
| **سورة البينة** | | |
| ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ | ٥ | ٢١٣، ٥٥٤ |
| **سورة القارعة** | | |
| ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ | ١٠، ١١ | ١٤٤ |
| **سورة العصر** | | |
| ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ | ١، ٢ | ١٧٤، ٣٧٠، ٤٥٢ |
| ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ | ٣ | ٢٠٩، ١٧٤، ٣٧٠، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٥٢ |

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الماعون** | | |
| ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ | ١ ـ ٧ | ١٤٥، ١٩٥ |
| ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ | ٣ | ١٤٥، ١٩٧ |
| ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ | ٤ ـ ٧ | ١٦٠ |
| **سورة الكافرون** | | |
| ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ | ١ ـ ٦ | ٥٨٤ |
| **سورة المسد** | | |
| ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ | ١ | ٤٦٧ |

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| **أ** | |
| أأحد من أبويك حي؟ قال: كلاهما حي. قال: ارجع ففيهما فجاهد | ٥٨٨ |
| آمروا النساء في بناتهن | ٣٧، ٢٣٩، ٣١٧ |
| أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله ﷻ عليكم صيامه | ٩٠ |
| أترُدِّين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقْبَلِ الحديقةَ وطلِّقْها تطليقة | ٣٣١ |
| أترون هذه المرأة طارحةً ولدَها في النار؟ | ١١٣ |
| اتَّق الله حيثما كنت | ٧٦، ٥١١ |
| اتقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة | ١٥٥ |
| اجتنبوا السبعَ المُوبقات. قالوا: يا رسولَ الله وما هنَّ؟ قال: الشِّرْكُ بالله | ٢١٥ |
| احبس الأصل، وسبِّل الثمرة | ١٥٨ |
| إخ إخ ليحملني خلفه، فاستحييت أنْ أسير مع الرجال | ١٣٥، ٢٤٧ |
| إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض | ٧، ٣٤ |
| إذا استأذنكم نساؤكم باللَّيْل إلى المسجد، فأذنوا لهنَّ | ٣٠٢ |
| إذا صَلَحَتْ صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسَد الجسد كلُّه، ألا وهي القَلْبُ | ٩٩ |
| إذا ظهر الربا والزنى في قريةٍ، فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله ﷻ | ٢١٥ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإذا استطاع ألا تقوم | ٦٤ |
| إذا كنتم ثلاثة في سفر؛ فأمِّروا أحدكم | ١٧١، ٥٤٩ |
| أربع من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر | ٤٠ |
| ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما | ٥٨٨ |
| استعاذ النبي ﷺ من القِلَّة والذلَّة | ١٩١ |
| استعاذ النبي ﷺ من الكفر والفقر | ١٩١ |
| أَعْلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تُؤخَذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم | ١٩٠ |
| أعلمهم أنَّ الله افترض عليهم في أموالهم | ٢٠٦ |
| اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمِكَ، وصحَّتَكَ قبل سُقْمِكَ | ٤٣١ |
| أفضلُ الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحِم الكاشح | ١٩٨ |
| أكثرهن بركة أيسرهن صداقًا | ١٦ |
| ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما | ٢٤٨ |
| ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمامُ الَّذي على النَّاس راعٍ | ١٣٣ |
| ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنَّما هنَّ عوانٍ عندكم | ٣٠٠ |
| التمسوها في العشر الأواخر من رمضان | ٨٩ |
| اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع | ٣٦٩، ٤٤٨ |
| اللهمَّ لا تجعلْ مُصِيبَتَنا في دِيننا، ولا تجعلْ الدُّنْيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ عِلمنا | ٤٣٦ |
| امرأة دخلت النار في هرة حبستها | ١٥٥ |
| امرأة كانت بغيًّا سقت كلبًا فغفر الله لها | ١٥٥ |
| إنَّ ابني ارتحلني؛ فكرهت أنْ أُعجله | ٢٧ |
| إنَّ أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. فجعل الأمرَ إليها | ٢٦٠ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنَّ الله بعثني مُعلِّمًا مُيسِّرًا | ٨٨ |
| إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أجسامِكم ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم | ٥٥٣ |
| إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سَنَة مَنْ يُجَدِّد لها دِينَها | ٥٤٩، ٥٨٢ |
| إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمر كُلِّه | ١٢٦ |
| إنَّ أوَّلَ ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل | ١٢٣ |
| إنَّ أوَّل ما نزل منه سورة من المُفَصَّل، فيها ذكر الجنَّة والنَّار | ١٣٠ |
| أنَّ ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ | ٤٦٦ |
| إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها | ١٥٨ |
| إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاةَ القاصيةَ والناحيةَ | ٥٠٦ |
| إنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن الثلاثة أبعد | ١٧٠ |
| إنَّ في الجنَّة مائة درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله | ٥٠٥ |
| إنَّ لربك عليك حقًّا | ٤٥١ |
| إنَّ من أسباب البلاء: أنْ يطيع الرجل زوجته ويعق أُمَّه | ٢٢ |
| أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلَّا أنَّه تأتي امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك؟ | ٤٤ |
| أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين | ٤٤ |
| أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له | ٧ |
| انظر إليها فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا | ٥٠، ٣١١ |
| انظر إليها فإنَّه أحرى أن يؤدم بينكما | ٥٠، ٣١١ |
| إنَّكَ أنْ تَذَر ورثتَكَ أغنياء، خير من أنْ تَذَرهم عالة يتكفَّفون الناس | ٢٠١ |
| إنَّكَ تأتي قومًا أهلَ كتاب، فليكُنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله | ٣٦٥ |
| إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله | ٢١٣، ٥٥٤ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنَّما بُعِثتُ لأُتمِّم مكارم الأخلاق | ١٠٥ |
| إنَّمَا الطَّاعةُ في المعروف | ٣١٧ |
| إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال | ٢٣٥، ٢٨٩، ٣١٣ |
| إنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية | ١٧٠ |
| إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد | ١٠ |
| أوَأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك | ٢٦ |
| أيُّ شيءٍ أصلح للمرأة؟ فقالت: ألَّا يراها رجل، ولا ترى رجلًا | ٣١٧ |
| إيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة | ٤٣٨ |
| أيُّما أهل عرصة من المسلمين بات فيهم امرؤ جائع | ١٦٠، ١٨٨ |
| الإيمان بضعٌ وسبعون ـ أو بضع وستُّون ـ شُعْبة | ٣٦١، ٥٠١، ٥٥٠، ٥٨٨ |
| **ب** | |
| بُني الإسلام على خمسٍ | ٤٣٩ |
| **ت** | |
| تجدون على الخير أعوانًا، ولا يجدون على الخير أعوانًا | ٤٥٤ |
| تحرَّوها في السبع الأواخر، وفي بعضها: في الأوتار | ٨٩ |
| تخيَّروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم | ٣٨ |
| ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد | ٥٩، ١٨١ |
| تُنكح المرأة لأربع: لحسبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها | ٣٣ |
| **ث** | |
| ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهدُ في سبيل الله | ١٣٢ |
| ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه | ٣٧ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| **خ** | |
| خيرُ متاع الدُّنيا الزوجة الصالحة | ٢٤٩ |
| **د** | |
| الدال على الخير كفاعله | ١٤٣ |
| الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة | ٤٠ |
| **ر** | |
| الراكب شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ | ٣١٤ |
| الرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته | ٥٣١ |
| رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت | ٤١ |
| رحم الله من تصدَّق من ديناره، من درهمه، من كذا | ١٤٣ |
| **ز** | |
| زادك الله حرصًا ولا تَعد | ٥٨٥، ٥٨٦ |
| زملوني، زملوني | ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٤٩، ٣٩٥، ٤٠٩ |
| **س** | |
| سلمان منا أهل البيت | ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٣٧ |
| **ص** | |
| صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة | ٣٩٥، ٤٠٩ |
| الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة | ١٦٧، ١٩٨ |
| الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان مُكَفِّراتُ | ٤٤٠ |
| صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس | ٨١، ٣٨٧ |


غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| **ط** | |
| طلب العلم فريضة على كل مسلم | ٢٦٩ |
| العلمُ عِلمان: علمٌ على اللسان فذلك حُجَّةُ الله على ابن آدم | ٤٤٨ |
| العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس | ٥٧١ |
| **ف** | |
| فاطمةُ بَضْعة مِنِّي يَريبني ما رابها | ٢٤٨ |
| فشكر الله له فغفر له. فقال الصحابة: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا | ١٥٦ |
| فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، مَن حُرِمها فقد حُرِم الخير كلَّه | ١٧٣ |
| **ق** | |
| قال رجل: لأتصدقنَّ الليلة بصدقة. فخرج بصدقته؛ فوضعها في يد زانية | ١٦٦ |
| قلْ آمنتُ بالله، ثمَّ استَقِمْ | ٥٠٤ |
| **ك** | |
| كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره | ٤١ |
| كان جبريل ينزل على النبي ﷺ كلَّ عام في رمضان، فيدارسه القرآن | ٥٤، ١٧٤ |
| كان خُلُقه القرآن | ٢٨٢، ٣٧٠ |
| كان يصلي الصبح بغَلَس | ٣٠٢، ٣٩٩ |
| كانت أمي بعد أمي | ٣٨٤ |
| كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به | ٤٢ |
| كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام | ٢٢٠ |
| كل مولود يُولد على الفطرة، وإنَّما أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه | ٣٩ |


غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته: الرجل راعٍ في بيت أهله | ٢٤، ٣٩، ٤٤، ١٥٣، ٢٢٤، ٤٢٥ |
| كيف بكم إذا فسق شبابُكم، وطغت نساؤكم، وكثر جُهَّالكم؟ | ١٢٢ |
| **ل** | |
| لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم | ١٦٣، ٢٨٢، ٣٧٥ |
| لا تزولُ قَدَمُ ابنِ آدم يومَ القيامةِ من عند ربِّه حتَّى يُسأل عن خمسٍ | ٤٣١، ٤٩٥، ٥١٧ |
| لا تسرف في الماء | ٤١٧ |
| لا تمنعوا إماء الله مساجد الله | ٢٩١، ٣٠٢، ٣٣٤ |
| لا تنتقب المُحْرِمة، ولا تلبس القُفَّازين | ٣١٢ |
| لا. قال: بثلثيه؟ قال: لا. قال: بنصفه؟ قال: لا. قال: بثلثه؟ قال: الثلث والثلث كثير | ١٥٧ |
| لا، ولا بزفرة واحدة | ٢٣ |
| لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تسافِرَنَّ امرأةٌ إلَّا ومعها مَحْرَم | ١٣٨ |
| لا يكن أحدكم إمَّعة يقول: أنا مع الناس: إنْ أحسنوا أحسنت | ٣٨٦ |
| لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به | ٣٨٨ |
| لتتبعن سَنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع | ٣٨٦، ٥٧٣ |
| لتُفْتَحَنَّ القُسْطَنْطِينِيَّة، فلنعمَ الأميرُ أميرُها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيشُ | ٥٤٨ |
| لعنَ رسول الله ﷺ ساقيها وحاملَها وبائعها | ١٣٨ |
| لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال | ٢٥٥ |
| لن يُفلِح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةً | ٣٤٢ |
| لو أمرتُ أحدًا أنْ يسجد لأحدٍ لأمرتُ الزوجة أنْ تسجد لزوجها | ٣١٦ |
| لو جعلتم هذا الباب للنساء | ٢٤٥، ٢٤٦، ٤٠٠ |


نسخة مجانية غير صالحة للطباعة

QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| لو كان لابن آدم واديان من مال؛ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب | ٤١٥ |
| لو يُعطى الناس بدعواهم؛ لادَّعى ناسٌ دماء رجال وأموالهم | ١٦٥ |
| لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك | ٢٥ |
| ليس بمؤمنٍ مَن بات شبعانَ وجارُه إلى جنْبه جائع | ١٥٩، ١٨٨ |
| م | |
| ما آمن بي مَنْ بات شبعانَ، وجارُه إلى جَنْبِه جائعٌ، وهو يعلم به | ١٨٨ |
| ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيرًا من امرأة صالحة، إن نظر إليها سرته | ٤١ |
| ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان | ٣٤ |
| ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أنْ يأكل من عمل يده | ٦٥ |
| ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، إلا الهَرَم | ٥٤٧ |
| ما تقرَّب إليَّ عبدي بأفضل ممَّا افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ | ٥٠٤ |
| ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما انتزع من شيء إلا شانه | ٥٨٥ |
| ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل | ٥٦٤ |
| ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا سلط الله عليهم الطاعون | ٥٧٢ |
| ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة | ٦٤ |
| مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمَثَل قومٍ استهموا على سفينة | ٢١٠ |
| مثل المؤمنين في تَوَادِّهِمْ وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهِم مَثَلُ الجسدِ | ٧، ١٩٨ |
| مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر | ٢٤، ٢٥، ٤٧١ |
| المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه | ١٦٨، ١٨١، ١٩٨ |
| المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم | ١٩٨ |
| من أتى كاهنًا أو عرَّافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد | ٤١٣ |
| من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ | ٤٣٨ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| مَن أدرك رمضان فلم يُغفر له فأبعده الله | ١٧٣ |
| من أراد منكم بَحْبَحةَ الجنَّة فليلزم الجماعة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحد | ٥٠٦ |
| من جَهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا | ٨٤ |
| مَنْ دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله | ١٤٣ |
| من رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه | ٨٦ |
| من فرَّج عن مسلم كُرْبة من كرب الدنيا؛ نفَّس الله عنه كُربة من كُرُبات يوم القيامة | ١٥٩، ١٦٨، ١٨١ |
| من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه | ٩٠ |
| من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فلا يقعدنَّ على مائدةٍ يُدار عليها الخمر | ١٢٤ |
| منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا | ٤١٥ |
| المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيف | ٤٦٥ |
| المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضا | ٥٩، ١٦٧، ١٧٠، ١٨١، ١٩٨ |
| **ن** | |
| ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر | ٤١٠ |
| نساءُ قُرَيْشٍ خيرُ نساء ركبْنَ الإبل، أحناه على ولدٍ | ٣٣٦ |
| نعم، علَّمَنا كلَّ شيء حتى قضاء الحاجة | ٥٧٤ |
| نعم، وإن كنت على نهر جار | ٤١٨ |
| نهى عن الوحدة، أنْ يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده | ٣١٤ |
| نهى النبي ﷺ أنْ يلبس الرجل لباس المرأة وتلبس المرأة لباس الرجل | ٢٥٥ |
| **هـ** | |
| هل أولمتَ؟. قال: لا. قال: أولم ولو بشاة | ٥٥ |
| هل نظرت إليها؟ قال: لا. قال: اذهب فانظر إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدم بينكما | ١٨، ١٩، ٢٣٩ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| هلك الناس | ٢٤٠ |
| هم سواء | ٢١٥ |
| هما رَيْحَانَتَاي من الدُّنْيا | ٣٦٢ |
| **و** | |
| والله إنِّي لأعلم أنَّك حَجرٌ لا تَضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ | ١٠٢ |
| والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه | ١٥٩ |
| والمرأةُ في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها | ٢٨٦ |
| وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى الناس كافَّة | ٢٨٠ |
| وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه | ٣٩٠ |
| ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته | ١٨١ |
| ومَن يرد الله به خيرًا يُفقِّهْه في الدين | ٢٨٢ |
| ونعم الفارسان هما | ٢٧ |
| ويحك! أتريد أنْ تميتها موتات؟ | ١٥٥ |
| **ي** | |
| يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ | ٢٧ |
| يا أيُّها الناس.... غطت شَعرها؛ لتذهب مسرعة إلى النبيّ ﷺ، فقالت لها جاريتها: إنَّه يقول: يا أيُّها النَّاس | ٢٩٨، ٣٢٢ |
| يأتي على الناس زمانٌ يذوب فيه قلبُ المؤمن كما يذوبُ المِلْح في الماء | ١٢٣، ١٢٢ |
| يا رسولَ الله، اخرجْ فلا تكلِّم أحدًا، واطلب الحلَّاق | ٢٤٠ |
| يا رسول الله، غلبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا من نفسك يومًا | ٢٧١، ٤٠٠ |
| يا صويحبات الحجر استيقظن، رُبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة | ٤١ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنَّه أغض للبصر | ١١ |
| يبعث الله من يُجدِّد لهذه الأُمَّة أمر دينها | ٣٧٥، ٥٤٩، ٥٨٢ |
| يد الله مع الجماعة | ١٧٠، ٥٠٦، ٥٠٧ |
| يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين | ١٧٥ |
| يومٌ من والٍ عادل خيرٌ من عبادة ستين سنة | ٨٢ |

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# فهرس الموضوعات


• **الأسرة والمجتمع** ..... ٥

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ..... ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ..... ٧

❖ **١ ـ الأسرة المسلمة في مواجهة التحديات** ..... ٩

الأسرة أساس الفرد الصالح والمجتمع القوي ..... ١٠

لا رهبانية في الإسلام ..... ١٠

رفض الإسلام للإباحية ..... ١١

مفهوم الأسرة في الإسلام ..... ١٢

أحكام تتعلَّق بالأسرة ..... ١٢

التقاليد الوافدة والموروثة ..... ١٣

الأساس الرباني للأسرة المسلمة ..... ١٤

الأساس الإنساني للأسرة المسلمة ..... ١٧

التحرُّر من التقاليد الموروثة والوافدة ..... ١٨

نموذج الخِطبة بين الإفراط والتفريط ..... ٢٠

علاقة الأبناء بالآباء في المجتمعات الغربية ..... ٢١

علاقة الأبناء بالآباء في الإسلام ..... ٢٣

مسؤولية رعاية الأبناء في الإسلام ..... ٢٤


نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

تربية بين القسوة والتدليل ..... ٢٦
حياة زوجية مستقيمة ..... ٢٨
الحياة الزوجية بين الحقوق والواجبات ..... ٢٨

**❖ ٢ ـ نحو أسرة أفضل ..... ٣١**
المرأة أكثر من نصف المجتمع ..... ٣١
محاولة أعداء الإسلام إفساد المرأة ..... ٣٢
واقع الأسرة المسلمة ..... ٣٢
نحو تكوين أسرة صالحة مصلحة ..... ٣٣
معيار اختيار الزوج والزوجة ..... ٣٣
معايير مضطربة ..... ٣٤
كيف كان الصالحون؟ ..... ٣٥
حاجتنا لتوعية فكرية ..... ٣٦
أهمية الاختيار الصحيح ..... ٣٧
تهيئة المحضن الصالح لنشأة مستقيمة ..... ٣٩
أسرة الحقوق والواجبات ..... ٤٠
المرأة الصالحة نعمة ..... ٤٠
مسؤولية الزوج ..... ٤٢
بعض الآباء لا يتحمل مسؤولية أبنائه ..... ٤٣
مهمة الأبوة والأمومة ..... ٤٣
مضاعفة مسؤولية الأم ..... ٤٤
مساهمة مؤسسات المجتمع في التربية ..... ٤٥
مسؤولية كبيرة على الأسرة ..... ٤٦
المرأة عليها عبء كبير ..... ٤٨
صلاح الأسرة بتعاليم الإسلام الصحيحة ..... ٥٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **٣ ـ المجتمع الإسلامي.. التحديات وإمكانات النهوض ..... ٥٣**
اهتمام الإسلام بالمجتمع ..... ٥٤
**مجتمع الدين والدنيا معًا** ..... ٥٥
**المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء** ..... ٥٦
مجتمع مجاهد ..... ٥٧
**المسلم لا يعيش وحده** ..... ٥٧
المجتمع الإسلامي مترابط متضامن ..... ٥٩
التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي ..... ٦٠
كيف نجمع بين الدين والدنيا؟ ..... ٦١
هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها ..... ٦١
بيننا وبين القوم مراحل ..... ٦٣
ما الذي يعجزنا؟ ..... ٦٦
الإمكانات المادية للنهوض ..... ٧٢
**إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة** ..... ٧٨
هل تسير الأُمَّة من سيئ إلى أسوأ؟ ..... ٧٨
دور رجال الشرطة في النهضة ..... ٨١
للجهاد مراتب وأنواع ..... ٨٣
السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها ..... ٨٦
دور المعلم إزاء هذه التحديات ..... ٨٨
تحري ليلة القدر ..... ٨٩
الإعلام الأوربي والقِيَم ..... ٩١
الدعاء ..... ٩٣

❖ **٤ ـ دعائم المجتمع المسلم ..... ٩٧**
شباب الجامعات طليعة الأُمَّة ..... ٩٨

غير مراجعة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

دعائم المجتمع المسلم ..... ٩٨
الدعامة الأولى: التربية ..... ٩٩
**منهج النبيِّ ﷺ في التغيير** ..... ١٠٠
صنيع الإيمان بسحرة فرعون ..... ١٠٠
الإيمان يصنع التغيير دون قيود ..... ١٠٢
عمر بن الخطاب ..... ١٠٢
الفرد الصالح أساس الإصلاح ..... ١٠٣
تربية الفرد المسلم مسؤولية الجميع ..... ١٠٥
الدعامة الثانية: التطهير والوقاية ..... ١٠٧
الدعامة الثالثة: الكفاية والإشباع ..... ١٠٩
مفهوم خاطئ لتطبيق الشريعة ..... ١١١
شمول الإسلام ..... ١١٢
الدعامة الرابعة: الردع والنكاية ..... ١١٢
لا غناء عن حد السرقة ..... ١١٣
حد السرقة يُحقِّق الأمن ..... ١١٥
**إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة** ..... ١١٧
بين الشمول والاجتزاء ..... ١١٧
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ١٢٢
منهج التعامل مع الأهل ..... ١٢٦
التأثير بحسن القدوة ..... ١٢٦
التأثير بحسن الدعوة ..... ١٢٧
مواجهة عقبات الزواج ..... ١٣١
عمل المرأة وضوابطه ..... ١٣٣
أسباب عمل المرأة ..... ١٣٤

غير مصرح للطباعة
نسخة رقمية
QaradawiBooks.com

(١) حاجة المرأة إلى العمل ..... ١٣٤
أسماء بنت أبي بكر ..... ١٣٤
قصة الشيخ الكبير وابنتيه مع موسى ..... ١٣٥
(٢) حاجة المجتمع إلى عمل المرأة ..... ١٣٧
شروط عمل المرأة ..... ١٣٧

❖ **٥ ـ العمل الخيري ودوره في المجتمع ..... ١٤٠**
عمل الخير واجب كل مسلم ..... ١٤١
استباق الخيرات والمسارعة فيها ..... ١٤٢
الدعوة إلى الخير ..... ١٤٢
الحضّ على فعل الخير ..... ١٤٤
رعاية ضرورات المحتاج ..... ١٤٥
الأصل في إنشاء الجمعيات الخيرية ..... ١٤٦
قصور معنى العمل التطوعي ..... ١٤٦
عمل الخير بكل الوسائل في شتى المجالات ..... ١٤٧
الدعوة إلى الإسلام ومواجهة التنصير ..... ١٤٧
مؤتمر المبشرين البروتستانت في كولورادو ..... ١٤٨
أهداف المبشرين ..... ١٤٩
محاولة مواجهة جهود المبشرين ..... ١٥٠
هدف استثمار التبرعات لا إنفاقها ..... ١٥٢
عراقيل ومعوقات ..... ١٥٢
أهمية الشعور بالمسؤولية ..... ١٥٣
بذل الخير لكل من احتاج إليه ..... ١٥٤
رحمة الإسلام بالحيوان ..... ١٥٥
من موارد الخير الزكاة ..... ١٥٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من موارد الخير الوصايا ..... ١٥٧
من موارد الخير الأوقاف ..... ١٥٨
من موارد الخير الصدقات ..... ١٥٩
من أسخياء المسلمين ..... ١٦٠
مهمة الجمعيات الخيرية ..... ١٦١
أهمية التشجيع على الأعمال الخيرية ..... ١٦٢
أُمَّتنا بخير، لا تجتمع على ضلالة ..... ١٦٣
**إجابات عن أسئلة المحاضرة ..... ١٦٥**

**❖ ٦ ـ التكافل الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلاميَّة ..... ١٧٢**
ما معنى التكافل؟ ..... ١٧٥
الفرد هو الأساس في النظام الرأسمالي ..... ١٧٦
خمس نصائح لأرباب الأموال ..... ١٧٦
من أسس التكافل في الإسلام ..... ١٧٨
١ ـ فكرة الاستخلاف ..... ١٧٨
٢ ـ مقتضى الأخوَّة الإيمانيَّة ..... ١٨٠
أنواع من التكافل ..... ١٨٢
التكافل الدفاعي ..... ١٨٢
التكافل الاجتماعي ..... ١٨٣
حد الكفاية ..... ١٨٤
حاجات الإنسان تتجدد ..... ١٨٤
من وسائل تحقيق التكافل ..... ١٨٥
تهيئة العمل ..... ١٨٥
مسؤوليَّة الدولة عن إقامة التكافل ..... ١٨٥
كفاية غير القادر على العمل ..... ١٨٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من وسائل تحقيق التكافل: نظام النفقات الواجبة ..... ١٨٦
نظام النفقة الواجبة لا يوجد في غير الإسلام ..... ١٨٧
تكافل أهل الحي ..... ١٨٨
تكافل المجتمع بالزكاة ..... ١٨٩
للدولة الإسلاميَّة أنْ تقاتل من أجل حقوق الفقراء ..... ١٩٠
الكفر والفقر قرينان ..... ١٩١
الزكاة تقضي على الفقر وتقيل العثرات ..... ١٩٢
فرق بين الزكاة والتأمين ..... ١٩٣
موارد الدولة من وسائل التكافل ..... ١٩٣
القرآن المكي يُعْنى بفريضة إطعام المسكين ..... ١٩٥
عناية القرآن بفريضة الحضُّ على إطعام المسكين ..... ١٩٥
تَرْكُ الحضِّ على إطعام المسكين قرين الكفر ..... ١٩٦
التكافل عن طريق تَكْوِين الجمعيَّات الخيريَّة ..... ١٩٦
تكافل المسلمين جميعًا ..... ١٩٧
الأقربون أولى بالمعروف ..... ١٩٨
شعوب إسلاميَّة لأُمَّة واحدة ..... ١٩٩
التكافل بين الأجيال الإسلاميَّة ..... ٢٠١
كلمة الختام ..... ٢٠٤
**أسئلة المحاضرة وإجابات الشيخ القرضاوي عنها** ..... **٢٠٦**
الزكاة فرع المِلك ..... ٢٠٦
غريزة حبِّ التملُّك ..... ٢٠٦
المِلْكية فرع الآدمية ..... ٢٠٧
المِلْكية فرع الاستخلاف ..... ٢٠٧
حُرَّاس على إخراج الزكاة ..... ٢٠٨

QaradawiBooks.com

الحارس الأول: السلطان ..... ٢٠٨
الحارس الثاني: المجتمع الإسلامي ..... ٢٠٩
الحارس الثالث: الوازع الذاتي ..... ٢١٠
التنازل عن الدَّيْن واعتباره من الزكاة ..... ٢١١
هل تُغْني الضرائب عن الزكاة؟ ..... ٢١٢
المصارف الإسلاميَّة خُطوة على طريق العودة إلى الإسلام ..... ٢١٣

**❖ ٧ ـ المسكرات وخطرها على المجتمع ..... ٢١٧**
ابتلاء المجتمعات الإسلامية بالمخدرات ..... ٢١٨
لماذا يشرب الناس الخمر؟ ..... ٢١٩
هل يجهل الناس حكم الخمر؟ ..... ٢١٩
دلائل التحريم في القرآن والسُّنَّة ..... ٢٢٠
محاولة تحويل القطعيات إلى ظنيات ..... ٢٢١
أصدقاء السوء ..... ٢٢٢
الفراغ القاتل ..... ٢٢٣
فقدان الرعاية الأسرية ..... ٢٢٣
أجهزة الإعلام ..... ٢٢٤
القوى المعادية للإسلام ..... ٢٢٥
واجباتنا تجاه هذه المشكلة ..... ٢٢٦
حماية الشباب ..... ٢٢٦
تطهير المجتمع من أسباب الفساد ..... ٢٢٧
إفساح المجال للدعاة والمربين ..... ٢٢٨
**الإجابة عن أسئلة المحاضرة ..... ٢٣٠**
السؤال الأول ..... ٢٣٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما حكم التدخين؟ ..... ٢٣٠
السؤال الثاني ..... ٢٣١
ما حكم القات ..... ٢٣١

**• المـرأة المسلمـة ..... ٢٣٣**

**❖ من الدستور الإلهي للبشرية ..... ٢٣٤**

**❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ..... ٢٣٥**

**❖ ٨ ـ مسلمة الغد ..... ٢٣٧**
المسلمة اليوم بين تيارين خاطئين ..... ٢٣٧
الحقيقة الضائعة ..... ٢٣٩
مشاورة المرأة ..... ٢٤٠
التقليد الأعمى ..... ٢٤١
المرأة المسلمة بين أمسيْن ..... ٢٤٤
الأمس القريب ..... ٢٤٤
الأمس البعيد ..... ٢٤٦
التكامل بين المرأة والرجل ..... ٢٥٤
صور من الغرب ..... ٢٥٦
موقف المرأة من الحضارة الغربيَّة ..... ٢٥٨
المرأة بين الجاهلية والإسلام ..... ٢٥٩
مسلمة الغد ..... ٢٦١

**❖ ٩ ـ المكانة العلمية للمرأة في الإسلام ..... ٢٦٣**
نظرة الإسلام للمرأة ..... ٢٦٤
دور العلم في خلافة الإنسان ..... ٢٦٥

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعضكم من بعض ..... ٢٦٥
التكاليف والجزاء للذكر والأنثى معًا ..... ٢٦٦
النساء شقائق الرجال ..... ٢٦٨
طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة ..... ٢٦٩
المرأة في العصور الأولى ..... ٢٧٠
مساهمة المرأة في العلوم ..... ٢٧١
عالمات ومحدثات وفقيهات ..... ٢٧٣
ميراث المرأة علم أبيها ..... ٢٧٤
باب العلم مفتوح أمام المرأة ..... ٢٧٥
تشدُّد في غير موضعه ..... ٢٧٦

**❖ ١٠ ـ واجبات المرأة المسلمة ..... ٢٧٨**

يجب أن تصل رسالة الإسلام إلى المسلمين ..... ٢٧٩
علينا أن نبلغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين ..... ٢٧٩
استخدام الوسائل المتاحة لنشر الإسلام ..... ٢٨٠
واجب المؤمنين والمؤمنات ..... ٢٨٠
دور المرأة المسلمة ..... ٢٨١
واجب المرأة نحو نفسها ..... ٢٨١
التزكية الروحية والإيمانية ..... ٢٨٢
التخلُّق بأخلاق القرآن ..... ٢٨٣
الترقي في درجات الإيمان ..... ٢٨٤
واجب المسلمة نحو أسرتها ..... ٢٨٥
واجب المرأة نحو بنات جنسها ..... ٢٨٧
واجب المرأة نحو مجتمعها ..... ٢٨٨

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دور المرأة في التاريخ الإسلامي ..... ٢٩٠
أهمية المسجد للمرأة المسلمة ..... ٢٩١

**❖ ١١ ـ المرأة المُسْلِمَة بين الإنصاف والإجحاف ..... ٢٩٥**
**كتاب تحرير المرأة لـ«أبو شُقَّة» ..... ٢٩٥**
المرأة في القرآن والسُّنَّة ..... ٢٩٧
تكريم المرأة في الإسلام ..... ٢٩٧
أصل التكليف والجزاء ..... ٢٩٨
بعضكم من بعض ..... ٢٩٩
آراء ومواقف تخالف نظرة الإسلام للمرأة ..... ٣٠٠
حقيقة الزواج ..... ٣٠٠
**ذهاب المرأة إلى المسجد ..... ٣٠٢**
تعليم المرأة ..... ٣٠٤
الأيسر والأحوط ..... ٣٠٥
وجه المرأة ..... ٣٠٦
شهادة المرأة ..... ٣٠٨
ميراث المرأة ..... ٣٠٩
**إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ..... ٣١٤**
سفر المرأة بدون مَحْرَم ..... ٣١٤
العودة إلى الأصل عودة إلى التيسير ..... ٣١٥
الطاعة في المعروف ..... ٣١٦

**❖ ١٢ ـ كيف نتعامل مع قضايا المرأة؟ ..... ٣١٩**
نجتمع رغم الآلام ..... ٣٢٠
مكانة المرأة في المجتمع ..... ٣٢٠

غير مرخص للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اهتمام القرآن بالمرأة ..... ٣٢١
الخطاب القرآني للرجل والمرأة ..... ٣٢١
نظرة الإسلام في رعاية الحقوق ..... ٣٢٢
الحقوق بين الغرب والإسلام ..... ٣٢٣
أُمَّتنا غـنيَّة عن الاستيراد ..... ٣٢٣
عصر العوْلَمَة ..... ٣٢٤
حقيقة العوْلمة ومجالاتها ..... ٣٢٤
موقفنا من عولمة قضايا المرأة ..... ٣٢٥
الفحص والتمييز ..... ٣٢٥
رفض التقليد ..... ٣٢٦
التَّمسُّك بالثوابت ..... ٣٢٦
الاجتهاد في محلِّه ..... ٣٢٦
وثيقة إلغاء التمييز ..... ٣٢٧
مجال المساواة بين الرجل والمرأة ..... ٣٢٧
مجال التمايز بين الرجل والمرأة ..... ٣٢٨
رعاية العدل في مجال التمايز ..... ٣٢٩
موقفنا من الغزو الثقافي في قضية المرأة ..... ٣٢٩
إقرار حق الخلع للمرأة ..... ٣٣٠
رفض وثيقة التنمية الوطنية ..... ٣٣١
النظرة الغربية للمرأة ..... ٣٣٢
الجنس الثالث ..... ٣٣٢
تيار الغلو والإفراط ..... ٣٣٣
سجن المرأة ..... ٣٣٣
منع المرأة من المساجد ..... ٣٣٤

نسخة مجانية للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تزويج المرأة بغير رضاها ..... ٣٣٥
منع المرأة من قيادة السيارة ..... ٣٣٦
منع المرأة من حق الانتخاب ..... ٣٣٦
تيار الانحلال والتفريط ..... ٣٣٧
قضية الخِطْبَة ..... ٣٣٧
الموقف الوسط ..... ٣٣٨
تكامل لا صراع ..... ٣٣٨
**إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ..... ٣٤٠**
ترشح المرأة للانتخابات، وتولِّيها القضاء ..... ٣٤٠
تولِّي المرأة رئاسة الدولة ..... ٣٤٢
تشدُّد الأهل مع المرأة ..... ٣٤٢
ميراث المرأة وقوامة الرجل ..... ٣٤٣
عمل المرأة وضوابطه ..... ٣٤٤
تحرير الإسلام للمرأة ..... ٣٤٥
**❖ ١٣ ـ المرأة المسلمة والعمل الإسلامي ..... ٣٤٧**
مسيرة مليونيَّة نسائيَّة ..... ٣٤٨
مبادرة المرأة للقيام بدورها ..... ٣٤٩
رفع الوصاية عن المرأة ..... ٣٤٩
تأثير المرأة في المجتمع ..... ٣٥١
لا يضرُّ الشاةَ سلخَها بعد ذبحها ..... ٣٥١
باعدت بينهم الهمم ..... ٣٥٢
إيَّاكَ وكسبَ الحرام ..... ٣٥٢
عرفته أكَّالًا ولم أعرفه رزاقًا ..... ٣٥٣
نضال المرأة في عصرنا ..... ٣٥٣

QaradawiBooks.com

صحوة الرجال والنساء ..... ٣٥٤
إقبال المرأة على الدِّين ..... ٣٥٤
العاطفة عند المرأة ..... ٣٥٥
تأثير عزل النساء عن الرجال ..... ٣٥٦
صحوة عالميَّة تتهددها الأخطار ..... ٣٥٨
متطلبات عصر الصحوة ..... ٣٦٠
(١) واجب الوعي ..... ٣٦٠
الحاجة إلى فقه الأولويَّات ..... ٣٦١
الفرائض قبل النوافل ..... ٣٦٢
المُتَّفق عليه قبل المختلف فيه ..... ٣٦٤
رعاية الأولويَّات في مجال الدعوة ..... ٣٦٥
الحاجة إلى أنواع أخرى من الفقه ..... ٣٦٦
فقه السنن ..... ٣٦٧
شمول الفقه بالمعنى القرآني ..... ٣٦٨
(٢) واجب العمل ..... ٣٦٩
العلم للعمل ..... ٣٦٩
(٣) واجب الدعوة ..... ٣٧٠

**❖ ١٤ ـ دور المرأة المسلمة في الصحوة الإسلامية المعاصرة ..... ٣٧٤**

حقيقة الصحوة الإسلامية ..... ٣٧٤
أُمَّة الإسلام لا تموت ..... ٣٧٥
صحوة شاملة ..... ٣٧٦
صحوة العقل الإسلامي ..... ٣٧٧
صحوة إرادة وتصميم ..... ٣٧٨
صحوة سلوك وعمل ..... ٣٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

صحوة عالمية واسعة ..... ٣٨٠
صحوة شباب الجامعة والمثقفين ..... ٣٨٠
دور المرأة المسلمة في هذه الصحوة ..... ٣٨١
مكانة المرأة في القرآن الكريم ..... ٣٨٢
ميادين مشاركة المرأة في الصحوة الإسلامية ..... ٣٨٤
تصحيح عقيدتها وتصوراتها وعباداتها ..... ٣٨٤
تقويم خُلُقها وسلوكها ..... ٣٨٥
تحرر المرأة المسلمة من التقليد الأعمى ..... ٣٨٦
تميُّز شخصية المرأة المسلمة ..... ٣٨٦
دور المرأة مع أسرتها ..... ٣٨٨
دور المرأة ابنة ..... ٣٨٩
دور المرأة زوجة ..... ٣٨٩
دور المرأة أمًّا ..... ٣٩١
دور الفتاة مع بنات جنسها ..... ٣٩٢
أسباب هزيمتنا في ميدان المرأة ..... ٣٩٣
ميدان العمل للإسلام العام ..... ٣٩٥

**❖ ١٥ ـ دور المرأة الجامعية في المجتمع ..... ٣٩٨**

المرأة نصف المجتمع ..... ٣٩٩
لا يجوز إهمال أمر المرأة ..... ٣٩٩
طموح المرأة المسلمة ..... ٤٠٠
واقع المرأة في بعض العصور ..... ٤٠١
المسجد ليس للصلاة فقط ..... ٤٠٢
دور المرأة الجامعية في المجتمع ..... ٤٠٣
زكاة العلم أن يُعمل به ويُعلَّم ..... ٤٠٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مكانة من يعلم ولا يعمل ..... ٤٠٤
طبيعة الإنسان المزدوجة ..... ٤٠٥
أهداف خلق الإنسان ..... ٤٠٦
المرأة في كل الرسالات ..... ٤٠٧
المرأة في عهد النبي ﷺ ..... ٤٠٨
دور المرأة في الحضارة الإسلامية ..... ٤١٠
دور المرأة المسلمة في العصر الحديث ..... ٤١١
المجتمع بحاجة لمحاربة الجهل والخرافات ..... ٤١١
دور الجامعية المستنيرة ..... ٤١٣
من أخطاء طالبات الجامعة ..... ٤١٤
يجب أن يستمر التعلُّم بعد الجامعة ..... ٤١٤
الرباني من يَعْلم ويَعْمل ويُعلِّم ..... ٤١٥
محاربة العادات السيئة والتقاليد الضارة ..... ٤١٧
محاربة تقاليد التبرج المستوردة ..... ٤١٩
خطر الاعتماد على الخدم في كل شيء ..... ٤٢٠
**إجابات الأسئلة** ..... **٤٢٣**
السؤال الأول ..... ٤٢٣
الجواب ..... ٤٢٣
السؤال الثاني ..... ٤٢٥
الجواب ..... ٤٢٥
السؤال الثالث ..... ٤٢٦
الجواب ..... ٤٢٦
الجواب ..... ٤٢٧

غير مصرح للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

**• الشـبـاب ..... ٤٢٩**

**❖ من الدستور الإلهي للبشرية ..... ٤٣٠**

**❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ..... ٤٣١**

**❖ ١٦ ـ واجب الشباب المسلم اليوم (١) ..... ٤٣٣**

من المسلم؟ ..... ٤٣٣

الشبابُ مرحلةُ القوَّة ..... ٤٣٤

الشباب حمَلة الرسالات ..... ٤٣٤

نماذجُ رائعةٌ للشباب ..... ٤٣٤

إسماعيل الذَّبِيح ..... ٤٣٥

يوسف الصديق ..... ٤٣٥

واجبات أربعة على الشباب المسلم ..... ٤٣٧

١ ـ واجب الفهم الصحيح للإسلام ..... ٤٣٧

٢ ـ واجب العلم بالإسلام ..... ٤٤٧

٣ ـ واجب الدعوة إلى الإسلام ..... ٤٥٢

٤ ـ واجب الترابط على الإسلام ..... ٤٥٥

**❖ ١٧ ـ واجب الشباب المسلم اليوم (٢) ..... ٤٥٨**

(١) رعاية الواجبات ..... ٤٥٩

(٢) مرحلة الشباب ..... ٤٦٠

الشباب ثروة ..... ٤٦١

الشباب حَمَلة الرسالات ..... ٤٦١

ذريَّة من قوم موسى ..... ٤٦١

إبراهيم عليه السلام ..... ٤٦٢

فتية الكهف ..... ٤٦٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

(٣) الشباب المسلم ..... ٤٦٣
شباب الصحابة ..... ٤٦٣
محمد بن القاسم ..... ٤٦٤
(٤) هذا العصر ..... ٤٦٥
تكامل الرعاية ..... ٤٦٦
واجب الشباب المسلم اليوم ..... ٤٦٦
(١) الانتماء للإسلام، والاعتزاز به ..... ٤٦٧
بين سلمان الفارسي وأبي لهب القرشي ..... ٤٦٧
كتاب خالد ..... ٤٦٨
(٢) فهم الإسلام ..... ٤٦٩
تيسير العلم ..... ٤٧٠
التزام المنهج الوسط ..... ٤٧٠
وسطيَّة الإسلام ..... ٤٧٠
(٣) العمل بالإسلام ..... ٤٧٤
(٤) العمل للإسلام ..... ٤٧٦
اليهود يعملون ..... ٤٧٧
النصارى يعملون ..... ٤٧٨
الشباب أمل الأُمَّة ..... ٤٧٩
**إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ..... ٤٨٣**
تجسيد الصحابة في الأعمال الفنية ..... ٤٨٥
**❖ ١٨ ـ رسالة إلى الشباب المسلم ..... ٤٨٧**
هذه الجموع الحاشدة ودلالتها ..... ٤٨٧
(١) أُمَّة مؤمنة ..... ٤٨٨
(٢) أُمَّة بصيرة ..... ٤٨٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

(٣) أُمَّة وسطيَّة ..... ٤٨٩
من هم الشباب؟ ..... ٤٩٠
تميُّز مرحلة الشباب ..... ٤٩١
الشباب هدف المصلحين ..... ٤٩٢
الفتيان والفتيات معًا ..... ٤٩٢
نماذج من الشباب في القرآن ..... ٤٩٣
إبراهيم عليه السلام ..... ٤٩٣
إسماعيل عليه السلام ..... ٤٩٣
يوسف عليه السلام ..... ٤٩٤
يحيى عليه السلام ، وفتية الكهف ..... ٤٩٥
الشباب ثروة الأُمَّة ..... ٤٩٥
رسالة إلى الشباب المسلم ..... ٤٩٦
أولًا: الغاية من وجود الإنسان ..... ٤٩٦
لماذا كان بعض الناس أَضَلَّ من الأنعام؟ ..... ٤٩٧
غاية الإنسان المسلم ..... ٤٩٧
الحياة في سبيل الله ..... ٥٠٠
ثانيًا: حسن فهم الإسلام ..... ٥٠٠
رعاية فقه الأولويات ..... ٥٠١
ثالثًا: حسن العمل بالإسلام ..... ٥٠٤
الارتقاء إلى الأحسن ..... ٥٠٤
رابعًا: التآخي والتعاون ..... ٥٠٦
الشباب أمل الأُمَّة ..... ٥٠٨
واجب الأسرة تجاه الشباب ..... ٥١٠
واجب المجتمع تجاه الشباب ..... ٥١٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقومات الأُمَّة للنهوض والشهود ..... ٥١٢
التنوع في إطار الوحدة ..... ٥١٢
❖ **١٩ ـ الشباب هم الأمل ..... ٥١٥**
رابطة الإسلام ..... ٥١٥
أهمية مرحلة الشباب ..... ٥١٦
إبراهيم الخليل داعية التوحيد ..... ٥١٧
إسماعيل الفتى الصابر المحتسب ..... ٥١٧
يوسف الشاب التقي المتعفف ..... ٥١٨
الشباب معقد الأمل وموطن الرجاء ..... ٥٢٠
دور الشباب في مسيرة الإسلام: ..... ٥٢١
الآمال الكبار والطموحات العظيمة ..... ٥٢٢
❖ **٢٠ ـ الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل ..... ٥٢٥**
ذكرى الإسراء والمعراج ..... ٥٢٦
الشباب عدة اليوم وأمل المستقبل ..... ٥٢٦
مرحلة الطموح والأمل والكفاح ..... ٥٢٨
الشباب حَمَلة الرسالات ..... ٥٢٩
توجيه طاقة الشباب نحو الخير ..... ٥٢٩
مشكلة الفراغ وغياب القدوة ..... ٥٣٠
غياب التوجيه الرشيد والتربية الصالحة ..... ٥٣١
مسؤولية الأجهزة والمؤسسات المختلفة ..... ٥٣٢
الدور السلبي لبعض المؤسسات ..... ٥٣٣
مهمة الدعاة الصادقين ..... ٥٣٤
معنى رعاية الشباب ..... ٥٣٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شباب الصحوة الإسلامية ..... ٥٣٦
الإسلام هو طوق النجاة ..... ٥٣٧
الإسلام هو الغاية وهو الطريق ..... ٥٣٨
الإسلام المتكامل الصافي ..... ٥٣٩
الإسلام المتوازن المعتدل ..... ٥٤٠
مراعاة الفروق والمراتب ..... ٥٤١
حماية شباب الصحوة ..... ٥٤١
فرد ذو همة يحيي أُمَّة ..... ٥٤٣

**❖ ٢١ ـ الشباب المسلم وأولويَّات العمل الإسلامي ..... ٥٤٤**

نماذج من الشباب في القرآن ..... ٥٤٤
توضيح المصطلحات ..... ٥٤٧
الصحوة الإسلاميَّة ..... ٥٤٧
العمل الإسلامي ..... ٥٤٨
عمل شعبي جماعي ..... ٥٤٨
عمل مُنظَّم ..... ٥٤٩
أولويَّات العمل الإسلامي ..... ٥٥٠
فقه الأولويَّات ..... ٥٥٠
اختلال فقه الأولويَّات بين المسلمين ..... ٥٥١
حاجة الشباب إلى فقه الأولويَّات ..... ٥٥٢
أولويَّة الفكر على العمل ..... ٥٥٢
أولويَّة عمل القلب على عمل البدن ..... ٥٥٣
أولويَّة جنس أعمال الجهاد ..... ٥٥٤
أولويَّة فرض الكفاية على النافلة ..... ٥٥٤
تفاوت الأولويَّات بحسب الأمكنة والأزمنة ..... ٥٥٦

QaradawiBooks.com

أولويَّة الخروج من التخلُّف في عصرنا ..... ٥٥٦
مُقَوِّمات النهوض ..... ٥٥٨
القوَّة العدديَّة ..... ٥٥٨
القوَّة الاقتصادية ..... ٥٥٩
القوَّة الحضاريَّة والتاريخيَّة ..... ٥٦٠
القوَّة الرُّوحيَّة ..... ٥٦٠
أولويَّة الحرية والعدالة والأخلاق ..... ٥٦٢
أولويَّة الوحدة ..... ٥٦٣
الانشغال بالعمل وترك الجدل ..... ٥٦٣

**❖ ٢٢ ـ الشباب المسلم والتيارات الفكرية المعاصرة ..... ٥٦٥**

الشيخ عبد الله بن علي المحمود ..... ٥٦٦
الشباب أعظم الثروات ..... ٥٦٦
بعض الشباب لا ينتمون لأي تيار فكري ..... ٥٦٨
شباب ضائع ..... ٥٦٨
شباب الأُمَّة في زمن الفتوح ..... ٥٦٩
تيار التغريب الفكري ..... ٥٦٩
تيار مادي نفعي إباحي ..... ٥٧٠
العلمانية جزء من الفكر الغربي ..... ٥٧٣
الإسلام يوجه الحياة كلَّها ..... ٥٧٤
الفكر الغربي يحمل الروح الصليبية ..... ٥٧٥
تيار له أشكال متعددة ..... ٥٧٦
تيار دائم العداء مع التيار الإسلامي ..... ٥٧٧
تيار يملك الوسائل المتعددة ..... ٥٧٨
تيارات إسلامية منحرفة ..... ٥٧٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تيار الظاهرية الجدد ..... ٥٨٠
تيار الرفض والعنف ..... ٥٨٠
**تيار الوسطية والاعتدال** ..... ٥٨١
نهج الحكمة والموعظة الحسنة ..... ٥٨٣
الرفق في القول واللين في الدعوة ..... ٥٨٥
تبني تيار الوسطية ..... ٥٨٦
فقه المقاصد وفقه الموازنات ..... ٥٨٦
فقه الأولويات ..... ٥٨٧
معنى رعاية الشباب ..... ٥٩٠
لا مكان لنا إلا بالإسلام ..... ٥٩٢

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ..... **٥٩٧**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ..... **٦١٩**
- **فهرس الموضوعات** ..... **٦٣١**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com